فوات الوفيات

والذيل عليها

تأليف

محمد بن شاكر الكتبي

(- ٧٦٤ هـ)

المجلد الثالث

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

دار صادر
بيروت

٣٣٤
المكتفي بالله

علي بن أحمد بن طلحة بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ؛ هو أمير المؤمنين المكتفي بالله ابن المعتضد ابن الموفق ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور ، الهاشمي العباسي ، ولد سنة أربع وستين ومائتين ، وتوفي سنة خمس وتسعين ومائتين .

كان معتدل القامة دريّ اللون أسود الشعر حسن الوجه ؛ بويع له بالخلافة عند موت والده في جمادى الأولى سنة تسع وثمانين ، وكانت أيامه ست سنين ونصف ، ومات شاباً في ذي القعدة ، وخلّف مائة ألف ألف دينار عيناً ، وأمتعة وعقاراً وأواني بمثلها ، وثلاثة وستين ألف ثوب وكان يلقب « المترف » لنعمة جسمه وحسنه ، وكان نقش خاتمه « اعتمادي على الذي خلقني » .

ومن شعره :

من لي بأن تعلمَ مـا ألقى — فتعرفَ الصبوةَ والعشقا
ما زال لي عبداً وحُبّي له — صيرني عبداً له حقـا
أُعتق من رقي ولكنني — من حبه لا آمن العتقا

وله أيضا :

---

٣٣٤ — الزركشي : ٢٣١ والروحي : ٥٩ وتاريخ الخلفاء : ٤٠٥ والفخري : ٢٣٢ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٣٧ وراجع التواريخ العامة كالطبري والمسعودي وابن الأثير ... الخ ؛ وقد وردت في ر .

تلطف في رسولك يا أميري فإني من رسولك في غرور[1]
أحمّله رسالاتي فينسى ويبلغك القليلَ مع الكثير
وأرسلُ مَن إذا لحظته عيني حكى لي طرفهُ ما في ضميري
إذا كان الرسول كذا بليداً تقطعت الجوانح في الصدور

وفي المكتفي هذا يقول ابن المعتز :

قايست بين جمالها وفعالها فإذا الملاحةُ بالخيانة لا تفي
والله لا كلّمتها لو أنها كالشمس أوكالبدر أوكالمكتفي

وما أحسن قول ابن سناء الملك[2] :

ومليّةٍ بالحسن يسخرُ وجهها بالبدر ، يهزأ ريقها بالقرقفِ
لا أرتضي بالشمس في تشبيهها والبدر ، بل لا أكتفي بالمكتفي

٣٣٥

الحريري شيخ الطائفة

علي بن الحسن بن منصور ، الشيخ أبو الحسن الحريري ؛ قال الشيخ شمس الدين : شيخ الفقراء الحريرية أولي الطيبة والسماعات والشاهد ، كان له شأن عجيب ونبأ غريب ، وهو حوراني من عشيرة يقال لهم « بنو الزمان » بقرية بُسر[3] ، وقدم

---

١ ر : غروري .
٢ ديوان ابن سناء الملك : ٤٧٧ .
٣٣٥ – ذيل الروضتين : ١٨٠ والبداية والنهاية ١٣ : ١٧٣ والشذرات ٥ : ٢٣١ وعبر الذهبي ٥ : ١٨٦ والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٦٠ ؛ ووردت في ر .
٣ بسر : من قرى حوران .

دمشق صبياً ونشأ بها ، وذكر هو أنه من قوم يعرفون ببني قرقر ، وكانت أمّه دمشقية من ذرية الأمير قرواش بن المسيب العقيلي ، وكان خاله صاحب دكان في الصاغة ؛ توفي والده وهو صغير ، ونشأ في حجر عمه ، وتعلم صناعة العتّابي وبرع فيها حتى فاق الأقران ، ثم صحب الشيخ أبا علي المغربل خادم الشيخ رسلان .

قال الحافظ سيف الدين ابن المجد : علي الحريري وطىء أرض الجبل ولم يمكنه المقام به ، والحمد لله ، كان من أفتن شيء وأضره على الإسلام ، تظهر منه الزندقة والاستهزاء بأوامر الشرع ونواهيه ، بلغني من الثقات عنه أشياء يستعظم ذكرها من الزندقة والجرأة على الله تعالى ، وكان مستخفاً بأمر الصلاة وانتهاك الحرمات .

ثم قال : حدثني رجل أن شخصاً دخل الحمام ، فرأى الحريري في الحمام ومعه صبيان حسان بلا ميازر ، فجاء إليه وقال : ما هذا ؟ فقال : كأن ليس سوى هذا ، وأشار إلى أحدهم : تمدّد على وجهك ، فتمدد ، فتركه الرجل وخرج هارباً مما رأى .

قال الشيخ شمس الدين : رأيت جزءاً[1] من كلامه من جملته : إذا دخل مريدي بلد الروم فتنصر وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر كان في شغلي . وسأله رجل : أي الطرقات أقرب إلى الله حتى أسير فيه ؟ فقال له : اترك السير وقد وصلت ، وهذا مثل قول العفيف التلمساني :

فلسوفَ تعلم أن سيرك لم يكن إلا إليك إذا بلغتَ المنزلا

وقال لأصحابه : بايعوني على أن نموت يهود ونحشر إلى النار حتى لا يصاحبني احد لعلة ؛ وقال : ما يحسن بالفقير أن ينهزم من شيء ، وإذا خاف من شيء قصده ؛ وقال : لو قدم عليّ من قتل ولدي وهو بذلك طيب كنت أطيب منه .

ومن شعره في ذلك الجزء :

---

١ ر : جزء .

أمردْ يقدم مداسي أخيرْ من رضوانكم
وربع قحبه عندي أحسنْ من الولدانْ

قالوا انت تدعى صالح دع عنك هذي الخندقه
قلت السماعْ يصلح لي بالشمع والمردان

ما اعرف لآدم طاعه إلا سجود الملايكه
وما أعرف آدم عصى الله يعظّم الرحمان

وله :

إن كنت أقجي[1] تقدم وإن كنت رمّاح انتبه
وإن كنت حشو المخدّه اخرج ورد الباب

أوذا اشتهي قبل موتي أعشق ولو صورة حجر
أنا متكّل محيّر والعشقْ بي مشغول

ومن شعره :

كم تتعبني بصحبة الأجسادِ كم تسهرني بلذة الميعادِ
جُد لي بمدامة تقوّي رمقي والجنةُ جدْ بها على الزهاد

وكان يلبس الطويل والقصير والمدورة والمفرج والأبيض والأسود ، والقلنسوة وحدها ، وثوب المرأة ، والمطرز والملون .

وذكر بهاء الدين يوسف بن أحمد بن العجمي أنّ القاضي مجد الدين ابن العديم حدّثه عن أبيه قال : كنت أكره الحريري وطريقه ، فاتفق أن حججت وحج الحريري ومعه جماعة ومردان ، فأحرموا وبقوا تبدو منهم في الإحرام أمور منكرة ، فحضرت يوماً عند أمير الحاج ، فجاء الحريري ، واتفق حضور إنسان بعلبكي

---

[1] أوقجي (بالتركية) : رامي السهام .

ومعه ملاعق ، ففرق علينا كل واحد ملعقتين ملعقتين ، وأعطى الشيخ علي الحريري واحدة ، فأعطاه الجماعة ملاعقهم تكرمة له ، وأما أنا فلم أعطه ملعقتي ، فقال لي : يا كمال الدين ، لم لا توافق الجماعة ؟ فقلت : ما أعطيك شيئاً ، فقال : الساعة نكسرهما[1] ، قال : والملعقتان على ركبتي ، قال : فنظر إليهما وإذا بهما قد انكسرتا كل واحدة شقفتين ، فقلت : ومع هذا فلا أرجع عن أمري فيك ، وهذا من الشيطان ، أو قال : هذا حال شيطاني .

وذكر النسابة في تعاليقه قال : وفي سنة ثمان وعشرين وستمائة أمر الصالح بطلب الحريري واعتقاله ، فهرب إلى بسر ، وسببه أن ابن الصلاح وابن عبد السلام وابن الحاجب أفتوا بقتله لما اشتهر عنه من الإباحة وقذف الأنبياء والفسق وترك الصلاة ، وقال الملك الصالح : أعرف منه أكثر من هذا . وسجن الوالي جماعةً من أصحابه ، وتبرأ منه أصحابه وشتموه ، ثم طلب وحبس بعزتا[2] ، فجعل أناس يتردّدون إليه ، فأنكر الفقهاء ذلك ، وسألوا الوزير ابن مرزوق أن يعمل الواجب فيه ، وإلا قتلناه نحن ، وكان ابن الصلاح يدعو عليه في أثناء كل صلاة بالجامع جهراً ، وكتب جماعة من أصحابه بالبراءة منه .

ولما مات سنة خمس وأربعين وستمائة سنّ أصحابه المحيا[3] في شهر رمضان كلّ ليلة سبعة وعشرين ، وهي من ليالي القدر ، فيحيون تلك الليلة الشريفة بالدفوف والشبابات والملاح بالرقص إلى السحر ، وفي ذلك يقول علاء الدين الوداعي[4] :

حاز الحريريُّ فضلاً ليتٍ ما تهيّا

١ ر : نكسرها .
٢ كذا وردت في ر ، وكذلك هي عند ابن كثير وقال انها قلعة عزتا .
٣ المحيا : أصبح اسماً لكل ليلة تحييها جماعة من الناس ، فهي عند الشيعة في ٢٧ من رجب (انظر دوزي) .
٤ هو علي بن المظفر بن ابراهيم وسيترجم المؤلف له (انظر رقم : ٣٦٢) .

في كلّ ليلة قدرٍ يرى له النـاس محيـا

وفيه يقول سيف الدين المشد[1] :

سمعت بأن حبركمُ علياً[2] حباه الله منه بالحبورِ
إذا حضر السماعَ يتيه عجباً بما أوتيه من عزم الأمور
فلا تولوه تعنيفاً ولوماً فما تدرون أسرارَ الصدور
ومن ذا في السماع له مقام إذا سُمعتْ مقاماتُ الحريري

ورثاه النجم ابن إسرائيل بقصيدته التي أوّلها :

خطبٌ كما شاء الإلهُ جليـلُ ذُهِلت لديه بصائر وعُقولُ
ومصيبة كسفت لها شمس الضحى وهفـا ببدر المكرماتِ أفول
وكبا زِنادُ المجد وانفصمتعرىٰ الـ علياء واغتال الفضائلَ غُول
وتنكرت سُبلُ المعارفِ واغتدت غـُفلاً وأقفر ربعها المأهول
ومضت بشاشةُ كلشيء وانقضت فالوقت قبض والزمان عليل
وعلا ملاحاتِ الوجود سماجةٌ وخفيفُ تلك الكائنات ثقيل
والروضُ أغبرُ والمياه أواجنٌ ومعاطفُ الأغصانِ ليس تميل
والشمعُ والألحانُ لا نورٌ ولا طربٌ وليس على الشهود قبول
خطبٌ ألمَّ بكل قطرٍ نعيهُ كادت له شمٌّ الجبالِ تزول
فعلى المعاني والعلوم كآبة وعلى الحقائقِ ذلةٌ وخمول
والسالكون سطت عليهم حيرةٌ وغوى لهم نَهج ، وضل[3] سبيل
والعارفون تنكرتْ أحوالهم فحجابُ عين قلوبهم مسدول
ودنان خمر الحب قد ختمت وبا ب الحـانِ مهجورُ الفِنا مملول

---

١ هو علي بن عمر بن قزل التركماني ، وستأتي ترجمته (رقم : ٣٤٥) .

٢ ر : خيركم علي .

٣ ر : وظل .

ما كنت أعلم والحوادثُ جمةٌ والناسُ فيهم عالم وجهول
أن الدجى لبس الحداد توقعاً لمصابه قدماً وذاك قليل
أو أن صوبَ المزن حين همى على عفر الثرى دمعٌ عليه يسيل
أو أن صوت الرعد حنةُ فاقد فقد العلا فله عليه عويل
أو أن قلبَ البرق يخفقُ روعةً لسماع ما ناعي علاهُ[1] يقول
أإمامَنا يا أوحدَ العصرِ الذي ما إن له فيمن نراه عديل
يا سيداً ملك القلوبَ فكلها عن حقّ طاعةِ أمره مسئول
مَن يبردُ المهجَ الحِرارَ ومن لها ببلوغ آمالِ الوصال كفيل
أمَّن يدل السالكين إلى حمى ليلى وقد ضلّ[2] السبيلَ دليل
أمَّن يقول الحق لا متخوفاً حيث النفوس على السيوف تسيل
أمَّن يحل المشكلاتِ بلفظةٍ يرضى بها المنقولُ والمعقول
أمَّن يفي بضمانِ حانِ مدامةٍ حبلُ النجاة بدنّها موصول
أمَّن يبيح المفلسين سُلافها ويجول بين دنانها ويصول
أمَّن يهيم به الجمالُ صبابةً فكأنما رب الجمال جميل
يصبو إليه قلب من هو عند أر باب القلوب معشّقٌ مقبول
من كلّ فتاكِ اللواحظ ما رنا إلا تشحّطَ في الدماء قتيل
نشوان عسّال المعاطفِ فاترِ الـ أجفان خمرُ رُضابهِ معسول
بهواه لا يصغي لقولِ مفنّدٍ أبداً ولا يثنيه عنه عذول
وغريرة الألحاظ ناعمة الصبا ريا الإزار وخصرها مهزول
حوراء مائسة المعاطفِ طرفُها سيف على عشاقها مسلول
كل يهيم بحبه، وكذاك مَن ملك الإرادة أمره المفعول

---

١ ر : عليه .

٢ ر : ظل .

مولاي دعوةَ من دعته مصيبةٌ غطّتْ عليه فعقلـه معقول
حاشا علاكَ من الممـات وإنما هي نُقلة فيها المنى والسول
ناداك مَن أحببته فـأجبتـه وأتـاك منه بـالقبولِ رسول
وحننت نحو حماك حنَّة صادقٍ لم يقتطعه عن حماك بديل
فخلعتَ هيكلك السعيد مطهراً تبدو عليه نضرة[1] وقبول
جسد خلا وحلا وخفَّ كأنما قد ضم منه الحامل المحمول
حتّى حللت محلك الأعلى الذي مـا بعده بُعد ولا تحويل
فهناك عرسٌ للوصال مجدّدٌ وسعادة تبقى وليس تزول
جادت ثراكَ من السحائب ثرَّةٌ وكفت دموع قد وكفن همول
وتعـاهدتك تحيةٌ وكرامـة منه يروح بها صباً وقَبُول
وعدت علينـا من حماك تحية وبحسبنـا من تربك التقبيل

واتفق أن ليلة وفاته كانت شاتية مثلجة ، فقال ابن إسرائيل :

بكتِ السماءُ عليه ساعةَ دفنه بمدامع كاللؤلؤ المنثورِ
وأظنها فرحتْ بمصعد روحه لمـا سمتْ وتعلقت بالنور
أوَ ليس دمعُ الغيثِ يهمي بارداً وكذا تكون مدامع المسرور

٣٣٦
المسعودي صاحب التاريخ

علي بن الحسين بن علي ، أبو الحسن المسعودي المؤرّخ ، من ذرّية عبد الله

---

١ ر : نظرة .

٣٣٦ – لسان الميزان ٤ : ٢٢٤ والفهرست : ١٥٤ ورجال النجاشي : ١٧٨ ومعجم الأدباء ١٣ :=

ابن مسعود رضي الله عنه ؛ قال الشيخ شمس الدين : عداده في البغداديين ، وأقام بمصر مدّة ، وكان اخبارياً علاّمة صاحب غرائب وملح ونوادر ، مات سنة ست وأربعين وثلثمائة .

وله من التصانيف كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف والملوك » وكتاب « ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور » وكتاب « الرسائل والاستذكار لما مرّ في سالف الأعصار » وكتاب « التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم » وكتاب « التنبيه والإشراف » وكتاب « خزائن الملك وسرّ العالمين » وكتاب « المقالات في أصول الديانات » وكتاب « أخبار الزمان ومن أباده الحدثان » وكتاب « البيان في أسماء الأئمة » وكتاب « الخوارج » .

٣٣٧

ابن هندو

علي بن الحسين بن هندو ، أبو الفرج الكاتب الأديب الشاعر ، له رسائل مدونة ، وكان أحد كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة ، وكان متفلسفاً ، قرأ كتب الأوائل على أبي الحسن العامري بنيسابور ، ثم على أبي الخير بن الخمار ، وكان يلبس الدراعة على رسم الكتاب ؛ وكانت وفاته بجرجان في سنة عشرين وأربعمائة .

وكان به ضرب من السوداء ، وكان قليل القدرة على شرب النبيذ ، فاتفق أنه

= ٩٠ وطبقات السبكي ٢ : ٣٠٧ والنجوم الزاهرة ٣ : ٣١٥ وانظر بروكلمان ٣ : ٥٧ (الترجمة العربية) ؛ وقد وردت الترجمة في ر .

٣٣٧ — اليتيمة ٣ : ٣٩٧ وابن أبي أصيبعة ١ : ٣٢٣ وتتمة اليتيمة ١ : ١٣٤ والزركشي : ٢٣١ ؛ ووردت في ر .

كان يوماً عند أبي الفتح بن احمد كاتب قابوس ، فتناشدوا الأشعار ، وحضر الغداء فأكلوا وانتقلوا إلى مجلس الشراب ، فلم يطق ابن هندو المساعدة على ذلك ، فكتب في رقعة ودفعها إليه :

قد كفاني من المدام شميمُ صالحتني النهى وتاب الغريمُ
هي جهدُ العقول سُمّيَ راحاً مثل ما قيل للديغ سليم
إن تكنْ جنةَ النعيم ففيها من أذى السكرِ والخمار جحيم

فلما قرأها ضحك ، وأعفاه من السكر .

ومن شعره :

أرى الخمر ناراً والنفوس جواهراً فإن شربت أبدت طباع الجواهرِ
فلا تفضحنَّ النفس يوماً بشربها إذا لم تثق منها بحسن السرائر

وقال [1] :

عابوه لما التحى فقلنا عبتم وغبتم عن الجمالِ
هذا غزالٌ ولا عجيب تولّدُ المسك في الغزال

وقال [2] :

حلتُ وقارِيَ في شادنٍ عيونُ الأنام به تُعقَدُ
غدا وجهه كعبةً للجمالِ ولي قلبه الحجر الأسود

وقال [3] :

ضعتُ بأرضِ الريّ في أهلها ضياعَ حرف الراء في اللثغَهْ
صرتُ بها بعدَ بلوغِ المنى أجهد أن تبلغ بي البُلغَه

وقال [4] :

---

١ اليتيمة ٣ : ٣٩٨ .
٢ التتمة ١ : ١٣٧ .
٣ التتمة ١ : ١٤٢ .
٤ اليتيمة ٣ : ٣٩٧ — ٣٩٨ .

لا يُؤيِسنّكَ[1] عن مجد تباعُدهُ — فإن للمجد تدريجاً وترتيبا[2]
إن القناةَ التي شاهدتَ رفعتها — تنمي وتنبتُ[3] أنبوباً فأنبوبا

وقال :

وساقٍ تَقلّدَ لما أتى — حمائل زقٍّ ملاه شمولا
فللّه درك من فارسٍ — تقلّدَ سيفاً يَقدُّ العقولا

وقال :

كل مالي فهو رَهنٌ ، ما لهُ — من فكاكٍ في مساءٍ وابتكارِ
ففؤادي أبداً رَهنُ هوى — وردائي أبداً رهن عقار
فدع التفنيدَ يا صاح لنا — إنما الربح لأصحاب الخسار
لو ترى ثوبيَ مصبوغاً بها — قلت ذِمِّيّاً تبدّى في غيار
ولقد أمرحُ في شرخ الصبا — مَرَحَ المهرةِ في ثني العذار

وقال :

كفى فؤادي عذاره حرقه — وكفّ عينٍ بدمعها غَرَقَهْ
ما خطّ حرف من العذار به — إلا محي من جماله ورقه

وقال[4] :

يا من محياه كاسمه حسنُ — إن غاب عني فليس لي وَسنُ
قد كنت قبل العذار في محن — حتى تبدّى فزادت المِحن
يا شَعراتٍ جميعها فتنٌ — يتيه في وصفِ كنهها الفطن
ما غيروا منْ عذاره سَفهاً — قد كان غصناً فأورقَ الغصن

---

١ اليتيمة : يوحشنك ؛ ر : يوسنك .
٢ اليتيمة : وتدريباً .
٣ اليتيمة : فتصعد .
٤ التتمة ١ : ١٣٨ .

وقال :

أوحى لعـارضه العذارُ فمـا   أبقى على وَرَعي ولا نسكي
وكأن نمـلاً قد دببن بـه   غمست أكارعهنّ في مسك

وقال :

قولوا لهذا القمر البـادي   مـالك إصلاحي وإفسادي
زَوِّدْ فؤاداً راحلاً قُبـلةً   لا بدّ للرّاحـلِ من زاد

وقال :

قالوا اشتغل عنهمُ يوماً بغيرهمُ   وخادعِ النفسَ إن النفسَ تنخدعُ
قد صيغ قلبي على مقدار حبهمُ   فمـا لحب سواه فيـه مُتسَعَ

قال الثعالبي [1] : قد اتفق لي معنى بديع لم أقدر أني سبقت إليه ، وهو :

قلبيَ وجـداً مشتعـلْ   على الهمـوم مشتمـلْ
وقد كست جسمي الضنى   مـلابسُ الصبِّ الغزل
إنسـانةٌ فتـانـة   بدر السمـا منهـا خجـل
إذا زَنَتْ عيني بهـا   فبـالدموع تغتسـل

حتى أنشدت لابن هندو :

يقولون لي ما بال عينك إذ رأت   محاسنَ هذا الظبي أدمعها هطلُ
فقلت : زَنَتْ عيني برؤية وجهه   فكان لها من صَوبِ أدمعها غُسل

أخذ هذا المعنى ابن الساعاتي فقال [2] :

جفني الذي يرد الكرى متأسناً   كلفٌ بفـاتر جفنه المتوسّنِ

---

١ اليتيمة ٣ : ٣٩٨ .
٢ لم يرد البيتان في المطبوعة ، وانظر ديوان ابن الساعاتي ١ : ٢٥١ .

ولقد زنت عيني برؤية وجهه جهلاً ورجم الدمع حدّ المحصن

وما أحسن ما استعمل السراج الوراق هذا المعنى فقال :

ودموعٍ في إثرهن دماء كانسكاب الوليّ بعد الوسمي
يتراكضن بين شهب وحمرٍ والغواني يبكين حولي بدهم
وزناء العيون تطهيره من شُهُبِ الدمعِ فيالظلام برجم

وقال الشريف العقيلي[1] :

اقتضّ حمرةَ خدّه باللحظ طرفي إذ رنا
فجلدته بدموعه والحدُّ يلزم مَن زنى

وقال سيف الدين المشدّ :

تنبأ دمعي في ضلالة شعره ألم تره في فترة الجفن يرسلُ
إذا ما زنى إنسانُ عيني بنظرة إلى حسنه يوماً فبالدمع يُغسَل

وقال السراج الورّاق :

يا نازحَ الطيف مُرْ نومي يعاودني فقد بكيتُ لفقد النازحين دما
أوجبت غسلاً على عيني بأدمعها فكيف وهي التي لم تبلغ الحُلما

وقال العفيف التلمساني :

قالوا أتبكي من بقلبك دارُهُ جهل العواذلُ داره بجميعي
لم أبكه لكنْ لرؤية حسنه طَهّرتُ أجفاني بفيض دموعي

والأصل في هذا قول مجنون ليلى[2] :

يقول رجال الحي : تطمع أن ترى بعينك ليلى مُتْ بداء المطامع

---

١ ديوان العقيلي : ٢٧٥ .

٢ ليس في ديوانه .

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها   سواهـا ومـا طهرتَها بالمدامع ؟

ولابن هندو من المصنفات كتاب « مفتاح الطب » و « المقالة المشوقة في المدخل إلى علم الفلك » . كتاب « الكلم الروحانية من الحكم اليونانية » و « الوساطة بين الزناة واللاطة » هزلية ، وديوان شعره .

٣٣٨
الشريف العقيلي

علي بن الحسين بن حيدرة بن محمد بن عبد الله بن محمد العقيلي ، ينتهي إلى عقيل ابن أبي طالب ، ذكره ابن سعيد في كتاب « المغرب » وساق له قطعة كبيرة من شعره ، وله أرجوزة طويلة ناقض فيها ابن المعتز في أرجوزته التي ذم فيها الصَّبوح ومدح الغبوق . ومن شعره[1] :

استجلِ بكراً عليها   من الزجاجِ رداءُ
فوجهُ يومكَ فيه   من الملاحةِ ماء

ومنه[2] :

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء   ولا تضحِّ ضحىً إلا بصهباء
أدرك حجيجَ الندامى قبل نَفرِهمُ   إلى منى قصفهم مع كل هيفاء

٣٣٨ – المغرب (قسم مصر) ١ : ٢٠٥ واليتيمة ١ : ٤٣١ والزركشي : ٢٣١ وخطط المقريزي ٢ : ١٦٣ والخريدة (قسم مصر) ٢ : ٦٢ وله ترجمة في الوافي ، وقد نشر ديوانه الدكتور زكي المحاسني رحمه الله (ط. البابي الحلبي ، القاهرة ، دون تاريخ) ووردت الترجمة في ر .

١ الديوان : ٤٢ والمغرب : ٢٠٨ .

٢ الديوان : ٤٢ والمغرب : ٢٠٧ .

وعُجْ على مكة الروحاء مبتكراً ... وطف بها حول ركن العود والناء

وقال [1] :

وقائل : ما الملك ؟ قلت : الغنى ... فقال : لا بل راحة القلب
وصَوْنُ ماء الوجه عن بذله ... في نيل ما ينفد عن قرب

وقال [2] :

قم هاتها وردية ذهبية ... تبدو فتحسبها عقيقاً ذائبا
أو ما ترى حسنَ الهلال كأنه ... لما تبدّى حاجباً قد شابا

وقال [3] :

وبركة قد أفادنا عجبا ... ما ماج من مائها وما أنسكبا
من حول فوارةٍ مركبة ... قد انحنى ظهرُ مائها تعبا

وقال [4] :

ولما أقلعت سفنُ المطايا ... بريح الوجد في لجج السرابِ
جرى نظري وراءهمُ إلى أن ... تكسر بين أمواج الهضابِ

وقال [5] :

وهات زواهر [6] الكاسات ملأى ... إلى الحافات بالذهبِ المذابِ
فكيرُ الجوِّ يوقد نارَ برق ... إذا خمدت تدخّنُ بالضباب

---

١ الديوان : ٥٠ والمغرب : ٢٠٩ .
٢ الديوان : ٥٥ والمغرب : ٢١٠ .
٣ الديوان : ٤٩ والمغرب : ٢٠٩ .
٤ الديوان : ٦٥ والمغرب ٢١١ .
٥ الديوان : ٥٤ والمغرب : ٢١٠ .
٦ الديوان : فهات بواتق .

وقال[1] :

يا من يدلِّسُ بالخضاب مشيبه[2] إنّ المدلسَ لا يزال مريبا
هبْ ياسمينَ الشيبِ عاد بنفسجاً أيعود عرجونُ القوام قضيبا

وقال[3] :

أذهبتُ فضةَ خده بعتابي ونثرتُ دُرَّ دموعه بخطابي
ظبيٌ جعلت كناسه قلبي فلم أعقلْ لصيد سواه قبل طلابي
فزها عليّ ومرَّ يسحبُ ذيله بين التكبر منه والإعجاب
فحلفتُ أني إن ظفرت بخده لأرصعنَّ مدامه بحباب

وقال[4] :

اشربْ على ذهبيةٍ صفراء كالذهبِ المذابِ
فالجلّنار خلوقه قد غاب في مسك الضباب

وقال[5] :

أعتق من الهم رِقَّ قلبي بعاتق ثوبها[6] الزجاجُ
بين رياض مُزخرفات للماء في خُلجها اختلاج
فليس يدنو إليك غصنٌ بمفرقٍ ليس فيه تاج

وقال[7] :

---

١ الديوان : ٥٤ والمغرب : ٢٠٩ .
٢ الديوان والمغرب : شيبه بخضابه .
٣ الديوان : ٦٦ والمغرب : ٢١٢ .
٤ الديوان : ٦٧ .
٥ الديوان : ٩١ والمغرب : ٢١٦ .
٦ الديوان : حشوها .
٧ الديوان : ١٠٨ والمغرب : ٢٢١ .

يا ذا الذي يبسم عن مثل ما   لائحه يلمع في عقده
ومن له خدٌّ[1] غدا حائزاً   شقائقَ النعمانِ من ورده
اثنِ عنانَ الهجرِ عن عاشقٍ   قد طال ركضُ الدمعِ في خده

وقال[2] :

سوالفُ سوسنٍ وخدودُ وردٍ   وأعينُ نرجسٍ وجباه غدرِ
محاسنُ ليس ترضى عن نديمٍ   إذا لم يقضِ واجبها بشكر

وقال[3] :

قد أوقد الزهر مصابيحه   وصير القُضبَ فوانيسا
فأغنِ بالراح ندامى غدَوا   من المسراتِ مفاليسا
ما دام قد صار نعام الربى   من نِعَمِ السُّحبِ طواويسا

وقال[4] :

أهيفُ يستعطف لحظ القنا[5]   ان كان غضبان بأعطافه
إذا التثني عَصفتْ ريحه   تلاطمتْ أمواجُ أردافه

وقال[6] :

والأقحوانُ غصونُهُ   بيضُ النواصي والمفارقْ
ومراودُ الأمطار قد   كحلت بها حدقُ الحدائق

---

١ ر : خداً .
٢ الديوان : ١٧٥ : والمغرب : ٢٢٩ .
٣ الديوان : ١٨٣ والمغرب : ٢٢٩ .
٤ الديوان : ٢١٥ والمغرب : ٢٣٠ .
٥ الديوان والمغرب : الفتى .
٦ الديوان : ٢١٥ والمغرب : ٢٣٠ .

وقال [1] :

مُنعَّمٌ حلية اللحاظ إذا   أقبل تجري إليه في طَلَقِ
كأنما وجهه لكثرة ما   فيه من الحسن موسمُ الحدَق

وقال [2] :

أنر بصبح الوصل عيشي فقد   صيَّره ليلُ القِلى مظلما
وارثِ لمن أفلاكُ أجفانهِ   تُطلعُ من أدمعه أنجما

وقال [3] :

ألذ مودّاتِ الرجال مذاقَةً   مودةُ من إن ضَيَّق الدهرُ وسَّعا
فلا تلبسِ الودَّ الذي هو ساذجٌ   إذا لم يكن بالمكرماتِ مرصعا

وقال [4] :

ناحت فواختُ سحب وكرها الفلك   بكاؤها لطواويس الربى ضحكُ
وأنجمُ النبت تُجلى في ملابسها   جيد السماء التي أقمارها البرك
والوردُ ما بين أنهارٍ مدرّجة   كأنه شفقٌ من حوله حبك
فَسقِّنا من عصير الكرم صافيةً   كأنها الذهبُ الإبريز منسبك
يبدي المزاج على حافاتها حبباً   كأنه من حرير أبيض شبك

وقال [5] :

رشأ تنعمُ العيونُ بما في   خدّه من شقائقِ النعمانِ
ما التقى حسنه بنا قَطّ إلا   ردّنا عن محجةِ السلوان

---

١ الديوان : ٢١٥ والمغرب : ٢٣٣ .
٢ الديوان : ٢٦٠ والمغرب : ٢٤٠ .
٣ الديوان : ١٩٩ .
٤ الديوان : ٢٣١ والمغرب : ٢٣٤ .
٥ الديوان : ٢٧٢ والمغرب : ٢٤٥ .

وقال [1] :

جعلتْ مهجتي الفداء لغصنٍ إن تثنى تُثْنى القلوبُ إليهِ
كلما لاح وجهه في مكانٍ كَثُرت زحمة العيون عليه

وقال [2] :

قَطَّعَ قلبي بمدية التيه وذَرَّ من ملح صده فيه
ولفه في رقاق جفوتِهِ وقطع البقلَ من تجنّيه
وقال لي كلْ فقلتُ آكلُ ما أمرض قلبي به وأوذيه ؟!

وقال [3] :

نحن المحاسن في الدنيا إذا سفرت حتّى إذا ابتسمتْ كنا ثناياها
عصابة ما رأى جيد الزمان له قلائداً هي أبهى من سجاياها
لم يخلقِ الله شيئاً قطُّ أكثرَ من حاجات قصادها إلا عطاياها

٣٣٩
نجم الدين القحفازي

علي بن داود بن يحيى بن كامل بن يحيى بن جبارة بن عبد الملك ، ينتهي نسبه لى الزبير بن العوام ، الشيخ الإمام العلامة الفريد الكامل ، نجم الدين أبو الحسن ابن

---

١ الديوان : ٢٩٣ والمغرب : ٢٤٨ .
٢ المغرب : ٢٤٩ .
٣ المغرب : ٢٤٩ .
٣٣٩ — الزركشي : ٢٣٢ والدرر الكامنة ٣ : ١١٦ وبغية الوعاة : ٣٣٧ والبداية والنهاية ١٤ : ٢١٤ والدارس ١ : ٥٤٨ وذيل العبر : ٢٤٥ (وفيات ٢٤٥) وتاريخ أبي الفدا ٤ : ١٤٢ (القحفيزي) ؛ ووردت في ر .

القاضي عماد الدين القرشي القحفازي ، شيخ أهل دمشق في عصره خصوصاً في العربية ؛ قرأ عليه الطلبة وانتفع به الجماعة ، وله النظم والنثر والكتابة المليحة الفائقة ، وله التنديب الحلو والنوادر الظريفة والحكايات المطبوعة .

سمعته يوماً يقول لمنصور الكتبي رحمه الله تعالى : يا شيخ منصور ، هذا أوان الحجاج ، اشتري لك منهم مائتي جراب وارميها خلف ظهرك إلى وقت موسمها تكسب فيها جملة ، فقال : والله الذي يشتغل عليك في العلم يحفظ جرافاً قدره عشر مرات .

وأنشد يوماً للجماعة الذين يشتغلون عليه لغزا وهو :

يا أيها الحبر الذي علم العروض به امتزج
أينْ لنـا دائرةٌ فيهـا بَسيطٌ وهزج

ففكر الجماعة زماناً ، فقال واحد منهم : هذه الساقية ، فقال : دوّرت فيها زمانا حتى ظهرت لك ، يريد أنه ثور يدور في الساقية .

وقيل إنه لما عمر الأمير سيف الدين تنكز ، رحمه الله تعالى ، الجامع الذي له بدمشق المحروسة عينوا له شخصاً من الحنفية يلقب بالكشك ليكون خطيباً ، فلما كان يوماً وهو يمشي في الجامع أجروا له ذكر الشيخ نجم الدين القحفازي وذكر فضائله، وأنه في الحنفية مثل الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني في الشافعية ، فأحضره وتحدثا، ثم قال له وهم في الجامع يمشون : إيش تقول في هذا الجامع ، فقال : مليح وصحنُ مليح ، ولكن ما يليق أن يكون فيه كشك ؛ فأعجب ذلك الأمير سيف الدين تنكز ورسم له بخطابة الجامع المذكور ، ثم بعد مدة رسم له بتدريس الركنية فباشرها مديدة ثم نزل عنها وقال: لها شرط لا أقوم به،ومعلومها في الشهر جملة ، تركه تورعاً .

وكان يعرف الاسطرلاب جيداً ويحل التقاويم ، وكان فريد عصره ، وكان يشغل في مذهب الحنفي ، وفي « مختصر ابن الحاجب » وفي « الحاجبية » و « المقرب »

ويعرفهما جيداً إلى الغاية، وفي « ضوء المصباح » وغيره من كتب المعاني والبيان . مولده ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وستمائة ، ووفاته في شهور سنة أربع وأربعين وسبعمائة ؛ ومن شعره في جارية اسمها قلوب :

عاتبني في حبكم عاذلٌ يزعم نصحي وهو فيه كذوبْ
وقال ما في قلبك اذكره لي فقلت في قلبي المعنَّى قلوب

وقال في مليح نحوي :

أضمرتُ في القلب هوًى شادنٍ مشتغل في النحو لا يُنصِفُ
وصفتُ ما أضمرتُ يوماً لهُ فقال لي المضمرُ لا يوصف

ولما ظفر قازان سنة تسع وتسعين وستمائة ثم جاء في سنة اثنتين وسبعمائة فكسر، وقازان اسم القِدْرِ ، فقال الشيخ نجم الدين :

لما غدا قازان فخّاراً بما قد نال بالأمس وأغراه البطرْ
جاء يُرجّي مثلها ثانيةً فانقلب الدستُ عليه فانكسر

وقال عند قدوم الحاج ، وأنشدت بدار الحديث الأشرفية :

يا نياق الحجيج لا ذُقتِ سهدا بعدها لا ولا تجشمت وخدا
لا فَدَيْنا سواكِ بالروح منّا أنت أولى من بات بالروح يفدى
يا بناتَ الذميلِ كيف تركتنّ شعابَ الغضا وسلعٍ ونجدا
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بوجوهٍ رأت معالمَ سُعْدى

ولما ذهب بدر الدين ابن بصخان[1] مع الجفال إلى مصر أقام هناك فكتبت[2] إليه :

---

١ المطبوعة: نصحاف، وفي السلوك (٢ : ٦٣٨) : المقرىء بدر الدين محمد بن أحمد بن نصحان الدمشقي شيخ القراء بها توفي سنة ٧٤٣ عن خمس وسبعين سنة؛ وأثبته الجزري (٢ : ٥٧) بصخان، وقال إنه كان ممن انجفل بعد قازان سنة سبعمائة إلى مصر وأقام بها ست سنين ؛ وضبطه الصفدي (الوافي ٢ : ١٥٩) بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وبعد الخاء المعجمة ألف ونون ، وله ترجمة في بغية الوعاة: ٨ والدرر الكامنة ٣ : ٣٩٨، وورد الاسم صحيحاً في ر. ٢ كذا في ر.

يا غائباً قد كنتُ أحسبُ قلبه بسوى دمشقَ وأهلها لا يعلقُ
إن كان صدك نيلُ مصرٍ عنهمُ لا غروَ فهو لنا العدوُّ الأزرق

وكان في فقهاء الشافعية شخص يسمى شهاب الدين التعجيزي وينظم شعراً في زعمه ، فعمل أبياتاً في شخص كان يحبه وكتبها إليّ أولها :

أيها المعرضُ لا عن سببا أصلحـك الله وصالي الأربا

وفي هذا ما يغني عن باقيها ، فكتبت إليه :

يا شهاباً أهدى إليَّ قريضـاً خـالياً عن تعسّفِ الألغازِ
جاءني مؤذناً برقةِ طبعٍ حين رشَّحـْته بباب المجاز
إن تكنْ رمتَ عنه مني جزاءً فأقلْني فلست ممن أجازي

ومن شعر شهاب الدين المذكور :

يا سُنَّ يا شيْعَ[1] إني بينكم وسطٌ مذبذباً لا إلى هولي[2] ولا ثمَّتْ
وفي القيامهْ على الأعرافْ منقعدٌ وأنتظرْ منكمُ من يدخُل الجنَّت
فإن دخلتمْ فإني داخلٌ معكم وإن صُفِعتُمْ فإني قاعدٌ سكّت

٣٤٠
ابن ظافر الأزدي

علي بن ظافر بن حسين الفقيه ، الوزير جمال الدين أبو الحسن الأزدي المصري

١ يريد : يا سنة يا شيعة .

٢ هولي : عامية « هؤلاء » .

٣٤٠ – الزركشي : ٢٠٩ وابن الشعار ٤ : ٤٠٣ ومعجم الأدباء ١٣ : ٢٦٤ ؛ وانظر مقدمة غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق الدكتورين سلام والجويني (القاهرة ١٩٧١) ومقدمة =

ابن العلامة أبي منصور ، ولد سنة سبع وستين وخمسمائة ، وتفقه على والده ؛ وتوفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة[1] .

قرأ الأدب وبرع فيه ، وقرأ على والده الأصول ، وبرع في علم التاريخ وأخبار الملوك ، وحفظ في ذلك جملة وافرة ، ودرس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه ،وترسل إلى الديوان العزيز ،وولي وزارة الملك الأشرف ،ثم انصرف عنه ودخل مصر ، وولي وكالة بيت المال مدة ، وكان متوقد الخاطر طلق العبارة ، ومع تعلقه بالدنيا له ميل كثير إلى أهل الآخرة ، محبّاً لأهل الدين والصلاح .

أقبل في آخر عمره على مطالعة الأحاديث النبوية وأدمن النظر فيها ؛ روى عنه القوصي وغيره ، وله تواليف : منها « الدول المنقطعة » وهو كتاب مفيد جداً في بابه ، و « بدائع البدائه » والذيل عليه ، و « أخبار الشجعان » و « أخبار الملوك السلجوقية » و « أساس السياسة » و « نفائس الذخيرة » ولم يكمل ولو كمل ما كان في الأدب مثله ، وكتاب « التشبيهات » ، وكتاب « من أصيب » وابتدأ بعلي رضي الله عنه ، وغير ذلك .

ومن شعره :

إني لأعجب من حبي أكتّمه　　جهدي وجفني بفيضِ الدمع يعلنهُ
وكون من أنا أهواه وأعشقـه　　يخرب القلب عمداً وهو يسكنه
وأعجبُ الكلِّ أمراً أنّ مبسمه　　من أصغر الدرِّ جرماً وهو أثمنه

وله أيضاً :

كم من دمٍ يوم النوى مطلولِ　　بين رسوم الحيِّ والطلولِ[2]

= الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم على بدائع البدائه .

١ في ياقوت سنة ٦١٣ ويبدو أنه أصوب .

٢ ر : والطول .

بانوا فلا جسمَ ولا ربعَ لهم ... إلا رمـاه البين بـالنحول
يـا راحلين والفؤادُ معهمْ ... مسابقٌ في أول الرعيـلِ
ردوا فؤادي إنه ما باعكم ... إيـاه إلا طرفيَ الفُضولي
ورُبَّ ظبي منكمُ يخاف من ... سطوة عينيـه أسودُ الغيـل
أنار منه الوجهُ حتى كدتُ أن ... أقولَ ، لولا الدينُ ، بالحلول
ينقصُ بـالعلةِ كلُّ كاملٍ ... في الحسن غير لحظه العليـل

وقال في « بدائع البدائه »[1] : اجتمعنا ليلةً من ليالي رمضان بالجامع ، فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث ، وقد وقد فانوس السحور ، فاقترح بعض الحضور[2] على الأديب أبي الحجاج يوسف بن علي المعروف[3] بالنعجة أن يصنع قطعةً في فانوس السحور ، وإنما طلب بذلك إظهار عجزه ، فصنع :

ونجم من الفانوس يُشرِقُ ضوؤهُ ... ولكنه دون الكواكب لايسري
ولم أر نجمـاً قطُّ قبـل طـلوعه ... إذا غاب ينّهى الصائمين عن الفطر

فقلتُ له : هذا التعجبُ لا يصح ؛ لأنا قد رأينا نجوماً لا تدخل تحت الحصر ولا تحصى بالعدد إذا غارت تنهى[4] الصائمين عن الفطر وهي نجوم الصباح ، فأسرف الجماعة في تقريعه ، وأخذوا في تمزيق عرضه وتقطيعه ، فصنع أيضاً :

هذا لواءُ سحورٍ يستضاء به ... وعسكر الشهب في الظلماء جرارُ
والصائمون جميعاً يهتدون به ... كأنه عـلم في وسطه نـار

ولما أصبحنا سمع من كان غائباً من أصحابنا ما جرى بيننا ، فصنع الرشيد

---

١ أنظر بدائع البدائه : ٢٧٢ .
٢ بدائع : الحاضرين .
٣ بدائع : المنبوز .
٤ ر : نهي .

أبو عبد الله محمد بن منانو [1] رحمه الله تعالى :

أحبُّ بفانوسٍ غدا صاعداً   وضوؤه دانٍ من العينِ
يقضي بصومٍ وبفطرٍ معاً   فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه أبو محمد العقيلي [2] :

وكوكب من ضرام الزندِ مطلعه   تسري النجومُ ولا يسري إذا رقبا
يراقب الصبحَ خوفاً أن يفاجئه   فإن بدا طالعاً في أفقه غربا
كأنه عاشقٌ وافى على شرفٍ   يرعى الحبيبَ فإن لاح الرقيبُ خبا

ثم إني صنعت بعد ذلك :

ألست ترى شخصَ المنار وعوده   عليه لفانوس السحور لهيبُ
كحامل منظوم الأنابيب اسمر   عليه سنانٌ بالدماء خضيب
ترى بين زُهرِ الزّهر منه شقيقةً   لها العودُ غصنٌ والمنارُ كثيب
وتبدو كخدّ أحمرٍ والدجى لمىً   بدا فيه ثغرٌ للنجوم شَنيب
كأن لزنجيٍّ الدجى من لهيبه   ومن خفقه قلبٌ عراه وجيب
تراه يراعي الشهبَ ليلاً فإن دنا   طلوعُ صباحٍ حان منه غروب
فهل كان يرعاها لعشق ففر إذ   درى أن روميَّ الصباح رقيب

وقلت في اختصار المعنى الأول من هذه القطعة :

انظر إلى المنار والـ   فانوس فيه يرفعُ
كحاملٍ رمحاً [3] سنا   نه خضيبٌ يلمع

وقلت :

١ بدائع : متانو .
٢ بدائع : القلعي .
٣ ر : رمح .

ألستَ ترى حسنَ المنار ونوره[1] يرفّع من جنح الدجُنّةِ أستارا
[تراه إذا جنّ الظلامُ مراقباً له مُضرماً في قلب فانوسه نارا][2]
كصبّ بخودٍ من بني الزنج سامها وصالا وقد أبدى لترغب[3] دينارا

وقلت :

وليلةِ صوم قد سهرتُ بجنحها على أنها من طيبها تفضُل الدهرا
حكى الليلُ فيها سقفَ ساج مسمراً من الشهب قد أضحتْ مساميره تبرا
وقام المنار المشرق اللون حاملاً لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا
كما قام روميٌّ بكأسِ مدامةٍ وحَيّا بها زنجيةً وُشّحت درا

وحين صنعت هذه القطع صنع شهاب الدين يعقوب :

رأيت المنارَ وجنحُ الظلام من الجوّ يسدلُ أستارَهُ
وحلّق في الجوِّ فانوسهُ فذهّبَ بالنُّورِ أقطاره
فقلتُ المحلق قد شبَّ في ظلام الدجى للقرى ناره
وخلتُ الثريا يداً والنجوم ورقاً غدا البدرُ قسطاره
وخلت المنارَ وفانوسه فتىً قام يصرف ديناره

وأنشدني كمال الدين ابن نبيه لنفسه[4] :

حبذا في الصيام مئذنةُ الجا مع والليلُ مسبلٌ أذياله
خلتها والفانوسُ إذ رفعته صائداً واقفاً لصيد الغزاله

وأنشدني أبو القاسم نفطويه لنفسه :

---

١ بدائع : وضوءه .
٢ لم يرد البيت في ر
٣ ر : ليرغب .
٤ لم يردا في ديوانه .

يا حبّذا رؤية الفانوس في شَرَفٍ ... لمن يريدُ سحوراً وهو يتقدُ
كأنّما الليلُ والفانوسُ مرتفعٌ ... في الجوّ أعور زنجيّ به رمَدُ

وله أيضاً :

نَصَبوا لواءً للسحورِ وأوقَدوا ... من فوقهِ ناراً لمن يترَصَّدُ
فكأنّه سَبّابةٌ[1] قد قُمِّعَتْ ... ذهباً فأومت في الدجى تتشهّدُ

وأنشدني أبو يحيى السيولي[2] لنفسه :

وليلة مُلِئَتْ أسدافُها لَعَساً ... واستوضَحتْ غررٌ[3] من زهرها شنَبا
ولاح كوكبُ فانوسِ السحورِ على ... إنسان مُقلتها النجلاء واشتَهبا
حتّى كأنَّ دُجاها وهو مُلتَهِبٌ ... زنجيّةٌ حملتْ في كَفّها ذهبا

وصنع أبو العز مظفّر الأعمى :

أرى علماً للناسِ في الصومِ يُنصَبُ ... على جامع ابن العاصِ أعلاه كوكبُ
وما هو في الظلماء إلاّ كأنّهُ ... على رمح زنجيّ سنانٌ[4] مذهّب
ومن عجبٍ أن الثريّا سماؤها ... مع الليلِ تلهي كلَّ من يترَقّب
فطوراً تحيّيهِ بباقةِ نرجسٍ ... وطوراً يحيّيها بكأسٍ تَلَهّب
وما الليلُ إلاّ قانصٌ لغزالةٍ ... بفانوسِ نارٍ نحوهـا يتَطلّب
ولم أرَ صياداً على البعدِ قبلَه ... إذا قربتْ منه الغزالة يهرب

ومن شعر ابن ظافر :

وقد بدت النجومُ على سماء ... تكامل صحوها في كلّ عَينِ

---

١ ر : شبابة .
٢ بدائع : المستولي .
٣ ر : غرراً .
٤ ر : سناناً .

كسقفٍ أزرقٍ من لازوردٍ   بدتْ فيهِ مسامرُ من لجين

ومنه :

والليلُ فرعٌ بالكواكبِ شائبٌ   فيهِ مَجَرَّتُهُ كمثلِ المفرقِ
ولربّما يأتي الهلالُ ببَحرهِ   متصيّداً حُوتَ النجومِ بزورق
حتى إذا هَبّتْ على الماء الصَّبَا   وألاحَ نور تمامهِ بالمشرق
أبدى لنا عَلَماً بَهيجاً مُذْهَبَاً   قد لاحَ في تجعيدِ كُمٍّ أزرق
وحكى بُرَادَةَ عسجدٍ قد رام صا   نعها يؤلفُ بينهـا بالزئبق

٣٤١

تقي الدين ابن المغربي

علي بن عبد العزيز بن علي بن جابر ، الفقيه الأديب البارع ، تقي الدين ابن المغربي البغدادي الشاعر المالكي ؛ كان من أظرف خلق الله تعالى ، وأخفهم روحاً [١] ، وله القصيدة الدبدبية المشهورة التي أولها « يا دبدبه تدبدبي » ؛ وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وثمانين وستمائة ، ومن شعره يصف مجلساً تقضى له بالمحوّل :

يا مغاني اللهو والطربِ   بأبي أفدي ثراك وبي
لا تَعَدّاه الغمامُ ولا   حاد عنه صَيِّبُ السحب

٣٤١ — الزركشي : ٢٠٩ والبدر السافر : ١٧ وقال فيه : سمع الحديث من عبد الصمد بن أبي الجيش وأبي طالب علي بن الأنجب الساعي وأبي الفضل بن محمد وأبي عبد الله محمد بن الكتار وغيرهم وتفقه على السراج الشارمساحي المالكي ونظر في اللغة والعربية ؛ وكان حسن الشكل حسن الأخلاق ؛ وانظر الحوادث الجامعة : ٤٤٧ ؛ ووردت الترجمة في ر .

١ ر : روح .

حبذا دارٌ عهدتُ بها كلٌّ معسول اللمى شنب
حيث كانتْ قبلَ فرقتنا فلكاً يجري على شُهُب
ونصيبي من وصالهمُ واصلاً نحوي بلا نَصَب
في بساتين المحوّل لا في قفار الجزع واللبب
بين أشجارٍ تفوقُ على شَجَرَاتِ الضال والكثب

منها :

صفعوني لا عدمتهمُ وأضاعوا حرمةَ الأدب
فعلوا بالرأس ما فعلوا وأحالوني على الذَّنَب
كان في رأسي وأسفلهم شَبَهٌ من حكةِ الجرب

وقال يصف حال المستنصرية والفقهاء ، وكان قد قيل لهم : من يرضى بالخبز وحده وإلا فما عندنا غيره :

حاشا لستّ المدارس ومن بها يضرب المثل
تهون من بعد ذاك التعظيم والتشريفْ
مستنصريهْ سبيكه قد كنت في عصر الصبا
واليوم قد صرتِ بهرج مزيفه تزييف
ما زال نخلك يرجم حتى في الرطب الجني
وما بقي في قَراحِكْ غير الكَرَبْ والليف
ذكرت بيتاً ظريف[1] من كان وكان[2] البغادده

١ الزركشي : ظريفاً .
٢ كان وكان : فن زجلي اخترعه البغداديون ، له وزن واحد وقافية واحدة (من عروض المجتث) ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الشطر الثاني ولا تكون قافيته إلا مردفة قبل حرف الروي بأحد حروف العلة ، وكان أولا مقصوراً على الحكايات والخرافات ثم توسعوا فيه فنظموا فيه المواعظ والزهديات والأمثال والحكم (العاطل الحالي : ١٤٨ – ١٤٩) .

وكل معنى يندرْ من الظريف ظريف :

أيْ ست ما اكثر زبونك ما اخلى فراشك من العشي
ذي زحمة الباقلاني وكلهم برغيف

وقال [في] شخص اسمه علوان وينعت بالصفي :

علوانْ لا شك اسمك وأنت تنعت بالصفي
فإن سئلت عن اسمك قول الصفي علوان

وقال زجل في الخلاعة والمجون :

الوقت يا نديمي قد طاب واعتدلْ
والشمس مذ ليالي قد حلت الحَمَل

فانْهض إلى الحميا واستنهض الصحابْ
فالبدرُ والثريا الكاس والحباب
والوقت قد تهيا ومجلس الشراب

فيه كلّ ما تريده فانْهض على عجل
ما قد بقي يعوزه غيرك وقد كمل

انهب زمان وصلك وانْهَ الذي نْهاك
واسعد بقرب خلك وابلغ منه مناك
فبعد يوم لعلك لا تستطيع ذاك

والتذ فالليالي ما بيننا دول
لقمة تكون حنظل وأخرى تكن[١] عسل

مالك كدى[٢] محير لا تهتدي الطريق

---

١ الزركشي : تكون .
٢ ر : كذى .

هل أدخل الصغير أو قال ما أطيق
ادفع ولا تفكر تا يزعق الحريق

دع يشتكي لعمه دع يفعل ايش فعل
ما ريت قط لوطي مصلوب على دقل[1]

من أين للعروس مثل[2] ذا العذار
لمنية النفوس ودرة البحار
زها على الشموس مذ تم واستدار

فاترك كلام سفله بحرفته[3] اشتغل
وادي العروسْ عنده أشرف مِن ِ الجبل

لا تهو من أضاعك لا كان ولا استكان
واعتز باقتناعك إن الهوى هوان
كن عبد مَن أطاعك لا تنتظر فلان

فالوقت سيفٌ مجرّد قاطع بيد بطل
والعاقل المجرب يبطش بمن حصل

لا تغفلوا يا ولدي عن طيب العناق
واوصوا بذاك بعدي لساير الرفاق
المغربيّ جدي وأنا من العراق

وقد علمت أني في صنعة الزجل
مثل الذي بجهله يبخر لزحل

---

١ الدقل : صاري السفينة .

٢ الزركشي : شبيه .

٣ هذه هي القراءة عند الزركشي ، وفي ر : بحرقته .

ما لفّت العمايم إلا على العقول
نعشق وأنت نايم وتدعي الفضول
قم واسمع الحمايم فإنها تقول
يا من دنا حبيبه انهضْ بلا كسلْ
واشفِ الغليلْ منّو بالضمّ والقبل

وقال أيضاً :

لا بدّ نظْهَر بين الناس قلندري[1] محلوق الراس
نلبس عوض هذا الكتان جلنك[2] من صوف الخرفان أو دلق[3] أو نصبح عريان
نغدو نيدَرْوِزْ[4] مع أجناس محلقين الروس أكياس
ما يعرفوا إلا الخضره[5] والبنك[6] لا شرب الخمره مثقالها بالفي جره
وعندهم منها أكياس دانق يقاوم سبعين كاس
من قبل ما نغدو مسطول نهتم في أمر المأكول ونطلع السوق بالكجكول[7]
نطلب على الله من رَوّاس وباقلاني مع هراس[8]

---

١ القلندرية أو القرندلية : طائفة من الصوفية .
٢ الجلنك (من التركية) : زينة فضية توضع في العمامة تمييزاً للمحارب ، وفي الفارسية مادة حريرية تطرز بالذهب أو الفضة أو لا تطرز ، وكلا المعنيين لا يحدد ما يعنيه الزجال ، إذ هو يقصد فروة من الصوف أو ما أشبه .
٣ الدلق : ضرب من الرداء طويل مؤلف من خرق الجوخ المختلفة الألوان ، وهو مما يلبسه القرندلية (انظر قاموس الملابس لدوزي ، الترجمة العربية ١٥٠ – ١٥٢) .
٤ الدروزة : احتراف الطواف من أجل الكدية .
٥ ر : الحضرة ، والخضره (الخضراء) يعني بها الحشيشة .
٦ أقدر أنه نوع من الحشيشة ، وهو الذي لا يزال يعرف في السودان باسم « البنقو » .
٧ تكتب ايضاً : الكشكول .
٨ الرواس : بائع الرؤوس ، والهراس : بائع الهريسة .

لمن لقينا قلنا أي جان   خرهبدي كي درويشان   همه غريبان سركردان[1]
يدعون لك وقت الاغلاس[2]   فهم صحيحين الأنفاس

وننقد العالم جيد نقول لذي المال يا سيد نريد كرامه للمسجد
رُطيلْ شيرق[3] في الجلاّس[4]   لنشعله بين الجُلاس

كأنكم بي يا خلان وأنا مجرد كالشيطان فقد قوي عندي ذاالشان
وقد فشر[5] في اذني الخناس   حتى ملا صدري وسواس

فلا تقولوا يا فقوس نرى جميع أمرك معكوس المغربي خلَّفْ منحوس
ما خلف إلا اغلبْ دعّاس   والشبل من نسل الهرماس

لكنني أصلي[6] سمقون كشيح[7] كالدرّ المكنون قد صرت في عشقهُ مجنون
وهل على مثلي من باس   إن هام بالقد الميّاس

مثل القمر أبيض أزهر بعارض كالآس أخضر من تاه في عشقه يعذر
لو باس قارون ذاك الآس   هوّنْ على قلبو الإفلاس

دعنا نلذ العيش دعنا مع رفقة جازوا المعنى فأعقل الناس مَنْ غنّى
كش البهار[8] واصمي[9] بالطاس   ولا تقف مع قول الناس

---

١ المعنى : نقول لمن لقينا : يا سيدي أعط الدراويش من نورك فانهم غرباء هائمون على وجوههم . (سركردان = مستذلون ، أفاقون ، هائمون) .

٢ ر : الاعلاس ، والمعنى وقت الغلس .   ٣ الشيرق : زيت الشيرج (السيرج) .

٤ ر : الحلاس ؛ والجلاس : القناديل (دوزي) = وأخذ سيرج للجلاس وزيت للسراج) .

٥ كذا في ر ؛ وفي المطبوعة : فسا ، وهو أنسب للمعنى .

٦ كذا في ر ؛ وفي المطبوعة : اسمي .

٧ كشيح : لعله يعني أهيف الكشح .   ٨ في المطبوعة : النهار .

٩ الصمي : الشرب ؛ وفي القصيدة الساسانية (اليتيمة ٣ : ٣٥٩) وما ننفك من صمي .

وأما قصيدته الدبدبية فإنها غاية وهي طويلة جداً ذكر فيها فنون وأوّلها :

أي دبدبهْ تدبدبي   أنا علي بن المغربي
تأدبي ويحك في   حق أمير الأدب
وأنت يا بوقاتهُ   تألفي تركبي
وأنت يا سناجقي   يوم الوغى ترتبي
وأنت يا عساكري   يومَ اللقا تأهبي
ها قد ركبتُ للمسيـ   ـر في البلاد فاركبي
ها قد برزتُ فاركبي   في ألف ألف مِقنَب
أنا الذي أسْدُ الشرى   في الحرب لا تحفل[1] بي
إذا تمطيت وفرقعـ   ـت عليهم ذنبي
أنا الذي كل الملو   ك ليس تخشى غضبي
فمن رأى للهذيـا   ن موكباً كموكبي
أنا امرؤ أنكر ما   يعرف أهل الأدب
ولي[2] كلامٌ نحوُهُ   لا مثل نحو العرب
لكنه منفردٌ   بلفظه المهذب
يصافع الفراءَ في الـ   ـنحو بجلدِ ثعلب
ويقصدُ التثليثَ في   نتفِ سِبالِ قطرب
وإن سألتَ مذهبي   فمذهبي المجرَّب
آكُلُ ما يحصل لي   ورغبتي في الطيب[3]
وأشربُ الماءَ ولا   أردّ ماءَ العنب

---

١ ر : تجفل ، وأثبت ما ورد عند الزركشي .
٢ ر : مولى ، والتصويب عن الزركشي .
٣ الزركشي : الطلب .

وألبسُ القطنَ ولا أكره لبس القصب[1]
وإن ركبت دابة والاّ[2] فنعلي مركبي
وكل قصدي خلوة تجمعني وللصبي
في البيت أو في روضةٍ أزهارها كالشهب
ونجتلي بنتَ الكرو م أو بنيَّ القنّب
ونبتدي نأخذ في الـ شكوى وفي التعتب
حتّى إذا ما جاد لي برشف ذاك الشّنَب
حكمته في الرأس إذ حكمني في الذنب

٣٤٢

الاربلي الشاعر

علي بن عثمان بن علي بن سليمان ، أمين الدين السليماني الإربلي الصوفي الشاعر ؛ كان من أعيان شعراء الناصر ابن العزيز ، وكان جندياً فتصوف وصار فقيراً ، توفي بالفيوم وهو في معترك المنايا سنة سبعين وستمائة ؛ ومن شعره قصيدة في كل بيت نوع من البديع ، وهي :

بَعضَ هذا الدلالِ والإدلال حالَ بالهجر والتجنبِ حالي

(الجناس اللفظي)

حِرْتُ إذ حُزْتَ ربع قلبي وإذ لا ليَ صبر أكثرت من إذلالي

(الجناس الخطي)

١ ر والزركشي : القضب .

٢ في المطبوعة : أو لا .

٣٤٢ — الزركشي : ٢١٤ وفي نسبه الليماني (بدل السليماني) وحدد وفاته في العشر الأخير من جمادى الأولى سنة ٦٧٠ ؛ وانظر ابن الشعار ٥ : ١٤٤ ؛ والترجمة في ر .

رقّ يا قاسي الفؤاد لأجفـان قصـار أسرى ليالٍ طوال

(الطباق)

شارحاتٍ بدمعها مجمعَ البحرين في حبِّ مجمع الأمثال

(الاستعارة)

نفت النومَ في هواك قصـاصاً حيث أدى منها خداع الخيال

(المقابلة)

أنا بين الرجـاء والخوف في حبّك مـا بين صحةٍ واعتلال

(التفسير)

لست أنفك في هواك ملومـاً في مُعادٍ يسومني ومُوال

(التقسيم)

عُمُرٌ ينقضي وأياميَ الأيا مُ بالهجر والليالي الليالي

(الإشارة)

ليس ذنبي سوى مخـالفة اللا حين فيه ، وآخيبَتَةَ العذال

(الإرداف)

سالباً بزتي وما هي إلا ال عمر رفقـاً بهذه الأسمال

(المماثلة)

طلبٌ دونه مَنالُ الثريـا وهوًى دونه زوالُ الجبال

(الغلو)

وغرامٌ أقله يذهلُ الآ ساد في خيسها عن الأشبال

(المبالغة)

أنا أخفي هواك صَوْناً وإن بِ تّ طعين القنا جريحَ النبال

(الكناية والتعريض)

فشمالي لم تستعن بيميني ويميني لم تستعن بشمالي

(العكس)

لذّ طولُ المطالِ منك ولولا ال حبُّ ما لذ منك طولُ المطال

(التذييل)

خنت عهدي فدام وجدي فهل يكـ   بتُ ضدي يوماً بطيب الوصال
(الترصيع)
لك ألحاظُ مقلتين شباهـا   كالحسام الهندي غِبَّ الصقال
(الإيغال)
كملت وصفها بمدحٍ عليّ   في عليٍّ رب الحجى والكمال
(التوشيح)
ماجدٌ بعض فضله بذله المـا   ل ، وقلَّ الذي يجود بمال
(رد العجز على الصدر)
يفعل المكرماتِ طبعاً فإن جـ   ـوَّد أفنى رغائبَ الآمـال
(التعميم و التكميل)
طال شكري نداه حتى لقد أفـ   ـحم فضل،لا زال ذا إفضال
(الالتفات)
هو مـا لم يزل وذلك أبقى   عصمةَ المرملين ذي[1] الأطفال
(الاعتراض)
ذو وداد للأصفياء بعيد   عن زوال وهل به من زوال
(الرجوع)
أفترب الأنواء تخصب منه الـ   أرض أم سيبُ جوده الهطّال
(تجاهل العارف)
جاد حتى للمكتفين فأثروا   فنداه كالماء في سيمال
(الاستطراد)
جامعُ العلم والفصاحةِ والحلـ   ـم وحسن الأخلاق والأفعال
(جمع المؤتلف والمختلف)
لا يعدّ الفعلَ الجميل لدنيا   ه ولكن[2] يعدّه للمآل
(السلب والإيجاب)

---

١ ر : المؤملين ذا .
٢ ر : ولكنه .

ليس فيه عيبٌ يعدده الحسـ ـادُ إلا العطاء قبل السؤال
(الاستثناء)

عالم أنْ مَنْ يعيش كمن زا ل وإن دام والورى في زوال
(المذهب الكلامي)

يُجتَلى وجهه الكريم من الحـ ـب ويُغضى عنه من الإجلال
(التشطير)

أيها الصاحبُ الذي نلتُ منه ما أرجّي فاليوم حالي حال
(المحاورة)

عاين الناظمون شعري ولا يذ هب فضل المعنى بلبس النصال[1]
(الاستشهاد والاحتجاج)

هي آلٌ للمدح في مجدك السا مي المعاني وغيرها لمعُ آل
(التعطف)

آبَ يومُ الهناء بالخير في ربـ ـعك يحكي نوالك المتوالي
(المضاعف)

فلك المدح دائماً ولشانيـ ـك القَطوعان مُنْصلي ونصالي
(التطريز)

أعجز الواصفون[2] فضلك فاجعل شين شكري فيه كشين بلال
(التلطف)

وقال وهو حسن بديع :

أضيفَ الدجى معنًى إلى ليلِ شعره فطال ولولا ذاك ما خُصَّ بالجرّ
وحاجبه نونُ الوقايةِ ما وَقَتْ على شرطها فعلَ الجفون مَنَ الكسر

وقال :

وتعجبني حاجبٌ نونُها دلالاً مع الجمع لا تنفتحْ

---

١ كذا في ر .

٢ كذا في ر والمطبوعة .

وقال :

تَـمَـوَّجَ تحت الخصر أسودُ شعرِهِ فإياك والحياتِ في كُثُبِ الرملِ
ولو لم يقمْ بالحسنِ مُرْسَلُ صُدغهِ لما نزلت في خده سورةُ النمل

وقال :

وما غرني في حبكم لمع خافقٍ لآل ولكن برد ماء لآلي
شموسُ وُعُودي بالوصال لديكمُ تَعلَّقْتُ من مكذوبها بحبال

وقال :

بَدرُ تم له على الخدِّ خالٌ في احمرار يَنشَقُّ منه الشقيقُ
كتب الحسنُ بالمحقق معنا ه ولكنْ عذاره تعليق

وقال :

يعذلني عاذلي عليك ولا يحصل مني إلا على التعب
فعاذلي ظلّ في هواك كمن يقرأ تَبَّتْ على أبي لهب

٣٤٣
عفيف الدين ابن عدلان

علي بن عدلان بن حماد بن علي ، الإمام العلامة عفيف الدين أبو الحسن الرَّبَعي الموصلي النحوي المترجم ؛ ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفي سنة ست وستين وستمائة ، سمع ببغداد وأخذ عن أبي البقاء وغيره ،

١ ر : والزركشي : على .
٣٤٣ – الزركشي : ٢١٥ وابن الشعار ٥ : ١١٦ وبغية الوعاة : ٣٤٣ ؛ والترجمة في ر .

وسمع من ابن الأخضر وابن منينا وجماعة ، وسمع منه ابن الظاهري والدمياطي والشريف عز الدين والدواداري ، وأقرأ العربية زماناً وتصدر بجامع الصالح بالقاهرة ، وكان علامة في الأدب من أذكياء بني آدم ، انفرد بحل المترجم والألغاز ، وله في ذلك تصانيف : منها كتاب « عقلة المجتاز في حل الألغاز » ، ومصنف في حل المترجم للملك الأشرف .

وكتب إلى علم الدين السخاوي بدمشق باللبادين ، قولَ الحسين بن عبد السلام في المعمّى [1] :

ربما عالج القوافي رجالٌ   في القوافي فتلتوي وتلينُ
طاوعتهُمْ عين وعين وعين   وعصَتهُمْ نون ونون ونون

فحلّهما ابن الحاجب ، فقال : قوله « عين وعين وعين » يعني نحو غدٍ ويدٍ ودَدٍ ، لأنها عينات مطاوعات في القوافي ، مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة ؛ لأن وزن غدٍ فعٍ ، ووزن يدٍ فعٍ ، ووزن دَدٍ فعٍ ، وقوله « وعصتهم نون ونون ونون » الحوت يسمى نون [2] ، والدواة لأنها تسمى نوناً ، والنون الذي هو الحرف ، وكلها نونات غير مطاوعة في القوافي ؛ إذ لا يلتئم واحد منها مع الآخر .

ونظم ابن الحاجب :

أيْ غد مع يدٍ دَدٍ ذو حروف   طاوعت في الرويّ[وهي عيونُ]
ودواة والحوت والنون نونا   تٌ عَصَتْهُمْ وأمرها مستبين

وقال عفيف الدين : أنشدني إسماعيل المسمول الذي ينسب إلى صلاح الدين الإربلي :

وما بيتٌ له في كلّ عضوٍ   عيونٌ ليس تنكرها العقولُ

[1] انظر أخبار وتراجم أندلسية : ٤٧ وابن خلكان ٣ : ٢٤٩ والغيث ١ : ٣٤ .   [2] كذا في ر .

إذا بسطوه تلقاه قصيراً وإن قبضوه تبصره طويل

فقلت : هذه شبكة صياد طيور، فأخذ يباهت ، فقلت : قد نزلته، ولا يلزمني أكثر من هذا ، فأخذ في المباهتة ، فقلت : هذا في خركاه ، فاعترف أنه هو .

وكتب إليه ناصر الدين ابن النقيب ملغزاً في سيف :

يا عفيفَ الدينِ يا مَنْ دقَّ في الفهم وجَلاّ
والذي سموه في النا س عليّاً وهو أعلى
يا أخا الفضلِ الذي فيه لنا القِـدْحُ المعلّى
أي شيء طعمه مُرّ وإن كان محلّى
وهو شيخ لا يصلي ولَكَمْ بالضربِ صَلّى
ما له عقل وكم منه استفاد الناسُ عقلا
جفنه من غير سهدٍ ما يذوقُ النومَ أصلا
وهو ما يحسن قولاً ولقد يحسن فعلا
وهو إن تعكسه قَيْسٌ فصحفه وإلاّ
وهو مطبوعٌ نحيفٌ عند ما يلقاك سلا
ولكم بدّد جمعا ولكم شتت شملا
ولكم قد سبق العذ لَ وكم قَطّع وصلا
فأبن عنه بأجلى منه في اللفظ وأحلى
وابقَ في إيوانِ عزٍّ وبناءٍ ليس يبلى

فكتب عفيف الدين الجواب :

ناصرَ الدين الذي فا ق جميعَ الناس فضلا
والذي وافق في الإسم الذي وافق فعلا
والذي أشعاره أشهى من الحلي[1] وأحلى

---

[1] ر : الحل .

هو حلوٌ في فم النا س وفي العينين يُحلى
إن تسلني عن رقيق لك يجلى حين يجلى
هو أنثى في زمان ويرى في ذاك فحلا
يشرب الماء ولا يأ كل إلا اللحمَ أكلا
والندى يؤذيه والنا رُ له إلفٌ فيَصلى
وهو يُعمي العين لا شـ لكَّ متى ما كان كحلا
محرمٌ في كلِّ وقت ما رآه الناس حِـلاً
أعجميّ وفصيحٌ جمع الوصفين كلا
وهو كالمرآةِ يبدي مثل رأي الشكل شكلا
ولموعٌ بَرْقُه الخُلَّـ بُ لا يمطر وبلا
وعليه أبدَ الدهـ ر ذبابٌ ما تولّى
وهو مثلُ الناس في النشـ أةِ مذ قد كان طفلا
ويرى شرخاً وشيخاً بعد ما قد كان كهلا
سبق التصحيف ذا الشـ يء وشنف الأذن حلا[2]
قلت لما جاءني : أهـ لا بذا اللغز وسهلا
لغز كالشمسِ قد دقـ ت معانيه وجلّا

١ كذا في ر .
٢ ر : جلى .

٣٤٤

ابن الزقاق البلنسي

علي بن عطية بن مطرف ، أبو الحسن اللخمي البلنسي الشاعر المشهور ، المعروف بابن الزقاق ؛ أخذ عن ابن السِّيد ، واشتهر ومدح الأكابر ، وجوّد النظم ، وتوفي وله دون الأربعين في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، ومن شعره[١] :

كلما مال بهـا سكرُ الصبا   مال بي سكرُ هواها والتصابي
أشعرتْ في عبراتي خجلاً[٢]   إذ تجلت فتغطت بالنقاب
كذُكاءِ الدَّجنِ مهما هطلتْ   عَبرَةُ المزن توارتْ بالحجاب

وقال[٣] :

وأغيدٍ طاف بالكؤوسِ ضحىً   فحثَّها والصباح قد وضحا
والروض يبدي لنا شقائقه   وآسُهُ العنبريُّ قد نفحا
قلنا وأين الأقاح ؟ قال لنا   أودعته ثغرَ مَن سَقَى القدحا
فظل ساقي المدام يجحد ما   قال فلما تبسم افتضحا

وقال[٤] :

---

٣٤٤ — الزركشي : ٢١٦ والتكملة رقم ١٨٤٤ والذيل والتكملة ٥ : ٢٦٥ والمطرب : ١٠١ والمغرب : ٢ : ٣٢٣ وصفحات متفرقة من نفح الطيب ، وقد نشر ديوانه بتحقيق الآنسة عفيفة ديراني (دار الثقافة — بيروت ١٩٦٤) ؛ وهذه الترجمة مما ورد في ر .

١ الديوان : ٨٧ .

٢ الديوان : بخلا .

٣ الديوان : ١٢٤ .

٤ الديوان : ١٢٩ .

ألمت فبات الليلُ في قِصرٍ بها	يطير وما غير السرور جنَاحُ
وبتُّ وقد زارت بأنعم ليلةٍ	يعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائلٌ	وفي خصرها من ساعديَّ وشاح

وقال [1] :

وحبَّبَ يومَ السبتِ عنديَ أنني	ينادمني فيه الذي كنت أحببتُ
ومن أعجب الأشياء أنيَ مسلمٌ	حنيفٌ ولكنْ خيرُ أياميَ السبت

وقال أيضاً [2] :

بذلت لها من أدمع العين جوهراً	وقدماً حكاها في الصيانة والسترِ
فقالت وأبدت مثله إذ تبسمت	غنيتُ بهذا الدر عن ذلك الدر

وقال [3] :

سقتني بيمناها وفيها فلم أزلْ	يجاذبني من ذاك أو هذه سكرُ
تَرشّفتُ فاها إذ ترشفتُ كأسها	فلا والهوى لم أدرِ أيهما الخمر

وقال [4] :

وشهرٍ أدرنا لارتقابِ هلاله	عيوناً إلى جوِّ السماءِ موائلا
إلى أن بدا أحوى المدامع أحوَر	يجرُّ لأبرادِ الشباب ذلاذلا
فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً	ببدرٍ حوى طيبَ الشمول شمائلا
أتطلبك الأبصار في الجوِّ ناقصاً	وأنت كذا تمشي على الأرض كاملا

وقال [5] :

---

١ الديوان : ١١٣ .
٢ الديوان ١٦١ .
٣ الديوان : ١٧٨ .
٤ الديوان : ٢٣٨ .
٥ الديوان : ٢٧٤ .

وساق يحثُّ الكأسَ حتى كأنما | تلألأ منها مثلُ ضوء جبينِهِ
سقاني بها صِرفَ الحميّا عشيةً | وثنّى بأخرى من رحيق جفونه
هضيمُ الحشا ذو وجنةٍ عندميةٍ | تريكَ جنيَّ[1] الوردِ في غير حينه
فأشربُ من يمناه ما فوقَ خده | وألثم من خديه ما في يمينه

وقال[2] :

أديراها على الزهر المندّى | فحكم الصبح في الظلماء ماضِ
وكأسُ الراح تنظرُ عن حباب | تنوب لنا عن الحدَقِ المِراض
وما غربتْ نجومُ الأفقِ لكن | نقلن منَ السماء إلى الرياض

وقال[3] :

وعشيةٍ لبستْ رداءَ شقيقِ | تزهى بلون للخدودِ أنيقِ
لو أستطيعُ شربتها كلفاً بها | وعدلتُ فيها عن كؤوس رحيق
أبقت بها الشمسُ المنيرة مثل ما | أبقى الحياءُ بوجنةِ المعشوق

وقال[4] :

يفضحُ البدرَ كمالاً إن بدا | والدُّمى العُفرَ جمالاً إن رَمَقْ
أطلعتْ خجلته في خده | شفقاً في فلق تحت غسق

وقال[5] :

ومهفهفٍ أحوى اللمى ذي مقلة | تزري ظباها بالكميّ الفارسِ
فعلت شمائله العذاب بمهجتي | فعل النُّعامى بالقضيب المائس

---

١ الديوان : قطاف .
٢ الديوان : ١٩٧ .
٣ الديوان : ٢٠٦ .
٤ الديوان : ٢٠٨ .
٥ الديوان : ١٩٢ .

كالغُصنِ هزّ على كثيب أهْيلٍ   كالصبح أطلع تحت ليل دامس

وقال [1] :

ومقلة شادن أودتْ بنفسي   كأن السقمَ لي ولها لباسُ
يَسُلُّ اللحظُ منها مَشرَفياً   لقتلي ثم يغمده النعاس

وقال [2] :

كم زورةٍ ليَ بالزوراء خُضْتُ بها   عُباب بحرٍ من الليل الدجوجيِّ
وكم طرقتُ قبابَ الحيِّ مرتدياً   بصارمٍ مثل عزمي هندوانيّ
والليلُ يسترني غِربيبُ سدفته   كأنني خفَرَ في خدّ زنجيّ

وقال [3] :

زارت على شَحَطَ المزار متيماً   بالرقمتين ودارها تيماءُ
في ليلة كشفت ذوائبها بها   فتضاعفتْ بعقاصها الظلماء
والطيفُ يخفى في الظلام كما اختفى   في وجنة الزنجيّ منه حياء

وقال في حمام [4] :

رُبَّ حَمّام تلظّى   كتلظي كلِّ وامقْ
ثم أذرى عبراتٍ   دمعها [5] بالوجد ناطق
فغدا منه ومنّي   عاشق في جوف عاشق

وقال ، وأوصى أن تكتب على قبره ، وهي آخر شعر قاله، رحمه الله تعالى [6] :

١ الديوان : ١٩٠ .
٢ الديوان : ٢٨٠ .
٣ الديوان : ٦٣ .
٤ الديوان : ٢١٥ .
٥ الديوان : صوبها .
٦ الديوان : ٢٠٥ .

أإخوانَنا والموتُ قد حال دوننا   وللموت حكمٌ نافذٌ في الخلائقِ
سبقتكُمُ للموت والعمرُ طيه   وأعلم أن الكلَّ لا بدَّ لاحقي
بعيشكمُ أو باضطجاعيَ في الثرى   ألم نك في صفوٍ من العيش رائق
فمن مرَّ بي فليمضِ بي مترحِّماً   ولا يكُ منسياً وفاءُ الأصادق

٣٤٥
سيف الدين المشد

علي بن عمر بن قزل بن جلدك التّركماني الياروقي، الأمير سيف الدين المشد صاحب الديوان المشهور ؛ ولد بمصر سنة اثنتين وستمائة ، وتوفي بدمشق سنة ست وخمسين وستمائة ، ودفن بقاسيون . اشتغل في صباه ، وقال الشعر الرائق ، وتولّى شدَّ الدواوين بدمشق للناصر يوسف بن العزيز مدة ، وكان ظريفاً طيب العشرة تام المروءة ، وهو ابن أخي فخر الدين عثمان أستاذ دار الملك الكامل ، ونسيب الأمير جمال الدين ابن يغمور ، روى عنه الدمياطي والفخر ابن عساكر ، وكانت وفاته يوم تاسوع فقال الكمال العباسي [1] :

أيا يومَ عاشورا جُعِلتَ مصيبةً   لفقد[2] كريم أو عظيم مُبَجَّلِ
وقد كان في قتلِ الحسين كفايةٌ   فقد جلَّ بالرزء المعظَّمِ في علي

---

٣٤٥ — الزركشي : ٢١٧ والبدر السافر : ٢٠ وكانت وفاته عشية الأحد تاسع المحرم وقيل يوم عاشوراء من السنة المذكورة في ترجمته ؛ وانظر البداية والنهاية ١٣ : ١٩٧ والنجوم الزاهرة ٧ : ٦٤ وعبر الذهبي ٥ : ٢٣٣ والشذرات ٥ : ٢٨٠ ؛ والترجمة ثابتة في ر .

١ البدر السافر : الكمال ابن عبد الرحمن القيسي .

٢ البدر : لقصد .

وقال تاج الدين ابن حواري يرثيه :

أأخيَّ أيُّ دُجُنَّةٍ أو أزمة ... كانت بغير السيف عنا تنجلي
نبكي عليه وليس ينفعنا البكـا ... نبكي على فقد الجواد المُفضِل
من للقوافي والمعاني بعده ... من للمواضي والرماح الذُّبَّل
من ذا لبابِ العلم غير عليِّه الـ ... عالي المحلِّ ومَن لحلِّ المشكل
عاشورُ يومٌ قد تعـاظم ذنبهُ ... إذ حلَّ فيه كلُّ خطب مُعضِل
لم يكفه قتلُ الحسين وما جرى ... حتّى تعدَّى بالمصاب على علي

ومن شعر سيف الدين المشدّ رحمه الله تعالى :

باكِرْ كؤوسَ المدام واشربْ ... واستجلِ وجهَ الحبيبِ واطربْ
ولا تخفْ للهمـوم داءً ... فهي دواءٌ لـه مجرب
من يدِ ساقٍ له رُضابٌ ... كالمسك لا بـل جنّاه أطيب
يعجبني خـالُ وجنتيـه ... والمسكُ في الجلّنـار أعجب

وقال في مليح مُعَذّر :

وأغْيَدَ لما لاح خطُّ عذاره ... على خدّه إزددتُ منـه تعجبا
رأيتُ به التفاحَ أنبت سوسناً ... فأصبح مسكياً وكان مخضبا

وقال أيضاً :

غرامي بكم أحلى من الأمنِ في القلبِ ... وودّي لـكم أصفى من المنهل العذبِ
وشوقي إليكم كلَّ يوم وليلة ... يزيدُ على حـال التبـاعد والقرب
وإني وإن شَطَّتْ بيَ الـدارُ عنـكمُ ... تقلبني الأشواقُ جنبـاً إلى جنب
أأحبـابنا إن قَرَّبَ الله داركم ... نذرتُ بأني لا أعود إلى العتب
ذكرتُ زمـاناً كان يجمع بيننـا ... ففاضت دموعيْ واستطار له قلبي
فواهاً لـه لـو عـاد للوصـل مرةً ... وأعطيه مـا أبقى التفرق من لبي

وكم[1] ليلةٍ هَبَّتْ من الغَوْر نفحةٌ بريّاكمُ طيباً فقلت لها هي
عليكم سلام الله مني تحيةً شذا عَرْفِها كالمسكِ والمندل الرطب

وقال :

لئن تفرقنا ولم نجتمع وزادتِ الفرقةُ عن وقتها
فهذه العينان مع قربها لا تنظر العين إلى أختها

وقال :

أقصى مرادي في الهوى بأن تحلُّوا ساحتي
وراحتي في قدَحٍ أنظره في راحتي

وقال :

لعبتُ بالشطرنج مع أهيفٍ رشاقةُ الأغصانِ من قدِّهِ
أحُلُّ عقدَ البند من خصره وألثم الشاماتِ من خدِّهِ

وقال في أرمد :

وشادن هِمْتُ فيه وجدا لما غدت مقلتاه رمدا
لم ينتقصْ حسنه ولكنْ نرجِسُ عينيه صار وردا

وقال :

يا جيرة الحيِّ من جرعاء كاظمة طرفي لبعدكمُ ما التذَّ بالنظرِ
لاتسألوا عن حديثِ الدمع كيف جرى فقد كفى ما جرى منه على بصري

وقال في مليح نصراني :

وبي غريرٌ يحاكي الظبيَ ملتفتاً أغنّ أغيد[2] عقلي فيه قد حارا

---

١ الزركشي : فكم .
٢ الزركشي : أحور .

يصبو الحبابُ إلى تقبيل مبسمه   وتكتسي الراح من خدّيه أنوارا
من آل عيسى يرى بعدي يقربه   ولم يخفْ من دم العشاق أوزارا
لأجله[1] أصبح الراووقُ منعكفاً   على الصليب وشدّ الكاسُ زنارا

وقال لُغزاً في رمح :

أي شيءٍ يكونُ مالاً وذخراً   راقَ حسناً عند اللقاء ومخبرْ
أسمر القدّ أزرقُ السنّ وَصْفاً   إنما قلبه بلا شكّ أحمر

وقال لغزاً في هاروت :

ما اسمٌ إذا صحفته   فهو نبيٌّ مرسلُ
وهو إذا عكسته   كتابه المنزل

وقال :

أساودُ شعرهِ لسَبَتْ فؤادي   وأمستْ بين أحشائي تجولُ
كأنَّ الشعرَ يطلبني بدين   فكم يجفو عليَّ ويستطيل

وقال :

الحمد لله في حلّي ومُرتحلي   على الذي نلت من علمٍ ومن عملِ
بالأمس كنت إلى الديوان منتسباً   واليوم أصبحت والديوانُ ينسبُ لي

وقال :

فصلٌ كأنَّ البدر فيه مطربٌ   يبدو وهالته لديه طارُهُ
والشمسُ في أفقِ السماءِ خريدةٌ   والجوُّ ساقٍ والأصيلُ عُقاره
وكأنّ قوسَ الغيم جَنكٌ مُذْهب   وكأنما صوب الحيا أوتاره

وقال في مليحة عمياء ، وهو بديع :

---

[1] الزركشي : من أجله .

علقتها نجلاءَ مثلَ المها فخان فيها الزمنُ الغادرُ
أذهب عينيها فإنسانها في ظلمةٍ لا يهتدي حائر
تجرح قلبي وهي مكفوفةٌ وهكذا قَد يفعل الباتر
والنرجسُ الغض غدا ذابلاً واحسرتا لو أنه ناضر [1]

ولبعضهم في عمياء وقد أحسن :

قالوا تعشقتها عمياءَ قلتُ لهم ما شانها ذاك في عيني ولا قدحا
بل زاد وجديَ فيها أنها أبداً لاتنظر الشيبَ في فوْدي إذا وضحا
إن يجرح السيفُ مسلولاً فلا عجب وإنما اعجبْ لسُيفٍ مُغمدٍ جرحا
كأنما هي بستانٌ خلوت به ونام ناطوره سكرانَ قد طفحا
تَفَتَّحَ الوردُ فيه من كمائمه والنرجسُ الغضُّ فيه بعد ما انفتحا

ومن شعر المشدّ :

سِرّي بألسنةِ الدموع علانيه وشحوبُ جسمي في الغرام علانيه
أخفي الهوى ويُذيعه يومَ النوى حُرَقٌ عن الواشين ليست خافيه
يا نازحين عن الهوى خلّفتمُ جسداً بكم مُضنًى ونفساً باليه
وسكنتمُ غَوْرَ الحشا فمدامعي تجري شرائعها وعيني داميه
وأنا الفِداءُ لحاضرين بمهجتي أبداً وأشواقي إليهم باديه
لي مقلة إنسانها في حبّهم رَفَضَ الكرى ودموعها متواليه
وبمهجتي من وجنتاه [2] جنة وقطوفُ صدغيه عليها دانيه
ما بعتُ روحي في هواه رخيصةً إلا لكونِ عذاره من غاليه

وقال :

لو كان قلبك مثلَ عطفك ليّنا ما كنتُ أقنعُ من وصالك بالمنى

---

١ ر : ناظر .
٢ ر : جنتاه .

لكنَّ خصرك مثلُ جسمي ناحل فكلاهما متحالفان على الضنا
يا هاجري ظلماً بغير جناية ما هكذا شرطُ المودة بيننا
قيدتَ طرفي مذ تسلسلَ دمعه وحبستَ نومي فالأسيرُ إذاً أنا
لا تحمِ قَدَّكَ عن حنايا أضلعي كم لذةٍ بين الحمى والمنحنى
علمتني كيف الغرامُ ولم أكن أدري الهوى فرأيت صَعْباً هينا

وقال من أبيات :

بدر يُريني ثغرُهُ دائماً برقاً له في كلِّ قلب وميضْ
تلاعُبُ الشّعْرِ على ردفه أوقع قلبي في الطويل العريض

وقال :

في كل يوم لأرباب الهوى شان وجدٌ قديم وتبريحٌ وأشجانُ
دموعهم كالغوادي وهي هاملة وفي حشاياهمُ للحبِّ نيران
يبكون في الوصل خوف الهجر من شَغَفٍ فكل أوقاتهم همٌّ وأحزان
لا يعرفون سُلُوّاً يهتدون به هيهات أين مع العشاق سلوان

وقال ذوبيت :

كم قلتُ لقاتلي الذي تيَّمني إذ قال أنا نبيُّ هذا الزمنِ
هل معجزةٌ فقال مِنْ ساعته مَنْ ينظرني لوقته يعشقني

٣٤٦

دبيران

علي بن عمر بن علي ، العلامة نجم الدين الكاتبي ، دبيران – بفتح الدال

٣٤٦ – تاريخ مختصر الدول : ٢٨٧ وتاريخ الفلك : ٣٦ ؛ والترجمة في ر .

وكسر الباء الموحدة وسكون الياء وبعدها راء وألف ونون – القزويني المنطقي الحكيم صاحب التصانيف ؛ توفي في شهر رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة ، ومولده في رجب سنة ستمائة . ومن تصانيفه « العين » في المنطق ، و « الشمسية » و « جامع الدقائق » و « حكمة العين »[1] ، وله كتاب جمع فيه الطبيعي والرياضي وأضافه إلى العين ليكون حكمة كاملة ، وله غير ذلك .

٣٤٧

المنشيء الاربلي

علي بن عيسى بن أبي الفتح ، الصاحب بهاء الدين ابن الأمير فخر الدين الإربلي المنشي الكاتب البارع ؛ له شعر وترسُّل ، كان رئيساً ، كتب لمتولي إرْبِلَ ابن صلايا ثم خدم ببغداد في ديوان الإنشاء أيام علاء الدين صاحب الديوان[2] ، ثم إنه فَتَر سوقُه في دولة اليهود ، ثم تراجع بعدهم وسلم ولم ينكب ، إلى أن مات سنة اثنتين وتسعين وستمائة . وكان صاحبَ تجمل وحشمة ومكارم ، وفيه تشيع ، وكان أبوه والياً بإربل .

ولبهاء الدين مصنفات أدبية مثل « المقامات الأربع »[3] و « رسالة الطيف » المشهورة ، وغير ذلك[4] ، وخلّف لما مات تركةً عظيمة بنحو ألفي ألف

---

١ طبع بقازان سنة ١٣١٩ ومعه شرحه لميرك البخاري .

٣٤٧ – الزركشي : ٢١٩ والبدر السافر : ٢١ وقال : وكان شيعياً إلا أنه متأدب مع علماء السنة ويوافقهم في عقائدهم ، وكان كريماً متواضعاً وله مجلس ببغداد يجلس فيه طرفي النهار ويجتمع عنده الفضلاء وتجري بينهم بحوث في أنواع من العلوم ؛ وهذه الترجمة ثابتة في ر .

٢ يعني علاء الدين الجويني .

٣ هي البغدادية والدمشقية والحلبية والمصرية .

٤ ورد في البدر السافر من مؤلفاته : « كشف الغمة في معرفة الأئمة » .

درهم تسلّمها ابنه أبو الفتح ومحقها ومات صعلوكا .

ومن شعر بهاء الدين :

أيا هاجري من غير جرمٍ جنيتُهُ ... ومَن دأبُه ظلمي وهجري فديتُهُ
أجرني رعاك الله من نار جفوةٍ ... وحرّ غرام في البعاد اصطليته
وكن مُسْعِدي فيما ألاقي من الأسى ... فهجرك يا كلَّ المُنى ما نويته
أأظما غراماً في هواك ولوعةً ... ولي دمعُ عينٍ كالسحاب بكيته
وحقك يا من تُهتُ فيه صبابةً ... ووجداً ومن دون الأنام اصطفيته
وحقك لا أنسى العهودَ التي مضت ... قديماً ولا أسلو زماناً قضيته

ومنه :

كيف خلاصي من هوى شادنٍ ... حكّمه الحسنُ على مهجتي
بعاده ناري التي تُتّقَى ... وقربه لو زارني جنتي
ما اتسعت طُرْقُ الهوى فيه لي ... إلا وضاقتْ في الجفا حيلتي
ليت ليالي وصله عُدْنَ لي ... يا حسرتا أين الليالي التي

وقال :

وجهه والقوام والشَّعر الأسـ ... ـودُ في بهجة الجبين النضيرِ
بدر تم على قضيبٍ عليه ... ليلُ دَجْنٍ من فوق صبح منير

وقال :

حثّه سائقُ الغرامِ فحنّا ... وجفا منزلاً وخلّفَ مَغْنى
ودعاه الهوى فلبّى سريعاً ... وكذا شيمةُ المحبّ المعنّى
رام صبراً فلم يُطعه غرامٌ ... غادَرَ القلبَ بالصبابة رَهنا
وجفا لذةَ الكرى في رضى الحب ... فأرضى قلباً وأسخط جفنا
أسهرتْ مقلتيه في طاعة الوجـ ... ـدِ عيونٌ على المحصب وَسنى

كل ظامي الوشاح رَيّان من مـا ء التصابي أضنى المحبَّ وعَنَّى
ما على الدهر لـو أعـاد زمـانـاً سلبته أيدي الحوادث منا
وعلى مَنْ أحبَّ لو شفع الحسـ ن الذي قيّد العيونَ بحسنى
وبروحي أفدي رشيقَ قوامٍ لاح بدراً وماس إذ ماس غصنا
يتجنّى ظلماً فيحدثُ لي وجـ ـداً إذا صدّ عاتبا أو تجنى
ما ثناني عنه العذولُ وهل يثـ ـني غرامي وقده يتثنى
كيف أسلو بدراً يشابهه البد ر سناءً يصبي الحليم وسنّا
ليَ معنى فيه وفي صاحب الديـ وان إذ رمت مدحه ألف معنى

وقال :

طاف بها والليلُ وَحْفُ الجناح بدرُ الدجى يحملُ شمسَ الصباحْ
وفـاز بالراحـةِ عُشّـاقُه لما بدا في كفّه كأسُ راح
ظبيٌ من الترك له قامـة يُزْري تثنيها بسمرِ الرماح
عارضُهُ آسٌ وفي خدّه وردٌ نضيرٌ والثنايا أقاح
أطعت فيه صبوتي والهوى طوعاً وعاصيت النهى واللواح
عاطيته صهباءَ مشمولة تحكي سنا الصبح إذا الصبح لاح
فسكَّنَتْ سَوْرته وانتشى فظل طوعي بعد طول الجماح
فبت لا أعرف طيبَ الكرى وبات لا ينكرُ طيبَ المزاح
فهل على مَن بات صباً بـه وإن نضا ثوبَ وقارٍ جُناح

وقال أيضاً :

غـَزَالَ النقـا لـولا ثنـاياك واللَّمى لمـا بتُّ صبـاً مستهامـاً متيما
ولولا معانٍ[1] فيك أوجَبنَ صبوتي لما كنتُ من بعد الثمانين مغرما

....

[1] ر : معاني .

أيا جنةَ الحسنِ الذي[1] غادر الحشا بفرط التجافي والصدود جهنما
جرَيْتَ على رسمٍ من الجور واضحٍ أما آن يوماً أن ترقّ وترحما
أمالِكَ رقي كيف حلَّلْتَ جفوتي وعدتَ لقتلي بالبعاد متمما
وحرمت من حلو الوصال محللا وحللت من مرّ الجفاء محرّما
بحسن التثني رقّ لي من صبابةٍ أسلْتَ بها دمعي على وجنتي دما
ورفقاً بمن غادرته غرض الردى إذا زار عن شحط بلادَك سلما
كلفْتُ بساجي الطرف أحوى مهفهفٍ يميسُ فينسيكَ القضيبَ المنعما
يفوق الظِّبا والغصن طرفاً وقامة وبدرَ الدجى والبرقَ وجهاً ومبسما
فناظره في قصتي ليس ناظراً وحاجبه في قتلتي قد تحكما
ومشرف صدغ ظلّ في الحكم جائراً وعاملُ قدّ بات أعدى وأظلما
وعارضه لم يرثِ لي من شكايةٍ فنمّتْ دموعي حين لاح منمنما

٣٤٨
أبو القاسم التنوخي

علي بن المحسِّن بن علي بن محمد بن أبي الفهم ، أبو القاسم التنوخي ؛ ولد يوم الثلاثاء نصف شعبان سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وتوفي في شهور سنة سبع وأربعين وأربعمائة ؛ وكان شيعياً معتزلياً ، وكان ساكناً وقوراً ، وكان يدخله من نيابة القضاء ودار الضرب وغيرهما كلّ شهر مائتا[2]

---

١ ر والزركشي : التي .
٣٤٨ — الزركشي : ٢٢٠ وابن خلكان ٤ : ١٦٢ وتاريخ بغداد ١٢ : ١١٥ وشروح السقط: ١٥٩٣؛ ووردت الترجمة في ر .
٢ ر : مائتين .

دينار فيمر الشهر وليس معه شيء ، كان ينفق على أصحاب الحديث ، وكان الخطيب والصولي[1] وغيرهما يبيتون عنده ، وكان ثقة في الحديث متحفظاً[2] في الشهادة ، محتاطا صدوقاً ، وتقلد قضاء عدة نواح منها المدائن وأعمالها وأذربيجان والبردان وقرميسين .

وكان ظريفاً نبيلاً جيد النادرة ، اجتاز يوماً في بعض الدروب فسمع امرأة تقول لأخرى : كم عمر بنتك يا أختي ؟ فقالت : رزقتها يوم صفع القاضي وضرب بالسياط ، فرفع رأسه إليها وقال : يا بظراء صار صفعي تاريخك ، ما وجدتِ تاريخاً غيره ! !

وكان أعمش العينين لا تهدأ جفونه من الانخفاض والارتفاع والتغميض والانفتاح ، وفيه يقول ابن بابك :

إذا التنوخيُّ انتشى وغـاص ثم انتعشا
أخفى عليه إن مشيـ ـت وهو يخفى إن مشى
فلا أراه قِـلَّـة ولا يراني عَمَشا

ودفع إليه رجلٌ رقعة وهو راكب ، فلما فضّها وجد فيها :

إنّ التنوخي به أُبنـة كأنه يسجدُ للفيشِ
له غلامان ينيكانه بعلة الترويح في الخيش

فقال : ردّوا زوج القحبة ، فردّوه فقال له : يا كشخان يا قرنان يا زوج ألف قحبة ، هات زوجتك وأختك وأمّك إلى داري وانظر ما يكون مني . وبعد ذلك احكم بما يكون مني ، قفاه ! ! فصفعوه .

وكان يوماً نائماً ، فاجتاز واحد غثٌّ وأزعجه مما يصيح : شراك النعال

[1] ر : والصوري .
[2] ر : محتفظاً .

شراك النعال ، فقال لغلامه : اجمع كل نعل في البيت وأعطها[1] لهذا يصلحها ويشتغل بها ، ثم نام . وأصلحها الإسكافي واشتغل بها إلى آخر النهار ومضى لشأنه . فلما كان في اليوم الثاني فعل كذلك ولم يَدعه ينام ، فقال للغلام : أدخله ، فأدخله فقال له : يا ماصّ بظر أمه ، أمس أصلحتَ كلّ نعلٍ عندنا ، واليوم تصيح على بابنا ، هل بلغك أننا نتصافع بالنعال ونقطعها ؟ ! قفاه قفاه ، فقال : يا سيدي أتوب ولا أعود أدخل إلى هذا الدرب أبدا .

وهذا أبو القاسم من أهل بيت كلهم فضلاء ، ذكر ابن خلكان أباه[2] المحسن وجدّه القاضي التنوخي الكبير ، رحمه الله تعالى وعفا عنهم .

٣٤٩
القليوبي الكاتب

علي بن محمد بن أحمد بن حبيب القليوبي الكاتب ؛ قال ابن سعيد المغربي : وصفه ابن الزبير في كتاب « الجنان » بالإجادة في التشبيهات ، وغلا في ذلك إلى أن قال : إن أنصف لم يفضل عليه ابن المعتز ، وذكر أنه أدرك العزيز العُبيدي ومدح قُوّاده وكتابه ، وتوفي في أوائل دولة الظاهر العبيدي .

ومن شعره :

وصافيةٍ بات الغلامُ يديرها ... على الشَّرب في جنح من الليل أدعجِ
كأنّ حبابَ الماء في وجناتها ... فرائدُ در في عقيق مدحرج
ولا ضوءَ إلا من هلالٍ كأنما ... تفرق منه الغيمُ عن نصف دُملُج

١ ر : وأعطيها .
٢ ر : أبوه .
٣ — الزركشي : ٢٢٠ والبدر السافر : ٢٢ .

وقد حال دون[1] المشتري من شعاعه ... وميضٌ كمثلِ الزئبق المترجرج
كأن الثريا في أواخر ليلها ... تحية[2] ورد فوق زهر بنفسج

وقال أيضاً :

في ليلة أُنُف كأنَّ هلالها ... صَدْعٌ تبين في إناء زجاجِ
كفَلَ الزمانُ لأختها بزيادة ... في نورها[3] فبدا كوَقْفِ العاج
وكأنما كيوان نُقْرَةُ[4] فضة ... وكأنما المريخ ضوء سراج
تتطاوَلُ الجوزاء تحت جناحه ... وكأنها من نورها في تاج
ليل كمثل الروض فتّح جنحه ... زهر الكواكب في ذرى الأبراج
أحييته حتى رأيت صباحه ... من لونه يختال في دوّاج
والشمس من تحت الغمام كأنها ... نارٌ تَضرَّمُ خلفَ جام زجاج

وقال :

وكأنّ السماءَ مصحفُ قارٍ ... وكأنّ النجومَ رسمُ عشورِ
أو كأنّ النجوم زهرُ رياضٍ ... قد أحاطت من بدرها بغدير

وقال :

نجمتْ نجومُ الزهرِ إلا أنها ... في روضة فلكيةِ الأنوارِ
وكأنما الجوزاء منها شاربٌ ... وكأنما المريخ كأسُ عقار

وقال :

ألا فاسقنيها قد قضى الليلُ نحبهُ ... وقام لشوّالٍ هلالٌ مبشرُ

---

١ البدر السافر : وقد جال نحو .
٢ البدر : نجية .
٣ في ر والمطبوعة : نوره ، والتصويب عن البدر والزركشي .
٤ في ر والمطبوعة : ثغرة ؛ والتصويب عن البدر السافر .

بدا مثلَ عرق السام واسترجعت له صروف الليالى فرصةً[1] وهو مقمر
إلى أن رأيناه ابنَ سبعٍ كأنما على الأفقِ منه طيلسانٌ مقور

وقال :

وصفراءَ من ماء الكروم كأنما دُجى الليل منها في رداءٍ معصفرِ
كأنّ حبابَ الماء في وَجناتها من الدرّ إكليلٌ على تاج يعصر[2]
قطعتُ بها ليلاً كأنّ نجومه إذا اعترضتها العينُ نيرانُ عسكر
تراها بآفاقِ السماء كأنما مطالعها منها معادنُ جوهر
ومنطقةُ الجوزاء تبدو كأنها[3] وسائط درٍّ في قلائد عنبر
وباتت بعينيّ الثريّا كأنما على الأفق منها غصنُ ورد منوّر
فبت أراعي النجمَ[4] حتّى تشمرت ذيولُ الدجى عن مائه المتفجر

٣٥٠

ابن حريق البلنسي

علي بن محمد بن أحمد بن سلمة بن حريق ، أبو الحسن المخزومي البلنسي الشاعر ؛ كان متبحراً في اللغة والأدب ، حافظاً[5] لأشعار العرب وأيامها ،

١ الزركشي : قرضه .
٢ في حاشية الزركشي : صوابه : قيصر .
٣ ر والزركشي : كأنما .
٤ الزركشي : الفجر .
٣٥٠ – الزركشي : ٢٢١ وابن الشعار ٤ : ٣٦٦ والبدر السافر : ٢٣ والتكملة رقم : ١٨٩٥ وزاد المسافر : ٦٤ وشرح مقصورة حازم : ١٤٢ وصفحات متفرقة في النفح ، والذيل والتكملة ٥ : ٢٧٥ والمغرب ٢ : ٣١٨ ومولد ابن حريق سنة ٥٥١ ؛ والترجمة في ر .
٥ ر : حافظ .

اعترف له بالسبق بلغاء وقته ؛ قال ابن الانباري : توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

ومن شعره في مليح أعور :

لم يَشنكَ الذي بعينك[1] عندي ... أنت أعلى من أن تعاب وأسنى
لُطُفُ اللهِ ردّ سهمين سهماً ... رأفةً بالعبادِ فازددت حسنا

ولشمس الدين محمد بن العفيف التلمساني — الآتي ذكره إن شاء الله تعالى — في مثله :

كان بعينين فلما طغى ... سحرهما[2] رُدَّ إلى عينِ
وذاك من لطفٍ بعشاقه ... ما يضرب الله بسيفين

ومن شعر ابن حريق :

وكاتبٍ ألفاظه وكتبه ... بغيضةٌ إن خطّ أو تكلما
ترى أناساً يتمنون العمى ... وآخرين يحمدون الصمما

وقال وقد زاره محبوبه فجاء مطر وسيل منعه من العَوْد :

يا ليلةً جادتْ الأماني ... فيها على رغم أنف دهري
للقطر فيها عليّ نُعْمى ... يقصرُ عنها طويلُ شكري
إذ بات في منزلي حبيبي ... وقام في أهله بعذرِ
يا ليلةَ السيل في الليالي ... لأنت خيرٌ من ألف شهر

وقال :

يا صاحبيّ وما البخيل بصاحبي ... هذي الخيام فأين تلك الأدمعُ
أَنمرُّ بالعرَصاتِ لا نبكي بها ... وهي المعاهدُ منهم والأربُعُ

---

١ ر : بعينيك .

٢ ر : بسحرها .

يا سعدُ ما هذا القيام وقد نـأوا أتقيمُ من بعد القلوبِ الأضلع ؟
هيهـاتِ لا ريحُ اللـواعجِ بعدهم رهوٌ ولا طير الصبابة وُقَّع [1]
وأبى الهوى إلا الحلول بلعلعٍ وبحَ المطـايا ، أين منها لعلع
لم أدر أين ثَوَوْا فلم أسأل بهم ريحـاً تهبُّ ولا بريقـاً يلمع
وكأنهم في كـلِّ مَدْرَجِ ناسمٍ فعليه مني رقةٌ وتضرع
فإذا منحتهمُ السلامَ تبـادرت تبليغه عني الرياحُ الأربع

٣٥١
ابن نبيه الشاعر

علي بن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيى ، الأديب الشاعر البارع كمال الدين ابن النبيه المصري ، صاحب الديوان المشهور ؛ مدح بني أيوب ، واتصل بالملك الأشرف موسى وكتب له الإنشاء ، وسكن بنصيبين ، وتوفي بها في حادي عشرين جمادى الأولى [2] سنة تسع عشرة وستمائة ؛ وهذا ديوانه المشهور هو انتقاه من شعره ، لأنه كله منقى منقح ، الدرة وأختها ، وإلا فما هذا شعر مَنْ لا نظم إلا هذا الديوان الصغير .

ومن شعره ما ذكره القوصي في مليح يشتغل بعلم الهندسة [3] :

---

١ البدر : يرفع .

٣٥١ — النجوم الزاهرة ٦ : ٢٤٣ والشذرات ٥ : ٨٥ وحسن المحاضرة ١ : ٥٦٦ والزركشي : ٢٢١ وابن الشعار ٤ : ٣٠٥ ؛ وانظر مقدمة ديوانه تحقيق الدكتور عمر أسعد (بيروت : ١٩٦٩) ؛ والترجمة في ر .

٢ ر : الأول .

٣ الديوان : ٤٧٢ .

وبي هندسيٌّ الشكلِ يسبيك لحظه	وخالٌ وخدٌّ بالعذار مطرزُ
ومذ خط بيكارُ الجمالِ عذاره	كقوسٍ علمنا أنما الخالُ مركز

وقال [1] :

تعلمت علم الكيمياء بحبه	غزالٌ بجسمي ما بجفنيه من سُقمِ
فصعدتُ أنفاسي وقطرتْ أدمعي	فصحَّ بذا التدبيرِ تصفيرةُ الجسم

وقال في مليح يهودي رآه بدمشق فأحبه [2] :

من آل إسرائيل عُلِّقته	أسقمني بالصدِّ والتيهِ
قد أنزل السلوى على قلبه	وأنزل المنّ على فيه

وقال [3] :

بدر تم له من الشعر هـالَهْ	مَنْ رآه من المحبين هالَهْ
قَصُرَ الليلُ حين زار ولا غر	و غزالٌ غارت عليه الغزاله
يا نسيمَ الصبا عساك تحمل	تَ لنا من سكان نجد رساله
كل معسولة المراشف بيضا	ء حمتها سُمر القنا العسّاله
عانقتني كصارمي وأدارت	معصميها في عاتقي [4] كالحماله
إنّ بالرقمتين ملعبَ لهوٍ	بسطتْ دوحُهُ علينا ظلاله
مَعْلم مُعْلم وَشى بسطه الزه	رُ وحاكته ديمةٌ هطّاله
وكأن الحمامَ فيه قيانٌ	أعربتْ [5] لحنها على غير آله
وكأن القضيبَ شمر للرق	ص سحيراً عن ساقه أذياله

١ الديوان : ٣٩٠ .
٢ الديوان ٣٨٩ .
٣ الديوان : ٤٧٣ .
٤ ر : عانقي .
٥ ر : عربت .

إن خوضَ الظلماء أطيبُ عندي   من مطايا أمست تشكّى[1] كلاله
فهي مثلُ القِسيِّ شكلاً ولكن   هي في السبق أسهمٌ لا محاله
تركتها الحُداة بالخفض والرفـ   ـع حروفاً في جرها عَمّاله

ولشهاب الدين التَّلّعفَري قصيدة في هذا الوزن وهي :

أيُّ دمع من الجفون أسالَهْ   إذ أتته من النسيم رسالَهْ
حمّلته الرياض أسرارَ عرفٍ   أودعتها السحائب الهطاله

منها :

يا خليلي وللخليل حقوقٌ   واجباتُ الأحوال في كل حاله
سَلْ عقيقَ الحمى وقل إذ تراه   خالياً من ظبائه المختاله
أين تلك المراشف العَسَليا   تُ وتلك المعاطفُ العسّاله
وليال قضيتها كلآلٍ   بغزال تغار منه الغزاله
بابليّ اللحاظِ والريق والألـ   فاظ ، كلٌّ مدامةٌ سلساله
وطويلُ الصدود والشعرِ والمطـ   لِ ، ومن لي بأنْ يديمَ مِطاله
وسقيمُ الجفونِ والعهدِ والخصـ   رِ فكلٌّ تراه يشكو اعتلاله
ونقيّ الجبين والخد والثغـ   ر فطوبى لمن حسا جرياله
من بني الترك كلما جذب القو   س رأينا في وسطه بدر هاله
يقعُ الوهم حين يرمي فلا ند   ري يداه أم عينه النبّاله
قلت لما لوى ديون وصالي   وهو مُثْرٍ وقادر لا محاله
بيننا الشرعُ قال سر بي فعندي   من صفاتي لكل دعوى دلاله
وشهودي من خال خدي ومن قدّ   ي شهود معروفة بالعداله
أنا وكلتُ مقلتي في دما الخلـ   ـق فقالت قبلتُ هذي الوكاله

---

[1] الديوان : باتت بكل .

ومن شعر ابن نبيه[1] :

رنا وانثنى كالسيف والصّعدة السّمرا ... فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى
خذوا حذراً من خارجيٍّ عذاره ... فقد جاء زحفاً في كتيبته الخضرا
غلامٌ أراد الله إطفاء فتنةٍ ... بعارضه فاستأنفتْ فتنة أخرى
فزرْفنَ بالأصداغ جنةَ خده ... وأرخى عليها من ذؤابته[2] سترا
أخوض عبابَ الموت من دون ثغره ... كذاك يخوضُ البحرَ من طلب الدرا
غزالٌ رخيمُ الدلّ في يوم سلمه ... وليثٌ له في حربه البطشة الكبرى
دريٌّ بحمل الكأس في يوم لذة ... ولكن بحمل السيف يوم الوغى أدرى
أهيم به في عقده أو نجاده ... فلا بد في السرّاء منه وفي الضرّا
وصامتة[3] الخلخال أنّ وشاحها ... فهذا قد استغنى وذاك اشتكى[4] الفقرا
لها معصمٌ لولا السوارُ يصده ... إذا حسرتْ أكمامها لجرى نهرا
دعتني إلى السلوان عنه بحبها ... فما كنتُ أرضى بعد إيمانيَ الكفرا
بأيّ اعتذارٍ ألتقي حسنَ وجهه ... إذا شغلتني عنه غانية عذْرا

وقال[5] :

باكر صبوحكَ أهنا العيش باكره ... فقد ترنّمَ فوقَ الأيك طائرُهُ
والليلُ تجري الدراري في مجرّته ... كالروض تطفو على نهرٍ أزاهره
وكوكبُ الصبح نجّابٌ على يده ... مُخلّقٌ تملأ الدنيا بشائره
فانهضْ إلى ذوبِ ياقوتٍ لها حَبَبٌ ... تنوبُ عن ثغر من تهوى جواهره
حمراءُ في وجنة الساقي لها شبه ... فهل جناها مع العنقود عاصرُهُ ؟

---

١ الديوان : ٢٨٧ .
٢ الديوان : عوارضه .
٣ ر : وظامئه .
٤ الديوان : وذا يشتكي .
٥ الديوان : ٩١ .

ساقٍ تكوّنَ من صبحٍ ومن غسقٍ فابيضّ خداه واسودتْ غدائره
مُفَلّج الثغرِ معسولُ اللمى غنجٌ مؤنثُ الجفن فحلُ اللحظ شاطره
مهفهفُ القد يندى جسمه ترفاً مُخَصَّر الحصر عَبَل الردف وافره
بيضٌ سوالفه لُعْسٌ مراشفه نعسٌ نواظره خُرْسٌ أساوره
تعلّمتْ بانةُ الوادي شمائله وزورّتْ سحرَ عينيه جآذره
كأنه بسَواد الصدغ[1] مكتحلٌ وركبتْ فوق خديه محاجره
نبيُّ حُسْنٍ أظلته ذوائبه وقام في فترة الأجفان ناظره
فلو رأت مقلتا هاروت آيته الـ كبرى لآمنَ بعد الكفرِ ساحره
قامت أدلةُ صدغيه لعاشقه على عذولٍ أتى فيه يُناظره
خذْ من زمانك ما أعطاك مغتنماً وأنت ناهٍ لهذا الدهر آمره
فالعمرُ كالكاسِ تُسْتَحَلى أوائله لكنه ربما مُجّتْ أواخره

وقال[2] :

طاب الصبوح لنا فهاكَ وهاتِ واشرب هنيئاً يا أخا اللذاتِ
كم ذا التواني والشبابُ مطاوعٌ والدهر سَمْحٌ والحبيبُ مُوَاتي
قم فاصطبح من شمس طاسك[3] واغتبق بكواكبٍ طلعت من الكاسات
صفراء صافيةً توقد بردها فعجبت للنيرانِ في الجنات
ينسلُّ من قار الظروف[4] حبابُها والدرُّ مجتلب من الظلمات
عذراء واقَعَها المزاجُ أما ترى منديلَ عذرتِها بكفِّ سُقاة
يسعى بها عَبْلُ الروادفِ أهيفٌ خَنِثُ الشمائل شاطرُ الحركات
يهوي فتسبقه أساود شعره ملتفةً كأساود الحيات

١ الديوان : الليل .
٢ الديوان : ١٢٣ .
٣ الديوان : كاسك .
٤ ر : الضروف .

يدري منازلَ نيراتِ كؤوسه   ما بين منصرفٍ وآخر آتي

وقال أيضاً[1] :

أماناً أيها القمر المطـلّ   ففي جفنيك أسياف تسلُّ
يزيد جمال وجهك كلّ يومٍ   ولي جسدٌ يذوبُ ويضمحلُّ
وما عرف السقامُ طريقَ جسمي   ولكن دَلَّ من أهوى يدل
يميل بطرفه التركيَّ عني   صدقتم إن ضيقَ العين بخل
إذا نُشِرَتْ ذوائبه عليه   ترى ماءً يرفُّ عليه ظل

وقال أيضاً[2] :

حديثُ دمعي عن غرامي شُجون   تَنقُلُهُ عني رواةُ الجفونْ
عجبت من صحةِ أخبارها   وقد تجرحن بدمع هتُون
بمهجتي أحورُ قد جمعت   جفونه المرضى فنونَ الفتون
مغْنيطسُ الخال على خده   يجذبُ بالحسن حديدَ العيون
ساومته في فمه[3] قبلةً   فقال هذا أبداً لا يكون
أدرْ دنانير فقد نثّرت   دراهمَ النور بنانُ الغصون
عوِّذْ جناني من جنون الهوى   من لامِ صدغيه بقافٍ ونون

وقال أيضاً[4] :

صُنْ ناظراً مترقباً لك[5] أن يرى   فلقد كفى من دمعه ما قد جرى
يا من حكى في الحسن صورةَ يوسفٍ   آهاً لَوَ انك مثلُ يوسفَ تُشترى

---

١ الديوان : ٢٥٥ .
٢ الديوان : ٤٧٣ .
٣ الديوان : سألته يمنحني .
٤ الديوان : ٢٤٧ .
٥ ر : لكي .

تعشو العيون لخده فيردها ... ويقول ليست هذه نار القرى
يا قاتلَ الله الجمالَ فإنه ... ما زال يصحب بالخلا متجبرا
يا غُصْنَ بانٍ في نقا رملٍ لقد ... أبدعْتَ إذ أثمرتَ بَدراً نيِّرا
ما ضرَّ طيفك أن أكونَ مكانه ... فقد اشتبهنا في السَّقام فما نُرى
أترى لأيامي بوصلك عودةً ... ولو انها في بعض أحلام الكرى
زمناً شربتُ زُلالَ وصلك صافياً ... وجنيتُ روضَ رضاك أخضر مثمرا
ملكتك فيه يدي فحين فتحتها ... لم ألق إلا حسرة وتفكرا

وقال[1] :

لماك والخدُّ النضرْ ... ماءُ الحياة والخضرْ
أخذتني يا تاركي ... أخذَ عزيز مقتدر
أحلْتَ سلواني على ... ضامنِ قلبٍ منكسر
ونمت عن ذي أرقٍ ... إذا غفا النجم سهر
وماءُ عينيّ التقى ... فيكَ لأمر قد قدر
ما نُصبتْ أشراكُ أل ... حاظك إلا للحذر
قلبي على الترك به ... ذا البدويّ يفتخر
وليّ عهد البدر إن ... غاب فإني منتظر
خلعتُ إذ بايعته ... عِذارَ مَنْ لا يعتذر
في خَلقه وخُلقه ... طبع الغزال والنمر
نُزْهةُ[2] أحداق الورى[3] ... فحيثما سار تسر
إن طريقَ ناظري ... إلى محيّاه خطر

---

١ الديوان : ٤٢٢ .
٢ الديوان : ترماه .
٣ الديوان : القنا .

وقال[1] :

قم يا غلامُ ودعْ مقالةَ مَنْ نَصَحْ ... فالديكُ قد صدَعَ الدجى لما صدحْ
خفيت[2] تباشيرُ الصباح فسقِّني ... ما طُلَّ في الظلماء من قدحِ القدح
صهباء ما لمعتْ بكفٍّ مديرها ... لمقطِّبٍ إلا تهلَّلَ وانشرح
هي صفوة الكرم [الكريم][3] فما سرت ... سراؤها في باخلٍ إلا سَمَح
من كفّ فتان القوام بوجهه ... عذرٌ لمن خلع العذار أو اطرح[4]
ولّى بشعر كالظلام اذا دجا ... وأتى بوجه كالصباح اذا وضح
يهتز كالغصن الرطيبِ على النقا ... ذا خفَّ في طي الوشاح وذا رجح
النرجس الغض استحى من طرفه ... وبخده زهر الأقاح قد اتضح[5]
فكأنه متبسمٌ بعقوده ... أو بالثنايا قد تقلد واتشح

وديوان شعره كله من هذا الأسلوب ، وهو موجود في أيدي الناس ؛ سامحه الله تعالى .

٣٥٢

علاء الدين الباجي

علي بن محمد بن خطاب ، الشيخ علاء الدين الباجي المغربي الأصولي

---

١ الديوان : ٢٠٨ .

٢ ر : حفت ، وفي المطبوعة : لاحت ؛ وأثبت ما في الديوان .

٣ سقطت من ر .

٤ الديوان : أو افتضح .

٥ ر : اتقح .

٣٥٢ – البدر السافر : ٢٤ والدرر الكامنة ٣ : ١٧٦ وطبقات السبكي ٦ : ٢٢٧ والشذرات ٦ : ٣٤ وحسن المحاضرة ١ : ٥٤٤ والأسنوي ١ : ٢٨٦ ؛ والترجمة في ر .

المصري؛ ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وتوفي سنة أربع عشرة وسبعمائة ؛ ختصر كتاب « المحرر » و « علوم الحديث » و « المحصول » في أصول الفقه و « الأربعين » .

وكان عمدة في الفتوى ، وتخرج به الأصحاب ، وممن أخذ عنه العلامتان قاضي القضاة تقي الدين السبكي وأثير الدين أبو حيان ، وكان ديناً صَيِّناً وقوراً ، ومن شعره :

رثى لي عُذّلي[1] إذ عاينوني وسحبُ مدامعي مثل العيونِ
وراموا كحل عيني قلت كفوا فأصلُ بليتي كحلُ العيون

وقال ذوبيت :

بالبلبل والهزار والشحرور يسبي طرباً قلبُ الشجي المغرور
فانهضْ عجلاً وانهب من اللذة ما جادت كرماً به يد المقدور

٣٥٣

أبو سعد ابن خلف

علي بن محمد بن خلف ، أبو سعد الكاتب النيرماني — ونيرمان قرية من قرى الجبل بالقرب من همذان — ؛ كان من جلة الكتاب الفضلاء ، والرؤساء النبلاء ، وكان يخدم في ديوان بني بُوَيه ببغداد ، وصنف لبهاء الدولة « المنثور البهائي » في مجلدة ، وهو نثر كتاب « الحماسة » ؛ وتوفي

---

١ البدر : عودي .

٣٥٣ — الزركشي : ٢٢٣ (وهو ينقل أيضاً عن ابن النجار في الذيل) واليتيمة ٣ : ٢٢٤ والتتمة ١ : ١٢٦ ومعجم البلدان (نيرمان) وورد فيه «أبو سعيد محمد بن علي بن خلف» ؛ والترجمة في ر .

سنة أربع عشرة وأربعمائة .

ومن شعره القصيدة المشهورة وهي :

خليليَّ في بغداد هل أنتما ليا   على العهد مثلي أم غدا العهدُ باليا
وهل ذَرَفتْ يوم النوى مقلتاكما   عليَّ كما أمسي وأصبح باكيا
وهل أنا مذكورٌ بخيرٍ لديكما   إذا ما جرى ذكرٌ لمن كان نائيا
وهل فيكما من إنْ تنزَّل منزلاً   أنيقاً وبستاناً من النور حاليا
أجدَّ له طيبُ المكان وحسنه   مُنًى يتمناها فكنتُ الأمانيا [1]
كتابيَ عن شوقٍ شديد إليكما   كأنَّ على الأحشاء منه مكاويا
وعن أدمعٍ مُنهلة ، فتأملا   كتابي تبنْ آثارها في كتابيا
ولا تيأسا أن يجمع الله بيننا   كأحسن ما كنّا عليه تصافيا
« فقد يجمع الله الشتيتين بعد ما   يظنّان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا » [2]
ولما تفرقنا تطيرتُ أن أرى   مكانك مني ـ لا خلا منك ـ خاليا
فضمنته ورداً كريَّاك ريحه   يذكرني منكَ الذي لستُ ناسيا
ولا تطلبا صوتي إذا ما تغنتا   تسرّ وفوز جادتا لي الأغانيا
« وخبرّتماني أن تيماءَ منزلٌ   لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا »
«فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت   فما للنوى ترمي بليلى المراميا » [3]
فِدًى لك يا بغدادُ كلّ مدينة   من الأرض حتى خطتي وديارِيا
فقد سِرْتُ في شرق البلاد وغربها   وطوّفت خيلي بينها وركابيا
فلم أر فيها مثلَ بغداد منزلاً   ولم أر فيها مثل دجلة واديا

-----

١ البيت والذي قبله من قول الشاعر :

ولما نزلنا منزلا طله الندى   أنيقاً وبستاناً من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه   منى فتمنينا فكنت الأمانيا

٢ للمجنون ، ديوانه : ٢٩٣ .

٣ البيت والذي قبله للمجنون ، ديوانه : ٢٩٣ ، ٣٠٠ .

ولا مثلَ أهليها أرقَّ شمائلاً وأعذبَ ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائلٍ لو كان ودك صادقاً لبغدادَ لم ترحل وكان جوابيا
« يقيم الرجالُ الموسرون بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا »

وأورد له ابن النجار في تاريخه :

يا ظالمي قسماً عليك بحرمة الـ إيمانِ وهي نهايةُ الأيمانِ
لا تسفكنَّ دمي فإني خائفٌ جداً عليك عقوبة العدوان
وإذا مررتَ على زرود فلا تُغِرْ بالمشي فيه تمايلَ الأغصان
بالله واسترْ وردَ خدك فيه لا ينشقَّ قلبُ شقائقِ النعمان

وأورد له أيضاً :

عجباً لضرسك كيف يشكو علةً وبجنبِهِ من ريقك الدرياقُ
هذا نظيرُ سقام ناظرك الذي عافاك وابتليتْ به العشاق
أو عقربي صدغيك إذ لدغا الورى وحَماك من حُمَتَيْهِما الخلاق

٣٥٤

الصاحب بهاء الدين ابن حنا

علي بن محمد بن سليم، الصاحب الوزير الكبير بهاء الدين ابن حنا المصري ، أحد رجال الدهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاء وخبرة وتصرفاً ، استوزره الظاهر وفوض إليه الأمور ، ولم يكن على يده يد ، وقام بأعباء المملكة ، وكان واسع الصدر عفيفاً نزهاً لا يقبل لأحد شيئاً إلا أن يكون من الصلحاء

---

٣٥٤ — تاريخ ابن الفرات ٧ : ١٢٥ وعبر الذهبي ٥ : ٣١٥ والشذرات ٥ : ٣٥٨ والسلوك ١ : ٦٤٩ ؛ والترجمة في ر .

والفقراء ، وكان قائلاً بهم : يُحْسن إليهم ويحترمهم ويدر عليهم الصِّلات ، وقد قصده غير واحد بالأذى فلم يجدوا ما يتعلقون به عليه ، ووزر بعد الظاهر لابنه السعيد ، وزادت رتبته ، وله مدرسة وبر وأوقاف . ابتلي بفقد ولديه : فخر الدين ومحيي الدين فصبر وتجلد ، وعاش أربعا وسبعين سنة ، وتوفي سنة سبع وسبعين وستمائة .

وحكي أن من جملة سعادته أوّل وزارته أنه نزل إلى دار الوزير الفائزي ليتبع ودائعه وذخائره ، فوجد ورقةً فيها أسماء من أودع عنده أمواله ، فعرف الحاضرون كلَّ من سمي في الورقة ، وطلب وأخذ المال منه ، وكان في جملة الأسماء مكتوب : الشيخ ركن الدين أربعون ألف دينار ، فلم يعرف الحاضرون من هو الشيخ ركن الدين ، ففكر الصاحب زماناً وقال : احفروا هذا الركن ، وأشار إلى ركن في الدار ، فحفروه فوجدوا الذهب .

وكان ينتبه قبل الأذان للصبح ، ويشرب قدحاً فيه ثماني أواق شراب بالمصري ، ويأكل طيري دجاج مصلوقة ، فإذا أذن صلّى الصبح وركب إلى القلعة ، وأقام طول نهاره لا يأكل شيئاً في المباشرة ويظن أنه صائم ، وهو في الحقيقة صائم لا يحتاج إلى غذاء مع ذلك الشراب والدجاج ، وكان الملك الظاهر يعظمه ويدعوه يا أبي .

وحكي أن الأمراء الكبار اشتَوَرُوا فيما بينهم أنهم يخاطبون الملك الظاهر في عزل الصاحب بهاء الدين ، وكانوا قد قرروا أن ابن بركة خان هو الذي يفتح الباب في ذلك ، والأمراء يراسلونه ، فبلغ السلطان ذلك ، وكانوا قد عزموا على مخاطبته في بكرة ذلك النهار في الخدمة ، فلما جاءوا ثاني يوم ادعى السلطان أنه أصبح به مغس منعه عن الجلوس للخدمة ، فجلس الأمراء إلى أن تعالى النهار ثم خرج إليهم جمدار وقال لهم : باسم الله ادخلوا ، فدخلوا يعودون السلطان ، فوجدوه متقلق ، فجلسوا عنده ساعة ، فجاءه خادم وقال : خوند كان مولانا السلطان قد دفع إليّ في وقتٍ قعبة صيني

فيها حلاوة يقطين وقال لي : دعها عندك فإن هذه أهداها لي رجل صالح ، وهي تنفع من الأمراض ، فقال السلطان : نعم ، أحضرها ، فأحضرها ، فأكل منها شيئاً قليلاً ، وادعى أنه سكن ما يجده من الألم ، ففرح الأمراء وسرُّوا بذلك ، فقال : يا أمراء تعرفون الذي أهدى إلي هذه الحلاوة ؟ فقالوا : لا ، قال : هذا أبي الصاحب بهاء الدين ، فسكتوا ، فلما خرجوا قال بعضهم لبعض : إذا كان يعتقد أن طعامه يشفي من المرض أي شيء تقولون فيه ؟ !

٣٥٥

علاء الدين ابن غانم

علي بن محمد بن سلمان بن حمائل ، الشيخ الفاضل البليغ الكاتب الشاعر ، صدر الشام بقية الأعيان ، الشيخ علاء الدين ابن غانم — تقدم تمام نسبه في ترجمة أخيه الشيخ شهاب الدين[1] — ؛ توفي بتبوك سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وله ست وثمانون سنة .

كان حسنة من حسنات الزمان ، وبقية مما ترك الأعيان ، ذا مروءة فاتت الواصف ، وجود أخجل الغمامَ الواكف ، تأذى من الدولة مرات ، وما رَجَعَ عما له في الخير والعصبية من كرّات .

قال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل : ما أعرف أحداً في الشام إلا ولعلاء

---

٣٥٥ — الزركشي : ٢٢٣ والدرر الكامنة ٣ : ١٧٨ والشذرات ٦ : ١١٤ والبداية والنهاية ١٤ : ١٧٨ والسلوك ٢ : ٤٢٦ وذيل العبر : ١٩٥ ؛ ووردت الترجمة في ر .

١ انظر الترجمة رقم : ٥٠ .

الدين ابن غانم في عنقه منةٌ قلدها بصنيعه أو جاهه أو ماله ، وكان الشيخ كمال الدين بن الزملكاني يكرهه[1] ويقول: ما أدري ما أعمله بهذا علاء الدين ابن غانم ؟ إني من أردت أن أذكره عنده بسوء يقول : ما في الدنيا مثل علاء الدين ابن غانم .

[وكانت كراهته له بسبب ، وهو أنه شغر منصب القضاء بدمشق ، فكتب جمال الدين الأفرم نائب السلطنة مطالعة يذكر فيها من يصلح للقضاء ، فعين الشيخ صدر الدين ابن الوكيل وابن الزملكاني وابن الشريشي وغيرهم ، وكتب في الجملة نجم الدين بن صصرى ، وكان بين ابن صصرى وابن غانم تودد عظيم وإدلال وعشرة عظيمة ، وكان عند الأفرم حجرة عربية ليس لها نظير ، وكان يحبها ، وكان سلار والجاشنكير كل منهما قد طلبها وهو يدافع عنها ، ولا تسمح نفسه بفراقها ، فأخذ ابن غانم علامة الأفرم وكتب عليها كتابا بخطه يقول لسلار : أحب أن تجعل ولاية قضاء القضاة لابن صصرى وشكرانه، ولك الحجرة التي طلبتها، وسير المطالعة ، فلم يشعر إلا وتقليد ابن صصرى قد كتب ، ولم يكن في ظن أحد ذلك، فتغيظ ابن الزملكاني وابن الوكيل لذلك وعز عليهما ، وباشر ابن صصرى القضاء ، ثم بعد ذلك طلبت الفرس وقيل له : قد أجبنا سؤالك إلى ما أردت ، وسير لنا ما ذكرت من الفرس ، فقال : أنا لم أعلم بذلك ولا لي غرض ، فسيروا إليه المطالعة فوجدت بخط ابن غانم ، فرسم إليه في الغد برايه ليقطع في بكرة النهار يده ، وشاع ذلك ، فلما أن كان سحر ذلك اليوم طلبه الأفرم وقال له : من أوّل الليل إلى آخره كلما أردت النوم يأتيني شخص في يده رمح — قال أو حربة — ويقول : لا تعرض لابن غانم بسوء وإلا أقتلك بهذه الحربة ، وقال له : ما حملك على ذلك ؟ قال : حبي لابن صصرى ، ولا عدت إلى مثلها ،

---

[1] ر : يكرمه .

فعفا عنه وخلع عليه ، وكمد عداه لذلك ، واستقل ابن صصرى بالقضاء ، وعظمت منزلة ابن غانم عند ابن صصرى مع عظمها قبل ذلك ، وكان زائد الإدلال عليه وتضاعف إدلاله . وكان ابن صصرى إذا عزل لا يولي ، وإذا ذاكر في أمر لا يرجع عنه ، واتفق أنّ قاضي نوى كان له أعداء تكلّموا فيه بسوء ، جرحوه بالباطل وتحاملوا عليه عند قاضي القضاة نجم الدين ، فاستحضره وعزله وانتهره في المجلس ، وخرج من بين يديه منكسر الخاطر ، وكان علاء الدين بن غانم يقرأ بين المغرب والعشاء في السبع بالحائط الشمالي ، عند باب النظامين ، فقيل لذلك الرجل : ما لك إلا علاء الدين ابن غانم فله إدلال عظيم على القاضي ، وأعلموه أنه بين العشاءين يقرأ في السبع المذكور ، فاتفق أنّ ذلك الرجل جاء إلى علاء الدين ولم يكن يعرفه ، فسأله عن علاء الدين وقال : لي إليه حاجة فدلّني عليه ، فقال علاء الدين : قل لي حاجتك ، فإن كان يمكن قضاؤها تحدثت لك مع ابن غانم فهو ما يخالفني إن شاء الله تعالى ، فقال له : يا مولانا أنا والله فقير الحال ولي عائلة ، ورجل كبير ، والله ما معي درهم ولا ما أتعشى به وبكى وقال : أنا قاضٍ من قضاة البرّ ، وكأنّ بعض من يحسدُني وشى عنده ونقل إليه بأنني أرتشي ، وحمله علي فاستحضرني وعزلني ، والله ما لي درهم واحد ولا دابة أحضر عليها أهلي ، وقصدت أن أجلس بين الشهود فما مكنني ، فقيل لي : إنّ علاء الدين ابن غانم واسطة خير ، وله عليه إدلال عظيم ، ودلوني إلى هذا المكان ، وبكى ، فقال له : اقعد هنا لأكشف لك خبر ابن غانم ، وأرجو من الله إصلاح أمرك ، فأجلسه وانطلق من وقته فدخل على ابن صصرى وكلمه بإدلاله بحيث قال له : أنت قاسي القلب ، وأنت أنت ، فقال له : ما الخبر ؟ فقال : هذا القاضي الفلاني ، أي شيء ذنبه حتى عزلته ؟ فقال : من صفته كذا وكذا وقيل عنه كذا وكذا ، فقال : والله كذب عليه ، وأنا والله ما أعرفه ، ودل عليّ ، وحلف أنه ما ارتشى قط ولا له ما يتعشّى

به ، ورقّ قلبي له ، ووالله العظيم لا خرجت من عندك حتى توليه وظيفته ، وتكتب تقليده وتكبت عدوه فقال : هذا ما يمكن ، ومالي عادة إذا عزلتُ أحداً أعود إليه ، فقال : والله ما أخرج حتى توليه ، وإن لم تسمع مني لا عدت أكلمك أبداً ، فلم يزل حتى ولاّه من ساعته ، وكتب تقليده وأشهد عليه بذلك ، فقال : وتعطيه عمامتك وفرجيتك خلعة عليه ، فلم يمكنه مخالفته ، ثم قال : وتكتب له على الصدقات خمسمائة درهم ، ففعل ذلك جميعه ، وأتى إلى منزله فأخذ ثوباً ودلقاً له ووضع الجميع في بُقجة وأتى إليه وهو ينتظره ، فحين رآه قال له : ايش قال لك ابن غانم ؟ فأخرج التوقيع ، وكان في ذهنه أن يسعى له في الجلوس بين الشهود ، فلما قرأ التوقيع كاد يموت فرحاً ، ثم أعطاه العمامة والفرجية والخمسمائة وقال : هذا من قاضي القضاة ، وهذا الدلق والغلالة مني ، فأكبَّ على يديه يقبلهما ، فلم يمكنه وقال : أنا والله ما عملت معك هذا إلا لله تعالى ، فابتهل بالدعاء له .

وله من هذا وأشباهه ما لا يكاد ينضبط ، ولو بسطت مناقبه لطال الفصل][1] .

وكان وقوراً مليح الهيبة منور الشيبة، ملازم الجماعة مطرح الكلف ؛ حدث عن ابن عبد الدايم والزين خالد وابن النشبي وجماعة ؛ وكان بيته رحمه الله تعالى مأوى كل غريب ، وبابه مقصد كل ملهوف . وله النظم والنثر ، ومدحه شعراء عصره ؛ وكان آخر من بقي من رؤساء دمشق .

كتب إلى العلامة شهاب الدين محمود :

لقد غبتَ عنا والذي غاب محسودُ   وأنت على ما اخترت من ذاك محمودُ[2]
حللنا محلاًّ بعد بعدك مُمْحِلاً   به كلُّ شيءٍ ما خلا الشرَّ مفقود
به الباب مفتوح إلى كلّ شقوةٍ   ولكنْ به بابُ السعادةِ مسدود

---

[1] ما بين معقفين لم يرد في ر والزركشي ، وهو في المطبوعة .
[2] ر : مجهود .

فكتب إليه شهاب الدين محمود الجواب :

أأحبابنا بنتم وشَطَّ مزاركم   برغمي وحالت دون وصلكم البيدُ
وروّعتمُ روضَ الحمى بفراقكم   فشابت نواصي بانِهِ وَهْو مولود
ومن لم تهجه الوُرْقُ وجداً عليكمُ   توهَّم أن النوحَ في الدوح تغريد

وكتب إليه الشيخ نجم الدين الصفدي :

شنفَ الأسماعَ بالنظم الذي   قد حكى الأنجم في ظلمائها
وبدا كالشمسِ إلا أنه   زاد في النور على لألائها

فأجاب :

ليس للمملوك إلا مدحه   في معاليك وفي آلائها
وبحارُ الفضل تجري منك لي   فمقالي قطرةٌ من مائها

وقال رحمه الله تعالى : عتبني شهاب الدين محمود وهو صاحب الديوان وقال : بلغني أن جماعة كتاب الإنشاء يذمّونني وأنت حاضر ما تردّ غيبتي ، فكتبت إليه :

ومن قال إن القومَ ذموك كاذبٌ   وما منك إلا الفضلُ يوجد والجودُ
وما أحدٌ إلا لفضلك حامدٌ   وهل عيبَ بين الناس أو ذُمَّ محمود

فأجاب بأبياتٍ منها :

علمتُ بأني لم أذمَّ بمجلسٍ   وفيه كريمُ القومِ مثلك موجودُ
ولستُ أزكّي النفسَ إذ ليس نافعي   إذا ذُمَّ مني الفعلُ والإسم محمود
وما يكره الإنسان من أكلِ لحمه   وقد آن أن يبلى ويأكله الدود

قال : ولم يكن [بعد] ذلك إلا أيام قلائل حتى توفي ، رحمه الله تعالى ، وأكله الدود .

ومن شعر علاء الدين ابن غانم لما أمسك كراي المنصوري نائب الشام[1] :

أنا راضٍ بحالتي لا مزيد ... وبأن لا أزال عبدَ الحَميدِ
لي[2] في أمرِ كافلِ الملكِ بالشا ... م عظاتٌ للحازم المستفيد
جاءه بالتقليد أرغون بالأم ... سِ وولّى وعاد بالتقييد

ومنه :

وكم سرحةٍ لي بالربى زَمَنَ الصبا ... أشاهدُ مرأى حسنها متمليا
ويسكرني عَرْفُ الشذا من نسيمها ... فأقضي هوىً من طيبه حتفَ أنفيا
وأسأل فيها مبسمَ الروض قبلةً ... فيبرز من أكمامه ليَ أيديا
فلِلّهِ روضٌ زرته متنزهاً ... فأبدى لعيني حسنَ مرأىً بلا رِيا
غدا الغصنُ فيه راقصاً ونسيمه ... يكرّ على من زاره متعدّيا
ترجّلتِ الأشجارُ والماء خَرَّ إذ ... نسيم الصبا أضحى به متمشيا
تغني لديه الورقُ والغصنُ راقصٌ ... فيعرق وجهُ الأرضِ من كثرة الحيا

وقال :

فعدَّ نفسك من أهل القبور بها ... فعن قليلٍ اليها سوف تنتقل
واذكر مصارعَ قومٍ قد قضوا ومضوا ... كأنهم لم يكونوا بعد ما رحلوا
يا ليت شعريَ ما قالوا وقيل لهم ... وما الذي قد أجابوا عندما سئلوا

ومن نثره في صفة قلعة ذات أودية ومحاجر : لا تراها العيون لبعد مَرْماها إلا شزرا ، ولا ينظر ساكنها العدد الكثير إلا نَزْرا ، ولا يظنّ ناظرها إلا أنها طالعة بين النجوم بما لها من الأبراج ، ولها من الفرات خندق[3]

---

١ كان الأمير سيف الدين كراي المنصوري حتّى سنة ٦٩٩ مستقراً في نيابة صفد ؛ ولما تواترت الأخبار بنزول غازان على الشام وجه مع آخرين لمواجهته ، ويبدو أن القبض عليه تم بعد ذلك .

٢ ر : أنا .

٣ ر : خندقاً .

يحفها كالبحر إلا أن هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، ولها وادٍ لا يقي لَفْحة الرمضاءِ ولا حرَّ الهوَاجر ، وقد توعَّرت مسالكه فلا يُداس فيه إلا على المحاجر ، وتفاوت ما بين مرآه العلي وبين قراره العميق ، ويقتحم راكبه الهولَ في هُبوطه فكأنما خرّ من السماء أو تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق .

٣٥٦

ابن خروف النحوي

علي بن محمد بن خروف ، نظام الدين أبو الحسن ابن خروف الاندلسي ؛ حضر من إشبيلية ، وكان إماماً في العربية ، محققاً مدققاً ماهراً مشاركاً في علم الأصول ، صنف شرحاً لكتاب سيبويه جليل الفائدة ، حمله إلى صاحب الغرب فأعطاه ألف دينار ، وشرحا للجُمَل ، وكتابا [1] في الفرائض ، وله ردٌّ على أبي زيد السهيلي وعلى جماعة في العربية . أقرأ النحو بعدة بلاد ،

....

٣٥٦ — الزركشي : ٢٢٤ والبدر السافر : ٢٩ وابن الشعار ٤ : ٤٠٩ وصلة الصلة : ١١٤ والتكملة رقم : ١٨٩٤ وزاد المسافر رقم : ٦ ومسالك الأبصار ١١ : ٤٨٠ والذيل والتكملة ٥ : ٣٩٦ ونفح الطيب ٢ : ٦٤٠ ؛ وهذا ابن خروف هو علي بن محمد بن يوسف قرطبي هاجر إلى المشرق ، وأقام بحلب وفيها توفي متردياً في بئر حوالي سنة ٦٢٠ ؛ وهناك ابن خروف آخر وهو علي بن محمد ابن علي ، اشبيلي ، وهو الإمام المشهور بالنحو ؛ وقد خلط الكتبي بينهما هنا ، إذ ان هذا النحوي هو الذي شرح كتاب سيبويه وتوفي سنة ٦٠٩ وقد وردت ترجمته في صلة الصلة : ١٢٢ والتكملة رقم : ١٨٨٤ وبرنامج الرعيني : ٨١ ومعجم الأدباء ١٥ : ٧٥ وابن خلكان ٣ : ٣٣٥ : وهذا الخلط الذي وقع فيه الكتبي وقع فيه أيضاً ابن الساعي في الجامع المختصر : ٣٠٦ والسيوطي في البغية : ٣٥٤ ؛ قلت : وهذه الترجمة في ر .

١ ر : وكتاب .

وأقام في حلب مدة ، واختلّ عقله بأخرة حتّى مشى في الأسواق عُرْياناً باديَ العورة مكشوف الرأس ، وتوفي سنة تسع وستمائة .

ومن شعره في كاس :

أنا جسمٌ للحُمَيَّا والحميا ليَ روحُ
بين أهل الظرف أغدو كلَّ يومٍ وأروح

وقال في صبي مليح حبسه القاضي :

أقاضي المسلمين حكمتَ حكماً أتى وجهُ الزمانِ به عبوسا
حبَسْتَ على الدراهم ذا جمال ولَمْ تحبسه إذ سلبَ النفوسا

وكتب إلى قاضي القضاة محيي الدين ابن الزكي يستقيله من مُشارفة مارستان نور الدين ، وكان بوّابه يسمى السِّيد ، وهو في اللغة الذئب :

مولاي مولاي أجرني فقد أصبحتُ في دار الأسى والحتوفْ
وليس لي صبر على منزلٍ بوابه السِّيدُ وجدّي خروف

ودعاهُ نجم الدين ابن اللهيب إلى طعامه فلم يجبه ، وكتب إليه :

ابنُ اللهيب دعاني دعاءَ غيرِ نبيهِ
إن سِرْتُ يوماً إليه فوالدي في أبيه

وقال فيه :

يا ابن اللهيب جعلتَ مذهبَ مالكٍ يدعو الأنام إلى أبيك ومالك
يبكي الهـُدى ملءَ الجفونِ وإنما ضحك الفسادُ منَ الصلاح الهالك

وقد قال فيه أيضاً :

لابن اللهيب مذهبٌ في كلِّ غيّ قد ذهبْ
يتلو الذي يبصره « تبت يدا أبي لهب »

وكتب إلى القاضي بهاء الدين بن شداد يطلب منه فروة قَرَض[1] :

بهاءَ الدين والدنيا ونوء المجد والحسب
طلبتُ مخافة الأنوا ءِ من نعماك جلدَ أبي
وفضلك عالم أني خروفٌ بارعُ الأدب
حلبتُ الدهرَ أشْطُرَه وفي حَلَبٍ صفا حلبي

وقال في نيل مصر :

ما أعجبَ النيلَ ما أحلى شمائله في ضفتيه من الأشجار أدواحُ
من جنة الخلد فَيّاضٌ على ترع تَهبُّ فيها هبوبَ الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زَعَموا وإنما هي أرزاقٌ وأرواح

وقال :

واشربوا كلَّ صباح لبناً واشربوا كلَّ أصيل عَسَلا
واعلسوا[2] ذاك إلى أعدائكم من قسيِّ النَّبلِ أو رُقْش الفلا

وقال :

لا ترجُوَنَّ لمثلي من هذه الراح تَوْبَه
فإنما هي ليلى وإنما أنا توبه

قال القوصي : وقع ابن خروف في جب بحلب ليلاً فمات ، وذلك في سنة تسع وستمائة ، رحمه الله تعالى .

---

١ انظر ابن خلكان ٧ : ٩٤ .
٢ علس : أطعم أو شوى .

٣٥٧
مجد العرب

علي بن محمد بن غالب ، أبو فراس العامري المعروف بمجد العرب ؛ شاعر جال ما بين العراق والشام ومدح الملوك والأكابر ، ولبس أخيراً لبس الأتراك ، وتوفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

ومن شعره :

أمتعِبَ ما رَقَّ من جسمه   بحمل السيوفِ وثقلِ الرماحِ
علام تكلَّفْتَ حملانها   وبين جفونك أمضى السلاح

وقال أيضاً :

فارق تَجِدْ عِوَضاً عمن تفارقه   في الأرض وانْصَبْ تلاقِ الرشدَ في النَّصَبِ
فالأسد لولا فراق الغاب ما فرستْ   والسهمُ لولا فراقُ القوسِ لم يصب

٣٥٨
ابن الأعمى

علي بن محمد بن المبارك ، الأديب كمال الدين ابن الأعمى الشاعر ، صاحب المقامة التي في الفقراء المجردين ، وكان شيخاً كبيراً من بقايا شعراء

---

٣٥٧ – الزركشي : ٢٢٥ ؛ والترجمة في ر .
١ ر والزركشي : تلاقي .
٣٥٨ – الزركشي : ٢٢٥ والشذرات ٥ : ٤٢١ ؛ والترجمة ثابتة في ر .

الدولة الناصرية ، انقطع في آخر عمره بالقليجية[1] ، وكان مقرئاً بالتربة الأشرفية ، ووالده الشيخ ظهير الدين الأعمى كان خطيب القدس ؛ وكانت وفاة كمال الدين سنة اثنتين وتسعين وستمائة .

ومن شعره :

أنا في حالة النوى والتداني ... لستُ أثني عن الغرام عناني
لا يرومُ السلوَّ قلبي ولا يفـ ... ـترُ عن ذكر من أُحبُّ لساني
وسواء إذا المودّة دامت ... نظري بالعيان أو بالجنان
فاقترابُ الديار لفظٌ وقربُ الـ ... ـودِّ معنىً، فاسلك سبيلَ المعاني
لستُ ممن يرضى بطيف خيال ... قانعاً في هواهُمُ بالهوان
إنّ طيفَ الخيالِ دلَّ على أنّ الـ ... ـكرى قد يُلم بالأجفان
غير أني تشتاقُ عيني إلى من ... حلَّ من مهجتي أعزَّ مكان
وبروحي ظبياً تغار غصونُ الـ ... ـبان منه ويخجل النيِّرَان
ذو قوام يغنيه عن حَمله الرمـ ... ـحَ وجفن وسنانه كالسنان
كتب الحسنُ فوق خدّيه بين الـ ... ـماء والنار فيهما جنتان
حرس الوردُ منهما نرجسَ اللحـ ... ـظِ فَلِمْ سيّجوه بالريحان
عارضٌ عوّذته . ياسينُ لما ... أن تبدّى كالنمل أو كالدخان
يلبس الحسن كلَّ وقت[2] جديداً ... فلهذا أخلقتُ ثوب التواني
يا خليليَّ خلياني ووجدي ... وامزجا لي بذكره واسقياني
وإذا ما قضيت سكراً من الوجـ ... ـد فلا تحزنا ولا تدفناني
فأيادي ذا الناصر الملكِ تحيـ ... ـي كإحيائها الندى وهو فاني

وقال يذم دار سكناه ويبالغ فيها :

---

١ المدرسة القليجية : كانت داخل البابين الشرقي وباب توما ، بناها مجاهد الدين بن قليج محمد ، وقد ضاعت معالمها (الدارس ١ : ٤٣٤) .

٢ ر : وقتاً .

دار سكنتُ بها أقلُّ صفاتها ... أن تكثر الحسراتُ من حشراتها
الخيرُ عنها نازحٌ متباعدٌ ... والشرُّ دانٍ من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوضُ عدمته ... كمْ أعدم الأجفانَ طيبَ سِناتها
وتبيت تُسْعدها براغيثٌ متى ... غنتْ لها رقصتْ على نغماتها
رقصٌ بتيقيظ[1] ولكن قافه ... قد قدِّمتْ فيه على أخواتها
وبها ذبابٌ كالضبابِ يسدّ عيـ ... ـنَ الشمس ما طربي سوى غناتها
أين الصوارمُ والقنا من فتكها ... فينا وأين الأسد من وثَباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز ... أبصارنا عن حصر كيفياتها
تعشي العيون بمرها ومجيئها ... وتصمُّ سمعَ الخلد من أصواتها
وبها خفافيش تطير نهارها ... مع ليلها ليست على عاداتها
شبهتها بقنافذ مطبوخة ... نزع الطهاةُ بنضجها شوكاتها
شوكاتها فاقت على سُمْر القنا ... في لونها وتمامها وشياتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت ... عنه العتاقُ الجردُ في حملاتها
فترى أبا غزوان منها هارباً ... وأبا الحُصَين يروغ عن طرقاتها
وبها خنافسُ كالطنافسِ أفرشت ... في أرضها وعَلَتْ على جنباتها
لو شمّ أهلُ الحرب منتن فَسْوها ... أردى الكُماة الصِّيدَ عن صهواتها
وبنات وردانٍ وأشكالٌ لها ... مما يفوتُ العينَ كنه ذواتها
متراحم متراكم متحارب ... متراكب في الأرض مثل نباتها
وبها قرادٌ لا اندمالَ لجرحها ... لا يفعل المِشراطُ مثل أداتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها ... حجامةٌ لبدت على كاساتها
وبها من النملِ السليمانيّ ما ... قد قل ذرُّ الشمس عن ذراتها
لا يدخلون مساكنا بل يحطمو ... ن جلودنا ؛ فالعقر[2] من سطواتها

١ في المطبوعة : بتنغيص .
٢ ر : فالعقو .

ما راعني شيء[1] سوى وزغاتها   فنعوذُ بالرحمن من نزغاتها
سجعتْ على أوكارها فظننتها   وُرْقَ الحمام سجعنَ في شجراتها
وبها زنابير تُظَنّ عقارباً   لا برء للمسموم من لدغاتها
وبها عقاربُ كالأقارب رتّعاً   فينا حمانا الله لدغ حُماتها
فكأنما حيطانها كغرابلٍ   أطلعن أرؤسهن من طاقاتها
كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا   ة ولا حياة لمن رأى حيّاتها
السم في نَفَثاتها والمكر في   فلتاتها والموتُ في لفتاتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها   والأرض قد نسجت ببزاقاتها
ولقد رأينا في الشتاء سماءها   والصيف لا تنفك من صعقاتها
فضجيجها كالرعد في جنباتها   وترابها كالوبل في خشباتها
والبومُ عاكفةٌ على أرجائها   والآل يلمع في ثرى عرصاتها
والنار جزء من تَلَهُّبِ حرّها   وجهنمٌ تُعْزَى إلى لفحاتها
قد رممت من قبل أن يلقى لآدم أمّنا   حوّاء في عرفاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها   ورأيت مسطوراً على عتباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا   تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
أبداً يقول الداخلون ببابها   يا رب نَجِّ الناس من آفاتها
قالوا إذا ندب الغراب منازلاً   تتفرقُ السكانُ من ساحاتها
وبدارنا ألفا غرابٍ ناعق   كذبَ الرواةُ فأين صدق رواتها
صبراً لعل الله يُعقبُ راحةً   للنفس إذ غلبت على شهواتها
دارٌ تبيتُ الجنّ تحرسُ نفسها   فيها وتنذر باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفرداً والعين شو   قاً للصباح تسحُّ من عبراتها
وأقول : يا رب السموات العلى   يا رازقاً للوحش في فلواتها

---

١ ر : شيئاً .

أسكنتني بجهنم الدنيا ففي أخراي هَبْ لي الخلد في جناتّها
واجمع بمن أهواه شملي عاجلاً يا جامعَ الأرواحِ بعد شتاتّها

وكتب إلى الملك الحافظ[1] يستهدي نطعاً :

يا ملكاً قد خُلقتْ كفُّهُ للفرقِ بين الضرِّ والنفعِ
وملكاً صيرني عبدَه إحسانُه في القول والصنع
وماجداً أنوارُ أسيافه مُشرقةٌ في ظُلم النقع
نحن بحمد الله في عيشةٍ مرضية بالعقل والشرع
إذا شبعنا بعد طول الطَّوى ليس لنا نقلٌ سوى الصفع
والشغل قد دار على رسمه والوقتُ محتاجٌ إلى النطع

وله في حمام ضيق شديد الحرّ ليس فيه ماء بارد :

إن حَمّامنا الذي نحن فيه قد أناخ العذابُ فيه وخَيَّمْ
مظلم الأرضِ والسما والنواحي كلُّ عيبٍ من عيبه يتعلم
حرجٌ بابه كطاقة سجنٍ شهد الله مَنْ يجزْ فيه يندم
وله مالك غدا خازن النّا رِ بلى مالك أرق وأرحم
كلما قلتُ قد أطلتَ عذابي قال لي اخسأ فيه ولا تتكلم
قلت لما رأيته يتلظّى ربنا اصرف عنا عذابَ جهنم

وأهدى إليه صاحبٌ صحنَ حلاوة ولم يكن جيداً ، فكتب إليه :

إنّ في صحنك المسمى حلاوه رقةً تورثُ القلوبَ قساوهْ
كم حفرنا فلم نجد غير أرض الـ صحن يبساً كمثل أرضِ السماوه
لستُ أدري من سُكَّرٍ كان أم من عسلٍ حين لم تَشُبْه نداوه
غير أني رأيت صحناً صغيراً ما عليه من النعيم طلاوه

---

[1] هو محمد بن شاهنشاه بن بهرام شاه الأيوبي أبو عبد الله غياث الدين ، توفي بدمشق سنة ٦٩٣ (ابن الفرات ٨ : ١٨٩) .

شبهته العيون حين أتانا وجه مولودة عليه غشاوه
لا تكن تحسبُ الصداقة هذا ليس هذا صداقةً بل عداوه

٣٥٩

ابن بسام البغدادي

علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ، أبو الحسن البغدادي ، أحد الشعراء ، ابن أخت ابن حمدون النديم ، وله هجاء خبيث ، استفرغ شعره في هجاء والده ، وهجا جماعة من الوزراء كالقاسم بن عُبَيد الله و [أبي] جعفر ابن الزيات .

وتوفي سنة اثنتين وثلثمائة .

وهو من بيت كتابة ، وله من الكتب كتاب « أخبار عمر بن أبي ربيعة » وكتاب « المعاقرين » وكتاب « مناقضات الشعراء » وكتاب « أخبار الأحوص » وديوان رسائله .

ومن شعره في وزارة بني الفرات :

إذا حكم النصارى في الفروجِ وتاهُوا بالبغال وبالسُّروجِ
فقل للأعور الدجّال هذا أوانُكَ إن عَزَمْتَ على الخروج

وقال : كنت أتعشق غلاماً لخالي أحمد بن حمدون ، فقمت ليلة لأدبّ

---

٣٥٩ – ليست هذه الترجمة مستدركة على ابن خلكان ، فقد وردت عنده ٣ : ٣٦٣ « علي بن محمد ابن منصور بن نصر » وانظر الفهرست : ١٥٠ ومعجم المرزباني : ١٥٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ١٦٣ ومعجم الادباء ١٤ : ١٣٩ واللباب (البسامي) والهدايا والتحف : ١٣٩ واعتاب الكتاب : ١٨٨ ومروج الذهب ٤ : ٢٩٧ والزركشي : ٢٢٥ ؛ وقد وردت الترجمة في ر .

عليه ، فلما قربت منه لسبتني عقرب ، فصرخت فانتبه خالي وقال : ما تصنع ها هنا ؟ فقلت : جئت لأبول ، فقال : صدقت ، في است غلامي ، فقلت لوقتي :

ولقد سريتُ على الظلام لموعد حصلته من غادر كذابِ
فإذا على ظهر الطريق مُعَدَّة سوداء قد عرفت أوان ذهابي
لا بارك الرحمن فيها عقرباً دبابةً دبتْ على دَبّاب

فقال خالي : قبحك الله ، لو تركت المجون يوماً لتركته في هذا الحال .

وقال : كنت أتقلد البريد في أيام عبيد الله بن سليمان بن وهب ، والعاملُ بها أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد ، فأهدى إلي ليلة عيد الأضحى بقرة ، فاستقللتها ورددتّها وكتبت إليه :

كم من يدٍ لي إليك سالفةٍ وأنت بالحقّ غيرُ معترفِ
نفسك أهديتها لأذبحها فصنتُها عن مواقعِ التلف

٣٦٠
علاء الدين ابن الكلاس

علي بن محمد ، علاء الدين الدواداري ، يعرف بابن الريس وابن الكلاس ؛ كان جنديا بدمشق ، رأيته بسوق الكتب غير مرّة ؛ كان فاضلاً أديباً ناظماً ناثراً ، له تعاليق ومجامع تدل على حسن اختياره فيها على فضله[1] ؛ توفي بحطين

٣٦٠ — الزركشي : ٢٢٦ والجواهر المضية ٢ : ٣٠٦ والدرر الكامنة ٣ : ١٩٧ ؛ وعند الزركشي أنه توفي سنة ٧٢٨ وذكر أنه دخل في الجندية وحصل له اقطاع جيد بحلقة دمشق ، قال : وبلغني أن له تاريخاً ؛ وهذه الترجمة في ر .

١ كذا وردت العبارة في ر .

– قريةٍ من قرى صفد – في سنة ثلاثين وسبعمائة .

ومن شعره :

خليليَّ ما أحلى الهوى وأمَرَّهُ   وأعلمني بالحلو منه وبالمر
بما بيننا من حرمةٍ هل رأيتما   أرقَّ من الشكوى وأقسى من الهجر

وقال أيضاً :

تقدّمتُ فضلاً من تأخر مدّةً   بوادي الحيا طَلٌّ وعقباه وابلُ
وقد جاء وتراً في الصلاة مؤخراً   به ختمت تلك الشفوع الأوائل

وقال :

فكرتُ في الأمر الذي أنا قاصدٌ   تحصيله فوجدته لا ينجحُ
وعلمت من نصف الطريق بأنَّ مَن   أرجوه يقضي حاجتي لا يفلح

وقال لغزاً في رغيف :

ومستديرِ الوجه كالتّرسِ   يجلسُ للناسِ على كرسي
يدخل مثل البدر حمامه   وبعدها يخرجُ كالشمس
يوصّل السلطانَ في دسته   واللصَّ في هاوية الحبس
لو غاب عن عنترةٍ ليلةً   وَهَتْ قوى عنترة العبسي

وقال :

من مبلغ غربيل[1] أن رحيله   جلب السرورَ وأذهبَ الأحزانا
والناسُ من فرط الشماتةِ خلفه   كسروا القدورَ وأوقدوا النيرانا

وقال :

وأهيف تحكي البدرَ طلعةُ وجهه   وإن لم يكنْ في حسن صورته البدرُ

---

[1] الزركشي : غبريل .

خلوتُ به ليلاً يدير مدامةً　　وجنحُ الدجى دون الرقيب لنا سِتر
فلما سرتْ كأسُ الحميا بعطفه　　ومالت به تيهاً ورنحه السكر
هممت بلثم[1] الثغر منه فصدني　　عذارٌ له في منع تقبيله عذر
حَمَتَى ثغره المعسولَ نملُ عذاره　　ومن عجبٍ نملٌ يُصانُ به ثغر

٣٦١

علاء الدين الشاعر المنجم

علي بن محمود بن حسن بن نبهان بن سند ، علاء الدين أبو الحسن اليشكري الربعي البغدادي الأصل البصري المولد ، الشاعر المنجم ؛ ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وتوفي سنة ثمانين وستمائة .

سمع بدمشق من ابن طبرزد والكندي ، أخذ عنه الدمياطي وغيره ، وسمع منه البرزالي ، وكانت له يد طولى في علم الفلك وحل التقاويم ، مع النظم وحسن الخط ، وكانت وفاته بدمشق .

ومن شعره :

ولما دهاني الخطبُ من كل وجهةٍ　　وأصبح حالي حائلاً متبدلا[2]
عكفتُ على الأفلاك أرجو معونةً　　بها أو بسعد للكواكب يُجتَلَى
فخاطبتُ منها المشتري بعد زهرة　　فما ازددتُ إلا حيرةً وتقلقلا
أما والعُلا لوكنتُ خاطبتُ عاقلاً　　لأصغى إلى ما قلته وتأملا

---

١ الزركشي : برشف ؛ ر : بلثم .

٣٦١ — الزركشي : ٢٢٦ والشذرات ٥ : ٣٦٧ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٠ وابن الشعاره : ٥٨ ؛ ووردت الترجمة في ر .

٢ ر : متبذلا .

ولكن خطابي أطلساً[1] غير سامع مقالي له [. . .][2]
فلا فَلَكُ التدوير للقول يرعوي ولا الـكوكب الدريُّ يفهم مقولا
وليس سوى الخلاّقِ جل جلاله أوجِّهُ وجهي نحوه متوسلا[3]

وقال :

إني أغار من النسيم إذا سَرَى بأريج عرفك خيفَةً من ناشقِ
وأود لو سُهِّدْتُ لا من علةٍ خوفاً عليك من الخيال الطارق

وقال :

من لى بمقتبل العذارِ كأنه مسكٌ بوردة خدّه مفتوتُ
وتخالُ جمرَ الخدِّ يحرقُ خاله النَّدّيَّ إلا أنه ياقوت

وقال أيضاً :

وسِربٍ من الغيد الحسان عرَضْنَ لي فخلتُ ظباءً بالصريم نوافرا
تكحلن سحراً واعتجرن دياجياً ولحن صباحاً وابتسمن جواهرا
وأقبلن في خضر الحلَى فكأنما سلبن غصوناً أو لبسن مرائرا
نصبت لها أشراكَ عيني طَماعةً وقد رفعت خُمْراً وجرَّتْ غدائرا
فغادرن قلبي في الحبائل واقعاً وان كان لبي بالصبابة طائرا

وقال في صبي لعب وعرق وأخذ المرآة ينظر وجهه فيها :

لما غدا تعباً وكَلَّ لَ وَجْهَهَ عرقُ المراحِ
أخذ المراءة فاجتلى في الورد نوّار الأقاح
لا بل حَبَاب قد طفا من وجنتيه فوق راح

---

١ ر : أطلس .
٢ بياض في ر ؛ وفي المطبوعة : ما ساعني متأهلا ؛ ولا معنى له ؛ والبيت ساقط من الزركشي .
٣ ر : مترسلا .

وقال :

ولما أتاني[1] العاذلون عدمتهم وما منهمُ إلا للَتحْمِيَ قارِضُ
وقد بُهِتوا لما رأونيَ شاحباً وقالوا به عينٌ فقلت وعارض

وقال :

أشممتَ من عَرْفِ الصَّبا المتضوع طيباً تأرج عن ظباء الأجرعِ
وافى يقصُّ عليَّ أخبار الغضا ففهمتُ من رياه ما لم أسمع
رقَصَتْ قدودُ الدَوح عند هبوبه وترنمتْ وُرْقُ الحمام السجَّع
وسرى عليلاً إذ براه هواهمُ مَنْ لم يُطِقْ حمل الهوى يتوجع
فسقى حيا جفني إذا ضنَّ[2] الحيا داراً[3] لهم بين العذيب ولَعلَع
أوطان لهوٍ قد قضتْ أوطارنا غفلات أيامٍ لنا لم ترجع
وبمهجتي قاسٍ عليَّ وإنه ليميله نَفَسُ النسيم المولع
جذلان مقتبل الشباب بطرفه نظر الأبيِّ وكسرة المتخضع
متمنعٌ لما سألتُ وصاله واذلَّتي من عزه المتمنع
لقضيتي في الحب سقمٌ شاهدٌ لو تسمع الشكوى ودمعٌ مدَّعي

وقال :

ومُعَذَّرٍ غاض الجمال بوجهه من بعد ما قد كان ليس بغائضِ
وعذاره بالنتفِ يصبح واقعاً فكأنَّ عارضه أُصيبَ بعارض

وقال :

لا تُضعْ بالفصاد من دمك الطيِّـ ـبِ واستَبْقِه فما ذاك رشدُ
فهو إن حالَ ريقةً كان خمراً وإذا جال في الخدود فورد

---

١ ر : أتوني .
٢ ر : ظن .
٣ ر : دار .

وقال ذوبيت :

يا ليلة وصلنا سقتك السحبُ عودي فعسى يقرّ هذا القلبُ
إذ طاب عتابنا فيا فوزيّ لو أكثرت ذنوباً كي يطولَ العتب

وقال أيضاً :

أهوى قمراً تحار منه الحورُ كالصبح سناً وفرعه ديجورُ
يزورُ مقطباً إذا أبصرني[1] كالكأسِ إذا عاينها المخمور

وقال :

قم نشربها فقد أضاءَ الشرقُ والصبحُ فقد بدا لنا يَنْشَقُّ
قم نسلب روح الزقّ حتى نحيا سكراً ويموت بالفراق الزق

٣٦٢

علاء الدين الوداعي

علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد ، الأديب البارع المقرىء المحدث الكاتب المنشىء ، علاء الدين الكندي المعروف بالوداعي كاتب ابن وداعة ؛ ولد سنة أربعين وستمائة تقريباً ، وتوفي سنة ست عشرة وسبعمائة .

تلا بالسبع على القاسم الأندلسي ، وطلب الحديث ونسخ الأجزاء ، وسمع من الخشوعي والكفرطابي والصدر البكري وعثمان ابن خطيب

---

١ ر : انصرني .

٣٦٢ – الزركشي : ٢٢٧ والدرر الكامنة ٣ : ٢٠٤ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٣٥ والشذرات ٦ : ٣٩ والبداية والنهاية ١٤ : ٧٨ ولسان الميزان ٤ : ٢٦٣ ودول الإسلام ٢ : ١٦٩ وذيل العبر : ٨٧ والدارس ١ : ١١٤ ؛ ووردت الترجمة في ر .

القرافة والنقيب ابن أبي الجن وابن عبد الدايم وغيرهم ، ونظر في العربية ، وحفظ كثيراً من أشعار العرب ، وكتب المنسوب ، وخدم موقعاً بالحصون ، وتحول إلى دمشق ، وهو صاحب « التذكرة الكندية » الموقوفة بالسميساطية في خمسين مجلد[1] بخطه ، فيها عدة فنون ، وتوفي ببستانه عند قبة المسجف ، وكان شيعياً ، وكان شاهداً بديوان الجامع الأموي ، وولي مشيخة النفيسية[2] وكانت له ذؤابة بيضاء إلى أن مات .

ومن شعره فيها :

يا عائباً مني بقاءَ ذؤابتي — مهلاً فقد أفرطتَ في تعييبها
قد واصَلَتْني في زمان شبيبتي — فعلامَ أقطعها زمانَ مشيبها ؟

وقال :

من زار بابك لم تبرحْ جوارحه — تروي محاسنَ ما أوليتَ من مِنَنِ
فالعينُ عن قُرَّةٍ والكفّ عن صلةٍ — والقلبُ عن جابرٍ والأذنُ عن حسن

وقال :

وذي دلالٍ أحورٍ أهيفٍ — أصبحَ في عقــد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاساته — وقال ساقي قلت في وسطي

وقال :

ولم أردِ الوادي ولا عدتُ صادراً — مع الركب إلا قلت يا حادِيَ النوقِ
فديتك عرّجْ بي وعرّسْ هنيهةً — لعلي أبلّ الشوقَ من آبل السوق

وقال :

١ كذا في ر .

٢ نسبة إلى النفيس إسماعيل بن محمد الحراني الذي وقفها داراً للحديث ؛ وقد درس فيها الوداعي عشر سنين الى أن مات (انظر الدارس ١ : ١١٤) .

لا أرى لَقْطَ عارضيه قبيحاً يا عذولاً[1] عن حبه ظل ينهى
وجهه روضة وغير عجيبٍ أنه يلقط البنفسج منها

وقال أيضاً :

أتيت إلى البلقـاء أبغي لقاءكم فلم أركم فازداد شوقي وأشجاني
فقالت ليَ الأقوامُ من أنت راصدٌ لرؤياه قلتُ الشمسُ قالوا بحسبان

وقال :

لنا صاحبٌ قد هذب الشعرَ طبعُهُ فأصبح عاصيه على فيه طَيِّعا
إذا خَمّسَ الناسُ القصيدَ لحسنه فحقّ لشعرٍ قاله أن يسبعا

وقال :

قل للذي بالرفض أتهمني أضلّ[2] الله قصده
أنا رافضيٌّ ألعن الشيخين أباه وجده

وقال :

قالوا حبيبك قد دامت ملاحته وما أتاه عـذارٌ إنّ ذا عجبُ
فقلت خداه تبرٌ والعذار صَدا وقد زعمتم بأن لا يصدأ الذهب

وقال :

رَوٌّ بمصرٍ وبسكانها شوقي وجدد عهديَ البالي
وصف لي القرط وشنف به سمعي وما العاطل كالحالي
وارو لنا يا سعدُ عن نيلها حديثَ صَفْوان بن عسال
فهوَ مرادي لا يزيد ولا ثورا وإن رقا وراقا لي

وقال في مليح سمين كثير الشعر :

تعشقت فَلاّحاً بنيرب جلقٍ ففي حسنه لا في الرياض تفرجي

---

١ ر : عذول . ٢ ر : أظل .

وقالوا اسْلُ عنه فهو عَبْلٌ ومشعر   وما هو إلا من جبال البنفسج

وقال :

سمعتُ بأن الكحل للعين قوةٌ   فكحلت في عاشور مقلةَ ناظري
لتقوى على سَحِّ الدموع على الذي   أذاقوه دونَ الماء حرَّ البواتر

وقال :

سئل الورد عندما استقطروه   لمْ كذا عذبوك بالنيرانِ
قال ما لي جناية غير أني   جئت بعض السنين في رمضان

وقال :

لا نال من وصلك ما يسومه   إن كان قد أصغى لمن يلومُهُ
حاشا حشاه أن يبيت ليلة   مقفرةَ من الهوى رسومه
واوحشةَ الصبّ الذي أنيسُهُ   أنينه ودمعه حميمه
النوم لا يلوي على جفونه   وصبره يلوي به غريمه
هذا وما يشكو سوى عذوله   فكم بما[1] يسوءهُ يسومه
وكيف يسلو عن غزالٍ دمعه   عقيقهُ ووده صريمه
إن لم يكن في الحسن عن بدر الدجى   خليفةً فإنه قسيمه
قباؤه سماؤه عذاره   هالته أزراره نجومه
كالأقحوان والبروق ثغره   أشمه إن شيتُ أو أشيمه
طوبى لمن يسعده زمانه   وذاك في نَدِيِّهِ نديمه

وقال :

كلما دغدغَتْ أكفُّ الجنوبِ   خصرَ نهر وعطفَ غصنٍ رطيبِ
إنثنى الغصن ضاحكاً بالأزاهيـ   ـر وزاد الغديرُ في التقطيب

---

١ ر : لما .

وإذا هم أن يُقَبِّلَ خدَّ الـ ـورد شوقاً ثغرُ الأقاح الشنيب
خال أن النيلوفرَ الغضَّ والنر جس أذن الواشي وعين الرقيب

وقال :

ويومٍ لنا بالنيربين رقيقةٌ حَواشيه خالٍ من رقيب يشينُهُ
وقفنا على الوادي نحييه بكرة[1] فردتْ علينا بالرؤوس غصونه
وقد هبَّ عُلْويُّ النسيم فلم تزلْ تغازلنا من كلِّ نَهرٍ عيونه
ومالت بنا الجُرْدُ العتاق إلى رَشاً جديدِ العذارِ رائقات فنونه
من التّرك تقري الطارقين جفانُهُ وتفري قلوبَ العاشقين جفونه
يرنحه سكرُ الدلالِ فينثني فينهضه من شعره زَرجونه
إذا تاهتِ الأبصارُ في ليلِ شعره هداهنَّ من فَرْقِ الصباح جبينه

وقال :

ليس لي بالصدود منك يَدانِ لا ولا طاقةٌ على السلوانِ
وإذا ما أردتُ كتمانَ وجدي نمَّ دمعي وكان شانيَ شاني
حَرُّ قلبي من برد قلبك عني وسهادي من طرفك الوَسْنان
وعذولي لما رأى منك إعرا ضاً رثى لي وان أطلت رثاني
وغرامي هو العذاب وما فيـ ـضُ دموعي إلا حميم آن
ودماء سقت[2] سماء خدودي فغدت وهي وردة كالدهان
فتكَرَّمْ بعطفة والتفاتٍ مثل باقي الغصون والغزلان

وقال :

الزهر في الأكمام راح مُقَطِّبا والريحُ قد خطرت عليه بذيلها
وغدت تبشره بإقبالِ الحيا حتى تبسم ضاحكا من قولها

---

١ الدرر الكامنة : وقفنا فسلمنا على الدوح غدوة .
٢ د : شقت .

وقال :

إن أسرع العارضُ في وجنته فأسرعتْ تَعيبُهُ اللوائمُ
فما نباتُ خده أول من قد دخل الجنةَ وهو ظالم

وقال :

هيهات ما أنا بالمفيقِ من الهوى ما دام يسكرني بحسنٍ فائقِ
متناسبٌ في حسنه متجانسٌ برشيق قامته وطرفٍ راشق
سقياً لوادي النيربين فكم لنا من صابح فيه الغداة وغابق
أيامَ ليس لنا عدوٌّ أزرقٌ غير البنفسج والخزامى العابق
كلا ولا للغانيات مُشاققٌ في حمرةِ الوجنات غيرُ شقائق
والغصنُ يُلْحِفُنا[1] بظلٍّ ساكنٍ والنهرُ يلقانا بقلب خافق

٣٦٣

ابن سعيد المغربي

علي بن موسى بن سعيد المغربي الغماري الأديب نور الدين ، ينتهي نسبه إلى عمار بن ياسر ؛ ورد من الغرب وجال في الديار المصرية والعراق والشام ، وجمع وصنف ونظم ، وهو صاحب كتاب « المغرب في أخبار المغرب » و « المشرق في أخبار المشرق » و « المرقص والمطرب »

---

١ الزركشي : يلحظنا .

٣٦٣ — المغرب ٢ : ١٧٨ واختصار القدح : ١ والديباج المذهب : ٢٠٨ وتاريخ السلامي : ١٤٥ وبغية الوعاة : ٣٥٧ ومسالك الأبصار ٨ : ٣٨٢ والذيل والتكملة ٥ : ٤١١ والنفح ٢ : ٢٦٢ والزركشي : ٢٢٨ والبدر السافر : ٣٥ ؛ وهذه الترجمة وردت في ر .

و « ملوك الشعر » ؛ توفي بدمشق في شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة[1] .

حكي أنه كان يوماً في جماعة [من] شعراء عصره المصريين، وفيهم أبو الحسين الجزار ، فمروا في طريقهم بمليح نائم تحت شجرة ، وقد هب الهوا فكشف ثيابه عنه فقالوا : قفوا بنا لينظم كل منا في هذا شيئاً ، فابتدر الأديب نور الدين فقال :

الريح أقودُ ما يكون لأنها[2] تبدي خفايا الرِّدفِ[3] والأعكانِ
وتميّلُ الأغصانَ عند هبوبها حتّى تقبّلَ أوجهَ الغدران
فلذلك العشاقُ يتخذونها رسُلاً[4] ، إلى الأحباب والأوطان

فقال أبو الحسين : ما بقي أحد منا يأتي بمثل هذا . وقال :

لله من أقطار جلّقَ روضة راقَتْ لنا حيث السحابُ يُراقُ
وتلوّنتْ أزهارها فكأنما[5] نزلتْ بها الأحبابُ والعشاق

وقال :

أنا من علمت بشوقه ذكر الحمى وتُساقُ روحي والركابُ تساقُ
أخلصتُ في حبي وكم من عاشقٍ في ما ادعاه من الغرام نفاق
يدعوالحمامُ وترقصُ الأغصان من طربٍ بهم وتصفقُ الأوراق
وَحدي جمعتُ من الهوى مثلَ الذي جمعوا كذاك تقسَّم الأرزاق

وقال أيضاً :

في جلق نزلوا حيث النعيم غدا مطولاً وهو في الآفاق مختصرُ

---

١ الأرجح أن وفاة ابن سعيد تأخرت عن هذا التاريخ ، وانها كانت في حدود ٦٨٥ ، فقد ترجم له ابن رشيد في رحلته (الورقة ١٦٩ من نسخة الاسكوريال رقم ١٧٣٧) وذكر أنه لقيه بتونس؛ وهذا يجعل وفاته متأخرة عن التاريخ الذي ذكره المؤلف .

٢ الزركشي : رأيت فانها .

٣ الزركشي : الصدر .

٤ ر : رسل .

٥ ر : فكأنها .

فكل وادٍ به موسى يفجره ... وكلّ روض على حافاته الخضِر

وقال :

يا غصن روض سقته أدمعي مطراً ... وليس لي منه لا ظل ولا ثمرُ
طال انتظاري لوعد لا وفاء له ... وإن صبرت فقد لا يصبر العمر

وقال في جزيرة مصر[1] :

تأمّل لحسنِ الصالحية إذ بدتْ ... وأبراجها مثلُ النجوم تلالا
ووافى إليها النيلُ من بعد غاية ... كما زار مشغوفٌ يرومُ وصالا
وعانَقَها من فرطِ شوقٍ محبها ... فمدّ يميناً نحوها وشمالا

وقال :

إن للجبهة في قلبي هَوًى ... لم يكنْ عنديَ للوجه الجميلِ
يرقصُ الماء بها من طربٍ ... ويميل الغصنُ للظل الظليل
وتودُّ الشمسُ لو باتت بها ... فلذا تصفرُّ أوقاتَ الأصيل

وقال :

إذا الغصونُ غَدَتْ خفاقةَ العذب ... فاسجد هديتَ إلى الكاسات واقتربِ
وطارِحِ الورقَ في أوراقها طرباً ... وملْ إذا مالتِ الأغصانُ من طرب
وانهضْ إلى أمِّ أنسٍ بنتِ دسكرةٍ ... تجلى عليك بإكليلٍ منَ الذهب
وانظر إلى زينةِ الدنيا وزخرفها ... في روضةٍ رقمتها أنمل السحب
وللأزاهرِ أحداقٌ محدّقة ... قد كحلتها يمينُ الشمسِ بالذهب

وقال أيضاً :

أسكانَ مصرٍ جاور النيلُ أرضكم ... فأكسبكم تلك الحلاوةَ في الشعرِ
وكان بتلك الأرضِ سحرٌ وما بقي ... سوى أثرٍ يبدو على النظم والنثر

---

١ النفح ٢ : ٢٦٩ .

وقال[1] :

يا واطىء النرجس ما تستحي أن تطأ الأعينَ بالأرجلِ
قابلْ جفوناً بجفونٍ ولا تبْتَذِلِ الأرفعَ بالأسفل

وقال :

انظر إلى الغيم كيف يبدو وقد أتى مُسبَلَ الإزارِ
والبرقُ في جانبيه يذكي أنفاسه وهو كالشرار
ما طاب هذا النسيم إلا والجوّ من عنبر ونار

وقال :

أتى عاطلَ الجيد يوم النوى وقد حان موعدنا للفراقِ
فقلدته بلآلي الدموع ووشّحته بنطاقِ العناق

٣٦٤
صاحب شذور الذهب

علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف ، أبو الحسن الأنصاري الأندلسي الجياني نزيل فاس ؛ ولي خطابة فاس ، وهو صاحب كتاب « شذور الذهب في صناعة الكيمياء » توفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

لم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معاني وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب ، حتى قيل فيه : إن لم يعلمك صنعة الذهب ، علمك صنعة الأدب ،

١ النفح ٢ : ٢٦٩ ، ٢٧١ .

٣٦٤ — يعرف بابن النقرات ، وقال ابن عبد الملك (٥ : ٤١٢) إنه كان حياً سنة خمس وتسعين ؛ وانظر التكملة رقم : ١٨٧٧ والنفح ٣ : ٦٠٥ .

وقيل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء ، وقصيدته الطائية أبرزها في ثلاث مظاهر : مظهر غزل ، ومظهر قصة موسى ، والمظهر الذي هو الأصل في صناعة الكيمياء ، وهذا دليل على القدرة والتمكن ، وأولها :

بزيتونة الدهنِ المباركة الوسطى غنينا فلم نبدل بها الأثْلَ والخمْطا
صفونا فآنسنا من الطور نارَها تُشَبُّ لنا وهناً ونحن بذي الأرطى
فلما أتيناها وقَرَّبَ صبرنا على السير من بعْدِ المسافة ما اشتطا
نحاول منها جذوةً ما ينالها من الناس من لا يعرف التبض والبسطا
هبطنا من الوادي المقدّس شاطئاً إلى الجانب الغربيِّ نمتثل الشرطا
وقد أرج الأرجاءُ منها كأنها لطيب شذاها نحرق العود والقُسْطا [1]
وقمنا فألقينا العصا في طلابها إذا هي تسعى نحوها حيةً رقطا
وثار لطيفُ النقع عند اهتزازها وأظلم من نور الظهيرة ما غَطّى
ومد إليها الفيلسوفُ يمينه فجاذبها أخذاً وأوسعها ضغطا
فصارت عَصاً في كفه وأحبَّها فأخرجها بيضاء تجلو الدجى كشطا
فلم أر ثعباناً أذلّ لعالم سواها ، ولا منها على جاهل أسطى
هي المركبُ الصعبُ المرام وإنها ذلولٌ ولكنْ لا لكلٍّ من استمطى
فأعْجِبْ بها من آيةٍ لمفكّرٍ يقصّر عن إدراكها كل من أخطا
وتفجيرها من صخرةٍ عشرَ أعين وثنتين تسقي كلَّ واحدة سِبْطا
وتفليقها رَهْواً من البحر فاستوى طريقاً فمن ناج ومن هالك غمطا
فتالك عصانا لا عصا خيزرانةٍ على أنها في كف ممسكها ألطا
وقد كان للزيتون فيها قساوة ولكنَّ لين الدهن صيرها نقطا
تسيل بماء الخدّ أبيضَ صافياً إذا ما شرطناها على ساقها شرطا
ومن قبل ما أغوى أبانا بذوقها جذاذاً فأخطا والقضاء فما أخطا

---

[1] عند هذا البيت ينتهي ما بقي من القصيدة والترجمة في ر .

قَطَفْتُ جنَاها واعتصرت مياهها ... فجمّدتُ ما استعلى وذوبت ما انحطا
ولينة الأعطاف قاسية الحشا ... إذا نفثت في الصخر تصدعه هبطا
كأن عليها من زخاريف جلدها ... رداءً من الوشي المفوّف أو مرطا
توصل إبليسٌ بها في هبوطه ... إلى الأرض من عدْنٍ ففارقها سخطا
أمَتُّ بها حياً وسوّدت أبيضاً ... وأسرفتُ في قلع السواد فما أبطا
وأحييتُ تلك الأرض من بعد موتها ... بريٍّ وكانت تشتكي الجدب والقحطا
كأن العيونَ الثابتات بخصرها ... عقدن نطاقاً أو على جيدها سمطا
كأن من البدر المنير مشابهاً ... ومن أنجم الجوزاء في أذنها قرطا
كأن من الصدغ الذي فوق خدها ... على ورده نوناً ومن خاله نقطا
ظفرتُ بها بالنفس من جسْمِ أمها ... كما ظفرت بالقلب في صدره لقطا
وأرضعتها بالدر من ثدي بنتها ... فعاشت وكانت قبلُ ماتت به عبطا
فحلّتْ به روح الحياة كأنما ... مزجْتُ لها في ذلك الدر إسفنطا
وصيرتها بنتاً وصيرت بنتها ... لها مرضعاً فاعْجَبْ لمرضعة شمطا
فحالت هناك البنتُ والأم فضةً ... فتًى لم يزاحمه العذار ولا خطا
له منظر كالشمس يعطي ضياءه ... وليس كمثل البدر يأخذ ما أعطى
فهذا الذي أعيا الأنام فأضمروا ... لمن وضع الأرمازَ في علمه سخطا
وهذا هو الكنز الذي وضعوا له ... برابيَّ إخميمٍ وخصُّوا بها قفطا
وتخليصه سهلٌ بغير مشقة ... لمن عرف التطهيرَ والعقدَ والخلطا
أبا جعفر خذها إليك يتيمةً ... تورَّعَ لوقا أن يورّثها قسطا
ولكنني لما رأيتك أهلها ... سمحت بها لفظا وأثبتها خطا

ومن شعره أيضاً في الصناعة :

لقد قلبت عيناي عن عينه قلبي ... بلينة الأعطاف قاسية القلبِ
يهيمُ الفتى الشرقي منها بغادة ... تشوق إلى شرق وترغب عن غرب

هي الشمسُ إلا أنها قمرية | هي البدر إلاّ أنّه كامن الشهب
إذا الفلكُ الناريُّ أطلع شهبها | على الذروة العليا من الغُصُنِ الرطب
تراءت عروساً برزة الوجه تبتغي | رفاقاً وكانت خلف ألف من الحجب
فزوّجها بكراً أخاها لأمها | أبوها رجاءً في المودة والقرب
فعاد بها حياً وكان فراقها | له سبباً إذ مات من شقة الحب
فجنّ هوًى لما استجنت بنفسه | وطار فقالت بعد جَهْدٍ له حسبي
ولما ثنته عن طبيعته التي | بدت عنه إلا أن تناهبها قلبي
تعالى عن الأشباه لوناً وجوهراً | وجل فلم ينسب إلى طينة التّرب

٣٦٥

ابن عصفور

علي بن مؤمن بن محمد بن علي ، العلامة ابن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي حامل لواء العربية بالأندلس ؛ أخذ عن الأستاذ أبي الحسن الدبّاج ، ثم عن الأستاذ أبي علي الشَّلَوْبين ، وتصدّى للاشتغال مدة ، ولازم الشّلوبين عشر سنين إلى أن ختم عليه كتاب سيبويه ، وكان أصْبر الناس على المطالعة لا يمل ذلك ، وأقرأ بإشبيلية وشريش ومالقة ولورقة ومُرْسية .

قال ابن الزبير[١] : لم يكن عنده ما يؤخذ عنه سوى العربية ولا تأهل

٣٦٥ — الذيل والتكملة ٥ : ٤١٣ وصلة الصلة : ١٤٢ وبغية الوعاة : ٣٥٧ والزركشي : ٢٣٣ وله ترجمة مسهبة في رحلة ابن رشيد (الورقة : ٩١ من نسخة الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ؛ وقال ابن عبد الملك إنه توفي سنة ٦٥٩ ؛ وقال ابن الزبير : انه توفي في عشر السبعين وستمائة ؛ ولعل تعيين وفاته سنة ٦٦٩ أدق ، وما ورد عند ابن عبد الملك سهو .

١ في المطبوعة : ابن الأثير ، والتصويب عن الزركشي ، والنص موجود في صلة الصلة .

لغير ذلك ، قال : وكان يخدم الأمير أبا عبد الله محمد بن أبي بكر الهنتاتي .
ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وتوفي سنة تسع وستين وستمائة ، بتونس ؛ ولم يكن بذلك في الورع ، كان الشيخ تقي الدين ابن تيمية يدعي أنه لم يزل يُرْجَم بالنارنج في مجلس الشراب إلى أن مات .

ومن تصانيفه كتاب « الممتع » وكتاب « المفتاح » وكتاب « الهلال » وكتاب « الأزهار » وكتاب « إنارة الدّياجي » وكتاب « مختصر الغرة » وكتاب « مختصر المحتسب » وكتاب « السالف والعذار » وكتاب « شرح الجمل » وكتاب « المقرب »[1] في النحو ، يقال : إن حدوده كلها مأخوذة من الجزُولية ، وكتاب « البديع » شرح الجزولية و « شرح المتنبي » و « سرقات الشعراء » و « شرح الأشعار الستة » و « شرح المقرب » و « شرح الحماسة » وهذه الشروحات لم يكملها ، وله غير ذلك .

ومن شعره :

لما تدنست بالتخليط في كبري ... وصرت مُغرًى برشف الراح واللَّعسِ
رأيت أن خضاب الشيب أستر لي ... إنّ البياضَ قليلُ الحمل للدنَس

٣٦٦
ابن ماكولا

علي بن هبة الله بن جعفر بن علكان بن محمد بن دُلف بن القاسم بن

١ نشر بتحقيق الاستاذ الجواري والجبوري (الجزء الأول، بغداد ١٩٧١) وبتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة (حلب) .

٣٦٦ — ليست هذه الترجمة من المستدرك على ابن خلكان فقد وردت ترجمة ابن ماكولا في الوفيات (٣ : ٣٠٥) وانظر المنتظم ٩ : ٥ ومعجم الادباء ١٥ : ١٠٢ وتذكرة الحفاظ : ١٢٠١ =

عيسى ، المعروف بابن ماكولا ؛ كان أبوه وزير جلال الدولة بن بُوَيه ، وكان عمه أبو عبد الله الحسين بن جعفر[1] قاضي القضاة ببغداد ، وكان عالماً حافظاً متقناً ، وكان يقال عنه : الخطيب الثاني .

قال ابن الجوزي : سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدح فيه ويقول : يحتاج إلى دين[2] .

صنف كتاب « المختلف والمؤتلف » جمع فيه بين كتاب الدارقطني وعبد الغني والخطيب وزاد عليهم زياداتٍ كثيرة ، وله كتاب « الوزراء » .

وكان نحوياً مجوداً شاعراً صحيح النقل ، ما كان في البغداديين في زمانه مثله ؛ سمع أبا طالب بن غيلان وأبا بكر بن بشران وأبا القاسم بن شاهين وأبا الطيب الطبري ، وسافر إلى الشام والسواحل وديار مصر والجزيرة والثغور والجبال ، ودخل بلاد خُراسان وما وراء النهر ، وجال في الآفاق .

ولد بعُكبرا سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وتوفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة؛ قال الحميدي : خرج إلى خراسان ومعه غلمان له تُرْك ، فقتلوه بجرجان وأخذوا ماله وهربوا ، وطاح دمه هدراً .

ومن شعره :

ولما تفرقنا تباكَتْ قلوبنا فممسك دمعٍ عند ذاك كساكبه
فيا نَفسيَ الحرّى البسي[3] ثوب حسرة فراقُ الذي تهوينه قد كساك به

وقال أيضاً :

فؤاد ما يفيق من التصابي أطاع غرامه وعصى النواهي

= وابن الأثير ١٠ : ١٢٨ وعبر الذهبي ٣ : ٣١٧ والشذرات ٣ : ٣١٨ والرسالة المستطرفة : ١١٦ والزركشي : ٢٣٤ ومقدمة الإكمال ؛ والمشهور في نسبه علي بن هبة الله بن علي بن جعفر .

١ ابن خلكان : الحسين بن علي بن جعفر .

٢ كذا وردت العبارة عند الزركشي ؛ وفي معجم الأدباء : « العلم يحتاج إلى دين » .

٣ في المطبوعة : اكتسي ؛ وما اثبته موافق للزركشي ومعجم الأدباء .

وقالوا لو تَصَبَّرَ كان يسلو وهل صَبر يساعد والنوى هي

وقال أيضاً :

علمتني بهجرها الصبر عنها فهي مشكورة على التقبيحِ
وأرادت بذاك قبحَ صنيعٍ فعلته فكان عينَ المليح

وقال أيضاً :

أقول لقلبي قد سلا كلٌّ واحدٍ ونَفَّضَ أثواب الهوى عن مناكبهْ
وحبك ما يزدادُ إلا تجلداً فيا ليت شعري ذا الهوى مَن مناكَ به

وقال أيضاً :

تجنبتُ أبوابَ الملوك لأنني علمتُ بما لم يعلم الثّقلانِ
رأيتُ سهيلاً لم يحِدْ عن طريقه من الشمس إلا من مقام هوان

٣٦٧
نجم الدين الحلي

علي بن يحيى بن بطريق ، نجم الدين أبو الحسن الحلي الكاتب ؛ كتب بالديار المصرية أيام الدولة الكاملية ، ثم اختلّت حاله فعاد إلى العراق ومات ببغداد سنة اثنتين وأربعين وستمائة ؛ وكان فاضلاً أصولياً .

قال القوصي : أنشدنا لنفسه بدمشق وكتب بها إلى ابن عنين ، وكان به جَرَبٌ انقطع بسببه في داره :

مولاي لا بِتَّ في همي وفي نصبي ولا لقيتَ الذي ألقى من الجربِ

---

٣٦٧ – الزركشي : ٢٣٤ .

هذا زماني[1] أبو جهلٍ وذا جربي أبو مُعَيْط وذا قلبي أبو لهب

وأنشدني لنفسه وقد بلغه أنّ الملك الأشرف أعطى الحلّي سيفاً محلّى فتقلّد به وتشبّه بالحيص بَيْص :

تقلد راجحُ الحليُّ سيفــاً محلّى واقتنى سمر الرّماحِ
وقال النّاس فيه فقلتُ كفوا فليس عليه في ذا مِنْ جُناح
أيقدر أن يُغيرَ على القوافي وأموالِ الملوكِ بلا سلاح

وقال أيضاً :

لي على الريق كلَّ يوم ركوبٌ في غبار أغصّ منه بريقي
أقصد القلعةَ السَّحُوق كأني حَجَرٌ من حجارة المنجنيق
فدوابي تحفى وجسميَ يضنى هـذه قلعة على التَحْقيقِ

٣٦٨

[ابن الذروي]

علي بن يحيى ، القاضي الوجيه المعروف بابن الذروي ؛ شاعر مجيد ، وكانت وفاته بالديار المصرية سنة [. . .][2] ومن شعره :

جُنَّ به العاذلُ لما رآهْ وعاد يستعذرُ مما جنَاهْ

١ في المطبوعة : زمان ، والتصويب عن الزركشي .

٣٦٨ — الخريدة (قسم مصر) ١ : ١٨٧ وذكر المحقق هنالك أن له ترجمة في المغرب لابن سعيد (قسم مصر) ٢ : ١٧٠ (من نسخة دار الكتب المصرية) وابن سعيد ينقل عن كتاب السيل والذيل للعماد وعن ديوان ابن الذروي ، وانظر كتاب الروضتين ٢ : ٢٧ والزركشي : ٢٣٤ وصفحات متفرقة من بدائع البدائه ؛ وبقي جزء يسير من هذه الترجمة في ر .

٢ بياض في المطبوعة ، وكذلك عند الزركشي ، وذكر محقق الخريدة أنه توفي سنة ٥٧٧ .

أتاه كي يهدي إلى سلوةٍ عنهُ فضلّ العقلُ منه وتاه
وهل يطيعُ القلبُ تقييدهُ وقد عصى لما نهته نهاه
الحبُّ بالكتمان عقل فإن تجدْ به وشّاهُ قول الوشاه
وما على العاذلِ من مغرم شفاؤهُ ما ضمنتهُ الشفاه
هويته كالروض في حسنهِ إذ رضيتْ بالوصف مني حلاه
ينور وجهاً وابتساماً ، فما نعرف منه الثغر لولا لماه
إن لم يكن بدراً على بانة فإن بين المنظرين اشتباه
أنكر من قَتْليَ ألحاظُهُ منه دماً تعرفه وَجنْتَاه
وَشَفّني سُقْماً فما ضره لو أبرأ السقم الذي قد براه

وقال أيضاً :

ألمّ وطرف النجم قد كاد يغمض خيالٌ إذا دَبَّ الكرَى يتعرَّضُ
سري ليَ من أقصى الشآم وبيننا فيافٍ على الساري تطول وتعرض
هدته من الأشواقِ نارٌ دخانُها همومٌ عليه صبغةَ الليل تنفض
وأداه للعشاقِ دمعٌ تقطرت مرائرنا في مائه فهي عَرْمَض
له الله من طيفٍ متى ذقتُ هجعةً أتتني به خيلُ الأمانيّ تركض
يواصلني عمن هو الدهرَ هاجر ويقبل لي عمن هو الدهرَ معرض
وما شاقني إلا تألقُ بارقٍ أرقتُ له والجوُّ بالصبح يحرض
وللغيم مسكٌ في ذرانا مطبّق وللطل كافورٌ لدينا مرضرض
وقد أشرب الصهباء من كفِّ شادن حلاه على شرب المدام تحرِّض
يروقك خد منه للثم أحمر ويصبيك[1] ثغر منه للرشف أبيض
فللحسن من هذا شقيق مذهب[2] وللطيب من ذا أقحوان مفضض

١ المطبوعة : نصيبك ، والتصويب عن الزركشي .
٢ المطبوعة : مهذب ، وما أثبته عن الزركشي .

وندمان صدق قد بلوت وكلهم لودك يصفي أو لنصحك يمحض

وقال أيضاً :

يا بانُ إن كان سكان الحمى بانوا ففيضُ شاني له في إثرهم شانُ
ويا حمائمُ إن سَجَّعتِ مسعدة فلي على دوحةِ الأشواقِ ألحان
أبكي الأحبة أو أبكي منازلهم فإن مضى ذكر نعمى قلت نعمان
قد كان في تلك أوطار نعمت بها ولَّتْ كما كان من هاتيك أوطان
من لي بأقمار أنس في دجى طرر أفلاكها العيسُ والأبراج أظعان
تلك القدودُ مع الأردافِ إن خطرتْ ما القضبُ قضبٌ ولا الكثبان كثبان
سقوا من الحسن ماءً واحداً فبدا منهم لنا غير صنوان وصنوان
يا يومَ توديعهم ماذا به ظفرت عيني من الحسن لو والاه إحسان
جئنا فولّى بها الإعراضُ من حذرٍ فكيف لم تتلَفَّتْ وهي غزلان
من كل قانيةِ الخدين ناهدة لو كان للضمِّ أو للثم إمكان
يدلُّ في وجنتيها الجلَّنارُ علىً أن الذي حاز منها الصدر رمان
كم طِرْتُ شوقاً إليها في الرياح ضنى فظن بلقيس وافاها سليمان

وقال أيضاً :

ما بين وجهك والهلال سوى أنَّ الأهلة لا تميتُ هوى
لله منظرُ مَن كلفتُ به ماذا من الحسنِ البديع حوَى
والنجمُ منه إذا هوى وروى ما ضلَّ مثلي عاشق وغوى
ما الغصنُ هزته الجنوب إذا ما السكر هز قوامَهُ ولوى
لام العذولُ وقد رآه وكم عاوٍ على البدر المنير عوى
يا مَنْ غدا بنَوَاهُ يوعدني ليكنْ عقابك لي بغير نوى
انظر إلى جسمي يذوبُ ضنًى وانظر تجد قلبي يفتُّ جوى

وقال من أبيات :

أنت المنى والمنايا للأنام فإن أردت آمِنْ قلوب الناس أو أخِفِ
قال العواذل كم تعنى . به أسفاً فقلت : يا أسفي إن حُلتُ عن أسف
يا من تَعَطّفتِ الصدغان منه على ذلي وما قلبه القاسي بمنعطف
إن كان عندك عدوى كلِّ ذي جنَف فإن عنديَ بلوى كلِّ ذي دَنَف
أقولُ والفجرُ قد لاحتْ بشائره والجوُّ قد كاد[1] يكسى حلة السدف
والليلُ خلف عصا الجوزاءِ من خَوَرٍ فذاك في عمره للشيب والخرف
راهنتَ يا نجمُ جفني في السهاد وقد بدا بأجفانك التسهيدُ فاعترف

ودخل الوجيه ابن الذروي إلى الحمام ومعه ابن وزير الشاعر ، فقال ابن وزير[2] :

لله يومي بحمام نعمت بها[3] والماء ما بيننا من حوضها جاري
كأنه فوق شفاف الرخام ضحى ماء يسيل على أثواب قصار

فقال ابن الذروي :

وشاعرٍ أوقد الطبع الذكي[4] له فكاد يحرقه من فرط إذكاء
أقام يُعْمِلُ أياماً قريحته[5] وشبه[6] الماء بعد الجهد بالماء

ولابن الذروي في الحمام :

إن عيش الحمام أطيب عيش[7] غير أن المقام فيها قليلُ

---

١ المطبوعة : كان ؛ و التصويب عن الزركشي .
٢ انظر بدائع البدائه : ٢٥٩ – ٢٦٠ ؛ وابن وزير هو النجيب هبة الله بن وزير ؛ الخريدة – قسم مصر – ٢ : ١٤٣ .
٣ البدائع : به .
٤ البدائع : الذكاء .
٥ البدائع : يجهد .. رويته .
٦ البدائع : وفسر .
٧ البدائع : عيش هني .

فهيَ مثل المليك[1] يُصفي لك الو دَّ ولكنَّ وده مستحيل
جنة تكره[2] الإقامة فيها وجحيم يطيب فيه الدخول
فكأن الغريق فيها كليم وكأن الحريق فيها خليل

وفيه يقول ابن المنجم :

لا تحسبنَّ الوجيه حين كسا بُرْدَتَهُ للغلام من غلطه
والله ما لَفّه ببردته إلا لأخذ القضيب من وسطه

٣٦٩
[ابن القفطي]

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى ، وزير حلب، القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبو الحسن ابن القِفطي ، أحد الكتاب المشهورين ، وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً ؛ ولد بقفط من الصعيد الأعلى بالديار المصرية وأقام بحلب ، وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل ؛ ولد سنة ستين[3] وخمسمائة وتوفي سنة ست وأربعين وستمائة .

---

١ ر : الملوك .

٢ ر : يكره .

٣٦٩ – الزركشي : ٢٣٤ وابن الشعار ٥ : ١ ومعجم الأدباء ١٥ : ١٧٥ ومرآة الجنان ٤ : ١١٦ وبغية الوعاة : ٣٥٨ والشذرات ٥ : ٢٣٦ والطالع السعيد : ٤٣٦ وحسن المحاضرة ١ : ٥٥٤ ومعجم البلدان (قفط) . والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٦١ والحوادث الجامعة : ٢٣٧ وانظر مقدمة المحقق على إنباه الرواة ؛ وقد وردت هذه الترجمة في ر .

٣ معجم الأدباء : ثمان وستين .

وكان صدراً محتشماً كامل السؤدد ، جمع من الكتب ما لا يوصف وقُصِد بها من الآفاق ، وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ولا زوجة ، وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين ألف دينار ، وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب ، وهو أخو المؤيد ابن القِفطي .

ومن شعره[1] :

ضدان عندي قصّرا همتي وَجْهٌ حَيِيٌّ ولسان وقاحْ
إن رمت أمراً خانني ذو الحيا ومقول يطمعني في النجاح
فأنثني في حيرة منهما لي مخلب ماضٍ وما من جنَاح
شبه جبان فر من معرك خوفاً وفي يمناه عضب الكفاح

وله من التصانيف كتاب « الضاد والظاء » وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى والخط . كتاب « الدر الثمين في أخبار المتيمين » . كتاب « من ألوّتْ الأيام عليه فرفعته ثم التوتْ عليه فوضعته » . كتاب « أخبار المصنفين وما صنفوه ». كتاب « أخبار النحويين » كبير . كتاب « أخبار مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين ». ست مجلدات . كتاب « تاريخ المغرب ». كتاب « تاريخ اليمن ». كتاب « المحلى في استيعاب وجوه كَلاّ » . كتاب « إصلاح خلل صحاح الجوهري » . كتاب « الكلام على الموطأ » لم يتم . كتاب « الكلام على صحيح البخاري » لم يتم. «تاريخ محمود بن سبكتكين وبيته[2] ». «كتاب تاريخ السلجوقية». كتاب « الإيناس في أخبار آل مرداس » . كتاب « الرد على النصارى وذكر مجامعهم » . كتاب « مشيخة تاج الدين الكندي » . كتاب « نُهزة الخاطر ونزهة الناظر ، في أحاسن ما نقل من ظهور الكتب » .

---

١ معجم الأدباء : ١٧٩ – ١٨٠ .
٢ معجم الأدباء : وبنيه .

٣٧٠

ابن الصفار المارديني

علي بن يوسف بن شيبان ، جلال الدين المارديني المعروف بابن الصفار ؛ مولده بماردين سنة خمس وسبعين وخمسمائة، ومات مقتولاً، قتلته التتار لما دخلوا ماردين سنة ثمان وخمسين وستمائة .

خدم بكتابة الإنشاء الملك المنصور ناصر الدين أرتق صاحب ماردين، وتولى كتابة أشراف دُنَيسر ثماني عشرة[1] سنة؛ كان شاعراً مجيداً، وله فضل وأدب ، وصنف كتاباً يحتوي على آداب كثيرة وسماه كتاب « أنس الملوك » وله شعر رائق منه من قصيدة :

أنا ما سلوتُ وبرقُ فيهِ خُلَّبٌ   أسلو وعارضه أمامي سائلُ ؟ !
يسعى بإبريقين : ذا من ثغرهِ   يُحيي وذا من مقلتيه قاتل
فمتى تقوم قيامتي بوصاله   ويضم شملينا مَعَادٌ شامل ؟
وأكون من أهلِ الخَطَايَا : خَدُّه   ناري وصدغاه عليَّ سلاسل

وقال أيضاً :

مشوقٌ إذا ما ارتاح هيَّجه الحب   وصبٌّ لوَبْلِ الدمع في خدّه صبُّ
إذا نفحته من ضبا الشوق نفحة   صبا نحوها والمدنف الصبُّ قد يصبو
بروحيَ ريم قد رمتني جفونُهُ   بأسهم لحظ كان برجاسها القلبُ
نضا عضْبَ جفنيه عليَّ عذاره   فمن مهجتي جفنٌ ومن لحظه عضب
يعذبُ قلبي ظالماً عَذبُ ظلمه   ولكن تعذيبي لمرشفه عذب

---

٣٧٠ – الزركشي : ٢٣٥ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٥٢ وابن الشعار ٥ : ٢٥٩ .

١ ر والزركشي : ثمانية عشر .

نصبتُ لضيف الطيفِ منه حبائلاً ... من النوم لما عزّ في اليقظة القرب
وما كنت أدري أنه رافض الهوى ... ينفّره عن زورتي ذلك النصب
تجمّعتِ الأضدادُ فيه ولم يكن ... ليجتمع الإيجاب في الشيء والسّلب
ففي خدّه نار وفي الثغر جنةٌ ... وفي لفظه سلْمٌ وفي لحظه حرب
وفي قده لين وفي القلبِ قسوةٌ ... وفي خصره جدبٌ وفي ردفه خصب

وقال أيضاً :

إذا نظرت عيني وجوهَ حبائبي ... فتلك صلاتي في ليالي الرغائبِ

منها :

تبدت لنا عند الصباحِ طليعةٌ ... من الترك مردٌ فوقَ جردٍ سلاهب
بأيديهم سمرٌ طوال كأنما ... أسنتها تبغي التقاط الكواكب
تثنّوا غصوناً في السروج وأطلقوا ... سهامَ لحاظ من قسيّ الحواجب
والقوا القنا المران عنهم وقوموا ... قدوداً أعدوها لقرع الكتائبِ
ولو كشفوا بيض العوارض في الوغى ... لأغنتهمُ عن سلِّ بيض القواضب
ترى كل عين منهمُ عين فتنةٍ ... تنادي أسودَ الحرب: هل من محارب؟
فظلت موالينا أسارى محاسنٍ ... من القوم صرعى لا أسارى المضارب
فما ملكٌ إلا أسير لمالكٍ ... ولا حاجبٌ إلا أسير لحاجب

وقال أيضاً:

هل اختط فاناد غُصْناً وريقا ... غرير[1] حكى الكأسَ ثغراً وريقا
أم الصدغُ لما صفا خدُّهُ ... تمثّل فيه خيالاً دقيقا
رنا فرمى أسهماً وانثنى ... رشيقاً فراح كلانا رشيقا
وأبدع فيه فمالي أرى ... له الخال وَهْوَ فريد[2] شقيقا

---

١ ر والزركشي : غريراً .

٢ ر والزركشي : فريداً .

وما بال مبسمه مبسماً   وما ملكته يمينٌ رقيقا
وهبه ارتوى من نمير الصبا   فكيف استحالَ بفيهِ رحيقا
فأجرى لنا مِنْ فَمٍ أولاً   وثغرٍ جديدٍ كميتاً عتيقا
حججتُ إلى كعبَةِ الحَسنِ منهُ   ووجّهْتُ وجهي إليها مَشوقا
وقبّلتهُ فوردتُ العذيب   وجزتُ الثنايا وجئتُ العقيقا

وقال :

برقٌ بدا أم ثَغرُكَ المَنعُوتُ   أم لؤلؤٌ قد ضمّهُ ياقوتُ
وظبا سيوفٍ جرّدَتْ من لحظك الا   فتّاك أم هاروتُ أم ماروت
يا للنّصارى برقعوا شمّاسكم   قبل الضلالِ فإنه طاغوت
ما قام أُقنوم الجمالِ بوجهه   إلا وفي ناسوته لاهوت
أحْسِنْ فإن الحسنَ وصفٌ زائلٌ   واصنعْ جميلاً فالجمالُ يفوت
واستبقِ أبناءَ الغرامِ فإنّهم   سيقلدوكَ دماهمُ ويموتوا

وقال :

مذ عقربتْ صدغاهُ واستجمع الا   نمل على شهد اللمى الأشنبِ[1]
تقدّم الحاجب للعارض أن   يكتُبَ بالأدهمِ في الأشهب
وقام في جيش الهوى معلناً   وصاحَ والعشاقُ في الموكب
يا أمراءَ الحسنِ لا تركبوا   القَمرُ[2] الأرضي في العقرب

وقال في غلام مليح غرق في الماء[3] :

يا أيها الرشأ المكحول ناظره   إني أعيذك مِنْ نارٍ بأحشائي[4]

---

١ عند هذا الحد تنقطع الترجمة في ر .
٢ الزركشي : فالقمر .
٣ الزركشي : وله في غلام اسمه الشمس يعوم .
٤ الزركشي : بالسحر ، حسبك قد أحرقت أحشائي .

إن انغماسك في التيار حقق أنّ   الشَّمسَ تغربُ في عينٍ من الماء

وقال أيضاً :

ويوم قرّ بَرْدُ أنفاسه   يمزّقُ الأوجهَ من قَرْصها
يومٌ تودُّ الشمسُ من برده   لو جَرَّتِ النَارَ إلى قُرْصها

أخذه من قول القاضي الفاضل : في ليلة جمد خمرها ، وخمد جمرها، إلى يوم تود البصلة لو ارتدّتْ إلى قمصها ، والشمس لو جرت النارَ إلى قرصها.

وقال أيضاً :

ما برَحتْ يوم وداعي لها[1]   تَضُمُّني ضمةَ مستأنسِ
حتى تثنى الغصنُ فوقَ النقا   وانتثر الطَّلُّ على النرجسِ

وقال أيضاً :

تعشقته أُمّيٌّ[2] حسن فماله   أتى بكتاب ضمنته سورة النملِ
ومالي أنا المجنون[3] فيه وشعره   إذا مر بالكثبان خط على الرمل

وهو مثل قول الآخر :

وتُرْكيٍّ نقيّ الخدّ ألمى   بقَدٍّ ماس كالغصنِ الرطيبِ
له شَعْرٌ حكى مجنون ليلى   يخطُّ إذا مشى فَوقَ الكثيب

وقال أيضاً :

إذا هَبَّ النسيم بِطيبِ نَشر   طرِبْتُ وقُلتُ إيهٍ يا رسولُ
سوى أني أغارُ لأن فيه   شَذَاكَ وأنهُ مثلي عليل

---

١ المطبوعة : لهم ، والتصويب عن الزركشي .
٢ المطبوعة : زاهي ، والتصويب عن الزركشي .
٣ المطبوعة : ومالي والمجنون ، والتصويب عن الزركشي .

وقال أيضاً :

وأعجبُ شيء أن ريقك ماؤه   يولِّدُ دراً وهو عذب مُرَوَّقُ
وأنك صاحٍ وهو في فيك مسكر   وأنت جديدُ الحسنِ وهو معتق

وقال أيضاً [ذوبيت] :

لا تَعْتَقِدوا شامَتَهُ في الخد   قد زخرفها تعمداً بالقصد
ذا خالقه لما بدا حاجبه   نوناً جعل النقطة فوق الخدّ

٣٧١
علية بنت المهدي

علية بنت المهدي العباسية ، أخت أمير المؤمنين هارون الرشيد ؛ كانت من أحسن خلق الله وجهاً ، وأظرف النساء[١] وأعقلهن ، ذات صيانة وأدب بارع ، تزوجها موسى بن عيسى العباسي . وكان الرشيد يبالغ في إكرامها واحترامها ، ولها ديوان شعر .

عاشت خمسين سنة ، توفيت سنة عشر ومائتين ، وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها إلى صدره ، وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى ، فشرقت من ذلك وحُمّتْ . وماتت لأيام يسيرة ، وكانت تتغزل في خادمين : أحدهما طَلّ والآخر رشاً . فمن قولها في طل وصحفت اسمه :

أيا سروةَ البستان[٢] طال تشوّقي   فهل لي إلى ظلٍّ لديكِ سبيلُ

٣٧١ – الأغاني ١٠ : ١٧١ والزركشي : ٢٣٦ ونزهة الجلساء : ٨٠ وفيه نقل عن الحصري من كتاب « النورين » ؛ وبعض الترجمة ورد في ر وسقط جزء من أولها .

١ في المطبوعة : الناس ، والتصويب عن الزركشي .

٢ في المطبوعة : الفتيان ، والتصويب عن الزركشي .

متى يلتقي مَنْ ليس يقضي خروجه وليس لمن يهوى إليه وصول

وقالت فيه أيضاً :

سلم على ذاك الغزا ل الأغيد الحسنِ الدلالِ
سلم عليه وقل له : يا غُلَّ ألباب الرجال
خليتَ جسمي ضاحياً وسكنتُ في ظِل الحجال
وبلغتَ مني غايةً لم أدرِ منها ما احتيالي

فبلغ الرشيد ذلك فحلف أنها لا تذكره ، ثم تسمّع عليها يوماً فوجدها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى: فإن لم يصبها وابل فما نهى عنه أمير المؤمنين ، فدخل الرشيد وقبّل رأسها وقال لها : قد وهبتُ لك طلاً ولا منعتك بعد هذا عما تريدين .

وكانت من أعف الناس : كانت إذا طهرت لازمت المحراب ، وإذا لم تكن طاهرةً غنت .

ولما خرج الرشيد إلى الري أخذها معه ، فلما وصلت إلى المرج نظمت قولها :

ومغتربٍ بالمرج يبكي لشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحبِّ
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تنشَّقَ يستشفي برائحة الركب

وغنت بهما ، فلما بلغ الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها ، فأمر بردها .

ومن شعرها :

إني كثرت عليه في زيارته فملَّ والشيءُ مملولٌ إذا كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى في طرفه قصراً عني إذا نظرا

وقالت :

كتمت اسم الحبيب عن العباد وردّدْتُ الصبابةَ في فؤادي

فواشوقي إلى نادٍ خليٍّ لعلي باسمِ مَنْ أهوى أنادي

وقالت :

خلوتُ بالراحِ أناجيها آخذُ منها وأعاطيها
نادمتها إذ لم أجد صاحباً أرضاه أن يشركني فيها

وهذا يشبه قول أبي نواس :

على مثلها مثلي يكون منادمي وإن لم يكن مثلي خلوت بها وحدي

وقالت :

بُني الحب على الجورِ فلو أنصف المعشوقُ فيه لسمجْ
ليس يستحسن في حكم الهوى عاشقٌ يحسنُ تأليف الحجج
وقليل الحب صرفاً خالصاً هو خيرٌ مِنْ كثير قد مزج

وقالت عريب المغنية : أحسن يوم[1] مرّ بي في الدنيا وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي وأخته علية ، وعندهم أخوهم يعقوب ، وكان من أحذق الناس بالزمر ، فبدأت علية فغنتهم من صنعتها في شعرها ، وأخوها يعقوب يزمر عليها :

تحبّب[2] فإنّ الحبَّ داعيةُ الحبّ وكم من بعيد الدار مستوجب القربِ
تبصر فإن حُدِّثتَ أن أخا هوًى نجا سالماً فارجُ النجاة من الحب
وأطيب أيام الفتى يومه الذي يروّع بالهجرانِ فيه وبالعتب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والكتب

وغنى إبراهيم وزمر عليه يعقوب :

---

١ ر : يوماً .
٢ ر : تجنب .

لم ينسنيكِ سرور لا ولا حزنُ وكيف لا كيف ينسى[1] وجهكِ الحسنُ
ولا خلا منك لا قلبي ولا جسدي كلي بكلك مشغول ومرتهن
وحيدة الحسن مالي منك مذ كلفت نفسي بحبك إلا الهم والحزن
نور تولد من شمس ومن قمر حتّى تكامل فيه[2] الروح والبدن

فما سمعت مثل ما سمعت منهما قط ، وأعلم أني لا أسمع مثله أبداً .
ولدت سنة ستين ومائة وتوفيت سنة عشر ومائتين ، رحمها الله تعالى .

٣٧٢
كمال الدين ابن العديم

عمر بن أحمد بن هبة الله ابن أبي جرادة ، الصاحب العلامة رئيس الشام ، كمال الدين العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم ؛ ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة وتوفي سنة ست وستين وستمائة ، وسمع من أبيه ومن عمه أبي غانم محمد وابن طبرزد والافتخار والكندي والحرستاني ، وسمع جماعة كثيرة بدمشق وحلب والقدس والحجاز والعراق ، وكان محدثاً حافظاً مؤرخاً صادقاً فقيهاً مفتياً منشئاً بليغاً كاتباً مجوّداً ، درس وأفتى وصنف ، وترسل عن الملوك ، وكان رأساً في الخط المنسوب لا سيما النسخ والحواشي . أطنب الحافظ شرف الدين الدمياطي في وصفه وقال : ولي قضاء حلب خمسة من آبائه متتالية ، وله الخط

١ ر : تنسى .
٢ ر : فيها .
٣٧٢ – البدر السافر : ٣٧ والزركشي : ٢٣٧ ومعجم الأدباء ١٦ : ٥ والجواهر المضية ١ : ٣٨٦ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٠٨ ومرآة الجنان ٤ : ١٥٨ والشذرات ٥ : ٣٠٣ وتاريخ ابن الوردي ٢ : ٢١٥ ؛ وأكثر المصادر على أن وفاته كانت سنة ٦٦٠ ؛ والترجمة ثابتة في ر .

البديع والخط الرفيع ، والتصانيف الرائقة منها « تاريخ حلب » أدركته المنية قبل إكمال تبييضه ، روى عنه الدواداري وغيره ودفن بسفح المقطم بالقاهرة ؛ انتهى .

قال ياقوت[1] : سألته لمَ سُميتم ببني العديم ؟ فقال : سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه ، وقال : هو اسم محدث ، ولم يكن في آبائي القدماء من يعرف به ، ولا أحسب إلا أن جدّ جدي القاضي أبا الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى ابن زهير بن [أبي] جرادة — مع ثروة واسعة ونعمة شاملة — كان يكثر في شعره من ذكر العدم وشكوى الزمان ، فسمي بذلك ، فإن لم يكن هذا سببه فما أدري ما سببه .

ولكمال الدين من المصنفات كتاب « الدراري في ذكر الذراري[2] » صنفه للملك الظاهر غازي وقدمه له يوم ولد ولده الملك العزيز ، وكتاب « ضوء الصباح في الحث على السماح » صنفه للملك الأشرف ، وكتاب « الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة » . كتاب في الخط وعلومه وآدابه ووصف طروسه وأقلامه ، وكتاب « دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري » وكتاب « تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد » . وكان إذا سافر يركب في محفة تشد له بين بغلين ويجلس فيها ويكتب ، وقدم إلى مصر رسولاً وإلى بغداد ، وكان إذا قدم إلى مصر يلازمه أبو الحسين الجزار ، فقال فيه بعض أهل العصر :

يا ابن العديم عدمت كل فضيلة ... وغدوت تحمل رايةَ الإدبارِ
ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثلها ... تيس يلوذ بصحبة الجزار

ومن شعر الصاحب كمال الدين[3] :

---

١ معجم الأدباء ١٦ : ٦ .
٢ ر : الدراري .
٣ معجم الأدباء ١٦ : ٥١ .

وأهيف معسول المراشف خلته وفي وجنتيه للمدامة عاصرُ
يسيلُ إلى فيه اللذيذ مدامةً رحيقاً وقد مرت عليه الأعاصر
فيسكر منه عند ذاك قوامه فيهتز تيهاً والعيونُ فواتر
كأن أمير النوم يهوى جفونَه إذا همَّ رفعاً خالفته المحاجر
خلوتُ به من بعد ما نام أهله وقد غارت الجوزاء والليل ساتر
فوسّدته كفي وبات معانقي إلى أن بدا ضوء من الصبح سافر
فقام يجرُّ البرد منه على تقى[1] وقمت ولم تحلل لإثم مآزر
كذلك أحلى الحبِّ ما كان فرجه عفيفاً ووصلاً[2] لم تشبه الجرائر

وقال :

فواعجبا من ريقه[3] وهو طاهرٌ حلالٌ وقد أضحى عليَّ محرما
هو الخمر لكن أين للخمر طعمُهُ ولذته مع أنني لم أذقهما

وقال :

بدا يسحر الألباب بالحسن والحسنى هلمَّ إليه إنه المقصد الأسنى
وَزُرْ بين[4] أزرار القميص ترائباً وضمَّ إليك الدعص والغصن اللدْنا

وقال ، وكتب بها إلى نور الدين ابن سعيد :

يا أحسن الناس نظماً غير مفتقرٍ إلى شهادة مثلي مع توحّدِهِ
إن كان خطي كسا خطاً كتبت به إليَّ حسناً بدا في لون أسوده
فقد أتت منك أبياتٌ[5] تعلمني نظم القريضِ الذي يحلو لمنشده

---

١ ر : نقا .
٢ ياقوت : ووصل .
٣ ياقوت : ريقها .
٤ الزركشي : وزر من .
٥ ر : أبياتاً .

أرسلتها تقتضيني ما وعدت به   والحرُّ حاشاه من إخلاف موعده
وما نسيت ولكن عاقني ورق   يجيدُ خطي فآتيه بأجوده
وسوف أسرع فيه الآن مجتهداً   حتى يوافيك بدراً في مجلده
بأحرفٍ حسنت كالوجه دار به   مثل الحواشي عذار[1] في مورّده

وكتب إلى ولده قاضي القضاة مجد الدين :

هذا كتابي إلى من غاب عن نظري   وشخصه في سواد القلب والبصرِ
ولا يمنُّ بطيف منه يطرقني   عند المنام ويأتيني على قَدَرِ
ولا كتابٌ له يأتي فأسمع من   أنبائه عنه فيه أطيبَ الخبر
حتى الشمالُ التي تسري على حلب   ضنَّت عليَّ فلم تخطر ولم تَسِر
أخُصُّهُ بِتحيّاتي وأخبره   أني سئمت من الترحال والسفر
أبيت أرعى نجومَ الليل مكتئباً   مفكراً في الذي ألقى إلى السحر
وليس لي أربٌ في غير رؤيته   وذاك عنديَ أقصى السولِ والوطر

٣٧٣

رشيد الدين الفارقي

عمر بن إسماعيل بن مسعود بن سعد بن سعيد بن أبي الكتائب، الأديب العلامة رشيد الدين أبو حفص الربعي الفارقي الشافعي، ولد سنة ثمان وتسعين [وخمسمائة] وتوفي سنة تسع[2] وثمانين وستمائة .

---

١ ر والزركشي : عذاراً .

٣٧٣ – الزركشي : ٢٣٨ وبغية الوعاة : ٣٦٠ وفيه نقل عن الذهبي ؛ وذكر أن وفاته كانت سنة ٦٨٩ وكذلك هو في عبر الذهبي ٥ : ٣٦٣ والشذرات ٥ : ٤٠٩ والأسنوي ٢ : ٢٨٦ والدارس ١ : ٣٥١ ؛ ووردت الترجمة في ر .

٢ في ر والمطبوعة : سبع ، وصوبناه اعتماداً على المصادر .

سمع من الزبيدي وابن باقا وغيرهما[1] ، وبرع في النظم ، وكتب في ديوان الإنشاء ، وله يد طولى في التفسير والبديع واللغة ، وانتهت إليه رياسة الأدب ، وأفتى وناظر ، ودرس بالظاهرية وانقطع بها ، وله في النحو مقدمتان كبرى وصغرى ، وكان حلو المناظرة مليح النادرة يشارك في الأصول والطب وغير ذلك ، ودرس بالناصرية مدة قبل الظاهرية . روى عنه الدمياطي وابن دبوقا والمزي والبرزالي وآخرون ، وكتب المنسوب ، وانتفع به جماعة ، وخُنِقَ في بيته بالظاهرية وأخذ ذهبه ، وشنق الذي خنقه على باب الظاهرية ، ودرس بالظاهرية بعده علاء الدين ابن بنت الأعز .

من شعره ما كتبه إلى جمال الدين علي بن جرير إلى قرية القاسمية على يد راجلٍ اسمه علي أيضاً :

حسدتُ علياً على كونـه توجّه دوني إلى القاسميهْ
وما بي شوقٌ إلى قريةٍ[2] ولكنْ مراديَ ألقى سميَّه

وكتب إلى شيخ الشيوخ عماد الدين ابن حمويه :

من غَرسِ نعمته وناظمِ مدحِهِ بين الورى وسميه ووليِّـه
يشكو ظماه إلى السحابِ لعله يرويه من وسميه ووليه

وقال :

خود تجمع فيها كل مفترقٍ من المعاني التي تستغرقُ الـكلما
عطت غزالاً سطت ليثاً خطتغصناً فاحت عبيراً رنت نبلاً بدت صنما

وقال وكتب بها إلى الوزير ابن جرير وقد سوغه سكنى المنيبع بدمشق :

فديت بناناً أراني الندى عياناً وكان الندى يسمعُ
وكفاً حكى البحر جوداً ومن أنامـله صحَّ لي المنبع

---

1 ر : وغيرهم .
2 الشذرات : قربه .

وقال ملغزاً في خيمة :

ما اسمٌ إذا نَصَبْتَه رفعتَ ما يُنْصَبُ به
ولا يتمُّ نَصْبُه إلا بجرّ سببَه

وقال ملغزاً في سَبسَب :

ما اسم إذا عكسته فذلك اسم للفلا
وإن تركتَ عكسه فهو المسمّى أولا

وقال ، وكتب بها إلى المكرم محمد بن بصاقة :

يا جواداً جودُ راحته أغنَت الدنيا عن الدّيَمِ
ووفياً من سجيته رَعيُ أهلِ الودّ والذمم
إنني أصبحتُ ذا ثقةٍ بكريمٍ غير متهم
خص بالحمد اسمه وغدا الـ نعتُ مشتقا من الكرم

وقال بيتين ولا يؤتى لهما بثالث :

ومخطَّفة تسبي القلوبَ وتخطف الـ عقولَ كأنَّ السحر منجفنها يوحى
رنت وسطت ظبياً وليثاً وأسفرت صباحاً وفاحت عنبراً وبدت يُوحا

٣٧٤
ابن الحسام الذهبي

عمر بن الحسام أقوش ؛ هو الشاعر زين الدين أبو حفص الشبليُّ الدمشقي الذهبي الشافعي الإفتخاري ، سألته عن مولده فقال : سنة أربع وثمانين

٣٧٤ — الدرر الكامنة ٣ : ٢٣١ والزركشي : ٢٣٨ ؛ ووردت في ر .

[وستمائة] وكانت وفاته في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

اجتمعت به غير مرة، وأنشدني كثيراً من شعره، وفيه تودد كثير وحسن صحبة وطهارة لسان، أنشدني من لفظه لنفسه:

قد أثقلتني الخطايا فكيف أخلصُ منها
يا ربّ فاغفر ذنوبي واصفح بفضلك عنها

وقال أيضاً:

يا مَنْ عليه اتكالي ومن إليه مآبي
جُدْ لي بعفوك عني إذا أخذْتُ كتابي

وقال:

يا سائلي كيف حالي في مراقبتي وما العقيدة في سري وإعلاني
أخاف ذنبي وأرجو العفو عن زللي فانظر فبين الرجا والخوف تلقاني

وقال:

ولما اعتنقنا للوداع عشيةً وفي القلبِ نيرانٌ لفرط غليلهِ
بكيتُ وهل يغني البكا عند هائمٍ وقد غاب عن عينيه وجهُ خليله؟

وقال أيضاً:

يا سيّد الوزراء دعوةَ قائلٍ من بعد إفلاسٍ وبيع أثاثِ
أبْطَتْ حوالتكم عليَّ كأنها تأتي إذا ما صِرْتُ في الأجداث
فإذا أتت من بعد موتي فاحسنوا بوصولها للأهل في ميراثي

وقال، وكتب بها إلى الصاحب شرف الدين يعقوب ناظر طرابلس يشكو من أيوب:

بُليتُ بالضرّ من أيّوبَ حين غدا ينكّدُ العيشَ في أكلٍ ومشروبِ

وزاد يعقوبُ في حزني لغيبته   فضرَّ أيوب لي مع حزن يعقوب

وقال :

إذا ما جئتكم لغناء فقري   تقول ابشرْ إذا قدم الأميرُ
وقد طالَ المطالُ وخفتُ يأتي   أميركُمُ وقد مات الفقير

٣٧٥

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، أمير المؤمنين أبو حفص الأموي رضي الله عنه ، ولد بالمدينة سنة ستين للهجرة عام توفي معاوية ، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، روى عن أنس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويوسف بن عبد الله بن سلام وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والربيع ابن سبرة وطائفة .

وكان أبيض رقيق الوجه جميلاً ، نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين ، بجبهته أثر حافر دابة، ولذلك سمي « أشجَّ بني أمية » ، وخَطَه الشيبُ؛ قيل إن أباه لما ضربه الفرس وأدماه جعل يمسح الدم ويقول : إن كنت أشجَّ بني مروان إنك لسعيد .

بعثه أبوه من مصر إلى المدينة ليتأدب بها ، فكان يختلف إلى عبد الله بن عبيد الله يسمع منه ، ولما مات أبوه عبد العزيز طلبه عمه عبد الملك إلى دمشق وزوّجه

٣٧٥ — مصادر أخباره تكاد تعز على الحصر ، وقد طبعت سيرته من تأليف ابن كثير (القاهرة) وسيرة أخرى ألفها ابن الجوزي (القاهرة ١٣٣١) وسيرة ألفها ابن عبد الحكم (دمشق ١٩٥٤) وفي المصادر التاريخية الكبرى والموجزة أخبار كثيرة عنه ، وانظر تهذيب التهذيب ٧ : ٤٧٥ وصفة الصفوة ٢ : ٦٣ وحلية الأولياء ٥ : ٢٥٣ والأغاني ٩ : ٢٥٤ ؛ والترجمة في ر .

بابنته فاطمة ، وكان قبل الإمرة يبالغ في التنعم ، ويفرط في الاختيال في المشية.

قال أنس رضي الله عنه : ما صلّيت خلف إمام أشبه بِرسول الله صلى الله عليه وسلّم من هذا الفتى ، عمر بن عبد العزيز . وقال زيد بن أسلم : كان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود . سئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر ، فقال : هو نجيب بني أمية ، وإنه يبعث يوم القيامة أمة ً وحده . وقال عمر بن ميمون بن مهران عن أبيه : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة . وقال نافع : بلغنا عن عمر أنه قال : إن من ولدي رجلاً بوجهه شين يملأ الدنيا عدلاً ، فلا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز .

ولما طُلِبَ للخلافة كان في المسجد ، فسلموا عليه بالخلافة ، فعقر به فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضَبْعَيه ، فأصعدوه المنبر فجلس طويلاً لا يتكلم ، فلما رآهم جالسين قال : ألا تقوموا فتبايعوا أمير المؤمنين ، فنهضوا إليه فبايعوه رجلاً رجلاً .

وروى حماد بن زيد عن أبي هاشم أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال : لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، فإذا رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس، فقال لك : يا عمر إذا عملت فاعمل بعمل هذين ، لأبي بكر وعمر ؛ وقيل إن عمر هو الذي رأى هذا المنام .

وقد عمل له ابن الجوزي سيرة ، مجلد كبير .

وكانت وفاته بدير سمعان لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة، سقاه بنو[1] أمية السم لما شدد عليهم وانتزع كثيراً مما في أيديهم ، وصلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً، ونقش خاتمه «عمر يؤمن بالله» وهو الذي بنى الجحفة ، واشترى ملطية من الروم بمائة الف أسير وبناها ، وروى له الجماعة .

---

١ ر : بني .

وفي عمر بن عبد العزيز يقول الشريف الرضي [1] :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتًى من أمية لبكيتك
غيرَ أني أقول إنك قد طبت وإن لم يطب ولم يزكُ بيتك
أنتَ نزّهتنا عن السبّ والقذف فلو أمكن الجزاءُ جزيتك
ولوَ اني رأيت قبرك لاستحييت من أنْ أُرى وما حييتك
ديرَ سمعان فيك مأوى أبي حفص فودّي لو أنني آويتك
أنت بالذكر بين عيني وقلبي إن تدانيتُ منكَ أو إن نأيتك
وعجيبٌ أني قليت بني مر وان طراً وأنني ما قليتك
قرب العدلُ منك لما نأى الجو ر بهم فاجتويتهم واجتبيتك
فلو اني ملكت دفعاً لما نا بك من طارق الردى لافتديتك

٣٧٦
أبو حفص الشطرنجي

عمر بن عبد العزيز ، أبو حفص الشطرنجي ، مولى بني العباس ؛ كان أبوه أعجمياً من موالي المنصور ، ونشأ عمر في دار المهدي ومع أولاد مواليه فكان كأحدهم ، وتأدب ، وكان مشغوفاً بالشطرنج ولعبه ، ولما مات المهدي انقطع إلى علية وخرج معها لما تزوجت ، وعاد معها لما عادت إلى القصر ، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء فتنتحل بعض ذلك وتترك بعضه .

---

١ ديوان الشريف ١ : ٢١٥ .
٣٧٦ — الأغاني ٢٢ : ٥٠ والسمط : ٥١٧ والزركشي : ٢٣٩ ؛ ووردت الترجمة في ر .

وقال محمد بن الجهم البرمكي : رأيت أبا حفص الشطرنجي فرأيت إنساناً يلهيك حضوره عن كل غائب ، وتسليك مجالسته عن كل الهموم والمصائب، قربه عرس، وحديثه أنس، وجده لعب، ولعبه جدّ ، دينٌ ماجن ، إن لبسته على ظاهره لبست موموقاً لا تملّه ، وإن تتبعته لتنظر خبرته وقفت على مروءة لا تطور[1] الفواحش بجنباتها ، وكان ما علمته أقل ما فيه الشعر ، وهو القائل[2] :

تحبَّبْ فإن الحبَّ داعيةُ الحبِّ   وكم من بعيد الدار مستوجب القربِ
إذا لم يكن في الحبِّ سخط ولا رِضًى   فأين حلاواتُ الرسائل والكتب
ففكر فإن حُدِّثت أن أخا الهوى   نجا سالماً فارجُ النجاةَ من الحب
وأطيبُ أيام الهوى يومُكَ الذي   تروَّعُ بالهجران[3] فيه وبالعتب

ومن شعره :

وقد حسدوني قربَ داريَ منكمُ   وكم من قريب الدار وهو بعيدُ
دخولك من باب الهوى إن أردته   يسيرٌ ولكنَّ الخروج شديد

وقال له الرشيد : يا حبيبي ، لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتهما ، فقال : ما هما يا سيدي ؟ فمن شرفهما استحسانُك ، فقال : قولك :

لم ألقَ ذا شجَنٍ يبوح بحبه   إلا حَسِبتُكِ ذلك المحبوبا
حذراً عليك وإنني بك واثقٌ   أن لا ينال سوايَ منك نصيبا

فقال : يا أمير المؤمنين ليسا لي ، هما للعباس بن الأحنف ، فقال : صدقُك والله أعجبُ إلي ، ولك والله أحسن منهما حيث تقول :

---

١ ر : تتطور ؛ والتصويب عن الأغاني . تطور : تقرب .
٢ وردت هذه الأبيات في ترجمة علية .
٣ الأغاني : بالتحريش .

إذا سَرَّها أمرٌ وفيه مَساءَتي قضيت لها فيما تريد على نفسي
وما مرّ يوم[1] أرتجي فيه راحةً فأذكره إلا بكيتُ على أمسي

قيل غضب الرشيد على علية بنت المهدي ، فأمرت أبا حفص الشطرنجي شاعرها بأن يقول شعراً يعتذر فيه عنها ، ويسأله الرضى عنها ، فقال :

لو كان يمنع حسنُ الفعل صاحبه من أن يكون له ذنب[2] إلى أحدِ
كانت علية أبرا[3] الناس كلهم من أن تكافا بسوء آخر الأبد
ما لي إذا غبت لم أذكر بواحدةٍ وإن سقمتُ فطال السقم لم أُعَد
ما أعجب الشيء ترجوه فتحرمه قد كنت أحسبُ أني قد ملأت يدي

فغنت عليه لحناً وألقته على جماعة من جواري الرشيد ، فغنينه إياه في أوّل مجلس جلس فيه ، فطرب طرباً شديداً وسأل عن القصة فأخبرنه بذلك ، فأحضر علية وقبلت رأسه واعتذرت إليه ، وسألها إعادة الصوت فغنته فبكى وقال : لا غضبتُ عليك ما عشت أبدا .

وكانت وفاة أبي حفص في خلافة المعتصم .

٣٧٧
قطب الدين الشارعي

عمر بن عوض بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الشارعي ، يعرف بابن قليلة ويدعى قطب الدين ؛ كانت وفاته بعد السبعمائة .

١ ر : يوماً . ٢ ر : ذنباً .
٣ الأغاني : أربى .
٣٧٧ – الزركشي : ٢٣٩ والدرر الكامنة ٣ : ٢٥٨ ؛ والترجمة في ر .

من شعره ، وقيل هي لابن خلكان[1] :

ألا يا سائراً في قَفْرِ عُمْرٍ[2] يقاسي في السّرى[3] حَزْناً وسهلا
بلغتَ نَقا المشيب وجزتَ عنه وما بعد النقا إلا المصلى

وله :

عزمت على تزويج بكرٍ مدامةٍ بماء قَراح والليالي تساعدُ
فأمهرتها درّ الحباب وإنه إذا جُليَتْ ليلاً عليها قلائد
وجاءت رياحين البساتين عرفت فطابت بذاك النفس واللوز عاقد
وكان حضور النبق فألاً مهنئاً لنا بالبقا في العقد والورد شاهد

٣٧٨

مجير الدين ابن اللمطي

عمر بن عيسى بن نصر بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن حسن بن حسين التيمي ، مجير الدين ابن اللمطي ؛ قال العلامة أثير الدين أبو حيان : رأيته بقوص وكتبت عنه شيئاً من شعره ، قدم علينا [مصر][4] وسكنها أيام القاضي تقي الدين ابن دقيق العيد ، واشتغل عنده في أوقات ، وكان قد نظر في العربية ، وأنشدني لنفسه بمدرسة الأفرم سنة ثمانين وستمائة[5] :

---

١ ورد البيتان منسوبين لابن خلكان في ترجمته ، وعند الزركشي : ٥٤ .
٢ الدرر : بطن قفر .
٣ الدرر : ليقطع في الفلا .
٣٧٨ – الطالع السعيد : ٤٤٨ والزركشي : ٢٣٩ ، وأطال الأدفوي في رفع نسبته؛ وهذه الترجمة في ر .
٤ زيادة ضرورية من الزركشي .
٥ أورد الأدفوي أبياتاً كثيرة منها (انظر الصفحة : ٤٥٣) .

أبى الدمع إلا أن يفيضَ وأن يجري على ما مضى من مدّة النأي من عمري
وما ليَ إن كفكفتُ مـاء محاجري وقد بعدت دار الأحبة من عذر
أما إنه لولا اشتياقي لذكرهم ولا شوق إلا مـا يهيّج بالـذكر
لمـا شاقني نظم القريض ولا صبا فؤادي على البلوى إلى عمل الشعر
وكان لمثلي عن أفانين منطقي هنالك مـا يلهي عن النظم والنثر

وأنشدني أيضاً :

جفنٌ قريحٌ بالبـكاء موكَّلُ فعلت به العبراتُ ما لا يفعلُ
وجوانحٌ مني على شحط النوى أضحتْ تمزق في الهوى وتوصّل
عجباً لحكم الحب فيّ ، فليته يوماً يجور به ويوماً يعدل
إني وإن أمسى يُحمّلني الهوى من ثقله في الحب ما لا يحمل
فلقد حلَتْ منه مراراتُ الجوى عندي وخفَّ لديَّ مـا يستثقل
لا يطمع اللوام في ترك الهوى إن كثّروا من لومهم أو قللوا
لهفي على زمني بمنعرج اللوى والشملُ مجتمع وجَدّيَ مقبل
ما كان أهنا العيش فيه فليته لو دام منه ريثما أتأمل

وقال :

وزهّدَني في الخـل أن وداده لرهبة جـاه أو لرغبة مـالِ
فأصبحتُ لا أرتاح منه لرؤيةٍ ولا أرتجي نفعـاً لديه بحـال

ولما توفي قاضي القضاة ابن دقيق العيد ترك ما ولاه من نظر رباع الأيتام وتوجه إلى قوص ، وأقام بها إلى أن توفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وله من العمر ثلاث وثمانون سنة .

وله شعر جيد، وكان صحيح الود حافظ العهد حسن الصحبة ، رحمه الله .

٣٧٩
السراج الوراق

عمر بن محمد بن حسن ، سراج الدين الوراق الشاعر المشهور والأديب المذكور ؛ ملكت ديوان شعره ، وهو في سبعة أجزاء كبار ضخمة بخطه إلى الغاية ، هذا الذي اختاره لنفسه وأثبته ، فلعل الأصل كان من حساب خمسة عشر مجلداً ، وكل مجلد يكون مجلدين ، فهذا الرجل أقل ما يكون ديوانه لو ترك جيده ورديه في ثلاثين مجلداً ، وخطه في غاية الحسن والقوة والأصالة . وكان حسن التخيل جيد المقاصد صحيح المعاني عذب التّركيب ، قاعد التورية والاستخدام ، عارف[1] بالبديع وأنواعه ، وكان أشقر أزرق العين ، وفي ذلك يقول :

ومن رآني والحمار مركبي ... وزُرْقتي للروم عرقٌ قد ضَرَبْ
قال وقد أبصر وجهي مقبلاً : ... لا فارس الخيل ولا وجه العرب

وكان يكتب الدرج للأمير سيف الدين أبي بكر ابن أسباسلار والي مصر ، وتوفي في جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وستمائة ، رحمه الله تعالى ، وقد قارب التسعين أو جاوزها بقليل ، وأكثر شعره في اسمه ، فمن ذلك :

وكنت حبيباً إلى الغانيات ... فألبسني الشيبُ بغضَ الرقيبِ
وكنت سراجاً بليل الشباب ... فأطفأ نوري نَهار المشيب

وقال :

بُنيَّ اقتدَى بالكتاب العزيز ... وراح لبرّيَ سعياً وراجا

---

٣٧٩ – الزركشي : ٢٤٠ والنجوم الزاهرة ٨ : ٨٣ والشذرات ٥ : ٤٣١ وهذه الترجمة ثابتة في ر .
١ كذا في ر .

فما قال لي أفٍّ مذ كان لي   لكوني أباً ولكوني سراجا

وقال :

وقالت يا سراج علاك شيبٌ   فدع لجديده خلع العذارِ
فقلت لها نهارٌ بعد ليل   فما يدعوك أنت إلى النفار
فقالت قد صدقت ، وما علمنا   بأضيعَ من سراجٍ في نهار

وقال :

إلهيَ قد جاوزتُ تسعين حجة   فشكراً لنعماك التي ليس تكفرُ
وعُمِّرتُ في الإسلام فازددت بهجة   ونوراً ، كذا يبدو السراج المعمر
وعَمَّمَ نورُ الشيب رأسي فسرني   وما ساءني ان السراج منور

وقال :

طوت الزيارةَ إذ رأت   عصر المشيب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنت   بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهي تسـ   أل جارةً من بعد جاره
وتقول : يا ستي استر حـ   نا لا سراج ولا مناره

وقال :

كم قَطّع الجود من لسان   قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعرٌ سِراج   فاقطعْ لساني أزدك نورا

وقال أيضاً :

أثنى عليَّ الأنام أني   لم أهجُ خلقاً ولو هجاني
فقلت لا خير في سراجٍ   إن لم يكنْ دافىء اللسان

وقال :

رَبِّ سامح أبا الحسين وسامحـ   ـني فشأني وشأنه الإسلامُ

فذنوب الوراق كلّ جريح   وذنوب الجزار[1] كل عظام

[وقال :

واخجلتي وصحائفي قد سوّدت   وصحائف الأبرار في إشراق

وفضيحتي لمعنّفٍ لي قائلٍ :   أكذا تكون صحائف الوراق[2]]

وقال :

وباخل يشنأ الأضيافَ حَلّ به   ضيفٌ من الصفع نزّال على القمم

سألته ما الذي يشكو فأنشدني   « ضيف ألمّ برأسي غير محتشم[3] »

وقال :

وضاع خصر لها ما زلت أنشده   أو رق لي ورثى للسقم من بدني

وقال لي بلسان من مناطقه :   « لولا مخاطبتي إياك لم ترني[4] »

وقال أيضاً :

رأت حالي وقد حالت   وقد غال الصّبا فَوْتُ

فقالت إذ تشاجرنا   ولم يخفض لنا صوت

فلا خير ولا مَيْرٌ   ولا أيرٌ فذا موت

وقال :

أصبحت أعجن إذ أقوم وشرٌّ ما   وَقَعَتْ عليه العين شيخٌ عاجن[5]

وإذا أردت أدُقّ شيئاً لم أجد   عندي يداً والبيت فيه الهاون

---

١ ر : السراج .

٢ ما بين معقفين لم يرد في ر ، وهو ثابت في المطبوعة .

٣ صدر بيت للمتنبي ، وعجزه : السيف أحسن فعلا منه باللمم .

٤ عجز بيت للمتنبي ، وصدره : « كفى بجسمي نحولا أنني رجل » .

٥ عجن : نهض على الأرض معتمداً بجمعه ، وهو دلالة الشيخوخة .

وقال :

قام فلما دنوت منها نام ، وما مثل تلك خجله
وكَلّ كفي لفرط جذبي له وما للجبان حمله
فزرجَنَتْ[1] وانثنت وقالت : قومُوا انظروا عاشقا بوصْلَه
فقلت هذا لفرط حبي قالت دع التُّرَّهات بالله
قلت أقيم الدليل قالت لو قام ما احتجتَ للأدِلَّه

وقال في أقرع [2] :

أبدى لنا لما بدا قرعة يحار في تشبيهها القلبُ
قالوا فهل تشبه يقطينة فقلت لو كان لها لب

وقال :

ما كنت أعرفُ في فلان حالةً تدعو لحبّ الأسود الغريبِ
حتّى رأيتُ محلّ سعدٍ عنده فرأيتُ كلّ غريبة وغريب
ورأيته فرحاً به في غاية ومقطّباً لي غاية التقطيب
فسألتُ بعض الحاضرين فقال لي حاشاك يغرب عنك فهم أديب
أوليس سعد أسوداً[3] غضّ الصِّبا أولست أبيضَ في خليع مشيب
فأجبته حتى كلامي عنده يلغى وسعد[4] لم يكنْ بأديب
وكلامه المسموعُ قال أطلت ما المسموع عند الشيخ إلا النّوبي

وقال :

دع الهوينا وانتصب للتقى واكدحْ فنفسُ المرءِ كدّاحه

---

١ الزرجنة : الحب والخديعة .
٢ سقط البيتان من المطبوعة .
٣ ر : سعداً أسود .
٤ ر : وسعداً .

وكن عن الراحةِ في معزل فالصفعُ موجودٌ مع الراحه

وقال :

وقائل قال لي لما رأى قلقي لطول وعد وآمال تُعَنِّينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم محمودةٌ قلتُ أخشى أن تخرينا [1]

وقال :

هززته بالمدح جهدي فما اهـ تز ونادى الياس كم تتعبُ
فقلت أرجو زبدةً قال لي فاتَكَ : أين اللبن الطيب

وقال :

لي حرمدان كاتبٍ قد تهرّأ وتخلى عنّي ومني تبرا
من رآه مع الغلام إذا ما مرّ خلفي مقطعاً ظن شرا

وقال :

جاريَ في وَقفةٍ وجاريتي في وجمةٍ مُذ عدمت دبّوسي
أبكي وتبكي وما لنا سببٌ يدخل في كسّها ولا كيسي

وقال :

سألتهمُ وقد حثّوا المطايا قفوا نفسا فساروا حيث شاءوا
وما عطفوا عليّ وهم غصونٌ وما التفتوا إليّ وهم ظباء

وقال :

ما حل عَزْمي مثل عقد قبائه بدراً يعد البدر من رقبائهِ
مرح المعاطف تائه بجماله واه لصبٍّ تائه في تائه

---

[1] يشير إلى أن « المحمودة » اسم نبات يتخذ للاسهال .

يحلو[1] مُقبله وبرد رضابه «كالأقحوان غداة غب سمائه»[2]
في شعره وجبينه لي موقف الـ حيران بين ظلامه وضيائه
يتشبه الغصنُ النضيرُ بقَدّه ياغصنُ حسبك لست من نظرائه

وقال :

شِمتُ برقاً من ثغرها الوضاح والدجى نَسرهُ مهيضُ الجناحِ
فتمارى شكي به ويقيني هل تجلى الصباح قبل الصباح
فأجابت متى تَبسّم صبح عن حباب أو لؤلؤ أو أقاح
ومتى كان للصباح لمًى كالمسك أو نكهة كصرف الراح
سل بثغري المسواكَ تسألْ خبيراً باغتباق من خمره واصطباح
قلتُ مالي وللسكارى فقالت أنت أيضاً من الهوى غير صاح
حجةٌ من مليحةٍ قطعتني هكذا كلُّ حجةٍ للملاح
لا ولحظ كفَتْرةِ النرجس الغضّ وخدٍّ كحمرة التفاح
ما تيقنتُ بل ظننتُ وما في الـ ظنِّ يا هذه كبير جناح
وكثيراً شبهتُ بالبدر والشمـ ـس وسامحت فارجعي للسماح
واجعلي ذا من ذاك واطّرِحي القو لَ اطراحي عليك قول اللاحي

وقال :

أحسن ما سُطّرَ في صفحةٍ عذار من أهوى على خدّه
يا قلمَ الريحانِ سبحانَ مَنْ خطك بالآسِ على ورده

وقال :

جاء عذارُ الذي أهيمُ به فجرد الوجدَ أيَّ تجريدِ
وظنه آخر الغرام به مفنّد جاهل بمقصودي

---

١ ر : يجلوا .
٢ من بيت للنابغة الذبياني وتتمته : جفت أعاليه وأسفله ندي .

وما درى أن لامَ عارضه لامُ ابتداء أو لام توكيد

وقال [1] :

يا نازحَ الطيف مُرْ نومي يعاودني لقد بكيتُ لفقد النازحين دما
أوجبتَ غسلاً على عيني بأدمعها فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

وقال :

ومهفهفٍ عنّي يميلُ ولم يملْ يوماً إليّ فقلتُ من ألم الجوى
لم لا تميل إليّ يا غصنَ النقا فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى (ا)

وقال :

أقول وكَفّيَ في خصرها يدور وقد كاد يخفى عليّ
أخذت عليك عهود الهوى وما في يدي منك يا خصر شيّ

٣٨٠
السراج المحار

عمر بن مسعود **الأديب** ، سراج الدين المحار ، الحلبي الكناني صاحب الموشحات ، والأزجال الرائقة ؛ توفي بدمشق في سنة [احدى عشرة و] سبعمائة [2] ؛ فمن شعره :

رأيته في المنام معتنقي [3] يا ليت ما في المنام لو كانا

---

١ مر البيتان للوراق في ترجمة ابن هندو .

٣٨٠ – الزركشي : ٢٤١ والدرر الكامنة ٣ : ٢٧٠ وقال : مات سنة ٧١١ أو ٧١٢ وفي توشيع التوشيح عدد من موشحاته ؛ وهذه الترجمة في ر .

٢ في ر والزركشي بياض قبل « وسبعمائة » .

٣ المطبوعة : ضاجعني ، والتصويب عن الزركشي .

ثم انثنى معرضاً فواعجبي يهجرني نائماً ويقظانا

وقال في مليح نجار بالمعرّة :

قالوا المعرة قد غدت من فضلها يُسعى إلى أبوابها وتُزَارُ
وجبت زيارتها علينا عندما شغف القلوب حبيبها النجار

وقال في أحدب :

وأحدبٍ أنكروا عليه وقد سُمّي حساماً وغير منكورِ
ما لقبوه الحسام عن سَفَهٍ لو لم يروا قده القلاجوري[1]

وقال :

بعثتَ نحوي المشطَ يا مالكي فكدت أن تسلبني روحي
وكيف لا تسلبُ روحي وقد بعثتَ منشوراً لتسريحي

وقال :

أرى لابن سعد لحية قد تكاملت على وجهه واستقبلت غير مقبل
ودارت على أنفٍ عظيم كأنه « كبير أناس في بجاد مزمّل »[2]

وقال :

يا حبذا وادي حماة وطيبه[3] وطلاوة العاصي بها والجوسقُ[4]
فاقت مدارةَ جلق فلحسنها الـ شقراءُ تكبو خلفها والأبلق

وقال في إبريق فخار :

يا حبذا شكل إبريق تميل له منا القلوب وتصبو نحوه الحدقُ

---

١ قلاجوري (بالفارسية) : السيف اللامع .
٢ عجز بيت لأمرىء القيس وصدره : « كأن أباناً في عرانين وبله » .
٣ المطبوعة : جادي حماة وطيبها ، والتصويب عن ر والزركشي .
٤ المطبوعة : والجوسق .

يروق لي حين أجلوه ، ويعجبني منه طلاوة ذاك الجسم والعنق
كم قد شربت به ماء الحياة ، ولن ينالني منه لا غَصَصٌ ولا شرق
حتى غدا خجلاً مما أقبله فظل يرشح من أعطافه العَرَق

وقال في قنديل :

يا حسن بهجة قنديل خلوت به والليل قد أسبلت منا ستائرهُ
أضاء كالكوكبِ الدريّ متقداً فراق باطنه نوراً وظاهره
تزيده ظلمةُ الليلِ البهيم سناً كأنما الليلُ طرفٌ[1] وهو باصره

وقال في مليح معالج :

بروحيَ أفدي في الأنام مُعالجاً مَعاطفُه أزهى من الغُصُن الغضّ
يكلف عطفيه العلاج فيبسط ال قلوب إلى حبيه في ساعة القبض
إذا ما امتطى لطفاً مقيرة له وأقعدها واحمر سالفه الفضي
رأيت محياه وما في يمينه كشمس تجلّت دونها كرة الأرض

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ما بثَّ شكواه لولا مسه الألم ولا تأوّه لولا شَفَّه السَّقَمُ
ولا توهم أن الدمع مهجته أذابَها الشوقُ حتى سال وهو دم
صبٌّ له مدمعٌ صبٌّ يكفكه فتستهلُ غواديه وتنسجم
فطرفُه بمياه الدمع في غرقٍ وقلبه بلهيب الشوقِ يضطرم
أراد إخفاء ما يلقاه من كمد حتى لقد عاد بالسلوان يتهم
يبدي التجلدَ والأجفانُ تفضحه كالبرق تبكي[2] الغوادي وهو يبتسم
سقته أيدي النوى كأساً مدعدعةً فما نداماه إلا الحزن والندم

---

١ ر : طرفاً .
٢ ر : يبكي .

يمسي ويصبح لا صبرٌ ولا جلدٌ ولا قرار ولا طيفٌ ولا حلم
لولا [1] يؤمل إلماماً بجيرته لكاد يعتاده مما به لمم
قال [2] الوشاة تسلى عن محبتهم يا ويحهم جهلوا فوق الذي علموا
أنّى يميلُ إلى السلوان مكتئبٌ باق على الودّ والأيامُ تنصرم
قضى بحبهمُ عصرَ الشباب وما خان الودادَ وهذا الشيب والهرم
أنا المقيم على ما يرتضون به مُصْغٍ إذا نطقوا راضٍ بما حكموا
متى دعاني هواهم جئت معتذراً أسعى على الرأس إن لم يسعد القدم

ومن موشحاته :

جسمي ذوى بالكمد والسهر والوصب من جاني
ذي شنب كالبرد كالدرر كالحبَبِ جماني

بي غصنُ بانٍ نَضِرُ يسبيك منه الهيفُ
يرتع فيه النظر فزهره يقتطف
الخد منه خَفِر والجسم منه ترف
قد جاءنا يعتذر عذاره المنعطف

ثم التوى كالزَّرَدِ معبقري معقرب ريحاني
في مُذْهَب مُوَرَّد مدنر مكتّب سوساني

ظبي له مرتشف كالسلسبيل البارد
بدر علاه سدف من ليل شَعْرٍ وارد
غصن نقا منعطف من لين قَدٍّ مائد
مُقَرطق مُشَنف يختال في القلائد

---

١ ر : اولم .
٢ ر : قالوا

بين اللوى وثهمد كجؤذر في ربرب غزلاني
من كُثُبٍ ذي جيَد ٍ ذي حور ذي هدب وسنان

أما وَحَلْي جيده ورنة الخلاخل ِ
والضمّ من بروده قدّ قضيب مائل
والورد من خدوده إذ نم في الغلائل
لا كنت من صدوده مستمعاً لعاذل

نارَ الجوى لا تخمدي واستعري وكذبي سلواني
وانسكبي واطردي وانهمري كالسحب أجفاني

مولاي جفني ساهر مؤرق كما ترى
فلا خيال زائر يطرقني ولا كرى
إني عليك صابر فما جزا مَن صبرا
إن سَحَّ دَمْعي الهامر فلا تلمه إن جرى

جال الهوى في خلَدي ومضمري أضرَّ بي كتماني
مؤنبي اتئد لا تفتري وجنّبِ عن عاني

وقال أيضاً[١] :

ترى دهر مضى بكم يَؤُوبُ مُنيبا ويضحي روض آمالي الجديبُ خصيبا
عسى صبّ تملكه هواه يعاود جفن مقلته كراه
ويبلغ من وصالكمُ مناه ويرجع دهرنا عما جناه
ويجمع شملنا حسنٌ وطيبُ قريبا ويصبح حيث أدعوه الحبيبُ مجيبا
أرى أمد الصدود بكم تمادى وكم لمتُ الفؤاد فما أفادا
وتأبى عبرتي إلا اطرادا ونار صبابتي إلا اتقادا

١ هذه الموشحة وردت في توشيع التوشيح : ٦٣ .

فخدي رده الدمع السكوب خضيبا وقلبي كاد أشواقاً يذوب لهيبا
وبي رشأ بناظره يصول حسام من ضرائبه العقول
على وجناته لدمي دليل ولكن ما إلى قَوَدٍ سبيل
حَبَتهُ من ضمائرها القلوبُ نصيبا فكان لها وإن كره الرقيبُ حبيبا
غزال وهو في المعنى هلال قريب وصلُه ما لا ينال
وغصنٌ راحَ يعطفه الدلال كذا الأغصان تثنيها الشمال
إذا مالت بعطفيه الجنوبُ هبوبا تَثَنَّى في غلائله القضيب رطيبا
كلفتُ بحبه حلو المعاني أعاني في هواه ما أعاني
أراه وإن تباعد عن عياني كبدر التِّمِّ قاصٍ وهو داني
يُرينا حين تُطلعه الجيوب عجيبا جمالاً لا يكلفه الغروب مغيبا

وقال أيضاً[1] :

مِنْ دون رَملة عالج لربة الخال دارُ
حلت عليها السحائب منا الدموع الغزار
هَمَتْ عليها دموعُ لها السحابُ شؤون
فاخضلَّ منها النقيعُ ومِسْنَ فيها الغصون
حدَّثْ فتلك الربوعْ حديثهنَّ شجون
ففي القلوب لَوَاعِجْ من ذكرها وأوار
ونارُ فقدِ الحبائب زنادها الإدِّكار
لم أنس يوم تولّى حادي المطيِّ وسارا
خلّى المحبين قَتْلى كما ترى وأسارى

---

١ توشيع التوشيح : ٦٧ وأوردها أيضاً الزركشي .

ودون رامَةَ خَلّي	منا العقولَ حيارى
لأنّ بين الهوادج	أقمار تمّ تحار
منها بدور الغياهب	لم يُخْفِهِنّ سرارُ

حكّوا البروق ابتساما	والسمهريّات لينا
أغصان بانٍ إذا ما	مالت تُغير الغصونا
كم خلّفتْ مستهاما	ملقّى لديها طعينا

مذ أينعت في الدمالج	لها البدور ثمار
أوراقُهُنّ الذوائب	حق[1] الغصون تغار

سفرن بين الستور	هيفٌ دقاقُ الخصور
عن أوجهٍ كالبدور	في جنح ليل الشعور
تقلدوا في النحور	بمثل ما في الثغور

يحكين غزلان ضارجْ	شعارهنّ النفار
فليس يدنو لطالب	من طيْفهنّ مزار

هل للحياة سبيلُ	وقد دهتنا العيونُ
وسُلّ منها نصول	لها الجفون جفون
قُضْبٌ علينا تصول	شفارهنّ المنون

فكيف للهم فارجْ	أو للمحب اصطبار
وفي الجفون قواضبْ	لها المَنُون شفارُ

وقال أيضاً[2] :

أيخفى غرامي والدموع السوافحُ	تنمّ بما تُطوى عليه الجوانحُ

---

١ المطبوعة : حتى .

٢ اوردها الزركشي (الورقة : ٢٤٣) .

وقلبيَ في وادٍ من الشوق هائمٌ حزينٌ وغادٍ في الغرام ورائح
صب هيمان بعد الخلان نامي الأشجان بادي الأحزان
كتمت الهوى العذريَّ بين أضالعي وأخفيته لولا وشاة مَدامعي
وحاولت سلواناً فلم ألقَ سلوة فقلتُ لقلبي مُتْ بداء المطامع
سلواني بان وسري بان فلا سلوان ولا كتمان
تملّكني حلو الشمائلِ أهيفُ مليح التثني ناحلُ الخصر مُخطَف
أغضُّ من الغصن الرطيب شمائلاً وأحسنُ مرأىً في العيون وأظرف
يثني ريان قد فينان فاق الأغصان أغصان البان
أعار قضيب البان هزةَ عطفهِ ورقَّ على نشر النسيم بلطفه
وزاد على البدر المنير بوجهه سَناً وعلى الظبي الغرير بطرفه
ما للغزلان معنى أجفان طرف وسنان صاحي نشوان
تقوّى على ضعفي برقّةِ خصره وأضرم أشواقي إلى لثم ثغره
فقلت لقلبي عند ما صدّ مغضباً وزاد إلى عدوانه طول هجره
كم ذا العدوان بذا الهجران ترى ما آن يرضى الغضبان ؟
أجرني من الهجران يا غايةَ المنى وجُد لي بوصلٍ منك إن كان ممكنا
وعدني إذا لم يمكنِ الوصلُ زورةً وزدني من الحسنى فلا زلتَ محسنا
وأحسن إن كان تلقى إمكان إن الإنسان عبد الإحسان
ظفرتُ بمحمودِ الوصال حميده حباني به المحبوبُ بعد صدودهِ
فقلتُ لقلبي بين آس عذارهِ ونرجس عينيه وورد خدوده
قم يا جنان وايش ذا النسيان واجْني ريحان هذا البستان

٣٨١

رشيد الدين الفهري

عمر بن مظفر بن سعيد ، القاضي رشيد الدين أبو حفص الفهري الفوّي المصري الشاعر الكاتب ؛ تنقل في الخدم الديوانية ومدح الملوك والوزراء ، وكان كثير الحفظ ، روى عنه المنذري ، وعاش خمساً وسبعين سنة ، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

قال شهاب الدين القوصي : أنشدني المذكور بدمشق عند قدومه إليها زائراً عقيب انفصاله من الخدمة الملكية الكاملية هذه الأبيات في النسيان :

أفرَطَ بي النسيان في غاية ... لم يترك النسيان لي حسا
وكنت مهما عَرَضَتْ حاجةٌ ... مهمة أودعتها الطِّرسا
فصرتُ أنسى الطرسَ في راحتي ... وصرت أنسى أنني أنسى

وأنشدني :

قد نسيتُ الذي حفظتُ قديماً ... من معان غرّ وحسنِ بَيانِ
غار مني قليبُ قلبي فذهني ... شاربٌ من بلاذر النسيان

وأنشدته قولَ ابن سناء الملك[1] :

خاصمني مَنْ سكتُّ عنه ... فظنّ أنْ ليس لي لسانُ
فقلتُ ما أنت لي بخصمٍ ... وإنما خصميَ الزمان

فأنشدني لنفسه :

---

٣٨١ – الزركشي : ٢٤٣ وابن الشعار ٥ : ٢٨٢ ؛ ووردت هذه الترجمة في ر .

١ ديوان ابن سناء الملك : ٨٤٨ .

سكتُّ إذ سبَّني مَنْ لا خَلاقَ له   فقيل لي خفتَ منه إنه لَسِنُ
فقلت : والله ما عيّاً سكتُّ ولا   ذا النحسُ خصمي ولكن خصميَ الزمن

وأنشدته قول ابن الحيمي :

أأبناء هذا الجيلِ طُرّاً أكلكم   يعوقُ وما فيكم يغوثُ ولا ودُّ
لقد طال ترداديَ إليكم فلم أجد   سوى رب شأن منكم شانه الرد

فأنشدني لنفسه :

لأصنام الزمانِ عبدتُ دَهراً   وقد أسلمتُ واتَّسَعَ المضيقُ
فما فيهم يغوث أقول هذا   ولكنْ كلٌّ من فيهم يعوق

٣٨٢

ملك بطليوس

عمر بن المظفر بن الأفطس ملك بَطَلْيَوْس ؛ هو المتوكل ، من قبيلة من البربر يعرفون بمكناسة ، ورث الملك ببطليوس من أبيه ، وأبوه هو الذي كان يحارب المعتضد بن عبّاد ، وكان المتوكل ببطليوس كالمعتمد بإشبيلية ، آل أمره إلى أن حصره الملثمون، وحصل في أيديهم فقتلوه صبراً وقتلوا ولديه[1] قبله وهو ينظر إليهما ، وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة التي أوّلها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر

....

٣٨٢ – المعجب : ١٢٧ وأعمال الاعلام : ١٨٥ والقلائد : ٣٦ والمغرب ١ : ٣٦٤ والذخيرة (القسم الثاني) والحلة السيراء ٢ : ٩٦ ؛ والمظفر لقب لا اسم ، واسمه محمد بن عبد الله ؛ وورد بعض هذه الترجمة في ر .

١ ر : ولداه .

ومن شعره ما خاطب به وزيره أبا غانم[1] :

انهضْ أبا غانم إلينا واسقط سقوطَ الندى علينا
فنحن عقدٌ من غير وُسْطى ما لم تكن حاضراً[2] لدينا

وقال ، وقد ذكر في مجلس أخيه المنصور بسوء :

وما بالُهُم لا أنعم الله بالهم ينوطون بي ذمّا وقد علموا فضلي
يسيئون[3] لي في القول جهلاً وضلة وإني لأرجو أن يسوءهُم فعلي
وكيف وراحي درس كل فضيلة[4] وورْدُ التقى شمّي وحرْب العدا نقلي
فإن كان حقاً ما أذاعوا فلا مشت[5] إلى غاية العلياء من بعدها رِجلي
ولم ألقَ أضيافي بوجه طلاقة ولم أسخُ للعافين[6] في الزمن المحل
ولي خُلق في السخط كالشوك[7] طعمه وعند الرضى أحلى جنًى من جنى النحل
فيا أيها الساقي أخاه على النوى كؤوسَ القِلى جهلا رويدك بالعل
لتطفىء ناراً أضرمت في نفوسنا فمثلي لا يقلى ومثلك لا يقلي
وقد كنت تُشكيني إذا جئتُ شاكياً فقل لي لمن أشكو صنيعك بي قل لي
فبادر إلى الأولى وإلا فإنني سأشكوك يوم الحشر للحكم العدل

---

١ في الحلة : أبو طالب ابن غانم ، وهو يخاطبه بقوله « انهض أبا طالب » .
٢ ر : حاضر .
٣ في المطبوعة : يسوؤن ، والتصويب عن الحلة والقلائد .
٤ الحلة والقلائد : غريبة .
٥ الحلة : خطت .
٦ الحلة والقلائد : ولم أمنح العافين .
٧ الحلة والقلائد : كالشري ؛ وهي أجود .

٣٨٣

[زين الدين ابن الوردي]

عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، القاضي الأجل ، الإمام الفقيه ، الأديب الشاعر ، زين الدين ابن الوردي المعري الشافعي أحد فضلاء العصر وفقهائه ، وأدبائه وشعرائه ، تفنن في العلوم ، وأجاد في المنثور والمنظوم ، نظمه جيد إلى الغاية ، وفضله بلغ النهاية .

ومن شعره :

مليح ردفه والساق منه[١] كبنيان القصور على الثلوجِ
خذوا من خده القاني نصيباً فقد عزم الغريب على الخروج

وقال :

جاءنا مكتتماً ملتـشما فدعوناه لأكل وعجبنا[٢]
مد في السفرة كفّاً ترفا فحسبنا أن في السفرة جبنا

وكتب إلى القاضي فخر الدين ابن خطيب جبرين قاضي حلب ، وقد عزله وعزل أخاه :

جَنَّبتني وأخي تكاليف القـضا وشفيتنا في الدهر من خطرينِ
يا حيّ عالم دهرنا أحييتنـا فلك التحكم[٣] في دم الأخوين

٣٨٣ — الزركشي : ٢٤٣ والدرر الكامنة ٣ : ٢٧٢ وقال ان الصفدي ذكره في أعيان العصر ؛ وبغية الوعاة : ٣٦٥ والنجوم الزاهرة ١٠ : ٢٤٠ وطبقات السبكي ٦ : ٢٤٣ وابن إياس ١ : ١٩٨ ؛ وله ديوان طبع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ تالياً لشرح لامية العرب وشرح مقصورة ابن دريد .

١ في المطبوعة : مليح ساقه والردف منه ، والتصويب عن الديوان : ٢٥٩ .

٢ في المطبوعة : وعجنا ، والتصويب عن الديوان : ١٤٤ .

٣ الديوان : ٢٥٦ — التصرف .

وقال :

قلت وقد عانقته عندي من الصبح فلق [1]
قال وهل يحسدنا قلت نعم قال انفلق

وقال أيضاً :

جبرْتِ يا عائدتي بالصلهْ فتممي الإحسان تنفي الوَلَهْ
وهذه قد حسبت زورة مالك بالفيئة [2] مستعجله

وقال :

بالله يا معشر أصحابي إغتنموا علمي وآدابي
فالشيب قد حل برأسي وقد أقسم لا يرحل إلا بي

وقال أيضاً :

رامت وصالي فقلت لي شغل عن كل خوْد تريد تلقاني
قالت كأن الخدود كاسدةٌ قلتُ كثيراً لقلة القاني

وقال أيضاً :

لا تقصد القاضي إذا أدبرت دنياك واقصد من جواد كريمْ
كيف تُرَجّي الرزق من عند من يفتي بأن الفلس مال عظيم

وقال أيضاً :

وكنت إذا رأيت ولو عجوزاً يبادر بالقيام على الحرارهْ
فأصبح لا يقوم لبدر تم كأن النحس قد ولّيَ الوزاره

وقال أيضاً :

---

١ الزركشي : قلق .
٢ الزركشي : يا لعبة .

أنت ظبيي أنت مسكي أنت دري أنت غصني
في التفات وثنـاء وثنايا وتثـني

وقال :

لما شَتَتْ عيني ولم ترفق لتوديع الفتى
أدنيتهـا من خده والنار فاكهة الشتا

وقال أيضاً :

من كان مردوداً بعيب فقد ردّتنيَ الغيد بعيبينِ
الرأس واللحية شابا معاً عاقبني الدهر بشيبين

أنشدني الشيخ جمال الدين ابن نُباته أمتع الله بفوائده ورضي عنه :

لا حبذا شيبٌ برأسي ولا شيب بقلبي ، أقذيا[1] عيني
ما كنت بالتائب من صبوتي أصلاً[2] فقد تبت بشيئين

ومن شعر ابن الوردي رحمه الله :

دهرنا أمسى ضنينـا باللقـا حتى ضنينا
يا ليالي الوصل عُودي واجمعينـا أجمعينا

وقال :

أنتم أحباي وقـد فعلتمُ فعل العدا
حتى تركتم خـبري في العـالمين مبتدا

وقال :

سبحان من سخر لي حاسدي يحدث لي في غيبتي ذكرا

---

١ المطبوعة : أخزيا .
٢ الزركشي : طوعاً .

لا أكره الغيبةَ من حاسدٍ يفيدني[1] الشهرة والأجرا

وقال :

وتاجر شاهدتُ عشاقه والحرب فيما بينهم ثائر[2]
قال : علامَ اقتتلوا هكذا ؟ قلت : على عينك يا تاجر

وقال :

إني عدمت صديقاً قد كان يعرف قدري
دعني لقلبي ودمعي عليه أحرق[3] وأذري

ومن مُصنفاته « البهجة الوردية في نظم الحاوي » فوائد فقهية منظومة . « شرح ألفية ابن مالك » . « ضوء الدرة على ألفية ابن معطي » . قصيدة « اللباب في علم الإعراب » وشرحها . اختصار « ملحة الإعراب » نظماً . « مذكرة الغريب » نظماً وشرحها . « المسائل المذهبة في المسائل الملقبة » . « أبكار الأفكار » . « تتمة تاريخ صاحب حماة » . و « أرجوزة في تعبير المنامات » . « أرجوزة في خواص الأحجار » و « منطق الطير » نظماً . وبلغنا وفاته في الطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، وهو في عشر السبعين ، رحمه الله تعالى .

---

١ المطبوعة يفيد في (والقافية مكسورة) والتصويب عن الديوان : ٢٥٥ .
٢ في المطبوعة : سائر ، والتصويب عن الزركشي .
٣ كذا هو أيضاً في الديوان : ٢٥٨ لأنه يضمن المثل « احرق وأذري » .

٣٨٤

[عمرو الاشدق]

عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ؛ كان أحد الأشراف الأمويين ، ولي المدينة ليزيد بن معاوية ، وكان يسمى الأشدق ، سمي بذلك لأنه كان أفقم مائلاً إلى الذقن ، ولهذا سمي « لطيم الشيطان » ، وقيل: إنما سمي الأشدق لتشادقه في الكلام ، وكان مروان ابن الحكم قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك ، فقتله عبدُ الملك ، فقيل إنها أول غدرة كانت في الإسلام ، وقال ابن الزبير لما بلغه قتله : إن أبا الذبان قتل لطيم الشيطان، ﴿ وكذلك نُوَلّي بعضَ الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ (الانعام : ١٢٩) وقال يحيى بن الحكم أخو مروان يرثيه :

أعينيّ جودا بالدموع على عمرو　　عشيةَ سددنا الخلافةَ بالخيرِ
كأنّ بني مروان إذ يقتلونه　　بغاثٌ من الطير اجتمعن على صقر
غدرتم بعمرو يا بني خيطِ باطلٍ　　ومثلكمُ يبني البيوتَ على غدر
فرحنا وراح الشامتون بنعشه　　كأن على أكتافنا فلق الصخر

وكان عمرو قد رام الخلافة وغلب على دمشق ، وكانت قتلته في سنة سبعين من الهجرة .

وقد روى له مسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي ، رحمه الله تعالى .

---

٣٨٤ ــ أخباره في كتب التاريخ (حوادث سنة ٧٠) وانظر تهذيب التهذيب ٨ : ٣٧ .

٣٨٥

[عوف بن محلم الخزاعي]

عوف بن مُحلّم الخزاعي ، أحد العلماء الأدباء الرواة الفهماء الندماء الظرفاء الشعراء الفصحاء ؛ كان صاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيام الناس ، اختصه طاهر بن الحسين لمنادمته ومسامرته ، فلا يسافر إلا وهو معه ، فيكون زميله وعديله .

قال محمد بن داود : إن سبب اتصاله به أنه نادى على الجسر أيام الفتنة بهذه الأبيات ، وطاهر منحدر في حرّاقة له بدجلة ، وأنشده إياها ، وهي هذه [1] :

عجبتُ لحرّاقةِ ابن الحسيـ   ن كيف تعومُ ولا تغرقُ
وبحرانِ من تحتها واحد   وآخر من فوقها مطبق
وأعجبُ من ذاك عبدانُها   وقد مسَّها كيف لا تورق

فضمه طاهر إليه وبقي معه ثلاثين سنة لا يفارقه ، وكلما استأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه لم يأذن له ، فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص ، وأنه يلحق بأهله ، فقربه عبدُ الله بن طاهر ، وأنزله منزلته من أبيه ، وأفضل عليه حتّى كثر ماله وحسنت حاله ، وتلطف بجهده أن يأذن له بالعودة ، فاتفق أن خرج عبدُ الله بن طاهر إلى خراسان فجعل عوفاً عديله ، فلما شارف الري سمع صوت عندليبٍ يغردُ بأحسن تغريد ، فأعجب ذلك عبد الله والتفت إلى عوف وقال : يا ابن مُحلّم ، هل سمعت بأشجى من

---

٣٨٥ — طبقات ابن المعتز : ١٨٦ ومعجم الأدباء ١٦ : ١٣٩ والشذرات ٢ : ٣٢ وتاريخ بغداد ٩ : ٤٨٦ (في ترجمة عبد الله بن طاهر) وشرح شواهد المغني : ٢٧٨ .

١ أورد ابن خلكان (٢ : ٥١٩) هذه الأبيات منسوبة لمقدس بن صيفي الخلوقي الشاعر .

هذا ؟ فقال : لا والله ، [فقال عبد الله] : قاتل الله أبا كبير حيث يقول :

ألا يا حمام الأيكِ إلفُكَ حاضرٌ وغُصْنُكَ مَيّاد ففيم تنوحُ ؟
أفِق لا تَنُح من غير شيء فإنني بكيت زماناً والفؤاد صحيح
ولوعاً فَشَطَّتْ عربةً دار زينب فها أنا أبكي والفؤاد قريح

فقال عوف : أحسن والله أبو كبير ، إنه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مُفلق ، وما كان فيهم مثل أبي كبير ، وأخذ عوف يَصفه ، فقال له عبد الله : أقسمتُ عليك إلاّ عارضْتَ قوله ، فقال عوف : قد كبر سنّي وفني ذهني وأنكرتُ كلَّ ما أعرف ، فقال له عبد الله : بتُرْبةِ طاهرٍ إلاّ فعلتَ ، فقال عوف رحمه الله :

أفي كلِّ عامٍ غربةٌ ونزوحُ أما للنوى من وَنيةٍ فتريحُ
لقد طلّحَ[1] البينُ المشت ركائبي فهل أرَيَنَّ البينَ وهو طريح
وأرّقني بالري نوحُ حمامةٍ فنُحتُ وذو البَثِّ الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تُذْرِ دمعةً ونحتُ وأسرابُ الدموع سُفوح
وناحتْ وفرْخاها بحيث تراهما ومن دون أفراخي مَهامهُ فيح
ألا يا حمامَ الأيك إلفك حاضرٌ وغصنك مياد ففيم تنوح ؟
عسى جود عبد الله أن يعكسَ النوى فيلقي[2] عصا التطواف وهي طليح
فإن الغنى يدني الفتى من صديقه وعُدمُ الفتى بالمعسرين طروح

فاستعبر عبد الله ورقَّ له وجرت دموعه ، وقال له : والله إني ضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك ، ولكن والله لا أعملت معي خُفّاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فقال له عوف :

---

١ في المطبوعة : ظلع ، والتصويب عن طبقات ابن المعتز وياقوت .
٢ الطبقات : فتضحي .

يا ابن الذي دان له المشرقان وألبس الأمن به المغربان
إن الثمانين وبُلِّغتَها قد أحوجت سمعي إلى ترجُمان
وبَدّلتني بالشطاط انحنا وكنت كالصَّعْدَة تحت السنان
وقاربت مني خُطًى لم تكن مقارباتٍ وثنت من عنان
فأنشأت بيني وبين الورى عنانة من غير نسج العنان
ولم تدعْ فيّ لمستمتع إلا لساني وبحسبي اللسان
أدعو به الله وأثني على صنع ـأمير المُصْعَبِيّ الهجان
وهمْتُ بالأوطان وجداً بها لا بالغواني أين مني الغوان ؟
فقـــرباني بأبي أنتما من وَطني قبل اصفرار البنان
وقبل مَنعاي إلى نسوة أوطانهـا حَرَّان والرَّقتان[2]
سقى قُصُورَ الشاذياخ الحيا من بعد عهدي وقصورَ الميان
فكم وكم من دعوةٍ لي بها أن تتخطاها صروف الزمان

وكر راجعاً إلى أهله فلم يصل إليهم ، ومات في حدود العشرين ومائتين .
ومن شعر عوف بن محلم رحمه الله تعالى[3] :

وكنت إذا صَحبتُ رجالَ قومٍ صحبتهمُ ونيَّتِيَ الوفاءُ
فأحسِنُ حين يحسن محسنوهم وأجتنب الإساءة إن أساوا
وأنظرِ ما يسرهُمُ بعين عليها من عيونهم غطاء

وقال :

وصغيرةٍ علقتهـا كانت من الفتن الكبارِ
بلهاء لم تعرف لغرّ تها يميناً من يسار
كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار

١ في المطبوعة : وأكثر ؛ والتصويب عن الطبقات .
٢ الطبقات : فالرقمتان .
٣ انظر الطبقات : ١٩١ .

٣٨٦

[النقاش البغدادي]

عيسى بن هبة الله بن عيسى ، أبو عبد الله البغدادي النقاش ؛ كان ظريفاً صاحب نوادر خفيف الروح ، له شعر ، روى عنه التاج الكندي كتاب « الكامل » للمبرد ؛ وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

إذا وجد الشيخُ في نفسه ... نشاطاً فذلك موت خفي
ألستَ ترى أن ضوء السراج ... له لهَبٌ قبل أن ينطفي

ومنه :

رزقتُ يساراً فوافيتُ من ... قدرت به حين لم يرزقِ
وأملقت من بعده فاعتذرتُ ... إليه اعتذارَ أخ مملق
فإن كان يشكر فيما مضى ... يداً لي يَعذِرُ فيما بقي

وقال أيضاً :

كيف السلو وقد تملـ ... ـك مهجتي من غير أمري
قمر تراه إذا استسرَّ ... كمثل[1] أربعة وعشر
يرنو بنجلاوين يسـ ... ـقمُ من يشا بهما[2] ويبري
وإذا تبسم في دُجَى ... ليل شهدت له بفجر
ولذاك تظلمُهُ إذا ... شبهت ريقته بخمر

---

٣٨٦ – الزركشي : ٢٤٤ .

١ في المطبوعة : لمثل ، وأثبت ما عند الزركشي .

٢ في المطبوعة : يشابه ، وهو خطأ واضح ؛ وفي الزركشي من يشا (ء) بها .

ولورد وجنته وحسـ ـن عذاره قد قام عذري

وكان نقاشاً للحلي ثم صار بزازاً ، وكان يمتنع من الرواية ويقول : ما أنا أهل ذلك .

قال ابن شجاع : لقيته امرأة يوماً فقالت له : يا سيدي ، النظر منا بقيراط ونصف ، كم لي بقيراط وحبة ؟ فحلّ منديلاً كان بيده وأعطاها قطعة ، وقال : مرّي إيش أعطوك فقد أنصفوك .

وقال : كان في دربنا شخص أبغضه لا لسبب ، فاتفق أني خرجت يوم عيد وعلي ثياب العيد ، فلقيني شخص في الظلمة وفي يده دستيجة ملأى شيرجاً ، فصدمني بها فانكسرت على ثيابي وصيرني شهرة ، قال : فأمسكته وأخرجته إلى الضوء ، فلما رأيته قلت : هوذا أنت ؟ لهذا كنت أبغضك ، مرّ ، الله معك .

حرف الغين

٣٨٧

أبو الهندي الشاعر

غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي ، أبو الهندي ؛ كان شاعراً مطبوعاً أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، وكان جزل الشعر سهل الألفاظ لطيف المعاني ، وإنما أخمله وأمات ذكره بُعدُه من العرب ومُقامهُ بسجستان وخراسان ومعاقرة الشراب ، وكان يتهم بفساد الدين ، واستفرغ شعره في وصف الخمر ، وهو أوّل من وصفها من شعراء الإسلام ، فمن ذلك قوله[٢] :

سَقَيْتُ أبا المطوّع إذ أتاني ... وذو الرعثات منتصبٌ يصيحُ
شراباً يهرب الذبّانُ منه ... ويلثغ حين يشربه الفصيح

وقال[٢] :

نَبَّهتُ ندماني وقلت له اصطبح ... يا ابنَ الكرام من الشراب الأصهبِ
صفراء تنزو في الزجاج كأنها ... حدق الجرادة أو لعاب الجُنْدَب

وقال[٣] :

---

٣٨٧ — طبقات ابن المعتز : ١٣٦ والشعر والشعراء : ٥٧٢ والأغاني ٢٠ : ٢٩٣ والسمط : ١٦٨، ٢٠٨ والزركشي : ٢٤٥ وقد اختلف في اسمه ، فهو عند ابن قتيبة : عبد المؤمن ، وقيل عبد الملك وقيل أزهر وقيل عبد السلام وقيل غالب ؛ وفي نسبة « شبث » ووقع بالياء عند الزركشي والنسخة ر حيث وردت ترجمته، وترجم له الصفدي في الوافي (ج : ٩) باسم : أشعث وورد عنده « شيث » بالياء في نسبه ؛ وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الله الجبوري (بغداد ١٩٧٠) .

١ الديوان : ٢٣ .

٢ الديوان : ١٥ — ١٦ .

٣ الديوان : ٣٠ .

مفدمة قزّاً كأن رقابها رقابُ بنات الماء تفزع للرعدِ
جلّتها الجوالي حين طاب مزاجها وطينتها بالمسك والعنبر الورد
تمجُّ سلافاً في الأباريق خالصاً وفي كل كأس في يدي حسن القد
تضمنها زقٌّ أزبٌّ كأنه صريع من السودان ذو شعر جعد

اشتهى أبو الهندي الصَّبوح يوماً فدخل الخمارة فأعطى الخمار ديناراً وجعل يشرب حتّى سكر ونام ، وجاء قوم يسلمون عليه فوجدوه نائما ، فقالوا للخمار : ألحقنا به ، فسقاهم حتّى سكروا ، وانتبه أبو الهندي فسأل عنهم فعرفه الخمار حالهم ، فقال : يا هذا الآن وقت السكر والآن طاب ، ألحقني بهم ، فسقاه حتّى سكر ، وانتبهوا فقالوا للخمار : ويحك هو نائم إلى الآن ؟ فقال : لا ، انتبه وعرفته خبركم وسكر ونام ، فقالوا : ألحقنا به ، فسقاهم حتّى سكروا ، ولم يزل على ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام ، ولم يلتقوا وهم في موضع واحد ، ثم تركوا الشرب عمداً حتّى أفاق فلقوه ، وفي ذلك يقول[1] :

ندامى بعد ثالثةٍ تلاقوا يضمهم بكوهِ زيانَ راحُ
وقد باكرتها فتَرِكتُ منها قتيلاً ما أصابتني جراح
فقالوا أيها الخمار من ذا ؟ فقال أخٌ تخوّنه اصطباح
فقالوا : هاتِ راحكَ ألحقنّا به ، وتعللوا ثم استراحوا
فما إن لبّثتَهُم أن رمتهم بحدّ سلاحها ولها سلاح
وحانَ تَنَبُّهي فسألت عنهم فقال أتاحهم قدَرٌ مُتاح
رأوك مجدّلاً واستخبروني فحركهم إلى الشرب ارتياح
فقلت بهم فألحقني فهبوا فقالوا هل تنبه حين راحوا
فقال نعم ، فقالوا ألحقنّا به قد لاح للرائي صباح

---

[1] الديوان : ٢٠ .

فما إن زال ذاك الدأب منا ثلاثاً تستهبُّ وتستباح
نبيت معاً وليس لنا التقاءٌ ببيتٍ مالنا منه براح

قال صدقة بن إبراهيم البكري : كان أبو الهندي يشرب معنا ، وكان إذا سكر يتقلب تقلباً قبيحاً في نومه ، فكنا كثيراً ما نَشُدُّ رجله لئلا يسقط ، فسكرنا ليلة في سطح ، وشددنا رجله بحبل طويل ليهتدي على القيام لبوله ، فتقلب فسقط من السطح فأمسكه الحبل ، فبقي معلقاً منكساً ، فأصبحنا فوجدناه ميتاً ، فمررت على قبره بعد حين فوجدت عليه مكتوباً[1] :

اجعلوا إنْ مُتُّ يوماً كَفَني ورَقَ الكَرْمِ وقبري المعصرهْ
إنني أرجو من الله غَداً بعد شرب الراح حُسْنَ المغفره

وكان الفتيانُ يجيئون إلى قبره فيشربون ويصبون القدَح إذا وصل إليه على قبره .

ومن شعره[2] :

إذا صليتُ خمساً كلَّ يوم فإن الله يغفرُ لي فُسوقي
ولم أشرك بربِّ الناس شيئاً فقد أمسكتُ بالحبل الوثيق
وجاهدتُ العدوَّ ونلتُ مالاً يبلِّغني إلى البيتِ العتيق
فهذا الحقُّ ليس به خفاء دعوني من بُنَيّاتِ الطريق

وكانت وفاته في حدود الثمانين والمائة ، سامحه الله تعالى .

---

١ الديوان : ٣٣ .
٢ الديوان : ٤٥ .

٣٨٨

الغضنفر أبو تغلب

الغضنفر أبو تغلب ابن ناصر الدولة ، صاحب الموصل وابن صاحبها ؛ حارب عضد الدولة ابن بُويَه ، وفر إلى الرحبة ثم هرب منها خوفاً من ابن عمه سعد الدولة صاحب حلب ، فأنفذ كاتبه إلى العزيز العُبيدي يستنجد به ، ثم نزل بحوران ، وفارقه ابن عمه الغطريف ، وجاءه الخبر من كاتبه بأن يقدم على العزيز ، فخاف وتوقف ، ثم إنهم حاربوه وأسروه ، وقتله مفرج صبراً وبعث برأسه إلى العزيز سنة ثمان وستين وثلثمائة ؛ وكان يرجع إلى فضل وأدب ، وله شعر .

حكي أن أبا الهيجاء ابن عمران بن شاهين صاحب البطيحة قال [1] : كنت أساير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد ما بين سنجار ونصيبين ، فاستدعاني وقد نزل بقصر هناك مطلّ على بساتين ومياه كثيرة يعرف بقصر العباس ابن عمرو الغنوي [2] ، فدخلت عليه وهو قائم في القصر يتأمل كتابة على الحائط ، فلما دخلت قال : اقرأ ما هنا ، فقرأت فإذا على الحائط مكتوب هذه الأبيات :

يا قصرَ عباس بن عمـ ... ـرو كيف فارقك ابن عمرِكْ
قد كنت تغتالُ الدهو ... ر فكيف غالك رَيبُ دهرك

---

٣٨٨ — ابن الأثير ٨ : ٦٩٢ – ٦٩٩ والنجوم الزاهرة ٤ : ١٣٦ ، ولقبه عند ابن الأثير فضل الله ، واسم ابيه ناصر الدولة : « الحسن » ؛ وهذه الترجمة في ر .

١ انظر هذا الخبر مفصلا عند ابن خلكان ٥ : ٢٦١ .

٢ العباس بن عمرو الغنوي من اهل تل بني سيار بين الرقة ورأس عين ، وقد جعله المعتضد قائداً للجيش الذي ارسله لحرب القرامطة ، فأسر ثم اطلق ، وكانت وفاته سنة ٣٥٠ (ابن خلكان ٥ : ٢٦٢) .

واهاً لعزّك بل بجو دك بل لمجدك بل لفخرك

وتحت الأبيات مكتوب : وكتب علي بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة إحدى وستين وثلثمائة ، وتحتها مكتوب :

يا قصر ضَعضَعكَ الزما نُ وحط من علياء قدرك
ومحا محاسنَ أسطرٍ شرفت بهنّ متونُ جُدْرك
واهاً لكاتبها الكريـ م وفخره الموفي بفخرك

وتحتها مكتوب : وكتب الغضنفر بن الحسن بن عبد الله بن حمدان سنة اثنتين وستين وثلثمائة .

حَرْفُ الفَاء

٣٨٩
الفتح بن خاقان

الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج وزير المتوكل ؛ كان شاعراً فصيحاً مُفوّهاً محسناً موصوفاً بالشجاعة والكرم والرياسة والسؤدد ، وكان المتوكل لا يصبر عنه ، قدّمه واستوزره وأمّره على الشام ، وأمره أن يستنيب عنه ، وللفتح أخبار في الجود والوفاء والمكارم والظرف ، وكان مُعادلا للمتوكل على جَمّازَة لما قدم إلى دمشق .

قال أبو العيناء : دخل المعتصم يوماً على خاقان يعوده ، فرأى ابنه الفتح صغيراً لم يثغر ، فمازحه وقال : أيما أحسن دارنا أو داركم ؟ فقال الفتح : دارنا أحسن إذا كان أمير المؤمنين فيها ، فقال المعتصم : والله لا أبرح حتى أنثر عليه مائة ألف درهم .

قُتِل هو والمتوكل معاً في مجلس أنس — على ما تقدم في ترجمة المتوكل — وكان ذلك سنة سبع وأربعين ومائتين . وكانت له خزانة كتب جمعها عليُّ بن يحيى المنجم ، لم ير[1] أعظم منها كثرة وحسناً ، وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء البصرة والكوفة .

قال أبو هفان : ثلاثة لم أر[2] قط ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم منهم : الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسماعيل القاضي .

٣٨٩ — معجم الأدباء ١٦ : ١٧٤ والفهرست : ١١٦ وصفحات متفرقة من مروج الذهب (ج : ٧) والزركشي : ٢٤٥ وانظر أيضاً كتاب « الترك في مؤلفات الجاحظ » للدكتور زكريا كتابجي (ط. دار الثقافة : ١٩٧٢) ؛ ووردت هذه الترجمة في ر .

١ ر : يرى .

٢ ر : أرى .

وكان الفتح يحضر لمجالسة المتوكل ، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتاباً[1] من كمه أو خفه وقرأه إلى حين عودة المتوكل .

وللفتح من التصانيف كتاب « البستان » وكتاب « الصيد والجوارح » ؛

قال ياقوت : ومن شعر الفتح :

لست مني ولستُ منك فدعني   وامض عني مصاحباً بسلامِ
وإذا ما شكوت ما بيَ قالت   قد رأينا خلاف ذا في المنام
لم تجد علَّة تجنَّى بها الذنـ   ـب فصارت تعتلُّ بالأحلام

قال البحتري : قال لي المتوكل : قل فيَّ شعراً وفي الفتح ، فإني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي ولا يفقدني ، فقل في هذا المعنى ، فقلت[2] :

سيدي كيف أنت أخلفت وعدي   وتثاقلت عن وفاءٍ بعهدي

وقلت فيها :

لا أرتني الأيامُ فقدك يا فتـ   ـحُ ولا عرَّفتكَ ما عِشْت فقدي
أعظم الرزء أن تقدَّم قبلي   ومن الرزء أن تؤخرَ بعدي
حسداً أن تكونَ إلفاً لغيري   إذ تفردتُ بالهوى فيك وحدي

فقال : أحسنت يا بحتري ، جئت بما في نفسي ، وأمر لي بألف دينار .

قال البحتري : فقتلا معاً ، وكنت حاضراً ، وربحت هذه الضربة ، وأومأ إلى ضربة على ظهره .

ومن شعر الفتح بن خاقان :

---

١ ر : كتاب .

٢ ديوان البحتري : ٥٢٢ وذكر انها في غلامه نسيم ، ولهذا وجدت اختلافات في الروايتين ، وانظر أخبار البحتري : ٨٥ .

وإني وإياهــا لكالخمر والفتى ... متى يستطعْ منها الزيادةَ يزددِ
إذا ازددتُ منها ازددتُ وجداً بقربها ... فكيف احتراسي من هوًى متجدّدِ

ومنه :

أيها العاشق المعذَّب صبراً ... فخطايا أخي الهوى مغفوره
زفرةٌ في الهوى أحط لذنب ... من غَزاة وحَجّة مبروره

٣٩٠
المسترشد بالله

الفضل بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أمير المؤمنين المسترشد بالله ابن المستظهر ابن المقتدي ؛ بويع بالخلافة ليلة الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، بايعه سبعة من أولاد الخلفاء ، وكان المسترشد أشقر أعطر أشهل خفيف العارضين ، وجلس للناس جلوساً عاماً ، وكان المتولي للبيعة قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني ، وبايع الناس إلى الظهر ، ثم أخرجت جنازة المستظهر ، وكان عمره لما بويع سبعاً وعشرين سنة ؛ لأن مولده سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وكان يتنسّكُ في أوّل زمانه ويلبس الصوف وينفرد في بيت للعبادة ، وختم القرآن وتفقه ، وكان مليح الخط ، لم يكن قبله في الخلفاء من كتب أحسن منه ، وكان يستدرك على

٣٩٠ — المنتظم ١٠ : ٥٣ وابن الأثير ١١ : ٢٧ والزركشي : ٢٤٥ والفخري : ٢٦٧ والروحي : ٦٦ وتاريخ الخلفاء : ٤٦٣ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٧٢ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٦١ ومرآة الزمان : ١٥٦ ؛ وهذه الترجمة في ر .

كتابه أغاليطهم، وكان ابن الأنباري يقول : أنا ورّاق الإنشاء ومالك الأمر يتولى ذلك بنفسه الشريفة .

وكان ذا هيبة وإقدام وشجاعة ، وضبط الخلافة ورتبها أحسن ترتيب وأحيا رميمها ، وشيد أركان الشريعة ، ولم تزل أيامُه مكدرة بكثرة التشويش من المخالفين ، وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك ومباشرته ، إلى أن خرج الخرجة الأخيرة فكسر وأسر وقتلته الملاحدة ، جهزهم عليه السلطان مسعود ، فهجموا عليه [في] مخيمه بظاهر مراغة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وكانت خلافته سبع عشرة[1] سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وكان عمره خمساً وأربعين سنة . ومن شعره لما كسر وأشير عليه بالهزيمة :

قالوا تقيمُ وقد أحا ط بك العدوُّ ولا تفرُّ
فأجبتهم ألمرءُ ما لم يتعظْ بالوعظ غرّ
لا نلتُ خيراً ما حييـ ـتُ ولا عداني الدهر شرّ
إن كنتُ أعلم أن غيـ ـرَ الله ينفع أو يضر

ومن شعره :

أقول لشرخ الشباب اصطبرْ فولّى وردَّ قضاء الوطرْ
فقلت قنعتُ بهذا المشيب وإن زال غيمٌ فهذا مطر
فقال المشيبُ أيبقى الغبار على جمرةٍ ذاب منها الحجر

وقال لما أسر :

ولا عجباً للأسد إن ظفرت بها كلابُ الأعادي من فصيح وأعجمِ
فحربَةُ وَحشيّ سقت حمزةَ الردى وموتُ عليّ من حسام ابن مُلجم

وقال :

[1] ر : سبعة عشر .

أنا الأشقرُ الموعودُ بي في الملاحم ومن يملك الدنيا بغير مزاحمِ
ستبلغ أقصى الروم خيلي وتنتضى بأقصى بلاد الصين بيضُ صوارمي

واتفق أن المسترشد رأى فيما يرى النائم في الأسبوع الذي استشهد فيه كأن على يده حمامة مُطوَّقة ، فأتاه آتٍ وقال له : خلاصُك في ذلك ، فلما أصبح حكى لابن سكينة الإمام ما رآه ، فقال : ما أولْتَه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أولته ببيت أبي تمام الطائي :

هنّ الحمام فإن كسرت عيافةً من حائهن فانهن حِمَامُ

وخلاصي في حمامي ، وليت مَنْ يأتيني فيخلصني مما أنا فيه من الذل والحبْس . فقتل بعد المنام بأيام وكان قد خرج للاصلاح بين السلجوقية واختلاف الأجناد ، وكان معه جمع كثير من الأتراك ، فغدر أكثرهم به ولحقوا بالسلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ، ثم التقى الجمعان فلم يلبثوا إلا قليلا وانهزموا عن المسترشد ، وقبض على المسترشد وعلى خواصه ، وحُملوا إلى قلعة بقرب همذان وحُبِسوا بها ، وكان ذلك في شهر رمضان ، وبقي إلى النصف من القعدة ، وحمل مع مسعود إلى مراغة ، وأنزل بناحية من العسكر ، فدخل عليه جماعة من الباطنية من خلف الخيمة وتَعلّقوا به وضربوه بالسكاكين ، فوقعت الصيحة ، وقتل معه جماعة منهم أبو عبد الله ابن سكينة وابن الجزري ، وخرج جماعة وأمسكوا وقتلوا وأحرقوا ، وبقيت يد أحدهم لم تحترق ، وهي خارجة من النار مضمومة كلما ألقيت النار عليها لم تحترق ، ففتحوا يده فإذا فيها شعرات من كريمة المسترشد ، فأخذها السلطان مسعود وجعلها في تعويذ ذهب ، ثم جلس السلطان للعزاء ، وخرج الخادم ومعه المصحف وعليه الدم ، وخرج أهل مَراغة وعليهم المُسُوح وعلى وجوههم الرماد ، وهم يستغيثونِ ويبكون ، ودفنوه في مدرسة أحمدك ، وبقي العزاء بمراغة أياماً .

وخلف من الأولاد منصور الراشد وأبا العباس أحمد وأبا القاسم عبد الله وإسحاق توفي في حياته ، رحمه الله تعالى .

٣٩١
المطيع لله

الفضل بن جعفر ، أمير المؤمنين المطيع لله ابن المقتدر ابن المعتضد . بويع له بعد المستكفي سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ومولده سنة إحدى وثلثمائة ، وتوفي سنة أربع وستين وثلثمائة ؛ قال ابن شاهين : وخلع نفسه غير مكره في ذي القعدة سنة ثلاث وستين ، ونزل عن الخلافة لولده أبي بكر عبد الكريم ، ولقّبوه الطائع لله ، وسنّه يومئذ ثمان وأربعون سنة ، ومات المطيع في المحرم سنة أربع وستين .

وكان أبيض تعلوه صفرة ، أقنى جميل الوجه ، وكانت خلافته تسعاً وعشرين[1] سنة ، وفي أيامه أعيد الحجرُ الأسود إلى البيت من القرامطة ، ومن شعره يمدح سيف الدولة ابن حمدان :

تخيّرْتُ سيفاً من سيوف كثيرة فلم أر فيها مثل سيف لدولةِ [2]
أرى الناسَ في وسط المجالس يشربوا وذاك بثغر الشام يحفظ دولتي [3]

---

٣٩١ — ابن الأثير ٨ : ٦٣٧ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٥٣ ومروج الذهب ٩ : ٣١ والروحي : ٦٣ والفخري : ٢٥٨ وتاريخ الخلفاء : ٤٢٩ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٥٧ ؛ والترجمة ثابتة في ر .

١ ر : تسع وعشرون .

٢ ر : لدولتي .

٣ في المطبوعة : بيضتي ، وما اثبته رواية ر .

٣٩٢

الرقاشي الشاعر

الفضل بن عبد الصمد الرّقاشي البصري ، من فحول الشعراء ، ومدح الخلفاء الكبار ، وبينه وبين أبي نواس مهاجاة ومباسطة ، توفي في حدود المائتين ؛ وكان مولى رقاش ، وهو من ربيعة .

قال أبو الفرج صاحب « الأغاني » : قيل إنه كان من العجم من أهل الري ومدح الرشيد ، وأجازه ، إلا أن انقطاعه كان إلى بني برمك ، فأغنَوه عمن سواهم ، وكان كثير التعصب لهم ، ولما صُلِب جعفر جازَ به الرقاشي وهو على الجذع فبكى أحرَّ بكاء وقال الأبيات التي منها :

على اللذات والدنيا جميعاً ودولة آل برمَكٍ السّلامُ

وقد ذكرها ابن خلكان في ترجمة جعفر البرمكي[1] ، فكتب أصحابُ الأخبار إلى الرشيد ، فأحضره وقال : ما حملك على رثاء عدوي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين كان إليّ محسناً ، فلما رأيته على هذا الحال حرّكني إحسانه ، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت ، قال : فكم كان يجري عليك ؟ قال : ألف دينار في كلّ سنة ، قال : فإني قد أضعفتها لك .

قال ابن المعتز[2] : حدثني أبو مالك قال ، قال الفضل بن الربيع للرقاشي : ويلك يا رقاشي ، ما أردت بوصيتك إلا الخلاف على الصالحين ، فقال له : جُعِلت فداك لو علمتُ أني أعافى من علتي ما أوصيت بها ، فإنها من

٣٩٢ – طبقات ابن المعتز : ٢٢٦ وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥ والأغاني ١٦ : ١٨٠ والزركشي : ٢٤٥ ؛ والترجمة وردت في ر .

١ انظر وفيات الأعيان ١ : ٣٤٠ .

٢ الطبقات : ٢٢٦ وفي النص هنا بعض اختلاف .

الدخائر النفيسة التي [1] تُدَّخر للممات . ووصيته هذه أرجوزة مزدوجة يأمر فيها باللواط وشرب الخمر والقمار والنقار بين الديكة والهراش بين الكلاب ، وهو يزعم لتهتكه وخلاعته أنها من الفوائد التي [2] تدخر للوصية عند الموت ، وأولها :

أوصى الرقاشيُّ إلى إخوانه   وصيةَ المحمود في أخدانه

وهي مشهورة موجودة .

ولما قال أبو دُلَف قصيدته التي يقول فيها :

ناوليني الدرعَ قد طا   ل عن الحرب فطامي [3]

أجابه الرقاشي فقال :

جنبيني الدرعَ قد طا   ل عن القصف جمامي
واكسري البيضة والمط   رد وابدي بالسهام [4]
واقذفي في لجة البحـ   ـر بقوسي وسهامي
وبتُرْسي وبرمحي   وبسرجي ولجامي
واعقري مهري أصاب الله مهري بالصدام
أنا لا أطلب أن يُعْـ   ـرَف في الحرب مقامي
وبحسبي أنْ تراني   بين فتيان كرام
سادة نغدو مجديـ   ـن على حرب المدام
واصطفاق العود والنا   يات في جوف الظلام
نهزم الراح إذا ما   همَّ قوم بانهزام

---

١ ر : الذي .

٢ ر : الذي .

٣ الطبقات : جمامي .

٤ الطبقات : بالحسام ، وهو اصوب ، لأنه سيذكر السهام في البيت التالي .

ونُخلّي الضرب والطّعـ نَ لأشلاءٍ وهام
لشقيٍّ قال قد طا لَ عن الحرب فطامي

٣٩٣
فضل الشاعرة

فضل جارية المتوكل ، الشاعرة ؛ كانت من مولدات اليمامة [١] ، ولم يكن في زمانها امرأة أفصح منها ولا أشعر ، توفيت سنة ستين ومائتين .
قال لها يوماً علي بن الجهم [٢] :

لاذ بها يشتكي إليها فلم يجد عندها ملاذا

فقال لها المتوكل : أجيزي ، فقالت :

ولم يزل ضارعاً إليها تَهْطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد عشقاً فمات وَجداً فكان ماذا

وقال ابن المعتز [٣] : كانت تهاجي الشعراء ، ويجتمع عندها الأدباء ، ولها في الخلفاء والملوك مدائح كثيرة ، وكانت تتشيع وتتعصب لأهل مذهبها وتقضي حوائجهم بجاهها عند الملوك والأشراف . وعشقت سعيد بن حميد ، وكان من أشدّ الناس نصباً وانحرافاً عن آل البيت رضي الله عنهم ، وكانت

---

٣٩٣ — طبقات ابن المعتز : ٤٢٦ والمنتظم ٥ : ٦ والأغاني ١٩ : ٢٥٧ والزركشي : ٢٤٦ ؛ والترجمة في ر .

١ الأغاني : من مولدات البصرة ، وكانت امها من مولدات اليمامة .
٢ الأغاني : ٢٧١ .
٣ الطبقات : ٤٢٦ ولم يذكر انها كانت تهاجي الشعراء .

فضل نهاية في التشيع ، فلما هويته انتقلت إلى مذهبه ، ولم تزل على ذلك إلى أن توفيت ، ومن قولها فيه[1] :

يا حَسنَ الوجه سيء الأدبِ شِبْتَ وأنت الغلامُ في الأدبِ
ويحك إن القيانَ كالشَّرَكِ ا لمنصوب بين الغرور والكذب
بينا تشكى إليكَ إذ خرجتْ من لحظات الشكوى إلى الطلب
فلَحْظُ هذا ولحظ ذاك وذا لحظ محب بعين مكتسب

قال أبو الفرج الأصفهاني[2] ، حدثني جعفر بن قدامة قال ، حدثني سعيد ابن حميد قال : قلت لفضل الشاعرة أجيزي :

من لمحب أحَبَّ في صغره

فقالت غير متوقفة :

فصار أحدوثةً على كبره

فقلت :

من نظرٍ شفَّه وأرَّقه

فقالت :

وكان مَبدا هواه من نظره

لولا الأماني لماتَ من كمد مرّ الليالي يزيد في فكره
ليس له مسعدٌ يساعده بالليلِ في طوله وفي قصره

ومن شعرها :

قد بدا شبهُكَ يا مو لاي في جنح الظلامِ

---

١ قالت هذه الأبيات عندما بلغها ان سعيد بن حميد عشق إحدى القيان .
٢ لم ترد هذه الرواية في ترجمة « فضل » في الأغاني .

فانتبه نَقضِ لُبـانا ت اعتناقٍ والتشـام
قبل أن تفضحنا عو دةُ أرواحِ النيـام

وألقى عليها يوماً أبو دُلف العجلي :

قالوا عشقت صغيرةً فأجبتهم أشهى المطيّ إليّ ما لم يركبِ
[كم بين حَبّة لؤلؤ مثقوبة من بين حبة لؤلؤ لم تثقب][1]

فقالت تجيبه :

إن المطية لا يَلَذُّ ركوبها ما لم تُذَلَّلْ بالزمام وتركبِ
والحب ليس بنافع أربابه ما لم يؤلفْ بالنظام ويثقب

قال علي بن الجهم[2] : كنت يوماً عند فضل ، فلحظتها لحظة استرابتْ بها فقالت :

يا رُبَّ رامٍ حَسَنٍ تَعرضُهُ يرمي ولا يشعر أني غَرَضُهُ

فقلت مجيباً لها :

أيُّ فتىً لحظُكِ ليس يمرضُهْ وأي عَقْدٍ مُحْكم لا ينقضُهْ

فضحكت وقالت : خذ في غير هذا .

ويوم أهديت إلى المتوكل قال لها : أشاعرة أنت ؟ فقالت : كذا يزعم من باعني واشتراني ، فضحك المتوكل وقال : أنشدينا شيئاً من شعرك فأنشدته :

استَقبَلَ المَلْكُ إمامُ الهدى عامَ ثلاث وثلاثينا
خلافة أفضَتْ إلى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرينا
إنا لنرجو يا إمام الهدى أن تملك الدنيا ثمانينا
لا قدَّس الله امرءًا لم يَقُلْ عند دُعائي لَكَ آمينا

---

١ لم يرد في ر .
٢ الأغاني ١٩ : ٢٦٢ وديوان ابن الجهم : ١٥٣ .

حَرْفُ القَافِ

٣٩٤

ابن الطوابيقي

القاسم بن الحسين ، أبو شجاع ابن الطوابيقي البغدادي الشاعر ؛ سافر إلى الموصل ومدح الملوك بها وبديار ربيعة وديار بكر ، روى عنه عثمان البلطي النحوي شيئاً من شعره ، وتوفي سنة ست وتسعين وخمسمائة .

ومن شعره :

لِيَ بيتٌ تموت فيه السنانيـ ... ـر هزالاً والفأر في الأسرابِ
أنا فيه فوق التراب وخيرٌ ... لِيَ منه لو كنت تحت التراب

ومنه [1] :

قامتْ تَهزُّ قوامها يوم النقا ... فتساقطتْ خجلاً غصونُ البانِ
وبكت فجاوبها البُكا من مقلتي ... فتمثل الإنسان في إنساني

منها :

وأحبكم وأحب حبي فيكمُ ... وأجل قدركمُ على إنسان
وإذا نظرتكمُ بعينِ خيانةٍ ... قام الغرامُ بشافع عريان
إن لم يُخَلِّصني الوصالُ بجاهه ... سأموتُ تحت عقوبةِ الهجران

منها :

أصبحت تخرجني بغير جنايةٍ ... من دار إعزازٍ لدار هوان

---

٣٩٤ – البدر السافر : ٥٢ والزركشي : ٢٤٦ والخريدة (قسم العراق) ٢ : ٣١٨ وذكر ان وفاته كانت سنة تسع وستين (وخمسمائة) وكذلك قال صاحب البدر السافر ؛ وهذه الترجمة في ر .

١ وردت الأبيات في الخريدة : ٣٢١ .

كدمِ الفصاد يراق أرذلَ موضعٍ أبداً ويخرجُ من أعزّ مكان

٣٩٥
قاسم الواسطي

القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور ، أبو محمد الواسطي ؛ مولده بواسط سنة خمسين وخمسمائة ، وتوفي بحلب سنة ست وعشرين وستمائة ؛ كان أديباً نحوياً لغوياً فاضلاً مصنفاً ، قرأ النحو بواسط على الشيخ مصدق ابن شبيب ، وقرأ اللغة على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب ، والقراءات على الشيخ أبي بكر الباقلاني وعلى الشيخ علي ابن هياب الجماجمي ، وسمع كثيراً من كتب النحو واللغة على جماعة يطول ذكرهم .

ومن تصانيفه « شرح اللمع » لابن جني . « شرح التصريف الملوكي » له . كتاب « فعلت وأفعلت بمعنى » على حروف المعجم . كتاب في اللغة لم يتم . كتاب « شرح المقامات » على حروف المعجم . شرح آخر على ترتيب المقامات . شرح آخر على ترتيب آخر ، كتاب خُطب ، كتاب رسالة فيما أخذ على الرشيد ابن النابلسي في قصيدة نظمها في الإمام الناصر [1] .

ومن شعره :

ديباجُ خــدِّك [2] بالعذار مطرزُ برزت محاسنُهُ وأنت مبرزُ
وبدتْ على حسن [3] الصِّبا لك روضة والغصن ينبت في الرياض ويغرز

---

٣٩٥ – الزركشي : ٢٤٦ ومعجم الأدباء ١٦ : ٢٩٦ وبغية الوعاة : ٣٨٠ وابن الشعار ٥ : ٥٧٤ ؛ والترجمة في ر .

١ أورد ياقوت مقدمة هذه الرسالة .

٢ ياقوت : وجهك .

٣ ياقوت : غصن .

وجنت على وجناتِ خدك حمرةٌ ... خجل الشقيقُ بها وحار القرمز
لو كنت مدعياً نبوة يوسفٍ ... لقضى القياسُ بأن حسنك معجز

ومنه :

زهَرُ الحسنِ فوق زهرِ الرياضِ ... منه للغصن حمرةٌ في بياضِ
قد حمى ورده ونرجسه الغ ... ضَّ سيوفٌ من الجفونِ مواض
فإذا ما اجتنيت باللحظ فاحذرْ ... ما جنت صحةُ العيون المراض
فلها في القلوب قتلةُ باغٍ ... رويت عنه فتكة البرّاض[1]
وإذا فَوّقت سهاماً من الهُدْ ... ب رمين السهامَ بالأغراض

منها :

واجلُ من جوهرِ الدنان عروساً ... نطقت عن جواهر الأعراضِ
كلما أُبرزت أرتك لها وجـ ... ـه انبساط يعطيك وجه انقباض
فعلى الأفقِ للغمام مُلاءٌ ... طرزتها البروقُ بالإيماض
وكأن الرعودَ إرزامُ نُوقٍ ... فُصِلت دونها بناتُ المخاض
أو صهيلُ الجيادِ للملك الظا ... هر تسري بالجحفل النهاض

وقال يهجو الرشيد النابلسي الشاعر :

لا تعجبن لمَدْلَوَيـ ... ـهِ إذا بدا شبه المريضِ
قد ذاب من بخرٍ بفيـ ... ـهِ نما[2] من الخلق البغيض
وتكسرتْ أسنانه ... بالعض في جعس[3] القريض
وتقطعتْ أنفاسه ... عرضاً بتقطيع العروض

---

١ البراض بن قيس الكناني يضرب به المثل في الفتك إذ قتل عروة الرحال حين أجار احدى اللطائم .
٢ ياقوت : بدا .
٣ ر : جبس .

وله فيه :

يا من تأمل مدلويـ ـه وشكَّ فيما يسقمُهْ
انظر إلى بَخَرٍ بفيـ ـه وما أظنك تفهمه
لا تحسبنَّ بأنه نَفَسٌ يغيّره فَمُه
لكنما أنفاسه نتنت بشعرٍ ينظمه

وقال يهجو جماعة :

ويُبْدُونَ الطلاقةَ من وجوه كما يبدو لك الحجرُ الصقيلُ
إذا قاموا لمجدٍ أقعدتهم مَسَالِكُ ما لهم فيها سبيل
وإن طلبوا الصعودَ فمستحيلٌ وإن لزموا النزولَ فما يزولوا[1]
كذاك السجل[2] في الدولاب يعلو صعوداً والصعودُ له نزول

وقال :

لنا صديقٌ فيه انقباضٌ ونحن بالبسط نستلذُّ
لا يعرف الفتح من يديه إلا إذا ما أتاه أخْذ
فكفه « أين » حين تعطي شيئاً[3] وبعد العطاء « مُنْذ »

وقال :

لا تُرِدْ من خيار دهرك خيراً فبعيدٌ من السراب الشرابُ
رونق كالحباب يعلو على الكأ س ولكنْ تحت الحباب الحباب
عَذُبَتْ في النفاق ألسنةُ القو م وفي الألسُنِ العذاب العذاب

وقال :

أفي البان إن بان الخليطُ مخبرُ عسى ما انطوى من عهد لَمْيَاءَ يُنشرُ

---

١ ياقوت : يزول .
٢ ر : السخل .
٣ ر : شيء .

نعم حركات في اعتدال سكونها أحاديثُ يرويها النسيم المعطر
يود ظلامُ الليل وهو ممسَّكٌ لذاذاتها والصبحُ وهو مزعفر
أحاديث لو أن النجوم تمتعت بأسرارها لم تدر كيف تغوَّر
يموت بها داءُ الهوى وهو قاتلٌ ويحيا بها ميتُ الجوى وهو مقبر
فيا لنسيم صحتي في اعتلاله وصحوي إذا ما مرّ بي وهو مسكر
كأن بـه مشمولةً بابليةً صَفَتْ وهي من غض الشمائل تعصر
اذا نشأت مالت بلبك نشوة كما مال مهزوز يماح [1] ويمطر

وقال :

في زهرة وطيب بستاني من أوجه ملاح
أجلو على القضيب ريحاني والورد والأقاح

ما روضة الربيع في حلة الكمال
تزهى [2] على ربيع مرّت به شمال [3]
في الحسن كالبديع بالحسن والجمال

ناهيك من حبيبِ نشوانِ بالدل وهو صاح
إن قلت وا لهيبي حيـاني من ثغره بِراح

كم بت والكؤوسُ تُجلى من الدنان
كأنهـا عروسُ زفت من الجنان
تبدو لنا الشموسُ منها على البنان

لم أخشَ من رقيب ينهاني ألهو إلى الصباح
مَعْ شادنٍ ربيب فتّانِ زَنْدِي له وشاح

---

١ ر : يماج ، وأثبت ما عند ياقوت .
٢ ياقوت : تزهو .
٣ ياقوت : الشمال .

خيل الصبا بركضي تجري مع الغـواه
في سنتي وفرضي ما أبتغي سـواه
وحجّتي لعرضي ما تنقل الرواه
عن عاقلٍ لبيبِ أفتاني أن الهوى مُباح
والرشفُ من شنيب ريّانِ ما فيه من جناح

٣٩٦
علم الدين البرزالي

القاسم بن محمد بن يوسف ، الشيخ الإمام الحافظ المحدث المؤرخ ، علم الدين أبو محمد ابن العدل بهاء الدين ابن الحافظ زكي الدين البرزالي الإشبيلي ثم الدمشقي الشافعي ؛ ولد في جمادى الأولى سنة خمس وستين وستمائة ، وحفظ القرآن « والتنبيه » ومقدمة ابن الحاجب ، وسمع سنة ثلاث وسبعين من أبيه ومن القاضي عز الدين ابن الصائغ ، ولما سمع « صحيح البخاري » من الإربلي بعثه والده فسمعه سنة سبعٍ ، وأحب الحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ ، وسمع من ابن أبي الخير وابن أبي عمر وابن علان وابن شيبان والمقداد والفخر ، وجدّ في الطلب ، وذهب إلى بعلبك ، وارتحل إلى حلب سنة خمس وثمانين ، وفيها ارتحل إلى مصر ، وأكثر عن العز الحراني وطبقته ، وكتب بخطه الصحيح المليح كثيراً ، وخرج لنفسه

٣٩٦ – طبقات السبكي ٦ : ٢٤٦ والأسنوي ١ : ٢٩٢ والدرر الكامنة ٣ : ٣٢١ والدارس ١ : ١١٢ والبداية والنهاية ١٤ : ١٨٥ والنجوم الزاهرة ٩ : ٣١٩ والشذرات ٦ : ١٢٢ وتاريخ ابن الوردي ٢ : ٣٢٧ والبدر الطالع ٢ : ٥١ والذيل على طبقات الحفاظ : ١٨ وذيل عبر الذهبي : ٢٠٩ والزركشي : ٢٤٨ والرد الوافر : ١١٩ ؛ ووردت الترجمة في ر .

وللشيوخ شيئاً كثيراً ، وجلس في شبيبته مدة مع أعيان الشهود ، وتقدم في معرفة الشروط ، ثم اقتصر على جهات تقوم به ، وورث من أبيه جملة ، وحصل كتباً جيدة وأجزاء في أربع خزائن ، وبلغ ثبته أربعاً وعشرين مجلداً ، وأثبت فيه مَن كان يسمع معه ، وله تاريخ بدأ فيه من عام مولده الذي توفي فيه الإمام أبو شامة فجعله صلةً لتاريخ أبي شامة في خمس مجلدات ؛ وله مجاميع وتعاليق كثيرة ، وعمل في فن الرواية عملاً قلّ مَن يبلغ إليه ، وبلغ عدد مشايخه بالسماع أكثر من ألفين ، وبالإجازة أكثر من ألف ، رتب كل ذلك وترجمهم في مسودات متقنة ؛ وكان رأساً في صدق اللهجة والأمانة ، صاحب سنة واتباع ولزوم الفرائض ، خيراً متواضعاً حسن البشر عديم الشر ، فصيح القراءة مع عدم اللحن ، قرأ ما لا يوصف كثرة وروى ، وكان عالما بالأسماء والألفاظ ، وكان فيه حلم وصبر وتودد ولا يتكثر بفضائله ولا يتنقص بفاضل بل يُوفّيه فوق حقه ، يلاطف الناس وله ودّ في القلوب وحب في الصدور . احتسب عدة أولاد : منهم محمد ، تلا بالسبع وحفظ كتباً ، وعاش ثمان عشرة[1] سنة ، ومنهم فاطمة ، عاشت نيفاً وعشرين سنة ، وكتبتْ صحيح البخاري وأحكام مجد الدين وأشياء .

وللشيخ علم الدين إجازات عالية عام مولده من ابن عبد الدايم وإسماعيل ابن عزون والنجيب ، وحدّث في أيام شيخه ابن البخاري ، وكان حلو المحاضرة قوي المذاكرة عارفاً بالرجال ، لا سيما أهل زمانه وشيوخهم ؛ لم يخلف بعده مثله .

حج سنة ثمان وثمانين وأخذ عن مشيخة الحرمين ، ثم حج أربعاً بعد ذلك ، وكان باذلاً لكتبه وأجزائه سمحاً في كل أموره ، مؤثراً متصدقاً .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وهو الذي حبّب إليّ طلب الحديث ،

---

١ ر : ثمانية عشر .

قال لي : خطّك يشبه خط المحدّثين ، فأثّر قوله فيّ وسمعت وتخرجت به في أشياء ؛ وَلِيَ دار الحديث الأشرفية مُقْرِئاً فيها ، وقرأ بالظاهرية سنة ثلاث عشرة[1] وسبعمائة ، وحضر المدارس وتفقه بالشيخ تاج الدين عبد الرحمن وصحبه وأكثر عنه وسافر معه ، وجوّد القراءة على رضيّ الدين ابن دبوقا ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية ومشيخة النفيسية ، ووقف كتبه وعقاراً جيداً على الصدقات ؛ وتوفي بخُلَيص[2] بكرة الأحد الرابع من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن أربع وسبعين سنة ونصف ، وتأسف الناس عليه ، رحمه الله تعالى .

٣٩٧
صاحب الموصل

قرواش بن مقلد بن المسيب بن رافع ، الأمير أبو المنيع معتمد الدولة ابن الأمير حسام الدولة العقيلي صاحب الموصل ؛ وقد خطب في بلاده للحاكم ثم رجع عن ذلك وخطب للقادر العباسي ، فجهز صاحب مصر جيشاً لحربه ، ووصل إلى الموصل ونهبوا داره وأخذوا له من الذهب مائتي ألف دينار ، فاستنجد عليهم بدبيس بن صدقة واجتمعا على حربهم فنصرا عليهم ، وقتلا منهم خلقاً كثيراً .

---

١ ر : ثلاثة عشر .

٢ خليص : حصن بين مكة والمدينة (ياقوت) .

٣٩٧ — ابن خلكان ٥ : ٢٦٣ (في ترجمة والده المقلد بن المسيب) ودمية القصر ١ : ٣١ والشذرات ٣ : ١٣٨ وعبر الذهبي ٣ : ١٩٦ والنجوم الزاهرة ٥ : ٤٩ وصفحات متفرقة من (ج : ٩) لابن الأثير ؛ وقرواش بكسر القاف وسكون الراء ، وضبطه ابن تغري بردي بفتح القاف ، ومعناه بالتركية : « عبد أسود » ؛ وهذه الترجمة وردت في ر .

وكان[1] ظريفاً شاعراً نهّاباً وهّاباً ، وجمع بين أختين فلاموه فقال : خبروني ما الذي نستعمل من الشرع حتى تتكلموا في هذا الأمر ؟ وقبض عليه بركة ابن أخيه وحبسه وتلقب زعيم الدولة ، فلم تطل دولته ، فقام بعده أبو المعالي قريش بن بدران بن مقلد ابن أخيه ، فأوّل ما ملك أخرج عمه قرواشاً وذبحه صبراً ، وقيل بل مات في سجنه سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

وفي قرواش يقول الظاهر الجزري[2] :

وليلٍ كوجه البرقعيديِّ ظلمةً ... وبَرْدِ أغانيه وطول قرونهِ
سريتُ ونومي فيه نومٌ مشرَّدٌ ... كعقل سليمان بن فَهْدٍ ودينه
على أولقٍ فيه مَضاءٌ كأنه ... أبو جابر في طَيْشه وجنونه
إلى أن بدا وجهُ الصباح كأنه ... سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وكانت إمارة قرواش خمسين سنة .

حكى أبو الهيجاء ابن عمران بن شاهين قال[3] : كنت أُسايرُ معتمد الدولة قرواشاً ما بين سنجار ونصيبين ، فنزل ثم استدعاني بعد الزوال وقد نزل هناك بقصر العباس بن عمرو الغنوي ، وهو مُطِلٌّ على بساتين ومياه كثيرة ، فدخلت عليه فوجدته قائماً يتأمل كتابةً في الحائط ، فقرأتها فإذا هي :

يا قصرَ عباسِ بن عمـ ... ـرٍو كيف فارقك ابن عَمرِك ؟
قد كنت تغتال الدهو ... ر فكيف غالك ريب دهرك ؟
واهاً لعزك بل لجو ... دك بل لمجدك بل لفخرك

وتحت الأبيات مكتوب : وكتب علي بن عبد الله بنِ حمدان سنة إحدى

---

١ انظر ابن خلكان ٥ : ٢٦٦ .
٢ قد مرت ترجمته ، وانظر ابن خلكان ٥ : ٢٦٥ .
٣ ابن خلكان ٥ : ٢٦١ .

وثلاثين وثلثمائة ، وهذا الكاتب هو سيفُ الدولة ابن حمدان ، وتحت ذلك مكتوب :

يا قصرُ ضعضعك الزما نُ وحطَّ من علياء قدرك[1]
ومحا محاسن أسطرٍ شرفتْ بهنَّ متونُ جُدْرِك
واهاً لكاتبها الكريـ م وقدره الموفي بقدرك

وتحت الأبيات : وكتبه الغضنفر بن الحسن بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة اثنتين وستين وثلثمائة ، وتحت ذلك مكتوب :

يا قَصرُ ما فَعلَ الأولى ضُرِبتْ خيامهمُ بعقرك ؟
أخنى الزمانُ عليهمُ وطواهمُ تطويلُ نشرك
آها لقاصرِ عمرِ مَنْ يختال فيك وطول عمرك

وتحت ذلك مكتوب : وكتب المقلّد بن المسيب بن رافع بخطه سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ، وهذا هو حسامُ الدولة أبو قرواشٍ المذكور ، وتحت ذلك مكتوب :

يا قصرُ ما فعل الكرا مُ الساكنون قديم عصرك
عاصرتَهم فبذذتهم وشأوتهم طرّاً بصبرك
ولقد أثار تفجعي يا ابن المسيب رقمُ سطرك
وعلمتُ أني لاحقٌ بك دائباً[2] في قَفْو إثرك

وتحت ذلك مكتوب : وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب سنة إحدى وأربعمائة . قال الراوي : فعجبت لذلك ، وقلت له : الساعة كتبت هذا ؟ قال : نعم ، ولقد هممت بهدم هذا القصر فإنه مشوم ، دفن الجماعة ؛ فدعوت

---

١ ابن خلكان : فخرك .
٢ ابن خلكان : دائب .

له بالسلامة ، ولم يهدم القصر .

وسيأتي ذكر والده المقلد في مكانه من حرف الميم إن شاء الله تعالى .

ومن شعر قرواش[1] :

لله درُّ النائباتِ فإنها ... صَدَأ اللئام وصيْقَلُ الأحرارِ
ما كنت إلا زبرة فطبَعتني ... سيفاً وأطلق صرفهن غِراري

ومنه أيضاً :

وآلفةٍ للطيب ليستْ تُغبِّه ... منعمةِ الأطراف لينةِ اللمسِ
إذا ما دخان الندّ من جَيبِها علا ... على وجهها أبصرتَ غيماً على شمس

٣٩٨

المظفر قطز

قُطُز بن عبد الله الشهيد ، الملك المظفر سيف الدين المعزي ؛ كان من أكبر مماليك المعز أيبك التركماني ، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً حازماً حسن التدبير يرجع إلى دين وإسلام وخير ، وله اليد البيضاء في جهاد التّتار .

حكى شمس الدين الجزري في تاريخه عن أبيه قال : كان قطز في رق ابن الزعيم بدمشق في القصاعين ، فضربه أستاذه فبكى ولم يأكل يومه شيئاً ، ثم ركب أستاذه وأمر الفرّاش يترضّاه ويطعمه ، فحدثني الحاج علي الفراش قال : جئته فقلت له : ما هذا البكاء من ضربة ؟ فقال : إنما بكائي من

---

١ ورد في الدمية وابن خلكان .

٣٩٨ – النجوم الزاهرة ٧ : ٧٢ والشذرات ٥ : ٢٩٣ وعبر الذهبي ٥ : ٢٤٧ وذيل مرآة الزمان ٢ : ٢٨ – ٣٦ ؛ ووردت الترجمة في ر .

لعنته أبي وجدي وهما خير[1] منه ، فقلت : ومن أبوك ؟ واحد كافر ، فقال : والله ما أنا إلا مسلم ابن مسلم ، أنا محمود بن مودود ابن أخت خُوارَزْم شاه ، من أولاد الملوك ؛ فترضيته . ولما تملك أحسنَ إلى الفرّاش وأعطاه خمسمائة دينار وعمل له راتباً .

وحكى الجزري أيضاً في تاريخه قال : حدّثني أبو بكر بن الدريهم الإسعردي والزكي إبراهيم الجبيلي أستاذ الفارس أقطاي قال : كنا عند قطز لما تسلطن أستاذه المعز أيبك ، وعنده منجم مغربي ، فصرف أكثر مماليكه ، فأردنا القيام فأمَرنا بالقعود ، ثم أمر المنجم فضرب الرمل وقال : اضرب لمن يملك بعد أستاذي ومن يكسر التتار ؛ فضرب وبقي زماناً يحسب وقال : يا خوند يطلع معي خمس حروف بلا نَقْط ، فقال : لم لا تقول محمود بن مودود ؟ فقال : يا خوند لا يقع إلا هذا الاسم ، فقال : [أنا] هو ، وأنا أكسرهم وآخذ بثأر خالي خوارزم شاه ، فقلنا : يا خوند إن شاء الله تعالى ، فقال : اكتموا هذا ، وأعطى المنجم ثلاثمائة درهم .

وكان مدبِّر دولة ابن أستاذه المنصور علي بن المعز أيبك ، فلما دهم التتار الشام رأى أن الوقت يحتاج إلى سلطان مهيب ، فعزل الصبيَّ وتسلطن ، وتمَّ له ذلك في أواخر سنة سبع وخمسين ، فلم يبلع ريقه ولا تهنا بالسلطنة حتى امتلأ الشام تتار[2] ، فتجهز للجهاد وأخذ أهبة الغزو ، والتفَّ إليه عسكر الشام وبايعوه ، فسار بالجيوش في أوائل رمضان وعمل المصافَّ مع التتار على عين جالوت ، وعليهم كتبغا ، فنصره الله عليهم وقتل مُقدمهم .

وكان قطز شاباً أشقر كبير اللحية ، ولما كسر التتار جَهّز بيبرس – أعني الظاهر – في أثر التتار ووعده بنيابة حلب ، فساق وراهم إلى أن طردهم عن الشام ، ثم انثنى عزمه عن إعطائه حلب وولاّها علاء الدين

---

١ ر : خيراً .

٢ كذا في ر .

ابن صاحب الموصل ، فتأثر الظاهر من ذلك ، ودخل قطز دمشق وأحسن إلى الرعية فأحبوه حباً زايداً ، ثم استناب على البلد علم الدين سنجر الحلبي ، ورجع بعد شهر إلى القاهرة . فقتل بين الغرابي والصالحية . ودفن بالقصير ، رحمه الله تعالى، سنة ثمان وخمسين وستمائة ، تولى قتله الظاهر وأعانه جماعة من الأمراء ، وبقي مُلقّى فدفنه بعض غلمانه ، وصار قبره يُقصد بالزيارة ويترحم عليه ويُسَبّ مَن قتله ، فلما كثر ذلك بعث الظاهر مَن نبشه ونقله إلى مكان لا يعرف ودفنه ، وعفّى قبره وأثره ، وكان قتله في سادس عشر القعدة من السنة .

٣٩٩
المنصور قلاوون

قلاوون السلطان المنصور سيف الدنيا والدين ، أبو المعالي وأبو الفتوح الصالحي النجمي ؛ اشتري بألف دينار ولهذا كان يقال له « الألفي » ؛ كان من أحسن الناس صورة في صباه وأبهاهم ، كان تام الشكل مهيباً مستدير اللحية ، قد وَخَطه الشيب ، على وجهه هَيبةُ الملك وعليه سكينة ووقار ؛ كان في إمرته إذا دخل دمشق ينزل في دار الزاهر ، وعمل نيابة السلطنة للملك العادل سلامش ابن الظاهر عندما خلعوا السعيد وحلفوا لسلامش وهو ابن سبع سنين ، وضربت السكة بوجهين : وجه عليه اسم سلامش ووجه عليه اسم قلاوون ، وبقي هذا الحال مدة شهرين ، وفي رجب سنة

---

٣٩٩ – النجوم الزاهرة ٧ : ٢٩٢ والشذرات ٥ : ٤٠٩ وعبر الذهبي ٥ : ٣٦٣ والسلوك ١ : ٦٦٣ وكتاب تشريف الأيام والعصور لابن عبد الظاهر هو سيرته (تحقيق الدكتور مراد كامل ، القاهرة) ؛ والترجمة في ر .

ثمان وسبعين خلعوا العادل سلامش ، وبايعوا الملك المنصور قلاوون ، واستقل بالملك ، وأمسك جماعة أمراء ظاهرية ، واستعمل مماليكه على نيابة البلاد .

وكسر التتار سنة ثمانين ، ونازل حصن المرقب [1] وفتحه سنة أربع وثمانين ، وفتح طرابلس ، وأنشأ بالقاهرة بين القصرين المدرسة العظيمة والبيمارستان العظيم الذي لم يكن مثله [2] ، وتوفي في سادس القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ظاهر القاهرة ، وحُمِل إلى القلعة وملك بعده ولدُه الأشرف ، فلما كان مستهل سنة تسع أُنْزِل من القلعة في تابوته إلى تربته ، وفرق الذهب على القراء ، وكان ملكاً عظيماً لا يحب سفك الدماء ، إلا أنه كان يحب جمع الأموال ، وأبقى الله تعالى الملك في بيته من بنيه ومماليكه وبني بنيه إلى الآن ، رحمه الله تعالى .

٤٠٠

قيس ابن ذريح

قيس بن ذريح – بالذال المعجمة – الكناني صاحب لُبنى ؛ قال صاحب « الأغاني » : كان رضيعاً للحسن بن علي عليهما السلام ، مرَّ بخيام بني كعب والحي خُلُوف فوقف على خيْمة لُبْنى بنت الحباب ، فاستسقى ماء فسقته ،

١ كان حصن المرقب بساحل جبلة حينئذ للاسبتارية ، وقد أخرجهم قلاوون من ذلك الحصن إلى طرابلس .

٢ قال المقريزي (السلوك ١ : ٧١٦) وفيها (أي سنة ٦٨١) اشتريت الدار القطبية بين القصرين من القاهرة من خالص مال السلطان ... وقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في عمارتها مارستاناً وقبة ومدرسة باسم السلطان الملك المنصور قلاوون ، فأظهر من الاهتمام في العمارة مالم يسمع بمثله .

٤٠٠ – الأغاني ٩ : ١٧٤ والمؤتلف : ١٢٠ والسمط : ٧١٠ والموشح : والنجوم الزاهرة ١ : ١٨٢ والشعر والشعراء : ٥٢٤ والزركشي : ٢٤٨ وصفحات متفرقة من تزيين الأشواق ؛ والترجمة في ر .

وكانت امرأة مَديدة القامة شهلاء حلُوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت في نفسه فشرب الماء ، فقالت : انزل فتبرَّد عندنا ، قال : نعم ، ونزل ، فجاء أبوها فنحر له وأكرمه ، وانصرف قيس وفي قلبه النار من لبنى ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوي ، ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجدُه بها ، فظهرت له فشكا إليها ما يَجِدُه من حبها وشكت إليه مثل ذلك ، وانصرف إلى أبيه يسأله زواجها فأبى عليه وقال : بنات عمك أحق بك ، وكان ذريح كثير المال ، فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به ، فاستعان بأمه على أبيه فلم يجد عندها ما يحب ، فأتى الحسن بن علي رضي الله عنهما وشكا إليه ما به ، فقال : أنا أكفيك، ومشى معه إلى أبي لبنى ، فلما رآه أعظمه ، فقال له : قد جئتك خاطباً ابنتك لقيس بن ذريح ، فقال : يا ابن بنت رسول الله ما كنا لنعصي لك أمراً ، وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن نحب أن يخطبها أبوه ذريح ، فإنا نخاف إن لم يسمح أبوه أن يكون علينا عارٌ وسُبّة ، فأتى الحسن رضي الله عنه ذريحاً وقومَه فأعظموه ، فقال لذريح : أقسمتُ عليك إلا خطَبْتَ لُبنى لقيس ، فقال : السمع والطاعة ، ثم قام في وُجُوه القوم وخطبها لابنه وزوّجه إياها وزُفَّت إليه ، فأقام معها مدّة لا ينكر أحد منهم [1] من صاحبه شيئاً . وكان أبرَّ الناس بأبيه ، فألهاه عكوفُه على لُبنى عن ذلك ، ووجدت أمّه في نفسها فقالت لأبيه : لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك ولداً ، وقد حُرِم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى غير ولدك ، فزوِّجهُ بغيرها لعل الله يرزقه ولداً ، وألحت عليه ، فأمهل قيس [1] حتّى اجتمع قومه وقال له : يا قيس إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا لي ولد سواك ، وهذه المرأة ليست بوَلُود فتزوّج غيرها من بنات عمك لعل الله يهب لك ولداً تقرُّ به أعيننا ،

---

[1] كذا في ر .

فقال قيس : لا أتزوّج غيرها أبداً ، فقال أبوه : إنّ في مالي سعة فتسرَّى[1] بالجواري ، قال : ولا أسوؤها بشيء ، فقال : أقسمت عليك إلا طلّقتها ، قال : الموت عندي والله أسهل من ذلك ، ولكن أخيرك خصال[1] ، قال : ما هي ؟ قال : تزوّج أنت لعل الله يرزقك ولداً غيري ، قال : ما فيّ فضلٌ لذلك ، قال : فدعني أرحل عنك بأهلي واصنعْ ما أنت صانع لو مُتُّ في علتي هذه ، قال : ولا هذه ، قال : فأدع لُبنى عندك وأرتحل عنك فلعلي أسلوها فإنها تطيب نفسي أنها في حبالي ، قال : ولا هذه ، ولا أرضى إلا أن تطلقها ، ثم حلف أنه لا يكنه بيت ولا سقف إلا أن تطلق[1] لبنى ، وكان يخرج فيقف في الشمس فيجيء قيس ويقف إلى جانبه ويظلل عليه بردائه ويَتَصْلَى هو بحرّ الشمس حتى يفيء الفيء ،فينصرف عنه فيدخل إلى لبنى فيعانقها ويبكي وتبكي معه وتقول له : يا قيس إياك أن تطيع أباك فتهلك وتهلكني ، فيقول : ما كنت لأطيع فيك أحداً أبداً . فيقال إنه مكث كذلك سنة ، وقيل بل أربعين يوماً ، ثم طلقها ، فلما بانت بطلاقها وفرغ من الكلام لم يلبث أن استُطير عقله ولحقه مثل الجنون ، وأسف وجعل يبكي وينشج ، وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ، فأقبل بهودج على ناقة وإبل تحمل أثاثها ، فلما رأى قيس ذلك أقبل على جاريتها وقال : ويلك ! ما دهاني فيكم ؟ قالت : لا تسألني وسَل لُبنى ، فذهب إلى لبنى ليسلم عليها فمنعه قومها ، وأقبلت عليه امرأة من قومه وقالت له : مالك تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل ؟ هذه لبنى ترحل الليلة أو غداً ؛ فسقط مغشياً عليه لا يعقل ، ثم أفاق وهو يقول :

وإني لمُفنٍ دمعَ عينيَّ بالبكا ... حذار الذي قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة ... فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيّتي ... بكفك إلا أنّ ما حان حائن

---

١ كذا في ر .

ورحلت لبنى واشتد مرضه ، فسأل أبوه فتيات الحي أن يَعُدنه ويتحدثن عنده ويعللنه ، فأتينه وجلسن عنده ، وجاءه طبيب يُداويه فقال قيس :

عُدن[1] قيساً من حب لبنى ، ولبنى داءُ قيسٍ ، والحبُّ داء شديدُ
فإذا عادني العوائدُ يوماً قالت العين : لا أرى[2] من أريد
ليت لُبنى تعودني ثم أقضي إنها لا تعود فيمن يَعُود
ويح قيسٍ ماذا تضمَّنَّ منها داء خَبْلٍ والقلبُ منه عَميد

فقال له الطبيب : مذ كم وجدت العلة بهذه المرأة ؟ فقال :

تَعلَّقَ رُوحي روحَها قبل خَلقنا ومِن بعد ما كنا نطافاً وفي المهدِ
فزاد كما زدنا فأصبح نامياً وليس إذا متنا بمنفصم العهد
ولكنه باقٍ على كلِّ حادثٍ وزائرنا في ظلمةِ القبر واللحد

ومن شعره :

وفي عروةَ العذريِّ إن متُّ أسوَةٌ وعمرو بن عجلان الذي قتلتْ هندُ
وبي مِثلُ ما قد نابه ، غير أنني إلى أجَلٍ لم يأتِني وقتُه بَعد
هَلِ الحبُّ إلا عبرةٌ ثم زَفرة وحَرٌّ على الأحشاء ليس له بَرْد
وفَيضُ دُمُوعٍ تَستهلُّ إذا بَدا لنا عَلَم من أرضكم لم يكن يبدو

وشكا أبو لبنى قيساً إلى معاوية ، وأعلمه بتعرضه لها بعد الطلاق ، فكتب إلى مروان بن الحكم بهدر دمه ، وأمر أباها أن يزوجها بخالد بن حلزة من بني غَطَفان ، فلما علم قيس جزع جزعاً شديداً ، وقال :

فإن يحجُبُوها أو يحُلْ دون وصلها مَقالَةُ واشٍ أو وعيدُ أميرِ
فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجنَّ ضميري

---

١ ر : عنده .
٢ ر : الذي .

وكنا جميعاً قبل أن يظهر النوى بأنعم حالَيْ غبطَةٍ وسُرور
فما برح الواشون حتى بَدَتْ لنا بطونُ النوى مقلوبةً لظهور
لقد كنت حَسب النفس لو دام وصلنا ولكنما الدنيا متاعُ غُرور

ولم يزل تارةً يتوصل إلى زيارتها بالحيلة عليها ، وتارة تزوره وهو نازل على قوم ، إلى أن ماتت لبنى ، فتزايد ولعُه وجَزَعه وخرج في جماعة قومه حتى وقف على قبرها ، وقال :

ماتَتْ لُبَيْنى فموتها موتي هل تنفعنْ حسرةٌ على الفوتِ
فسوف أبكي بكاء مكتئبٍ قضى حَياةً وجداً على ميت

ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه ، فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل ؛ ولم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب متكلماً حتى مات ودفن إلى جانبها ، وكانت وفاتهما في حدود السبعين للهجرة ، رحمهما الله تعالى .

٤٠١
مجنون ليلى

قيس بن الملوَّح بن مزاحم بن قيس ، هو مجنون بني عامر ؛ قال صاحب « الأغاني » : لم يكن مجنوناً ، ولكن كانت به لُوثة مثل أبي حَيّة النميري[١]

٤٠١ — الشعر والشعراء : ٤٦٧ والأغاني ٢ : ٥ والخزانة ٢ : ١٦٩ والمؤتلف : ١٨٨ ومعجم المرزباني : ٢٩٢ (معاذ بن كليب) ٤٤٨ (مهدي بن الملوح) والسمط : ٣٥٠ ، وديوانه بتحقيق الأستاذ عبد الستار فراج ؛ وبعض هذه الترجمة في ر .

١ اسمه الهيثم بن الربيع ، شاعر إسلامي عاصر جريراً والفرزدق ، انظر الشعر والشعراء : ٦٥٨ والأغاني ١٦ : ٢٣٦ وطبقات ابن المعتز : ١٤٣ والخزانة ٤ : ٢٨٣ .

وكان سبب عشقه لليلى أنه أقبل ذات يوم على ناقة له ، وعليه حلّتان من حلل الملوك ، وكان من أجمل الفتيان ، فمر بامرأة من قومه يقال لها كريمة وعندها جماعة من النسوان تحدّثهن فيهنّ ليلى ، فأعجبهن جمالُه فدعونه إلى النزول ، فنزل وأمر عبداً كان معه فعقر لهنّ ناقته ، وتحدثن بقية يومه معه ، فبينما هم كذلك إذ طلع فتًى من الحيّ يُسمّى منازل ، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون ، فغضب وقام من عندهن وهو يقول[1] :

أأعقر من أجل الكريمة ناقتي ووصليَ مقرونٌ بوصل[2] مُنازلِ
إذا جاء قَعقَعن الحليّ ولم أكن إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل
متى ما انتضلنا بالسهام نَضَلَته[3] وإن يرمِ رشقاً عندها فهو ناضلي

ولما أصبح لبس حلّتيه وركب ناقة أخرى ومضى متعرضاً لهن ، فرأى ليلى قاعدة بفناء بيتها ، وكان قد علق قلبه بحبها ، وعندها جُوَيريات يتحدثن معها ، فوقف المجنون وسلم عليهن فدعونه إلى النزول وقلن له : هل لك في محادثة مَن لا يشغله عنك مُنازل ولا غيره ؟ فقال : إيه لعمري ، ونزل وعقر ناقته ، فأرادت ليلى أن تعلم : هل لها عنده مثل ما له عندها ، فجعلت تُعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتحدث غيره ، وكان قد شغفته [بحبها واستملحته][4] واستملحها ، فبينما هي تحدثه إذ أقبل فتًى من الحي ، فدعته ليلى وساررته سراً ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون وقد تغير وامتقع لونه فقالت :

كِلانا مُظْهِرٌ للناس بُغْضاً وكلٌّ عند صاحبه مَكينُ

١ ديوانه : ٢٢٩ .
٢ الديوان : مفروش لوصل .
٣ ر : فضلته .
٤ لم يرد في ر ، وثبت في المطبوعة .

تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثمَّ هَوًى دفين

فلما سمع البيتين شهق وأغمي عليه فنضحوا الماء على وجهه ، فأفاق بعد ساعة وقد تمكن حب كل منهما من قلب الآخر ، وانصرفا وقد أصاب المجنون لوثة ولم يزل في جنبات الحيّ منفرداً عارياً ولا يتكلم ، إلا أن يذكروا له ليلى فيثوب إليه عقله .

فلما تولى الصدقات عليهم نوفل بن مساحق رأى المجنون يلعب بالتّراب عُرياناً ، فسأل عنه فأخبروه بخبره وحكوا له ما هو فيه ، فأراد أن يكلمه فقيل له : ما يكلمك إلا إن ذكرت له ليلى وحديثها ، فأقبل عليه وذكرها له فثاب إليه عقله وأقبل يحدّثه بحديثه وينشده شعره فيها ، فرقّ له نوفل وقال له : أتحب أن أزوّجكها ؟ قال : نعم ، وكيف لي بذلك ؟ فدعا له بثياب فألبسه إياها ، وراح معه كأصَحِّ ما يكون يحدّثه وينشده ، فبلغ ذلك رهط ليلى فتلَقّوْهُ بالسلاح وقالوا : لا والله يا ابن مُساحق ، لا يدخل المجنون منازلنا وقد أهدرَ السلطان دمه ، فأقبل بهم وأدبر فأبوا ، فقال للمجنون : إنّ انصرافك[1] أهون من سفك الدماء ، فانصرف وهو يقول[2] :

أيا ويْحَ مَن أمسى يُخَلّسُ عقله فأصبح مذهوباً به كلَّ مذهبِ
خليّاً من الخلانِ إلا معذراً[3] يضاحكني من كان يهوى[4] تجنبي
إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت روائعُ عقلي من هوًى متشعب
وقالوا صحيحٌ ما به طيفُ جِنّةٍ ولا الهمّ إلا بافتراء التكذب
تجنّبُ ليلى أن يلجَّ بك الهوى وهيهات كان الحبُّ قبل التجنب
ألا إنما غادرتِ يا أم مالك صدى أينما تذهبْ به الريح يذهب

---

١ ر : اصرافك .
٢ الديوان : ٧٨ .
٣ الديوان : معذباً .
٤ ر : يلهو .

ثم إنّ المجنون وأهله وعشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى ووعَظُوه وناشدوه الرحم وقالوا : إن هذا الرجل هالك ، وقد حكمناك في المهر ، فأبى وحلف بالطلاق أن لا يزوّجها به أبداً وقال : يا قوم أفضحُ نفسي وعشيرتي ! ! فانصرفوا عنه ، وزُوّجها رجل من قومه وبنى بها في تلك الليلة ، فيئس المجنون وزال عقله جملة ، فقالوا لأبيه : احجُجْ به وادعُ الله له فلعل الله أن يخلصه ، فحج به ، فلما كان بمنًى سمع صارخاً بالليل يصيح « يا ليلى » فصرخ صرخة كادت نفسه تزهق معها ووقع مغشياً عليه ، ولم يزل كذلك حتى أصبح فأفاق وهو حائل اللون وجعل يقول[1] :

عرضتُ على قلبي العزاء فقال لي ... من الآن فايأسْ لا أعزك من صبر [2]
إذا بان مَن تهوى وأصبح نائياً ... فلا شيءَ أجدى من حلولك في القبر
وداعٍ دعا إذ نحن بالخيْفِ من منى ... فهيَّجَ أحزانَ الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائراً كان في صدري
دعا باسم ليلى ضَلّل الله سَعْيَه [3] ... وليلى بأرضٍ عنه نازحة قفر

قال العتبيّ : مرّ المجنون يوماً بزوج ليلى وهو جالس يصطلي في يوم بارد ، فوقف عليه المجنون ثم أنشأ يقول[4] :

بربك هل ضَمَمْتَ إليك ليلى ... قُبَيل الصبح أو قَبّلتَ فاها ؟
وهل رَفّتْ عليك قرونُ ليلى ... رفيف الأقحوانة في نَداها ؟

فقال : اللهم إذ حلّفتني فنعم ، فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر فسمع نشيش لحمه وسقط لحم كفيه مع الجمر ووقع مغشياً عليه ،

---

١ الديوان : ١٦٢ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .
٢ الديوان : فاجزع لا تمل من الصبر .
٣ الديوان : أسخن الله عينه .
٤ الديوان : ٢٨٦ .

وقام زوجُ ليلى متعجباً منه مغموماً عليه .

ومن شعر المجنون[1] :

أيا جبَلي نعمان بالله خلّيا سبيل الصبا يخلُص إليّ نسيمُها
أجد بَرْدها أو تشف مني حرارة على كبدٍ لم يبقَ إلا صميمها
فإن الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسمتْ على نفسِ مهمومٍ[2] تجلَّتْ همومها

ومنه ، وبه سمي المجنون[3] :

يقول أناس علّ مجنون عامرٍ يرومُ سُلوّاً قلت إنيّ لما بيا
وقد لامني في حب ليلى أقاربي أخي وابنُ عمي وابنُ خالي وخاليا
يقولون ليلى أهلُ بيت عداوة بنفسيَ ليلى من عدوّ وماليا
خليليّ لا واللهِ لا أملكُ البكا إذا علَمٌ من أرض ليلى بدا ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلاّ بشيء غير ليلى قضى ليا

فسُلب عقله .

ومن شعره[4] :

جرى السيلُ فاستبكانيَ السيلُ إذ جرَى وفاضت له من مقلَتيَّ غُروبُ
وما ذاك إلا حين أيقنتُ أنه يمرّ بوادٍ أنتِ منه قريب
يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى نشركم فيطيب
أظلُّ غريب الدار في أرض عامرٍ ألا كلُّ مهجورٍ هناك غريب
وإن الكثيب الفَرْدَ من أيمن الحمى إليّ وإن لم آته لحبيب
ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تَزُرْ حبيباً ولم يطربْ إليك حبيب

---

١ الديوان : ٢٥١ .
٢ الديوان : محزون .
٣ الديوان : ٣٠٦ .
٤ الديوان : ٥٢ .

وقال أيضاً[1] :

وأدنيتني حتّى إذا ما ملكتني بقولٍ يُحلّ العُصْمِ سهلَ الأباطحِ
تناءيتِ عني حين لا ليَ حيلةٌ وغادرتِ ما أوْرَيْتِ بين الجوانح

وقال أيضاً[2] :

أمـُزْمِعةٌ للبين ليلى ولم تمتْ كأنك عما قد أظلّكَ غافلُ
ستعلم إن شطتْ بهم غرْبَةُ النوى وزالوا بليلى أنّ لبك زائل

وقال أيضاً[3] :

كأن القلب ليلةَ قيل يُغدى بليلى العامرية أو يراحُ
قطاة عـَزَّها شركٌ فبـاتتْ تجاذبه وقـد علق الجناح

ولم يزل المجنون يهيم في كل وادٍ ويتبع الظباء ويكتب ما يقوله على الرمل ، ولا يأنس بالناس ، حتّى أصبح ميتاً في واد كثير الحجارة ، وما دلّ عليه إلا رجل من بني مرّة ، فحضر أهله وغسلوه وكفنوه ، واجتمع حي بني عامر يبكونه أحرّ بكاء ، ولم ير أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم ، وذلك في حدود الثمانين من الهجرة ، رحمه الله تعالى وعفا عنه ، آمين .

---

١ الديوان : ٩٤ .
٢ الديوان : ٢١٥ .
٣ الديوان : ٩٠ .

حَرْفُ الكَافِ

٤٠٢
[ظهير الدين البادرائي]

كامل بن الفتح بن ثابت ، ظهير الدين الضرير البادرائي[1] الأديب ؛ له شعر وتَرَسّل ، كتب الصاحب كمال الدين ابن العديم عنه[2] ، وتوفي سنه ست وتسعين وخمسمائة ، وكان مسكنه ببغداد بباب الأزج ، وكان يدخل على الخليفة الناصر ويحاضره ويخلو معه ، وعلمه علم الأوائل ، وهوّن عليه الشرائع ، والله أعلم .

وقال ياقوت : وكان متهماً في دينه ؛ ومن شعره من قصيدة :

وفي الأوانس من بغداد آنسةٌ   لها من القلب ما تهوى وتختارُ
سألتها[3] نَهلَةً من ريقها بدمي   وليس إلاّ خفيّ الطرف سمسار
عند العذولِ اعتراضاتٌ ولائمةٌ   وعنـد قلبي جواباتٌ وأعذار

٤٠٢ – انباه الرواة ٣ : ٤١ ومعجم الأدباء ١٧ : ١٩ ونكت الهميان : ٢٣١ وبغية الوعاة : ٣٨٢ والزركشي : ٢٤٩ .

١ في المطبوعة : البارزي ، وأثبت ما عند الزركشي ، وقال القفطي وياقوت إنه من بادرايا ، فالنسبة الصحيحة هي البادرائي .

٢ في المطبوعة : كتب الطلبة عنه ، وما اثبته عن الزركشي .

٣ الزركشي : ساومتها .

٤٠٣
[كتبغا المنصوري]

كَتَبْغُا الملك العادل ، زين الدين المنصوري المغلي ؛ كان أسمر قصيراً رقيق الصوت ، له لحية صغيرة من الحنك ، أسِرَ حَدَثاً من عسكر هولاكو نوبة حمص الأولى في آخر سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وأمّره أستاذه الملك المنصور ، وكان من أمراء الألوف ، ثم إنه عَظُم في دولة الأشرف ، ولما قتل الأشرف التفّت الخاصكية عليه ، فحمل بهم على بيدرا وقتلوه ، ولما تملك السلطان الملك الناصر جعل كتبغا نائبه ، ولما تحول الناصر إلى الكرك تسلطن كتبغا ولقب بالعادل ، ونهض بأمره لاجين وقراسنقر وطائفة كان قد اصطنعهم في نوبة الأشرف ، وتمكن ، وقدم دمشق وسار بالجيش إلى حمص ثم رُدّ ، ولما كان بأرض بيسان وثب حسام الدين لاجين وشدّ على بتخاص والأزرق[1] فقتلهما في الحال وكانا عضدي كتبغا ، واختبط الجيش وفرّ كتبغا على فرس النوبة وتبعه أربعة من مماليكه ، وكان ذلك في صفر سنة ست وتسعين وستمائة ، وكانت دولته سنتين . وساق كتبغا إلى دمشق فتلقاه نائبُها مملوكه وفتح له أرجواس القلعة ودقت البشائر ، ولم ينتظم له حال ، واجتمع كجكن والأمراء وحلفوا لمن هو صاحب مصر وصرّحوا لكتبغا بالحال فقال : أنا ما مني خلاف ، وخرج من القلعة إلى قاعة صغيرة وبذل الطاعة ، فرسم له أن يقيم بقلعة صرخد فأقام بها ، وانطوى ذكره إلى بعد نوبة غازان ، فأحسن الملك الناصر إليه وأعطاه حماة فمات بها

---

٤٠٣ — الدرر الكامنة ٣ : ٣٤٨ وصفحات متفرقة من النجوم الزاهرة (ج : ٨) والشذرات ٦ : ٥ وذيل العبر : ٢٢ والبداية والنهاية ١٤ : ٢٧ والسلوك ١ : ٨٠٦ — ٩٤٧ .

١ هما من المماليك العادلية : بدر الدين بكتوت الأزرق العادلي وسيف الدين بتخاص العادلي .

سنة اثنتين وسبعمائة .

وكان موصوفاً بالديانة والخير والرفق بالرعية ، ونقل تابوته إلى تربته بسفح قاسيون بدمشق ، وجرى في أيامه الغلاء العظيم بالديار المصرية ، وكان يبكي ويقول : هذا بخطيئتي ، وفيه يقول الوداعي لما تسلطن وخلع على أهل دمشق :

إنما العادلُ سلطانُ الورى   عندما جاد بتشريفِ الجميعِ
مثل قَطْرٍ صاب قُطراً ماحلاً   فكسا أعطافَهُ زهرَ الربيع

٤٠٤
العتابي

كلثوم بن عمرو العتّابي الشاعر ؛ أصله من الشام من أرض قنسرين ، صحب البرامكة وصحب طاهر بن الحسين ، وكان حسن الاعتذار في رسائله وشعره ، وهو أديب مصنف له من الكتب « كتاب المنطق » و « كتاب الآداب » و « كتاب فنون الحكم » و «كتاب الحيل » و «كتاب الألفاظ » . وتوفي في حدود العشرين والمائتين .

وكان تزهد ومدح الرشيد والمأمون ، وكان قد نقل إلى الرشيد عنه ما أهدر به دمه ، فخلصه جعفر فقال فيه شعراً :

....

٤٠٤ – تاريخ بغداد ١٣ : ٤٨٨ وطبقات ابن المعتز : ٢٦١ والشعر والشعراء : ٧٤٠ ومروج الذهب ٤ : ١٤ والأغاني ١٣ : ١٠٧ والفهرست : ١٨١ وكتاب بغداد : ٦٩، ٨٧ – ٨٩ ومعجم المرزباني : ٢٥١ والوزراء والكتاب : ١٨١ والموشح : ٤٤٩ والبيان والتبيين ١ : ٥١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٦ واللباب ٢ : ١١٨ وابن خلكان ٤ : ١٢٢ (وهو مما انفردت به احدى النسخ وليس من شرط المؤلف) والزركشي : ٢٤٩ ؛ وبقيت من هذه الترجمة في ر بقية يسيرة .

ما زلتُ في غَمَرَاتِ الموت مُطّرحاً يضيقُ عني فسيحُ الرأي من حِيَلي
فلم تزل دائما تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يَدَيْ أجلي

وكلم يحيى بن خالد في حاجة بكلمات قليلة فقال له يحيى : لقد نزر كلامك اليوم وقَلّ ، فقال : وكيف لا يقل وقد كفيتني ذلّ المسألة وحيرة الطلب وخوف الردّ ؟ فقال له يحيى : لئن قلّ كلامك لقد كثرت فوائده .

ومن شعره :

ولو كان يستغني عن الشكر حامدٌ لعزة مُلك أو علوّ مكانِ
لما أمر الله العبادَ بشكره وقال اشكروا لي أيها الثقلان

ولما دخل على المأمون كان عنده إسحاق الموصلي ، فسلم عليه فردّ عليه وأدناه وقرّبه حين دخل عليه وقبل يده ، وأقبل عليه يسأله عن حاله وهو يجيبه بلسان طلق ، فاستظرفه المأمون وأقبل عليه بالمداعبة والمُزاح ، فظنّ أنه استخف به فقال له : يا أمير المؤمنين الإيناس قبل الإبساس ، فاشتبه على المأمون ، وأقبل على إسحاق مستفهماً ، فأومأ إليه وغمزه على معناه حتى فهمه ، فقال : يا غلام ، ألف دينار ، فأتي بذلك فدفعها إلى العتابي ، ثم غمز المأمون إسحاق الموصلي عليه ، فجعل العتّابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه ، فبقي العتابي متعجباً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ايذن لي في مسألة هذا الشيخ عن اسمه ، فقال : نعم سله ، فقال لإسحاق : يا شيخ مَن أنت ؟ وما اسمك ؟ فقال : أنا من الناس واسمي كل بصل ، فتبسم العتابي ، وقال : أما أنت فمعروف وأما الاسم فمنكر ، فقال إسحاق : ما أقلّ إنصافك ، أتنكر أن يكون اسمي كل بصل واسمك كُلْ ثُوم ؟ وما كل ثوم من الأسماء ؟ أليس البصلُ أطيب من الثوم ؟ فقال العتابي : لله درّك ما أحجّك ! أيأذنُ لي أمير المؤمنين أن أصله بما وصلني به ؟ فقال : لا بل هو مُوَفّر عليك ونأمر له بمثله ، فقال إسحاق : أما إذ أقررت فتوهّمني أنت ، فقال :

ما أظنك إلا إسحاق الموصلي الذي يتناهى إلينا خبرُه ، قال : أنا حيث ظننت ، فأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما: أما إذ اتفقتما فانصرفا متنادمين ، فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق وأقام عنده .

وقال عمر الورّاق: رأيت العتابي يأكلُ خبزاً على الطريق بباب الشام فقلت له : ويحك أما تستحي ؟ فقال : أرأيت لو كنا في دار فيها بقر أكنت تحتشم أن تأكل وهو يراك ؟ فقلت : لا ، فقال : فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر ، ثم قام فوعظ وقصّ ودعا حتى كثر الزحام عليه، فقال لهم: رُوِي لنا من غير وجه أنه من بَلَغ لسانه أرنَبَة أنفه لم يدخل النار ، قال : فما بقي أحد منهم إلا أخرج لسانه نحو أرنبة أنفه ويُقَدِّره هل يبلغها أو لا ، فلما تفرقوا قال العتابي : ألم أعلمك أنهم بقر ؟

ودخل العتابي على عبد الله بن طاهر ، فلما مثل بين يديه أنشده :

حُسنُ ظني وحُسْنُ ما عوَّد الله بِسُؤلي[1] منك الغداة أتى بي
أيّ شيء يكون أحسَن من حسن يقينٍ حدا إليك ركابي

فأمر له بجائزة ، ثم دخل عليه من الغد فأنشده :

وُدُّك يكفينيك في حاجتي ورؤيتي كافية عن سؤالْ
وكيف أخشى [الفقر] ما عشت لي وإنما كَفّاك لي بيتُ مال ؟

فأمر له بجائزة ، ثم دخل عليه في اليوم الثالث فأنشده :

بهجاتُ الثياب يُخلقها الدهرُ وثوبُ الثناء غَضٌّ جديدُ
فاكسني ما يَبيدُ ، أصلحك اللّه فإني أكسوك ما لا يبيد

[فأمر له بكسوة وجارية][2] .

---

١ ر : سؤالي .

٢ زيادة من المطبوعة .

حَرْفُ اللَّامِ

٤٠٥
أبو مخنف

لوط بن يحيى بن مخنف بن سليمان[١] الأزدي ، أبو مِخْنَف — بالميم والخاء المعجمة والنون والفاء — وجده مخنفٌ من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

توفي لوط سنة سبع وخمسين ومائة . وكان راوية أخباريّاً صاحب تصانيف ، وكان يروي عن جماعة من المجهولين ؛ قال أبو حاتم : متروك الحديث ، وقال الدارقطني : أخباريّ ضعيف .

ومن تصانيفه : « كتاب الردة » . « فتوح الشام » . « فتوح العراق » . « كتاب الجمَل » . « كتاب صِفّين » . « كتاب النهروان » . « كتاب الغارات » . « كتاب الخريت بن راشد وبني ناجية » . « كتاب مقتل عليّ رضي الله عنه » . « كتاب مقتل حُجْر بن عدي وأصحابه » . « مقتل محمد بن أبي بكر والأشتر ومحمد بن أبي حذيفة » . « كتاب الشورى » . « [كتاب] مقتل عثمان رضي الله عنه » . « كتاب المسور بن علقمة » . « كتاب مقتل الحسين رضي الله عنه » . « كتاب المختار بن أبي عُبَيد » . « كتاب وفاة معاوية وولاية يزيد ووقعة الحرّة ومقتل عبد الله بن الزبير » . « كتاب سليمان بن صُرد وعين الوردة » . « كتاب مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهري » . « كتاب مُصعَب بن الزبير والعراق » . « كتاب مقتل

---

٤٠٥ — الفهرست : ٩٣ ومعجم الأدباء ١٧ : ٤١ ورجال النجاشي : ٢٤٥ ومجمع الرجال ٥ : ٨٠ — ٨٢ ؛ وهذه الترجمة في ر .

١ كذا هو عند ياقوت ؛ وفي المصادر الأخرى : سالم (أو سليم) .

عبد الله بن الزبير » . « كتاب حديث وادي الجماجم ومقتل عبد الرحمن ابن الأشعث » . « كتاب نجدة الحروري » . « كتاب الأزارقة » . « كتاب حديث روستقباذ » . « كتاب شبيب الحروريّ وصالح بن مسرح » . « كتاب المطرف بن المغيرة » . « كتاب يزيد بن المهلب ومقتله بالعقر » . « كتاب خالد القسري ويوسف بن عمر وموت هشام وولاية الوليد » . « كتاب زيد بن عليّ ويحيى بن زيد » . « كتاب الضحاك الخارجي » . « كتاب الخوارج والمهلّب بن أبي صُفرة » ، وله غير ذلك من الفتوحات .

٤٠٦
ليلى الاخيلية

ليلى بنت عبد الله الأخيلية الشاعرة المشهورة ؛ كانت من أشهر النساء لا يتقدم عليها إلا الخنساء ، توفيت في عشر الثمانين للهجرة . وكان توبة بن الحمير يهواها — وقد تقدّم ذكره[1] — خَطبها فأبى أبوها ، فكان يزورها .

قال لها الحجّاج : إن شبابك قد مضى واضمحلّ أمرك وأمر توبة ، فأقسم عليك إلا صدقتيني ، هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك ؟ قالت : لا والله أيها الأمير ، إلا أنه قد قال لي ليلة وقد خلونا كلمةً ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر ، فقلت له :

وذي حاجة قُلنا لهُ لا تَبُحْ بها   فليس إليها ما حييت سبيلُ

٤٠٦ — الأغاني ١١ : ١٩٣ والسمط : ١١٩ ، ٢٨١ والخزانة ٣ : ٣١ وأمالي القالي ١ : ٨٦ وأمالي الزجاجي : ٥٠ وصفحات متفرقة من مصارع العشاق وزهر الآداب ، وشرح شواهد المغني : ٢٠٠ والشعراء والشعر : ٣٥٩ ؛ وقد ورد جزء يسير من هذه الترجمة في ر .

[1] الترجمة رقم : ٨٩ .

لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه   وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا والله ما سمعتُ بعدها منه ريبة حتى فرق بيننا ، فقال لها الحجاج : فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجه صاحباً له إلى حاضرنا وقال له : اعلُ شرفاً واهتف بهذا البيت بين أهله :

عفا الله عنهـا هل أبيتنَّ ليلة   من الدهر لا يسري إليّ خيالها

فلما فعل ذلك عرفت المعنى ، فقلت :

وعنهُ عفا ربي وأحسن حفظَهُ   يعزُّ علينـا حاجـةٌ لا ينالها

وعن محمد بن الحجاج بن يوسف قال : بينما الأمير جالسٌ إذ استؤذن لليلى ، فأذن لها فدخلت امرأة طويلة دعجاء العين حسَنَةُ المشية حسنة الثغر ، فسلمت عليه ، فرحّب بها الحجاج وقال لها : ما وراءك ؟ ضعْ لها وسادة يا غلام ، فجلست ، فقال لها : ما أقدمك إلينا ؟ فقالت : السلام على الأمير والقضاء لحقه والتعرّض لمعروفه ، فقال : كيف خلّفت قومك ؟ قالت : في حال خِصْبٍ وأمنٍ ودعَة ؛ أما الخصب ففي الأموال والكلأ ، وأما الأمن فقد أمنهم الله عز وجل ، وأما الدَّعَة فقد خامرَهم من خوفك ما أصلح بينهم ، ثم قالت : ألا أنشدك أيها الأمير ؟ قال : إذا شئت ، فقالت :

أحَجّاجُ لا يُفْلَلْ سلاحك إنما الـ   ـمنايا بكفّ الله حيث يراها
إذا هبط الحجاجُ أرضاً مريضةً   تتَبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداءِ العُضال الذي بها   غلامٌ إذا هزَّ القنـاةَ سقاها
سقاها دماء المارقين وعَلَّها   إذا جمحت يوماً وخيف أذاها
أعدَّ لها مصقولةً فارسية   بأيدي رجال يحلبون صَرَاها
أحجاجُ لا تعطِ العداة منـاهُمُ   أبى الله يعطى للعـداة مناها
ولا كل خلاف تقلد بيعة   بأعظم عهد الله ثم شراها

فأمر وكيله أن يعطيها خمسمائة درهم ويكسوها خمسة أثواب كُسا خز .

وفي خبر آخر أنها وَفدت عليه فقال لها : أنشديني بعض شعرك في توبة ، فأنشدته :

لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المعايرُ
وما أحد حيٌّ وإن عاش سالماً بأخلَدَ ممن غيبته المقابر
ولا الحيّ مما أحدث الدهرُ معتبٌ ولا الميتُ إن لم يصبر الحي ناشر
وكلّ جديدٍ أو شباب إلى بِلَّى وكل امرىء يوماً إلى الله صائر
قتيـل بني عوف فيا لهفتا له وما كنت إياهم عليه أحاذر
ولكنني أخشى عليه قبيلةً لها بدروب الشام بادٍ وحاضِر

فقال الحجاج لحاجبه : اذهب فاقطع عني لسانها ، فدعا بالحجّام ليقطع لسانها ، فقالت : ويحك ! إنما قال الأمير : اقطع لسانها بالعطاء والصّلة ، فارجع إليه فاستأذِنهُ ، فرجع إليه فاستأذنه فاستشاط غيظاً ، وهم بقطع لسانه ، ثم أمر بها فأدخلت عليه ، فقالت : كاد وعَهد الله يقطع أيها الأمير مِقولي ، وأنشدته :

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد إلا الخليفة والمستعظم الصمدُ
حجاج أنت شهاب الحرب إذ نهجت وأنت للناس نور في الدجى يَقِد

حرف الميم

٤٠٧
[صاحب الرحبة]

مالك بن طَوْق التغلبي صاحب الرَّحبَة ؛ أحد الأشراف والفرسان الأجواد ، ولي إمرة دمشق للمتوكل ، كان ينادى على باب داره بالخضراء — وكانت دار الإمارة — بعد المغرب : الإفطار يَرْحمكم الله ، قال : والأبواب مُفتَحة يدخلها الناس ؛ توفي سنة تسع وخمسين ومائتين .

وهو الذي بنى الرحبة التي على الفُرات وإليه تنسب ، وسبب ذلك أن هارون الرشيد ركب في حراقة مع ندمائه في الفرات ومعهم مالك بن طوق ، فلما اقترب من الدواليب قال : يا أمير المؤمنين لو خرجت إلى الشط لنجوز هذه الدواليب ، قال : أحسبك تخاف هذه ؟ قال : الله يكفي أمير المؤمنين كل محظور ، قال الرشيد : قد تَطَيَّرت بقولك ، ثم صعد إلى الشط ، فلما بلغت الحرَّاقة إلى الدواليب دارت دورةً ثم انقلبت بما فيها ، فتعجب الرشيد من ذلك وسجد شكراً لله تعالى وتصدق بأموال كثيرة ، وقال لمالك : وجبت لك علينا حاجة فسَلْ ما تحب ، قال : يُعطيني أميرُ المؤمنين هنا أرضاً أبنيها فتنسب إليّ ، قال : قد فعلنا وساعدناك بالأموال والرجال ، فلما عمرها واستوثقت أموره فيها وتحوَّل الناسُ فيها أنفذ إليه الخليفةُ يطلب منه مالاً ، فتعلّل ودافع ومانع وتحصَّن وجَمَع الجيوش ، وطالت الوقائع بينه وبين عسكر الرشيد ، إلى أن ظفر به صاحب الرشيد وحمله مُكبلاً . فمكث في السجن عشرة أيام ، ثم أمر بإحضاره في جمع

٤٠٧ — معجم البلدان (رحبة مالك بن طوق) ودول الإسلام ١ : ١٢٣ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٠ والشريتي ١ : ١٤٥ .

من الرؤساء وأرباب الدولة ، فقبّلَ الأرض ولم ينطق ، فعجب الرشيد من صمته وغاظه ذلك وأمر بضرب عنقه ، وبُسِط النّطع وجُرّد السيف وقدّم مالك ، فقال الوزير : يا مالك تكلم فإن أمير المؤمنين يسمع كلامك ، فرفع رأسه وقال : يا أمير المؤمنين أخرست عن الكلام دهشة ، وقد أدهشت عن السلام والتحية ، فأما إذ أذن أمير المؤمنين فإني أقول : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الحمد لله الذي خلق الإنسان من سُلالة من طين ، يا أمير المؤمنين جبَر الله بك صدع الدين ، ولمّ بك شعَث الأمة ، وأخمد بك شهاب الباطل ، وأوضح بك سبيلَ الحق ، إن الذنوب تُخْرس الألسنة الفصيحة وتَصْدَع الأفئدة ، وايمُ الله لقد عَظُمت الجريمة وانقطعت الحجة ، ولم يبق إلا عَفوُك أو انتقامك ، ثم أنشأ يقول بعد ما التفت يميناً وشمالاً :

أرى الموتَ بين النّطع والسيف كامناً ... يُلاحظُني من حيث ما أتلفتُ
وأكبرُ ظني أنك اليوم قاتلي ... وأيُّ امرىء مما قضى الله يُفلِت ؟
يعز على الأوس بن تغلب وقفة ... يهز عليّ السيف فيها وأسكت
وأي أمرىء يُدْلي بعذرٍ وحجةٍ ... وسيفُ المنايا بين عينيه مُصْلت
وما بيَ من خوف أموت وإنني ... لأعلمُ أن الموتَ شيءٌ موَقَّت
ولكنّ خوفي صبية قد تركتهم ... وأكبادُهُم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى إليهمُ ... وقد خَمَشوا تلك الوجوه وصوّتُوا
فإن عشت عاشوا آمنين بغبطةٍ ... أذود الردى عنهم ، وإن مت موّتوا
فكم قائلٍ لا يبعد الله داره ... وآخر جذلان يُسَرُّ ويشمت

قال : فبكى هارون الرشيد وقال : لقد سكتّ على همة ، وتكلمت على حلم وحكمة ، وقد عفوت لك عن الصَّبوَه ووهبتك للصِّبْية ؛ فارجع إلى ولدك ولا تعاود ، فقال : سمعاً وطاعة ، وانصرف .

٤٠٨

[مالك بن نويرة]

مالك بن نُويرة بن حمزة بن شداد ، أبو المغوار اليربوعي أخو مُتمم ؛ كان يلقب بالجفول لكثرة شعره . قتل في الردّة ؛ قال صاحب « الأغاني »[١] : كان أبو بكر رضي الله عنه لما جهز خالد بن الوليد لقتال أهل الردة قد أوصاهم أنهم إذا سمعوا الأذان في الحي وإقامة الصلاة نزلوا عليهم ، فإن أجابوا إلى أداء الزكاة وإلا الغارة ، فجاءت السريّةُ حيَّ مالك ، وكان في السرية أبو قتادة الأنصاري ، وكان ممن شهد أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، فقبض عليهم خالد وكانت ليلة باردة ، فأمر خالد منادياً ينادي « ادفئوا أسراكم » وكان لغة كنانة إذا قالوا « ادفئوا الرجل » يعنون اقتُلُوه ، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً ، وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه ، فقال أبو قتادة : هذا عَمَلُك ، فزبره خالد ، فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر ، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه فيه عمر ، فلم يرض إلا أن يرجع إلى خالد ويُقيم معه ، فرجع إليه ولم يزل معه حتى قدم خالد المدينة ، وكان خالد قد تزوج بزوجة مالك ، فقال عمر : إن في سيف خالد رهَقاً وحقّ عليه أن تقيده ، وأكثرَ عليه في ذلك ، وكان أبو بكر

....

٤٠٨ – أخباره في المصادر التاريخية التي تتحدث عن أحداث الردة ؛ وانظر الشعر والشعراء : ٢٥٤ وصفحات متفرقة من شرح النقائض وأسماء المغتالين : ٢٤٤ والمحبر : ١٢٦ وطبقات ابن سلام : ١٧٠ وخزانة الأدب ١ : ٢٣٦ وسرح العيون : ٨٦ وابن خلكان ٦ : ١٣ (في ترجمة وثيمة بن الفرات) ، وراجع مالك ومتمم ابنا نويرة تأليف ابتسام مرهون الصفار وفيه شعرهما مجموعاً (بغداد : ١٩٦٨) ؛ وقد بقي بعض هذه الترجمة في ر .

١ الأغاني ١٥ : ٢٣٩ – ٢٤٩ وانظر : ٢٤١ والنقل عن الأغاني بتصرف .

لا يقيد عماله فقال : يا عمر إن خالداً تأوّلَ فأخطأ فارفع لسانك عنه ، ثم كتب إلى خالد أن يقدم عليه ، فقدم وأخبره بخبره فقبل عذره ، وعنّفه بالتزويج ، وقيل إن خالداً كان يهوى امرأة مالك في الجاهلية ، وكان خالد يعتذر في قتله فيقول : إنه قال لي وهو يُراجعني : ما إخال صاحبَكم إلا قد كان يقول كذا وكذا ، فقال خالد : أو ما تَعُدُّه صاحبك ؟ ثم قدمه فضرب عنقه .

ومما يؤيد خالداً وأن[1] مالكاً مات مرتداً أن متمماً لما أنشد عمر مراثيه في مالك قال له عمر : والله لوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت أخاك ، فقال متمم : لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته ، فقال عمر رضي الله عنه : ما عَزّاني أحد عن أخي بأحسَنَ مما عزاني به متمم .

وقال الرياشي : صلّى متمم بن نويرة مع أبي بكر رضي الله عنه الصبح ثم أنشده :

نِعْمَ القتيلُ إذا الرياح تناوحت تحت الازار قَتلت يا ابن الأزورِ

الأبيات . . .

ثم بكى حتى سالت عينه العوراء ثم انخرط على سِيَةِ قوسه مغشياً عليه .

وقيل لمتمم : ما بلغ من وجدِك على أخيك ؟ فقال : أصبت بإحدى عينيّ فما قطرت منها قطرة عشرين سنةً ، فلما قتل أخي استهلّت فما ترقأ .

ويقال في المثل : فتًى ولا كمالك ، ومَرْعًى ولا كالسعدان ، يعنون به مالكا هذا .

وقيل لمتمم : صف لنا مالكاً فقال : كان يركب الجمل الثفال في الليلة القرّة يرتمي لأهله بين المزادتين عليه الشملة الفَلُوت، يقود الفرس الحرُون، ثم يصبح ضاحكاً .

---

١ ر : خالد أن .

ومن شعر متمم في مالك :

نعم القتيلُ إذا الرياحُ تناوحتْ فوق العضاهِ قتلت يا ابن الأزورِ
أدعوته بالله ثم غدرته بل لو دعاك بذمةٍ لم يغدر
لا يلبسُ الفحشاءَ تحت ثيابه صعبٌ مقادته عفيف المئزر
فلنعم حشوُ الدرع كنتَ وحاسراً ولنعم مأوى الطارقِ المتنور

وقال يرثيه من أبيات :

وكنا كندمانَيْ جَذيمة حِقبَةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخيرٍ في الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطولِ اجتماع لم نَبِتْ ليلة معا
فإن تكنِ الأيامُ فرّقْن بيننا فقد بان محموداً أخي يوم ودّعا
أقول وقد طار السنا في ربابه وجون يسحُّ الماءَ حتى تربّعا
سقى الله أرضاً حلّها قبرُ مالكٍ ذهاب الغوادي المدجناتِ فأمرعا
تحيته مني وإن كان نائياً وأمسى تراباً فوقه الأرض بلقعا

وقال :

وقالوا أتبكي كلّ قبرٍ رأيته لقبر ثوى بين اللوى والدكادكِ
لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتَذرافِ الدموع السوافك
فقلت لهم إن الشجا يبعثُ الشجا دعوني فهذا كلّه قبر مالك

وقال عمر رضي الله عنه لمتمم : أكان مالك يحبك مثل محبتك إياه ؟ فقال : أين أنا من مالك ؟ والله يا أمير المؤمنين لقد أسَرَني حيٌّ من العرب فشدوني وثاقاً وألقوني بفنائهم ، فبلغه خبري فأقبل عليّ على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليّ أعرض عني وقصد إلى القوم ، فعرفت ما أراد ، فوقف عليهم فسلّم وحادثهم وضاحكهم ،

فوالله ما زال حتى ملأهم سروراً ، وأحضروا غداءهم فسألوه النزول يتغدى معهم ففعل ، ثم نظر إليّ وقال : ليقبح بنا أن نأكل ورجل مُلقًى بين أيدينا لا يأكل معنا ، وأمسك عن الطعام ، فقاموا القومُ إليّ وصَبّوا الماء على قِدّي حتى لان وحلّوني ، ثم جاءوا بي وأجلسوني معهم على الغداء ، فلما أكلنا قال لهم : ما ترون تحرّم هذا بنا وأكله معنا ، وإنه لقبيح بكم أن تردّوه إلى القيد ، فخلّوا سبيلي وأطلقوني بغير فداء ؛ وكان مقتل مالك في حدود سنة [اثنتي عشرة][1] .

٤٠٩
مجاهد الخياط

مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبي الفتح المصري التميمي الأديب ، المعروف بالخياط ، ويعرف بابن [أبي][2] الربيع ؛ كان من كبار أدباء العوام ، لكنه قرأ النحو وفهم ، وكان قد سلّطه الله تعالى على أبي الحسين الجزار شاعر الديار المصرية ؛ وتوفي مجاهد سنة اثنتين وسبعين وستمائة[3] :

ومن شعره[4] :

أبا الحسين تأدبْ ما الفخرُ بالشعر فخرُ

---

١ بياض في ر .

٤٠٩ — البدر السافر : ٦٢ والزركشي : ٢٤٩ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٤٢ وذكر محقق النجوم أن له ترجمة في ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ والمنهل الصافي وانظر المغرب (قسم مصر) ١ : ٢٩٣ حيث سماه « مجاهد طناش الخياط » وسيذكر المؤلف في ترجمة الجزار بعض أهاجي الخياط فيه ؛ وهذه الترجمة في ر .

٢ زيادة من البدر السافر .

٣ في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الآخرة بالقرافة ودفن بها .

٤ زاد الزركشي : في الجزار .

وما تبللتَ منه بقطرةٍ وهو بحر
وإن أتيتَ ببيت وما لبيتك قدر
لم تأت بالبيت إلاّ عليه للناسِ حِكْر

وكان ناصر الدين ابن النقيب قد وعده بإردب قمح ، فجهز له ويبتين وتأخر له أربعة[1] ، فكتب إلى ابن النقيب :

يا ماجداً بالقمح قد جاد لي ما ذا الذي ألجاك أن تمنعه
وقد شكا لي نقصه فرقة الا باقي عسى مولاي أن يجمعه
أأبعث الثنتين من حاصلي إليك أو تبعث لي الأربعه

فكتب إليه ابنُ النقيب الجوابَ :

تا الله ما أخرتها مانعاً لها ولا في ذاك من مطمعه
وإنما أخرّتها خيفةً من كفك المتلفة المضيعه
وما عسى مقدارها عندكم والألف مع مثلك مستودعه
وإنها أجود ما يقتنى وإنك الميشوم بالأربعه

ومن شعره :

أعد يا برقُ ذكرَ أهيْل نجدِ فإن لك اليدَ البيضاءَ عندي
أشيمك بارقاً فيضلّ[2] عقلي فواعجبا تضل وأنت تهدي
ويبكيك السحاب وأنت ممن تحمّل بعض أشواقي ووعدي
بعثت مع النسيم لهم سلاماً فما عطفوا عليّ له برد

وقال :

وظبيٍ تظلمت من خده لقلبي عليه حقوق ودمْ
أخذت القصاص بتعضيضه ولم يجرِ بعدُ عليه القلم

---

[1] كذا في ر .
[2] ر : فيظل ؛ وهو صواب عند الزركشي .

٤١٠

ابن مواهب البغدادي

محمد بن محمد بن مواهب ، أبو العز ابن الخراساني الشاعر البغدادي صاحب العروض ومصنف النوادر ، المنسوب إلى حِدّةِ الخاطر ؛ قرأ الأدب على الجواليقي ، وله ديوان شعر في خمسة عشر مجلداً .

قال العماد الكاتب : ومدح الخلفاء والوزراء ، وله مصنفات أدبية ، وتغير ذهنه آخر عمره ، وتوفي سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وله اثنتان[١] وثمانون سنة ، وأورد له ابن النجار ما يكتب على كمران[٢] :

أنا محسودٌ من النا س على أمرٍ عجيبِ
أنا ما بين قضيبٍ يتثنى وكثيب

وقال :

أنا راضٍ منكمْ بأيسر شيء يرتضيه لعاشقٍ معشوقُ
بسلام على الطريق إذا ما جمعتنا بالاتفاق الطريق

وقال :

إن شئت أن لا تعدّ غمرا فخل زيدا معاً وعمرا
واستغنِ بالله في أمورٍ ما زلن طولَ الزمان امرا

---

٤١٠ – الوافي ١ : ١٥٠ والزركشي : ٢٥٠ ومعجم الأدباء ١٩ : ٤٦ والشذرات ٥ : ٢٥٧ وبغية الوعاة : ١٠١ ؛ وقد وردت هذه الترجمة في ر ما عدا البيتين الأخيرين ؛ وعند هذا الحد تنتهي التراجم التي وردت في النسخة المذكورة .

١ ر : اثنتان .

٢ الكمران : المنطقة أو الحزام .

ولا تخالفْ مدى الليالي لله حتى الممات أمرا
واقنع بما راج من طعامٍ والبس إذا ما عريت طِمرًا

٤١١
القاضي نجم الدين الطبري

محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، القاضي نجم الدين ابن جمال الدين الطبري ؛ كان فقيهاً جيداً فيه كرم وحسن أخلاق ، وله نظم منه :

أشبيهةَ البدرِ التمامِ إذا بدا حسناً وليس البدرُ من أشباهكِ
مأسورُ حبِّكِ إن يكنْ متشفعاً فإليك بالحسن[1] البديع بجاهك
وأساه قد[2] أعيا الأساةَ دواؤه وشِفاه يحصل بارتشاف شفاهك
فصليه واغتنمي بقاءَ حياته لا تقطعيه جفاً بحق إلهك

قال تاج الدين اليمني : توفي القاضي نجم الدين الطبري سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة[3] ، ومولده سنة ثمان وخمسين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

---

٤١١ — الوافي ١ : ٢٢٨ والزركشي : ٢٥٠ والدرر الكامنة ٤ : ٢١٠ والشذرات ٦ : ٩٤ والعقد الثمين ٢ : ٢٧١ وذيل العبر : ١٦٥

١ الوافي : في الحسن .
٢ الوافي : أشفى أسى .
٣ عند الذهبي أنه توفي سنة ٧٣٠ .

٤١٢
الوأواء الدمشقي

محمد بن أحمد – وقيل هو ابن محمد – أبو الفرج الوأواء الغساني الدمشقي ؛ شاعر مطبوع منسجم الألفاظ ، عذب العبارة حسن الاستعارة جيد التشبيه ، بنى الحريري مقامة [١] على قوله :

وأمطَرَتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ   وَرْداً وعَضّتْ على العُنّاب بالبردِ

ومن شعره [٢] :

وليلٍ كفِكري في صُدود معذبي   وإلا كأنفاسي عليه من الوجدِ
وإلا كعُمر الهجر فيه لأنه   إذا قسته بالوصل كان بلا حد

وقال أيضاً [٣] :

اسقياني ذبيحةَ الماء في الكأ   س وكُفّا عن شرب ما تسقياني
إنني قد أمنت بالأمس إذ مـ   تّ بها أن أموت موتاً ثاني
قهوة تطردُ الهمومَ إذا ما   سكنتْ في [٤] مواطن الأحزان
نثرت راحةُ المزاج عليها   حدقاً ما تدورُ في أجفان
فهي تجري من اللطافة في الأر   واح مجرى الأرواح في الأبدان

٤١٢ – اليتيمة ١ : ٢٧٢ والوافي ٢ : ٥٣ والزركشي : ٢٥٠ والمحمدون : ٥٤ وانظر مقدمة ديوانه ؛ وقد نشر ديوانه بتحقيق الدكتور سامي الدهان (دمشق ١٩٥٠) .

١ هي المقامة الثانية .
٢ ديوانه : ٨٧ .
٣ الديوان : ٢٤١ .
٤ الديوان : مكنت من .

يتهادى بكأسها مَن هدايا ... هُ إلينا طرائفُ الأشجان
ما رأينا ورداً كوردٍ بخدي ... ه بدا طالعاً على غصن بان
زارني والصباحُ في ساعد الأف ... ق كبحرٍ[1] في نصفه نصف جان
وغدا والهلالُ في شَرَكِ الفج ... رِ شريكي في قبضة الإرتهان
ويمينُ الجوزاء تبسط باعاً ... لعناقِ الدجى بغير بنان
وكأن الإكليلَ[2] إذ رُميَ الغر ... بُ به شعلة من النيران
وكأن النجومَ أحداقُ رومٍ ... ركبتْ في محاجر السودان
رشأ تَشرَبُ النفوسُ إلى ما ... في ثناياه من رحيقِ اللسان
لا وما احمرَّ من توردِ خدي ... ه وما اصفرَّ من شموسِ الدنان
لأطيل[3] السجودَ في قبلة الكأ ... س بتسبيحِ ألسنِ العيدان
كم صلاةٍ على فتى مات سكراً ... قد أقيمتْ فينا بغير أذان
أيها الرائحُ الذي راحتاه ... بخضاب الكؤوس مخضوبتان
عُجْ بضحكِ الأقداحِ في رَهج القصْ ... فِ إذا ما بكتْ عليها القناني
واسقني القهوةَ التي تنبت الور ... دَ إذا شئتَ في خدود الغواني
لا تدغدغ صدر المدام بأيدي الـ ... ـمزج ما دغدغت صدور المثاني
كتبتها أيدي السحاب بأقلا ... مِ دموعٍ على طروس المغاني
ألفاتٍ مؤلفاتٍ ولاما ... تٍ تكوّنَّ من ضمير المعاني
في رياض تريك بالليل منها ... سُرُجاً من شقائقِ النعمان

انظر إلى ما في هذه القصيدة من جودة التشبيه وصحته ولطف الاستعارات ورشاقة ألفاظها ؛ ومن شعره[4] :

---

١ الوافي : كنحر .
٢ الديوان : المريخ ، وكذلك في الوافي .
٣ الوافي : لأطلت ؛ الديوان : سأطيل .
٤ الديوان : ٢٠٣ .

وجلا الثريا في مُلا ءة نوره البدر التمامُ
فكأنها كأسٌ ليثـ ـربها[1] الدجى والبدر جام
وكأنَّ زرقَ نجومها حدقٌ مفتحة نيام

وقال أيضاً[2] :

سقياً ليومٍ غدا قوسُ الغمامِ به والشمسُ مشرقةٌ والبرْقُ خلاّسُ
كأنه قوسُ رامٍ والبروق له رشق السهام وعينُ الشمسِ برجاس

وقال أيضاً[3] :

والبدر أول ما بدا متلثماً يبدي الضياءَ لنا بخدّ مُسفرِ
وكأنما هو خوذةٌ من فضةٍ قد ركّبتْ في هامةٍ من عنبر

وله أيضاً[4] :

لست أنسى قلبي وقد راح نهباً بينَ بَينٍ مبرّح وصدودِ
وسماءُ العيون إذ ذاك تَسقي بسحابِ الدموع[5] روضَ الخدود

وقال ، وهو لطيف عذب[6] :

بالله رَبّكما عوجا على سكني وعاتباه لعلَّ العتبَ يعطفهُ
وعَرِّضا بي وقولا في حديثكما ما بالُ عبدك بالهجران تُتلفه ؟
فإن تبسّم قُولا في مُلاطفة ما ضرَّ لو بوصالٍ منك تسعفه ؟
وإن بدا لكما في وجهه غضبٌ فغالطاه وقولا ليس نعرفه

١ الديوان : يدير بها .
٢ الديوان : ١٣١ .
٣ الديوان : ١٠٨ .
٤ الديوان : ٨٢ .
٥ الديوان : الجفون .
٦ الديوان : ١٤٦ .

وقال آخر في المعنى [1] :

ألا يا نسيمَ الريح بلغْ رسالتي سليمى وعَرِّضْ بي كأنك مازحُ
فإن أعرضتْ عني فموّه مغالطاً بغيري وقل ناحتْ بذاك النوائح

أخذه القائل فنظمه ذوبيت :

باللطفِ إذا لقيتَ مَنْ أهواهُ عاتبه وقل له الذي ألقاه
إن أغضبه الوصال غالطْـه به أو رقّ فقلْ عبدك لا تنساه

وقال الآخر مواليا :

بحرمة العهد إن جزت النقا يا سعدْ أبصرتَ ذاك المحيا والأثيثَ الجعدْ
عرّضْ بذكري وغالطها وقل يا دعد إذلم تجودي بوصلك فاسمحي بالوعد

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي من أبيات :

ويا رسولي إليهم صفْ لهم أرقي وأنّ طرفي لطيفِ الضيفِ مرتقبُ
واسأل مواهبهم للعين بعض كرى لعل أن يهبوا لي بعض ما نهبوا
ولَطِّفِ القول لا تسأمْ مراجعةً عند الهوى والنوى قد ينجح الطلب
عرض بذكري فإن قالوا أتعرفه فاسأل ليَ الوصل وانكرني إذا غضبوا

ومن قول الوأواء الدمشقي في سيف الدولة [2] :

مَنْ قاس جَدْواك بالغَمام فما أنصف في الحكم بين إثنينِ
أنت إذا جُدْتَ ضاحكٌ أبداً وهو إذا جاد دامع [3] العين

وقال أيضاً [4] :

أيا ملزمي ذنبَ الدموع وقد جرت فأبدتْ من الأسرارِ كلَّ مصونِ

---

١ وردت هي وما بعدها من قطع في الوافي .
٢ الديوان : ٢٢٢ . ٣ المطبوعة : باكي .
٤ الديوان : ٢٣٦ .

أعنّي على تأديب دمعي فإنه يتوبُ إذا ما كنتَ أنت معيني

وقال أيضاً وهو لطيف جداً[1] :

إذا اشتد ما ألقى جلستُ حِذاءه ونارُ الهوى قد أضرمتْ بين أوصالي
أقبِّلُ من فِيه نسيمَ كلامه إذا مرَّ بي صَفحاً بأفواه آمالي

وقال أيضاً[2] :

يا من بزرقة سيف اللحظ طلّ دمي والسيف ما فخره إلا بزرقته
علّمت إنسانَ عيني أن يعومَ فقد جادت سباحته في ماء مقلته[3]

وقال أيضاً[4] :

ولما وقفنا ساعة البين لم نُطِقْ كلاماً تناجينا بكسر الحواجبِ
نناجي[5] بإضمار الهوى ظاهرَ الهوى بأطيبَ من نجوى الأماني الكواذب

وقال أيضاً[6] :

رعى الله من لم يرع لي حقَّ صحبتي وإن كان في كفِّ المنية مُودِعي
فيا أسفي زدني عليه تأسفاً ويا كبدي وجداً عليه تَقَطَّعي
وإني لمشتاقٌ إلى مَنْ أحبه فلا معه شوقي ولا صبره معي

وقال أيضاً[7] :

تنفّستُ الغداةَ وقد تولتْ ركائبهم معارضةً طريقي

---

١ الديوان : ١٨٣ .
٢ الديوان : ٦٥ .
٣ الديوان : دمعته .
٤ الديوان : ٢٥ .
٥ المطبوعة : تنادي .
٦ الديوان : ١٤٢ .
٧ الديوان : ١٦٢ مع اختلاف في الرواية .

تنادت بالحريقِ فَظَلْتُ أبكي فنادت بالحريقِ وبالغريق

وقال في جَرَب معشوقه من أبيات [1] :

دبّ في كفيه ما مِنْ حُبِّه دبَّ بقلبي
فهو يشكو حَرَّ حَبّ واشتكائي حر حُبّ

وكانت وفاة الوأواء في عشر التسعين والثلثمائة تقريباً ، رحمه الله تعالى .

٤١٣
محيي الدين ابن سراقة

محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سُراقة ، محيي الدين الأنصاري الأندلسي الشاطبي ؛ ولد في رجب سنة اثنتين وتسعين[2] وخمسمائة بشاطبة ، وتوفي سنة اثنتين وستين وستمائة بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم .

سمع الكثير ، وولي مشيخة دار الحديث البهائية بحلب ، ثم قدم إلى الديار المصرية وولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى حين وفاته ، وكان أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة [والنبل] ، وأحد المشايخ المعروفين بطريق القوم ، وله في ذلك إشارات لطيفة ، مع ما جُبل عليه من مكارم الأخلاق واطراح التكليف ورقة الطبع ولين الجانب ، وله شعر منه :

إلى كم أمَنّي النفس ما لا تنالُه فيذهبُ عمري والأمانيُّ لا تُقضى

---

١ الديوان : ٥٧ .

٤١٣ — الوافي ١ : ٢٠٨ (وكنيته أبو بكر) والزركشي : ٢٥١ وابن الشعار ٧ : ٧٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢١٦ والشذرات ٥ : ٣١٠ ونفح الطيب ٢ : ٦٣ وذيل الروضتين : ٢٣٠ .

٢ المطبوعة : وسبعين .

وقد مر لي خمسٌ وعشرون حجةً ولم أرضَ فيها عيشتي فمتى أرضى
وأعلم أني والثلاثونَ مدتي وخيرُ مغاني اللهو أوْسعُها ركضا
فماذا عسى في هذه الخمس أرتجي ووجدي[1] إلى أوبٍ من العشر قد أفضى

وقال أيضاً :

وصاحبٍ كالزلال يمحو صفاؤه الشكَّ باليقينِ
لم يحص إلا الجميلَ مني كأنه كاتبُ اليمين

وهذا عكس قول المنازي :

وصاحبٍ خلته خليلاً وما جرى غَدْرُه ببالي
لم يحصِ إلا القبيحَ مني كأنه كاتبُ الشمال

وكان محيي الدين من أبناء القُضاة ، حفظ القرآن العظيم وتفقه على مذهب مالك ، رحمه الله .

٤١٤
نصير الدين الطوسي

محمد بن محمد بن الحسن ، نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب علم الرياضي ؛ كان رأساً في علم الأوائل ، لا سيما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار ، قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي وغيره ،

١ الوافي : ووحدي .

٤١٤ – الوافي ١ : ١٧٩ وأمل الآمل ٢ : ٢٩٩ وروضات الجنات : ٥٧٨ وعبر الذهبي ٦ : ٣٠٠ والشذرات ٥ : ٣٣٩ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٦٧ وابن الوردي ٢ : ٢٢٣ وتراث العرب العلمي : ٣٥٦ – ٣٦٤ وصفحات متفرقة من علم الفلك لنلينو .

وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو ، وكان يطيعه فيما يشير به عليه ، والأموال في تصريفه ، وابتنى بمراغة قبةً ورَصَداً عظيماً ، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نُهِبَتْ من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد ، وقرر بالرصَد المنجمين والفلاسفة ، وجعل له الأوقاف[1] ، وكان حسن الصورة سمحاً كريماً جواداً حليماً حسن العشرة غزير الفضل .

حكي أنه لما أراد العمل للرصد رأى هولاكو ما يغرم عليه ، فقال له : هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فايدته ؟ أيَدفع ما قُدِّر أن يكون ؟ فقال : أنا أضرب لك مثلاً : يأمر القان مَن يطلع إلى هذا المكان ، ويرمي من أعلاه طشت نحاس كبير من غير أن يعلم به أحد ، ففعل ذلك ، فلما وقع كانت له وقعة عظيمة هائلة رَوَّعت كلَّ من هناك ، وكاد بعضهم يصعق ، وأما هو وهولاكو فإنهما ما حصل لهما شيء لعلمهما بأن ذلك يقع ، فقال له : هذا العلم النجومي له هذه الفائدة ، يعلم المتحدث فيه ما يحدث فلا يحصل له من الرَّوْعة ما يحصل للذاهل الغافل عنه ، فقال له : لا بأس بهذا ، وأمرهُ بالشروع فيه ، أو كما قيل .

ومن دهائه ما حُكي أنه حصل لهولاكو غضبٌ على علاء الدين الجويني[2] — صاحب الديوان — فأمر بقتله ، فجاء أخوه إلى النصير وذكر له ذلك ، فقال النصير : هذا القان إن أمر بأمر لا يمكن رده ، خصوصاً إذا برز إلى الخارج ، فقال له : لا بد من الحيلة في ذلك، فتوجه إلى هولاكو وبيده عكاز وسُبحة ثم اصطرلاب ، وخلفه مَن يحمل مبخرة وبخوراً وناراً ، فرآه خاصة هولاكو الذين على باب المخيم ، فلما وصل أخذ يزيد في البخور ويرفع الاصطرلاب ناظراً فيه ويَضَعُه ، فلما رأوه يفعل ذلك دخلوا على

١ الوافي : وجعل لهم الجامكية .

٢. مرت ترجمته رقم : ٣٢٧ .

هولاكو وأعلموه ، ثم خرجوا إليه فقال لهم : القان أين هو ؟ قالوا له : جوّا ، قال : طيب معافى موجود في صحة ؟ قالوا : نعم ، فسجد شكراً لله تعالى ، ثم قال لهم : طيب في نفسه ؟ قالوا : نعم ، وكرر ذلك مراراً وقال : أريد أرى وجهه بعيني ، فدخلوا فأعلموه ، وكان في وقت لا يجتمع [فيه] به أحد ، فقال : عليّ به ، فلما دخل ورآه سجد وأطال السجود ، فقال له : ما خبرك ؟ قال : اقتضى الطالع في هذا الوقت أن يكون على القان أمر فظيع[1] عظيم إلى الغاية ، فقمت وعملت هذا وبخّرت بهذا البخور ودعوت بأدعية أعرفها أسأل الله تعالى صرْفَ ذلك عن القان ، وينبغي الآن أنّ القان يكتب إلى سائر ممالكه بإطلاق مَن في الاعتقال والعفو عمن له جناية لعل الله عز وجل يصرف هذا الحادث العظيم ، ولو لم أر وجه القان ما صدّقت ، فأمر في تلك الساعة هولاكو بما قال ، وانطلق علاء الدين صاحبُ الديوان في جملة الناس ، ولم يذكره النصير الطوسي ، وهذا غاية في الدهاء بلغ به مقصده ودفع عن الناس أذاهم .

ومما وقف له عليه أن ورقةً حضرت إليه من شخص من جملة ما فيها : يا كلب [يا] ابن الكلب ؛ فكان الجواب : أما قوله يا كذا فليس بصحيح ؛ لأن الكلب من ذوات الأربع ، وهو نابح طويل الأظفار ، وأما أنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك ، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص ، وأطال في نقضِ كلّ ما قاله ، هكذا ردّ عليه بحسن طوية[2] وتأنّ غير منزعج ، ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة .

ومن تصانيفه : « كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة » وهو جيد

---

١ في أصل الوافي : « قطع » وهو من مصطلحات المنجمين ؛ وغيره المحقق إلى « فظع » وهو خطأ ؛ ولعل ما كان في أصل الفوات : أمر قطع عظيم .

٢ الوافي : برطوبة .

إلى الغاية ، و « مقدّمة في الهيئة » واختصر « المحصّل » للإمام فخر الدين وهذّبه وزاد فيه ، وشرح « الإشارات » وردّ على الإمام فخر الدين في شرحه ، وقال : هذا جرح وما هو شرح وقال فيه : إني حررته في عشرين سنة ، وناقض فخر الدين كثيراً ، ومن تصانيفه « التجريد في المنطق » و « أوصاف الأشراف » و « قواعد العقائد » و « التخليص[1] في علم الكلام » و « العروض » بالفارسية ، و « شرح الثمرة[2] » لبطليموس ، و « كتاب المجسطي » و « جامع الحساب في التخت والتراب » و «الكرة والاسطرلاب » و « المغطّيات » و « الظاهرات » و « المناظر »[3] و « الليل والنهار » و « الكرة المتحركة » و « الطلوع والغروب » و« تسطيح الكرة » [و] « المطالع » و« تربيع الدائرة » و« المخروطات » و « الشكل المعروف بالقطاع » و « الجواهر » و « الاسطوانة » و « الفرائض على مذهب أهل البيت » و « تعديل المعيار في نقض[4] تنزيل الأفكار » و « بقاء النفس بعد بوار البدن » و « الجبر والمقابلة » و « إثبات العقل الفعال » و « شرح مسألة العلم » و « رسالة الإمامة » و « رسالة إلى نجم الدين الكاشي[5] في إثبات واجب الوجود » و « الحواشي على كليات القانون » و « الزيج الإيلخاني » و« رسالة ثلاثون فصلاً في معرفة التقويم » و « كتاب أكر مانالاوس » و « أكر ثاوذوسيوس »[6] وله شعر كثير بالفارسية .

وقال شمس الدين ابن المؤيد العرضي : أخذ النصير العلم عن كمال الدين ابن يونس الموصلي ومعين الدين سالم بن بدران المصري المعتزلي ، وكان

---

١ الوافي : التلخيص .
٢ في المطبوعة : الهمزة ، والتصويب عن الوافي .
٣ في المطبوعة : والمناظرات والمساطير .
٤ المطبوعة : بعض ؛ الوافي : نقد .
٥ الوافي : الكاتبي .
٦ في المطبوعة : والثريا وتوسيدس .

منجماً [لأبغا] [1] بعد أبيه ، وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده في الأموال ، واحتوى على عقله حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به ، ودخل عليه مرة ومعه كتاب مُصَوّر في عمل الدرياق الفاروق ، فقرأه عليه وعظمه عنده وذكر منافعه وقال : إنّ كمال منفعته أن تسحق مفرداته في هاون ذهب ، فأمر له بثلاثة آلاف دينار لعمل الهاون ، وولاه هولاكو جميع الأوقاف في سائر بلاده ، وكان له في كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمل إليه ليصرفه في جامكيات المقيمين بالرصد ولما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الأرصاد ، وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم ، وكان يبرهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم ، وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى .

قال شمس الدين الجزري ، قال حسن بن أحمد الحكيم صاحبنا : سافرت إلى مَراغة وتفرّجت في الرصد ومتوليه علي بن الخواجا نصير الدين الطوسي ، وكان شاباً فاضلاً في التنجيم والشعر بالفارسية ، وصادفت شمس الدين [ابن] المؤيد العرضي وشمس الدين الشرواني والشيخ كمال الدين الايكي وحسام الدين الشامي ، فرأيت فيه من آلات [2] الرصد شيئاً كثيراً ، منها ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس : الأولى دائرة نصف النهار ، وهي مركوزة على الأرض ، ودائرة معدل النهار ، ودائرة منطقة البروج ، ودائرة العرض ، ودائرة الميل ، ورأيت الدائرة الشمسية التي يعرف بها سَمتُ الكواكب ، وأخبرني شمس الدين العرضي أن نصير الدين أخذ من هولاكو بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله تعالى [3] خارجاً عن الجوامك والرواتب التي للحكماء والقَوَمة .

---

١ زيادة من الوافي .

٢ المطبوعة : آيات .

٣ في الوافي بعده : وأقل ما كان يأخذ بعد فراغ الرصد لأجل الآلات وإصلاحها عشرون ألف دينار .

وقال نصير الدين في الزيج الإيلخاني : إنني جمعت لبناء الرصد جماعةً من الحكماء : منهم المؤيد العرضي من دمشق ، والفخر المراغيْ [الذي][1] كان بالموصل ، والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس ، ونجم الدين القزويني ، وقد ابتدأنا في بنائه في سنة سبع وخمسين وستمائة بمراغة ، والأرصادُ التي بُنيَتْ قبلُ وعليها كان الاعتماد دون غيرها هو رصد برجس[2] ، وله مذ بني ألف وأربعمائة سنة ، وبعده رصد بطليموس ، وبعده في ملة الإسلام رصد المأمون ببغداد ، وله أربعمائة سنة وثلاثون سنة ، والرصد البناني[3] في حدود الشام ، والرصد الحاكمي بمصر ، ورصد بني[4] الأعلم ببغداد وله مائتان وخمسون سنة ، وقال الأستاذون : إن أرصاد الكواكب [السبعة][5] لا تتم في أقل من ثلاثين سنة ، لأن فيها يتم دوران هذه السبعة ، فقال هولاكو : اجهد في أن رصد هذه السبعة يتّم في ثنتي عشرة سنة ، قلت : أجتهد[6] في ذلك .

وكان النصير قد قدم من مَراغة إلى بغداد ومعه كثير من تلامذته وأصحابه ، فأقام بها مدّة أشهر ومات ، وخلف من الأولاد صَدرَ الدين علي والأصيل حسن والفخر أحمد ، وولي صدر الدين بعد أبيه غالب مناصبه ، فلما مات ولي بعده الأصيل حسن ، وقدم الشام مع غازان ، وحكم في أوقاف الشام تلك الأيام وأخذ منها جملة ، ورجع مع غازان ، وولي نيابة بغداد فأساء السيرة ، فعُزل وصُودر وأهين ، فمات غير حميد ، وأما الفخر أحمد فقتله غازان لكونه أكل أوقاف الروم وظلم .

١ زيادة من الوافي .
٢ في المطبوعة : ابن جيس .
٣ المطبوعة : البيساني .
٤ الوافي : ابن .
٥ زيادة من الوافي .
٦ الوافي : أجهد .

ومولد النصير بطوس سنة سبع وتسعين وخمسمائة ؛ وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ببغداد ، وشيَّعه صاحب الديوان والكبار ، وكانت جنازته حفلة ، ودفن في مشهد الكاظم ، رحمه الله تعالى آمين .

٤١٥

مؤيد الدين ابن العلقمي

محمد بن محمد بن علي ، أبو طالب الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي البغدادي الرافضي ، وزير المستعصم ؛ ولي الوزارة أربع عشرة سنة فأظهر الرَّفض قليلاً ، وكان وزيراً كافياً خبيراً بتدبير الملك ، ولم يزل ناصحاً لأصحابه وأستاذه حتى وقع بينه وبين الدوادار لأنه كان متغالياً[1] في السُّنة ، وعضده ابن الخليفة ، فحصل عنده من الضغن ما أوجب سَعيه في دمار الإسلام وخراب بغداد على ما هو مشهور ؛ لأنه ضعف جانبه وقويت شوكة الدوادار بحاشية الخليفة حتى قال في شعره من ذلك :

وزير رضي[2] من بأسه وانتقامه ... بطيِّ رقاع حشوها النظم والنثرُ
كما تسجع الورقاءُ وهي حمامةٌ ... وليس لها نهيٌ يُطاع ولا أمر

وأخذ يكاتب التتار إلى أنْ جرَّ هولاكو وجرأه على أخذ بغداد ، وقرر

---

٤١٥ – الوافي ١ : ١٨٤ والحوادث الجامعة ١٩٦ ، ٣٤٠ (وصفحات أخرى) وعبر الذهبي ٥ : ٢٢٥ والفخري : ٢٩٩ والشذرات ٥ : ٢٧٢ والبداية والنهاية ١٣ : ٢١٢ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٧٧ ومرآة الجنان ٤ : ١٤٧ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٠ وأورده مؤلف الأعلام تحت اسم « محمد بن أحمد » وذكر مصادر أخرى لترجمته .

١ الوافي : يتغالى .

٢ في المطبوعة : له ، ولا تلائم سياق المعنى ، إذ هو يسخر من أنه « رضي بطي رقاع ... » .

مع هولاكو أموراً انعكست عليه . ونَدِم حيث لا ينفعه الندم ، وكان كثيراً ما يقول بعد ذلك :

* وجرى القضاءُ بعكس ما أملته *

لأنه عُومِل بأنواع الهوان من أراذل التتار والمرتدة ؛ حكي أنه كان جالساً بالديوان ، فدخل عليه بعضُ التتار ممن ليس له وَجاهة راكباً فرسه ، فسار[1] إلى أن وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما أراد ، وبال الفرس على البساط وأصاب الرشاشُ ثيابَ الوزير ، وهو صابر لهذا الهوان يُظهرُ قوة النفس وأنه بلغ مراده .

وقال له بعض أهل بغداد : يا مولانا أنت فعلتَ هذا جميعه حَمية ، وحميت الشيعة ، وقد قُتِلَ من الأشراف الفاطميين خلقٌ لا تحصى ، وارتكبتْ الفواحشُ مع نسائهم ، فقال : بعد أن قتل الدوادار ومن كان على رأيه لا مبالاة بذلك . ولم تطل مدته حتى مات غماً وغيظاً في أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة .

بعث إليه المستعصم شَدَّةَ أقلام ، فكتب إليه : قبَّلَ الملوكُ الأرضَ شكراً للإنعام عليهِ بأقلامٍ قلَّمت أظفار الحدثان ، وقامت له في حرب الزمان ، مقام عوالى المُرَّان ، وأجنته ثمار الأوطار من أغصانها ، وحازت له قَصَبات المفاخر بيوم[2] رهانها ، فيا لله كم عقد زمام في عقدها ، وكم بحر سعادة أصبح جارياً من مِدادها ومَددها ، وكم منآد[3] خط استقام بمثقفاتها ، وكم صوارم فلّ مضاربها مطرّر[4] مرهفاتها .

---

١ الوافي : فساق .

٢ الوافي : يوم .

٣ في المطبوعة : سنان ؛ وأثبت ما في أصل الوافي .

٤ الوافي : بمطرور .

لم يبق لي أملٌ إلا وقد بَلَغَتْ نفسي أقاصيه برّاً بي وإنعاما
لأفتَحَنَّ بها والله يقدر لي مصانعاً[1] أعجزت من قبل بهراما
تعطي الأقاليمَ من لم يبد مسألة له فلا عجب إن تُعطِ أقلاما

وكان قد طالع المستعصم في شخص من أمراء الجبل يعرف بابن شرف شاه وقال في آخر كلامه « وهو مدبر » فوقّع المستعصم له :

ولا تساعدْ أبداً مدبراً وكُنْ مع الله على المدبرِ

فكتب ابنُ العلقمي أبياتاً في الجواب منها :

يا مالكاً أرجو بحبي له نَيلَ المنى والفَوْزَ في المحشرِ
أرشدتني لا زلتَ لي مرشداً وهادياً من رأيك الأنور
أبنت لي بيت هدًى[2] قلتَه عن شرف من بيتك الأطهر
فضلك فضلٌ ما له منكرٌ ليس لضوء الشمس من منكر
أن يجمعَ العالم في واحدٍ ليس على الله بمستنكر

اشتغل بالحلّة على عميد الرؤساء أيوب ، وعاد إلى بغداد وأقام عند خاله عضد الدين أبي نصر المبارك ابن الضحاك ، وكان أستاذ الدار .

ولما قبض على مؤيد الدين القمي — وكان أستاذ الدار — فوضت[3] الأستاذ دارية إلى شمس الدين ابن الناقد ، ثم عزل وفوضت الأستاذ دارية إلى ابن العلقمي ، فلما توفي المستنصر بالله وولي الخليفة المستعصم وتوفي ابن الناقد وزر ابن العلقمي ، وكان قد سمع الحديث واشتغل على أبي البقاء العكبري .

وحكي أنه لما كان يكاتب التتار تحيل إلى أن أخذ رجلاً وحلق رأسه

---

١ الوافي : مصاعباً .
٢ المطبوعة : بيتاً متى .
٣ المطبوعة : فرضت ، وهو خطأ .

حلقاً بليغاً وكتب ما أراد عليه بالإبر[1] ، ونفَض عليه الكحل وتركه عنده إلى أن طلع شعره وغَطّى ما كتب ، فجهزه وقال : إذا وصلت مُرْهُم بحلق رأسك ودعهم يقرأون ما فيه ، وكان آخر الكلام « اقطعوا الورقة » فضُرِبت عنقه ، وهذا غاية في المكر والخزي .

٤١٦

تاج الدين ابن حنا

محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري ، الصاحب تاج الدين ابن الصاحب فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين ابن حنّا ؛ ولد سنة أربعين وستمائة ، وتوفي سنة سبع وسبعمائة ، وسمع من سبط السِّلفي ومن الشرف المرسي ، وبدمشق من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر ، وانتهت إليه رياسة عصره بمصره ، وكان ذا تَصَوُّن وسؤدد ومكارم أخلاق وشكل حسن وبزة فاخرة إلى الغاية ، يتناهى[2] في المطاعم والملابس والمساكن ، ومع ذلك صدقاته كثيرة وتواضعه وافر ، ومحبته في الفقراء والصلحاء زائدة ، وهو الذي اشترى الآثار النبوية — على ما قيل — بستين ألف درهم وجعلها في مكانه بالمعشوق ، وهو المكان المنسوب إليه بالديار المصرية ، وهي قطعة من العنزة[3] ومرود ومخصف وملقط من فضة ، ورأى من العز والرياسة

١ الوافي : بوخز الإبر .

٤١٦ — الوافي ١ : ٢١٧ والنجوم الزاهرة ٨ : ٢٢٨ والدرر الكامنة ٤ : ٣٢٢ وفي البدر السافر : ١٥٧ ترجمة لمحمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم ولقبه فخر الدين وقال انه ابن الصاحب بهاء الدين ومولده ووفاته كالذي ذكره هنا . ويبدو أن في البدر خطأ .

٢ المطبوعة : يتباهى .

٣ العنزة : العصا .

والوجاهة ومن السيادة ما لا رآه جدهُ الصاحب بهاء الدين .

حكى الشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى أن الصاحب فخر الدين [ابن][1] الخليلي لما لبس خلعة[2] الوزارة توجّه من القلعة بالخِلعة إلى دار الصاحب تاج الدين ، وجلس بين يديه وقبل يده ، فأراد أن يجبره ويعظم قدره ، فالتفت إلى بعض غلمانه وطلب منه توقيعاً يختص بذلك الشخص ، فأخذه وناوله لابن الخليلي وقال : مولانا يعلّم على هذا التوقيع ، فأخذه وقبله ووضعه على رأسه وكتب عليه قدامه ؛ وكان فتح الدين ابن سيد الناس إذا حكى هذه الحكاية يقول : وهذه الحركة من الصاحب تاج الدين بمنزلة الإجازة والإمضاء لوزارة ابن الخليلي .

ومن أحسن حركة اعتمدها ما حكاه الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى في تاريخه ، قال : حكى لي القاضي شهاب الدين ابن فضل الله رحمه الله تعالى قال : اجتزت بتربته ، فرأيت إلى جانبها[3] مكتباً للايتام وهم يكتبون القرآن في ألواحهم ، فإذا أرادوا مَسحَها غسلوا الألواح وسكبوا ذلك على قبره ، فسألت عن ذلك فقيل لي : هذا شرط الواقف[4] ، وهذا قصد حسن وعقيدة صحيحة .

وكان الصاحب بهاء الدين يؤثره على أولاده لصُلبه ويُعظِّمه ، وكتب له عليه حجة بمبلغ ستين ألف مثقال[5] مصرية ؛ ومن وجاهته وعظمه في النفوس أنه لما نكب على يد الشجاعي جرّده من ثيابه وضربه مقرعة واحدة فوق قميصه ، ولم يَدّعه الناس يصل إلى أكثر من ذلك ، مع جبروت

---

١ زيادة من الوافي .

٢ الوافي : تشريف .

٣ الوافي : في داخلها .

٤ الوافي : هكذا شرط في هذا الوقف .

٥ الوافي : دينار .

الشجاعي وعتوّه وتمكنه من السلطان .

وكان له شعر حسن ، فمن ذلك ما كتبه إلى السراج الوراق في حمار سقط في بئر فمات :

يفديك جَحشُك إذ مضى متردّياً ... وبتالدٍ يُفْدى الأديب وطارفِ
عدم الشعير فلم يجده ولا رأى ... تبناً وراح من الظما كالتالِف
ورأى البويرةَ غير خافٍ ماؤها ... فرمى حشاشةَ نفسه لمخاوف
فهو الشهيد لكم بوافر فضلكم ... هذي المكارم لا حمامة خاطف [1]
قومٌ يموتُ حمارهم عطشاً لقد ... أزروا بحاتمَ في الزمان السالف

وأجابه الوراق بقصيدة على وزنها في غاية الحسن ، أولها :

أدْنت ثمارَ قطوفها [2] للقاطفِ ... وثنت بأنفاس النسيم معاطفي

ومنها في ذكر الحمار :

ولكم بكيتُ عليه عند مرابعٍ ... ومراتع رُشَّتْ بدمعي الذارف
يمشي على عسري ويسري صابراً ... بمعازف [3] تلهيه دون معالف
وقد استمر على القناعة يقتدي ... بي وهي في ذا الوقت جلُّ وظائفي
ودعاه للبـئر الصدى فأجابه ... واعتاقه صرفُ الحمام الآزف
وهو المدلّ بألفةٍ طالت وما ... أُنسي حقوقَ مرابعي ومآلفي
وموافقي في كلّ ما حاولته ... في الدهر غير مواقفي ومخالفي
دَوَرانَ ساقيةٍ لطاحونٍ ونقـ ... ـل الماء في شاتٍ ويوم صائـفِ

---

١ قال الصفدي : قوله لا حمامة خاطف ، أشار إلى أبيات ابن عنين التي مدح بها الامام فخر الدين الرازي ، وقد جاءت حمامة فدخلت حجره هرباً من جارح كان خلفها ؛ قلت : وذلك في قول ابن عنين :

من علم الورقاء أن محلكم ... حرم وأنك ملجأ للخائف

٢ الوافي : قطوف ثمارها .

٣ الوافي : بمعارف .

لكنْ بماء البئر راح بنقلة قتلته شا مات[1] بموت جارف

وبعث الصاحب تاج الدين إلى السراج ، وقد ولد له وَلدٌ ، صلَةً وثلثاً حريرياً ، وكتب مع ذلك أبياتاً خمسة أولها :

* بعثت بها و بالثلثِ الرفيع *

فأجابه الوراق بأبيات أولها :

سَرَتْ من جانب العزّ الرفيع إليَّ بطيب أنفاس الربيعِ
مُصرَّعة كأني اليومَ منها وبلت على حبيبٍ والصريع
دعونا الخمسةَ الأبيات ستاً لسبع علقتْ فوق الجميع
فدينا من هباتك مذهباتٍ كأنَّ بحوْكها[2] قطعَ الربيع
تزيد بلمس كفك حُسْنَ وَشيٍ كحسنِ الروض بالغيث المريع[3]
بها أحييتَ للنفساء نفساً ولي معها وللطفل الرضيع
وقد سمَّنتَ كيسي بعد ضعفٍ به التقت الضلوعُ مع الضلوع

وحكي أنه أضاف جده يوماً ووسَّع في الضيافة ، فلما عاد جده إلى بيته أخذ الناس يتعجبون من همته وكرم نفسه ؛ فقال الصاحب بهاء الدين : ليس ما ذكرتموه بعجيب ، لأن نفسه [كريمة ومكنته][4] متسعة ، والعجيب العجيب كونه طول هذا النهار وما أحضره من المشروب والمأكول من الطعام والفاكهة والحلوى وغير ذلك على اختلاف الأنواع ما قام من مكانه ، ولا دعا خادماً [فأسرَّ إليه] ولا أشار إليه بيده ولا طَرْفه . وقيل إن الناس تعجبوا على كثرتهم من شربهم الماء المبرد في كيزان عامَّة نهارهم ، فسئل عن ذلك فيما بعد

١ المطبوعة : شومات ؛ والمراد ، شاه مات ، حسب ما يقال في لعب الشطرنج .
٢ الوافي : محوكها .
٣ الوافي : الممرع .
٤ زيادة من الوافي .

فقال : اشترينا خمسمائة كوز ، وبعثنا إلى الجيران قليلاً قليلاً بـرّدوا ذلك في الباذهنجات[1] التي لهم . ولا شك أنه كان عالي الهمة ممجداً مُسوّداً .

واعتكف في مئذنة عرفات بجامع مصر ثلاثة أيام ، فكتب إليه السراج الورّاق :

ثلاثة أيامٍ قطعتُ لطولها ثلاثَ شديدات من السنواتِ
حجبن محيّا الصاحب ابن محمد لتجمع بين الحسن والحسنات
وما كاد قلبي أن يقر قراره لأني بمصرٍ وهو في عرفات

وقال الحكيم شمس الدين ابن دانيال[2] يهجوه :

يحتاج ذا التاج من يُرَصِّعه بدُرَّة تحت دالها كسره
فمن رأى عُنْقَه الطويلَ ولا ينزل فيه يموت بالحسره

٤١٧

الأثير ابن بنان

محمد بن محمد [بن محمد][3] بن بنان الأنباري ، أبو طاهر بن أبي الفضل الكاتب ؛ من أهل مصر وأصله من الأنبار ؛ قرأ الأدب وسمع الحديث ، وكان شيخاً جليلاً مَهيباً عالماً أديباً كاملاً بليغاً ، يكتب الخط الحسن ويقول

١ الباذهانج : انبوب يشبه ذلك الذي يستعمل للتهوية (دوزي) .

٢ الوافي : ناصر الدين ابن النقيب .

٤١٧ – الوافي ١ : ٢٨١ والزركشي ٢٥٢ والشذرات ٤ : ٣٢٧ وعبر الذهبي ٤ : ٢٩٤ ومختصر الدبيثي ١ : ١٢٢ وحسن المحاضرة ١ : ٣٧٥ .

٣ زيادة من الوافي والزركشي .

الشعر الجيد ويترسل ، وفيه مفاكهة[1] ودماثة أخلاق .

قدم بغداد رسولاً مع قافلة الحاج من مكة من جهة سيف الإسلام طغتكين أخي صلاح الدين من اليمن ، فأنزل بباب الأزج وأكرم مثواه ، وحدث بكتاب « الصحاح في اللغة » للجوهري ، وبالسيرة النبوية .

ولد سنة سبع وخمسمائة [بمصر][2] وتوفي بها سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ودفن بالقرافة وله كتاب « تفسير القرآن المجيد » وكتاب « المنظوم والمنثور » في مجلدين ، ومن نظمه في صاحب له توفي :

عجباً لي وقد مررتُ بآثا ... رك كيف اهتديتُ نهج الطريقِ
أتراني نسيتُ عهدك فيها ... صدقوا ما لميتٍ من صديق

وكتب الكثير بخطه المليح ، وتولى ديوان النظر في الدولة المصرية ، وتنقلت به الخدم في الأيام الصلاحية بتنيس وإسكندرية ، وكان القاضي الفاضل ممن يغشى بابه[3] ويمدحه ويفتخر بالوصول إليه .

٤١٨
ابن عروس الكاتب

محمد بن محمد بن عروس الشيرازي ، الكاتب الشاعر نزيل سامَرّا ؛ له نظم ، وتوفي في سنة ثمانين[4] ومائتين .

---

١ المطبوعة : فاكهة .
٢ زيادة لازمة من الوافي .
٣ في المطبوعة : أبوابه ، وأثبت ما في الوافي والزركشي .
٤١٨ – الوافي ١ : ١٢٨ والزركشي : ٢٥٢ ومعجم الشعراء : ٣٩٠ وطبقات ابن المعتز : ٤١٩ .
٤ كذلك هو أيضاً عند الزركشي ، وفي الوافي : في عشر الثمانين .

ومن شعره :

ولقد تأملت الحيا ة بُعَيْدَ فقدان التصابي
فإذا المصيبةُ بالحيا ة هيَ المصيبةُ بالشباب

وله أيضاً في أبي العيناء :

طَرْفُ أبي العيناء معلولُ[1] ودينه لا شك مدخولُ
وليس ذا علم بشيء ولا له إذا حصَّلْتَ محصول
ما هو إلا جملة غَثَّة وليس للجملة تفصيل

قال محمد بن عروس : اجتمعت أنا وعلي بن الجهم في سفينة ، ونحن غير متعارفين فتذاكرنا ووجدت له مذاكرة حلوة ، فكان في بعض ما قاله : أنا أشعر الناس ، قلت : بماذا ؟ قال : بقولي[2] :

سقى الله ليلاً ضمنا بعد هجعة وأدنى فؤاداً من فؤاد معذَّبِ
فبتنا جميعاً لو تُراقُ زجاجة من الخمرِ فيما بيننا لم تسرب

فقلت : والله قد أحسنت ، ولكنني أشعر منك ، قال : بأي شيء ؟ قلت : بقولي :

لا والمنازل من نَجْدٍ وليلتنا بفيدَ إذ جسدانا بيننا جسدُ
كم رام فينا الكرى من لطفِ مسلكه نوماً فما انفكَّ لا خدٌّ ولا عضد

فقال : أحسنت ، ولكن بِمَ صرت أشعر مني ؟ قلت : لأنك منعت دخول جسد بين جسدين ، وأنا منعت دخول عَرَضٍ بين جسدين ، قال : مَن أنت ؟ قلت[3] : أنا ابنُ عروس فمن أنت ؟ قال : أنا علي بن الجهم .

---

١ الوافي : معسول . ٢ ديوان ابن الجهم : ٩٥ .
٣ في الوافي : فقلت بل تقول أنت أولا ، قال أنا علي بن الجهم قلت : وأنا ابن عروس ؛ وما ورد هنا مماثل لما أورده الزركشي .

٤١٩
أبو الحسن البصروي

محمد بن محمد بن أحمد ، أبو الحسن البصروي ، وبصرى قرية بدُجَيل دون عكبرا ؛ كان شاعراً فصيحاً مطبوعاً له نوادر ، منها أنه قال [له] [١] رجلٌ : لقد شربْتُ البارحةَ كثيراً فاحتجت للقيام للبَوْل كل ساعة كأني جُديٌ ، فقال : لم تصغر نفسك يا سيدي ؟ وتوفي ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ؛ ومن شعره :

ترى الدنيا وزهرتها فتصبو [٢] ... وما يخلو من الشبهات صبٌّ [٣]
فضول العيش أكثرهُ هموم ... وأكثر ما يضرك ما تحبّ
فلا يَغْررك زُخْرُفُ ما تراه ... وعيشٌ ليّن الأطرافِ رطب
إذا ما بُلْغةٌ جاءتك عفواً ... فخذها فالغنى مَرْعًى وشرب
إذا حَصَل القليلُ وفيه سَلْمٌ ... فلا تُرِدِ الكثيرَ وفيه حَرْبُ

وله غير ذلك ، رحمه الله .

---

٤١٩ — الوافي ١ : ١٢٠ والنجوم الزاهرة ٥ : ٥٢ ومعجم البلدان (بصرى) .
١ زيادة من الوافي .
٢ الوافي : ترى ... فتصبو .
٣ الوافي : قلب .

٤٢٠

ابن الجنان الشاطبي

محمد بن سعيد بن هشام بن الجَنّان – بتشديد النون – الشيخ فخر الدين أبو الوليد الشاطبي الحنفي ؛ ولد سنة خمسَ عشرة وستمائة بشاطبة، وقدم الشام وصحب الصاحب كمال الدين ابن العَديم وولدَه قاضي القضاة مجد الدين ، فاجتذباه ونقلاه من مذهب مالك إلى مذهب أبي حنيفة ، ودرّس بالإقبالية[1] وكان أديباً فاضلاً وشاعراً محسناً ، وكان يخالط الأكابر وفيه حُسْنُ عشرة ومُزَاح ؛ توفي سنة خمس وسبعين وستمائة .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى : أخبرني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس قال : أخبرني والدي قال : كنا عند القاضي شمس الدين ابن خلكان وهو ينوب في الحكم بالقاهرة ، والشيخُ فخر الدين حاضرٌ وهو إلى جانبي ، فأنشد :

عَرْفُ النسيم بعَرْفِكم يتعرّفُ ... وأخو الغرام بحبكم يتشرفُ
شَرَفُ المتيم في هواكُمْ أنه ... طَوْراً يَنُوح[2] وتارةً يتلهّفُ
لطفت معانيه فهبَّ مع الصبا ... فرقيبه بهبوبه لا يعرف
وإذا الرقيبُ درى به فلأنه ... أخفى لديه من النسيم وألطَفُ

---

٤٢٠ – الوافي ١ : ١٧٥ والبدر السافر : ١٠٣ واختصار القدح : ٢٠٦ والمغرب ٢ : ٨٣٣ ونفح الطيب ٢ : ١٢٠ وبغية الوعاة : ٤٥ والزركشي : ٢٥٦ ؛ وقال أثير الدين انه محمد بن محمد .

١ نسبة إلى إقبال خادم نور الدين أو صلاح الدين وبه سميت مدرستان الاقبالية الكبيرة للشافعية والاقبالية الصغيرة للحنفية ؛ وقال ابن كثير إن الاقبالية أنشئت في ذلك العام ونسبت الى اقبال الشرابي (الدارس ١ : ١٥٨ وما بعدها) .

٢ الوافي : يبوح .

ولأنه يعـدو[1] النسيم . ديارهم وله على تلك الربوع توقّفُ

فقال القاضي شمس الدين : يا شيخ فخر الدين لطفته لطفته إلى أن عاد لا شيء ، فالتفت وقال بلسانه : الكاضي[2] حمار[3] ما له دوك شي ، يعني القاضي حمار ما له ذوق .

قال أبو حيان : أنشدني فخر الدين ابن الجنان :

أفنانيَ القبضُ عني حتى تلاشى وجودي
وجاءني البسط يُحْيي روحي بفضلٍ وجود
فقلتُ للنفس شكراً كذاك[4] بالنفس جودي
وقمتُ أشطح سكراً فغبتُ عن ذا الوجود

وقال أيضاً :

ذكر العُذَيْبَ فمال من سكر الهوى صبّ على صحف الغرام قد انطوى
يبكي على وادي العقيق بمثـله ويميلُ من طربٍ بمنعطف اللوى
وجهت وجهي نحوهم فبوجههم[5] لا أبتغي غيَراً ولا أرجو سـوى
وبمهجتي معبودُ حُسْنٍ منهمُ فلذا على عرش القلوب قد استوى
أوحى إلى قلبي الذي أوحى له فعجبت كيف نَطَقْتُ فيه عن الهوى

وقال أيضاً :

عليك من ذاك الحمى يا رسول بشرى[6] علامات الرضى والقبول

---

١ المطبوعة : يغدو .

٢ المطبوعة : القاضي .

٣ الوافي : حمار هوس .

٤ الوافي : لذاك .

٥ الوافي : فوحقهم .

٦ المطبوعة : تسري ، وما اثبته ورد في الوافي والنفح والزركشي والبدر السافر .

جئتَ وفي عِطْفيك منهم شذاً يسكرُ من خمر هواه العذول
يكفيكَ تشريفاً رسولَ الرضى أنكَ للعشاق فيهم رسول
حللتمُ قلبيَ وَهْوَ الذي يقولُ في دين الهوى بالحلول

وقال أيضاً :

وأبيك لم يخفق حشاي وإنما طرباً بأودية العقيق يصفقُ
بالله قولوا مَنْ أكونُ لديهمُ حتّى أرى بهواهم أتعشق
نطق الغرامُ بحالهم لما رأى أنَّ اللسانَ بحاله لا ينطق
لا يدعي فيه الفؤاد خفوقه فوِشاحُ من أهوى لعمري أخفق

وقال أيضاً :

ودَوْحٍ بَدَتْ معجزاتٌ له تبينُ عليه وتدعو إليهْ
جرى النهر حتّى سقى غصنَهُ فمال يقبل شكراً يديه
وكفُّ الصبا ضيَّعتْ[1] حليه فأضحى الحمام ينادي عليه
كساه الأصيل ثياب الضنى فحلَّ طبيبُ الدياجي لديه
وجاء النسيم له عائداً فقام له لاثماً معطفيه

وقال أيضاً[2] :

خَبَرٌ بأنفاس النسيم مُعَطَّرُ وافى إليّ فظَلْتُ منه أسكرُ
لله ما أحلى شمائله التي جاء النسيمُ بعَرْفِها يتبخترُ
وافى وما في القوم مَنْ يدري به إلا فتًى في حبّه متنكر
تتلى أحاديث الغرام بقلبه ولسانُه عما به يستخبر
حتّى إذا غنَّى له الحادي بهم وسَرَى له من نَشْر ليلى العنبر

---

١ المطبوعة : صبغت ، والتصويب عن الوافي .
٢ من هنا حتى نهاية الترجمة لم يرد في الوافي .

هزَّ المعاطف ثم راح مولّياً نشوانَ في ذيل الصبا يتعثر
متهتكاً في العاشقين كما ترى يبدي الذي يخفيه منه ويضمر
ساطان حبي فيك أرسلَ أدمعاً أمست بأخبار الغرام تخبر
فقرأتُ منها في صحيفة وجنتي ما لا وعينك باللسان تعبر
نزلوا حديقة مقلتي أو ما ترى أغصانَ أهدابي بدمعي تزهر ؟
لا أقْفَرَتْ تلك المنازلُ منهمُ أبداً ورَبْعُ الصبر منهم مُقْفِرُ

وقال أيضاً :

يا رعى الله عيشنا بين روضٍ حيث مال السرورُ فيه نميلُ
تحسبُ النهرَ عنده يتثنّى وتخالُ الغصونَ فيه تسيل

وقال أيضاً :

أُهَيْلَ الحيّ هل عَلم الفريقُ بأني فيكُمُ صبّ مَشُوقُ
نعم علموا وذاك لأنّ دمعي غداةَ البين سال به الطريق
أتأتون الحجازَ وما علمتم بأن القلبَ بَيْتُكُمُ العتيق ؟
وألفاظي العذيبُ وفي ضلوعي الـ حمى ودموعُ مقلتيَ العقيقُ

وقال أيضاً :

لي حبيبٌ عن حبه لا أحولُ إنّ شرحَ الغرام فيه يطولُ
قال لي عاذلي : تناسَ هواه قلت : أنسى يا عاذلي ما تقول
ولعمري لقد نسيتُ فقل لي أنت فيه مساعد أم عذولُ ؟
لو ضللنا في فترة من هواه لهدانا من مقلتيه رسول

وقال أيضاً :

قم فاسقنيها وجيشُ الليل منهزم[1] والصبحُ أعلامه محمرةُ العَذَبِ

---

[1] أورد في النفح روايتين: وثغر الصبح مبتسم (وهذه رواية الزركشي) وليل الهم منهزم .

والسحبُ قد نثرتْ في الروض لؤلؤها فضمها الشمسُ في ثوبٍ من الذهب [1]

وقال أيضاً :

حديثُ ذاك الحمى رَوْحي وريحاني فكيف يصبرُ عن هذين جثماني
فمن هواك لذاك الحسن راح به في الحيّ كلُّ خَلِيٍّ القلبِ يهواني
ثم انثنيتُ وبي من سكرةٍ طربٌ أهزُّ عِطْفي به تيهاً وأرداني
وحقهم لو ملكتُ الكونَ أجمعه وهبته طمعاً في وصل هجراني

وقال أيضاً :

بروحي وقلبي روضُ مبسمه الذي أبان لنا زهراً بأرض عقيقِ
وخاف بأن يسري النسيم بعطره فأصبح يخفيه بسترِ شَقيقِ

٤٢١

سعد الدين ابن عربي

محمد بن محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي ، سعد الدين ابن الشيخ محيي الدين ابن العربي ، الأديب الشاعر ؛ ولد بملطية في رمضان سنة ثمان عشرة وستمائة ، سمع الحديث ودرّس ، وكان شاعراً مجيداً وله ديوان مشهور ؛ وتوفي بدمشق سنة ست وثمانين وستمائة [2] ، ودفن عند قبر أبيه بسفح قاسيون في تربة بني الزكي .

---

١ ورد في النفح مرة بهذه الرواية ، ومرة أخرى على النحو الآتي :
والسحب قد لبست سود الثياب وقد قامت لترثيه الأطيار في القضب

٤٢١ — الوافي ١ : ١٨٦ ونفح الطيب ٢ : ١٧٠ والشذرات ٥ : ٢٨٣ والزركشي : ٢٥٨ .

٢ كذلك أيضاً في الزركشي ، وفي الوافي والشذرات : ست وخمسين وستمائة .

ومن شعره في مليح رآه بالزيادة بدمشق :

يا خليليَّ في الزيادة ظَبيٌ   سلبت مقلتاه جَفنْي رُقادَهْ
كيف أرجو السلوَّ عنه وطرفي   ناظرٌ حسنَ وجهه في الزيادهْ

وقال في مليح قاض :

وربَّ قاضٍ لنا مليح   يُعْرِبُ عن منطقٍ لذيذِ
إذا رمانا بسهم لحظ   قلنا له دائمُ النفوذ

وقال في مليح قواس :

قلت لقوَّاس له طلعة   مَنْ رام عنها الصبرَ لم يقدرِ
يا من له وجهٌ كبدرِ الدجى   بكم تبيعُ القوسَ للمشترِي

وله أيضاً :

لما تبدَّى عارضاه في نَمَطْ   قيلَ ظلامٌ بضياءٍ اختلطْ
وقيل نملٌ فوق عاج قد سقط   وقال قومٌ إنها اللام فقط

وقال أيضاً[1] :

فاترُ الطرفِ فاتكُ   لدمِ الصبّ سافكُ
هاجرٌ لي مواصلٌ   آخذٌ لي وتاركُ
وعلى كلّ حالةٍ   فهو مولى ومالكُ
قد أراني الدجى ضُحىً   وجهه وهو ضاحكُ
يا سليماً من الأسى   أنا والله هالكُ
ليَ حالٌ كمثل شَعْـ   ـرك يا بدرُ حالكُ
كم صبا فيك عابدٌ   ولكم ضلَّ ناسكُ

---

١ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في الوافي .

لك واللهِ منظرٌ قلّ فيه المشارك[1]
إنَّ يوماً أراك فيه ليومٌ مبارك

وقال :

أسباك نرجسُ مقلتيه المضعفُ يا للهوى غلب القويَّ الأضعفُ
فتكتْ بقلبك مرهفَاتُ جفونه سله عَلى مَ عليه سُلَّ المرهف
ويروقني الورد الجنيّ بخدّه واهاً له لو كان مما يُقْطَف
إن سامني فيه الهوانَ فإنني أبداً بعشق جماله أتشرف
يثنيه عن وصلي العفافُ وطرفه أبداً يُريقُ دمي ولا يتعفف
أمعنفي قسماً بمن قَسَم الهوى وقضى بأنك في الغرام تعنف
ما أبصرتْ عيناك أحسنَ منظراً من وجهه لو كنتَ ممن ينصف
قال الحبيبُ وقد رآني مُبْدياً فرطَ التأسفِ لو أفاد تأسف
مالي أراك لفرط حبك حاكياً يعقوبَ ؟ قلت له : لأنك يوسف

وقال أيضاً :

أنا بالأحبةِ لا أزالُ مولّها إن لم أكنْ أنا للصبابة مَنْ لها
جاء البشيرُ بهم فلولا أنني عبدٌ لهم لبذلتُ نفسي كُلَّها
شرفتْ بهم منا القلوبُ وإنما شرفُ المنازل بالذي قد حلّها
آه على أيامنا بطُوَيلعٍ ما كانَ أطيبها لنا وأجلّها
لاحت منازلهم بأعلى المنحنى قفْ بي لألثمَ حَزْنَهُنَّ وسهلها
يا سادةً ملكوا النفوسَ لأنهم كانوا أحق بها وكانوا أهلها

وقال أيضاً في مليح يسمى بابن الفويرة :

زعموا بأن المسكَ فارته اغتدت تجنى من الظبي الغرير وتجلبُ

---

[1] هذا البيت والذي يليه وردا في النفح : ١٧١ .

نسبوا الفويرة للغزال وما دروا   أن الغزال إلى الفويرةِ ينسب

وقال أيضاً في مليح سمين :

وقالوا من كلفتَ به سمينٌ   وذلك لا يخفُّ على القلوبِ
فقلت لهم نحول الجسم وصفُ الـ   ـمحبِّ وليس من وصف الحبيب

وقال أيضاً في مليح ضعيف :

قيل لي جسمُ من تحبُّ نحيلٌ   وهو مما يشينه فاسْلُ عَنْهُ
قلت ما ذاك من سقامٍ ولكنْ   خفَّة الروح أعْدَتِ الجسم منه

وقال أيضاً :

ألا يا سائلي عن شرح حالي   سؤالَ المشفق البرِّ الرحيمِ
فأما الجسم فهو كما تراه   سقيمٌ مثلُ ناظرك السقيم
وأمّا حال قلبي يا حبيبي   فلا تسألْ عَن اصحاب الجحيم

وقال أيضاً ذوبيت :

قد طارحني الحديثَ في ناديه   بدرٌ حَسَنٌ جميعُ ما يبديهِ
يا مهديَ درّ لفظه من فيــه   شرفت مسامعي فإيهٍ إيه

وقال أيضاً :

يا للهوى ماليَ من راحم   يأخذُ حقّي منك يا ظالمي
لو لم تكنْ في مهجتي حاكماً   ما غبت عني غيبة الحاكم

وقال أيضاً ذوبيت :

صبرت فؤادي عنهم إذ جاروا   في الحبّ وأربابُ الهوى أطوار
نادوني كم تظهر عنــا جلداً   في قلبك غيرنا ؟ فقلت : النار

وقال أيضاً :

أليلةَ وَصْلٍ كنتِ أم ليلة القدرِ   سقى عهدَكِ الماضي سلافٌ من الخمرِ

لئن كان ذاك العهدُ ولّى ولم يَدُمْ فإني له إني له دائم الذكر
آملُ أنّ الدهرَ يسخو بردِّه فوا أسفا ما ذاك من شيم الدهر[1]
وبي رشأ أهوى رشاقةَ قدِّه إذا ما انثنى يا خجلةَ الغُصُنِ النَّضرِ
أيا صنمَ الحسْنِ الذي فتن الورى وبرهانُ قولي أن قلبك من صخر
سباني ثغرٌ منكَ كالدرّ نظمه ويا من رأى درّاً يُشَبَّه بالبدر
أشاهدُ ريقاً منه كالشهد طعمه وما ذقته يوماً ولكنني أدري

٤٢٢

النور الاسعردي

محمد بن محمد — [وقيل محمد][2] ابن عبد العزيز — ابن عبد الصمد بن رستم الإسعردي نور الدين الشاعر ؛ ولد سنة تسع عشرة وستمائة ، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة ؛ كان من كبار شعراء الملك الناصر وله به اختصاص ، وله ديوان شعر ، وغلب عليه المجون ، وأفرد هزلياته من شعره وجمعها وسماها « سُلافة الزرجون في الخلاعة والمجون » وضم إليها أشياء من نظم غيره ، وكان ماجناً[3] خليعاً يجلس[4] تحت الساعات ؛ حضر ليلة عند الملك

---

١ بعده في الزركشي :
اذا لم يضع عمري عليه تأسفاً وحزناً وتذكاراً فواضيعة العمر

٤٢٢ — الوافي ١ : ١٨٨ والزركشي : ٢٥٩ والشذرات ٥ : ٢٨٤ ونكت الهميان : ٢٥٥ والبداية والنهاية ١٣ : ٢١٢ ومطالع البدور ١ : ٥٥ .

٢ زيادة من الوافي .

٣ كذلك هو عند الزركشي ؛ وفي الوافي : شاباً .

٤ الوافي : جلس ؛ ويبدو أن قوله هنا « يجلس تحت الساعات » تكرار غير ضروري ، لأنه سيرد بعد قليل ؛ وقد تكرر في الوافي والزركشي .

الناصر في مجلس أنس ، فخلع عليه قَبَاء وعمامة بطرف[1] ذهب ، فأتى بهما من الغد وجلس تحت الساعات .

ومن شعره :

ولقد بليتُ بشادنٍ ان لمتــه في قبح ما يأتيه ليس بنافعِ
متبذلٌ في خسةٍ وجهالـة ومجاعةٍ كشهود باب الجامع

وحضر ليلة عند الناصر في مجلس أنس، وكان فيه شرف الدين ابن الشيرجي، وكان ألحى ، فقام ابن الشيرجي فقضى شغله وعاد ، فأشار إليه السلطان بصفع النور الإسعردي فصفعه ، فلما فعل نزلت ذَقنُهُ على كتف النور ، فقبض عليها وأنشد في الحال :

قد صُفعنا في ذا المحلّ الشريف وَهو إن كنتَ ترتضي تشريفي
فارثِ للعبدِ من مصيف صفاع يا ربيعَ الندى وإلاّ خري في

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : ما أحسن ما أتى بياء المنادى هنا لترشيح التورية بين الربيع والخريف ، وقوله « وإلاّ خري في » من أحسن التورية[2] بقرينة إمساكه ذقن ابن الشيرجي ، وقد ظرف غاية .

وأضرّ قبل موته فقال :

قد كنتُ من قَبْلُ في أمنٍ وفي دَعَة طرفي يرودُ لقلبي روضةَ الأدبِ
حتى تَلَقَّبْتُ نور الدين فانعمشتْ عيني وحوّلَ ذاك النورُ لِلَّقَبِ[3]

وقال أيضاً :

سألت الله يختمُ لي بخير فعجل لي ولكن في عيوني

---

١ المطبوعة : وطوق ، والتصويب عن الوافي والزركشي .
٢ الوافي : الاشارة .
٣ المطبوعة : للقلب ، وهو خطأ .

وقال أيضاً :

يا سائلي لما رأى حالتي والطرفُ مني ليس بالمبصرِ
لستُ أحاشيك ولكنني سمحتُ بالعينين للأعور

وقال أيضاً :

قلت إذ راح ناعساً ثم أبدى[1] ضرطةً آذنَتْ لشملي بجَمْعِ
« فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلي أرى الديار بسمعي »[2]

وقال مضمناً قول المتنبي :

سباني معسولُ المراشف عاسلُ الـ معاطفِ مَصْقول السوالف مائدُ
يروم على أردافِهِ الخصرَ مسعداً « إذا عظم المطلوب قلَّ المساعد »

وقال أيضاً :

قلتُ يوماً للصدر[3] هل تثبت البـ عثَ وتنفي إنكارهم للحشرِ
قال أثبتُّ قلتُ ذقنك في استي قال أنفي فقلت في وسط حجري

وقال أيضاً يفضل حشيش الفقراء[4] :

لك الخيرُ لا تسمع كلامَ المفندِ ودونك في فتياك غيرَ مقلدِ
سألتَ عن الخضراءِ والخمرِ فاستمعْ مقالةَ ذي رأي مصيب مسدّد
وحقك ما بالخمر بعض صفاتها أتشربُ جهراً في رباط ومسجد؟
عليك بها خضراء غيرَ مبالغٍ بأبيضِ ورْقٍ أو بأحمر عسجد
ولكن على رغم المدام هدية تنزه عن بيع بغير التزهد

---

١ الوافي : قلت اذ نام من احب وأبدى ؛ وما هنا شبه لما عند الزركشي .
٢ مضمن من شعر الشريف الرضي .
٣ الوافي : للزين ، والرواية عند الزركشي كما هو مثبت في المتن .
٤ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في الوافي .

رياضية يحكي الجنان اخضرارها وخمرهمُ كالمارج المتوقد
مدامهمُ تنسي المعاني وهـذه تذكر أسرار الجمال الموحد
هي السر ترقى الروحُ فيها إلى ذرى الـ ـمعالم في معراج فهمٍ مجرد
بل الروحُ حقاً لا يَحُلُّ بربعها همومٌ ولا يحظى بها غير مهتدي
ولا داسها العصارُ عمداً ودنس الـ ـدِّنانَ بمختومٍ من القار أسود
ولا تتعب الأبدان عند نزالها وفي القيء إذ تبدو كزق ممدد
ولا تستخفُّ الناسُ عقلك بينهم لعمري ولا تدعى لديهم بمفسد
وفي طرَف المنديل يوماً وعاؤها ويعتاضُ عن حمل الزجاجة باليد
وتخلص من إثم وحدٍّ ولا ترى ذليلاً وتنجو من نديم معربد
وتشربها في العسر واليسر دائماً ولا تتقي فيها ليالي التعبد
وتأمن كبساتِ الحماة وكيدهم وتسلمُ من جور الولاة ولا تدي
وتغدو ذكيّاً فاضلاً ذا نباهة ظريفاً ولا يغشاك فَرْطُ تبلد
وتصبحُ عند الناسِ غيرَ مبغّضٍ وتمنح من كل بحسن التّوَدّد
وإن ذاقها المعشوقُ وافاك خلسةً من الحاسد الواشي على غير موعد
ومن فضلها في الطب جودة هضمها وهيهاتِ يحصى فضلها لمعدّد
ولا سيما إن كان فيها منادمي غزالٌ كغصنِ البانة المتأوِّد
ينادم بالشِّعر اللطيفِ وتارةً يغني فيزري بالحمام المغرِّد
يغازلني سراً بعينَيْه غزالة ويبسمُ عن ثغرٍ كدرٍّ منضد
فلا تستمعْ فيها مقالةَ عاذلٍ يصدُّك عنها واعْصِ كلَّ مفند

وقال أيضاً يفضل الخمر على الحشيش :

فَدَيْتُكَ نورُ الحقِّ قد لاح فاهْتَدِ نديمي وكنْ في اللّهو غيرَ مقلِّدِ
أترضى بأن تمسي شبيهَ بهيمةٍ بأكلِ حشيشٍ يابسٍ غير أرغد
فدعْ رأيَ قومٍ كالدوابِ ولا تُدِرْ سوى درةٍ كالكوكب المتوقد

مدام إذا ما لاح للركب نورها وقد ضلّ ليلاً عاد بالنور يهتدي
حشيشتهم تكسو المهيبَ مهانةً فتلقاهُ مثلَ القاتل المتعمد
ويبدو على خدّيه مثلُ اخضرارها فيضحي بوجهٍ مظلم اللون أربد
وتفسدُ من ذهنِ النديم خياله فينظر مبيضّ الصباح كأسود
وخمرتنا تكسو الذليلَ مهابةً وعزًّا فتلقى دونه كلّ سيد
وتجلى فتجلو همّ كلّ منادمٍ ويروى بها من شربها قلبه الصّدي
وتبدو فيبدو سرُّهُ وتسرُّه فيشبهها لوناً بخدّ مورّد
وفيها على رغم الحشيش منافعٌ فقُلْ في معانيها وصفها وعدّد
وفي غيرها للناس كلُّ مضرّةٍ فحدثْ بكلّ السوء عن وصفها الردي
وحقك ما ذاق الحشيشَ خليفة ولا ملكٌ فاق الأنام بسؤدد
ولا جدّ في وصفٍ لها قط شاعرٌ بتنميقِ ألفاظٍ كألحان معبد
ولم تُضربِ الأوتار في مجلسٍ لها وما ذاك إلاّ للشراب المورّد
أتخضب من غير المدامة راحة إذا ما بدت في الكأس تجلى على اليد
بها ينثني المعشوقُ نشوانَ مائلاً بقدٍّ كغصنِ البانة المتأوّد
يعاطيك راحاً مثلها في رضابه ومبسمه مثلُ الحباب المنضد
وينعم بالوصل الذي كان باخلاً به ثم ينسى كلّ ما كان في الغد
أعن مثلها يا صاح يصبرُ عاقلٌ لقد كنتُ في تركي لها غير مهتدي
ولولا فضولُ الناسِ ما بتُّ صاحياً ولم أستمعْ فيها مقالَ المفند
فخذها ولا تسمعْ مقالةَ لائم وإن حرمت يوماً على دين أحمد

تأمل هاتين القصيدتين وكيف ناقض بينهما ، وبهذا يعرف حذق الشاعر فإنه يمدح الشيء ويذمّ ضده ، ثم يعكس فيميل الطباع إلى ما مدح ، ويصرفها عن ما ذمّ ، من غير أن يغير حقيقة هذا ولا هذا .

وقال أيضاً :

أيا حبذا دَوْحٌ حللنا ظلاله فطاب لنا فيه مقيلٌ ومسرحُ
سرينا إليه خِلسة كنسيمــه وعدنا كأغصانٍ به تترنح

وقال وهو ببستان البهاء ابن سيدة :

ألا يا بهاءَ الدين ليس بنادمٍ نديمك بل تُسْدَى إليه المكارمُ
خرينا وُبُلْنَا إذ سكرنا بنهركم « ووجهك وضاحٌ وثغرك باسم »

وقال في أحول لائط :

يا ظريفاً يكادُ يقطر من عطـ فيه ماءُ اللواطِ في كلِّ وادِ
عشْ هنيئاً فإن عينيك يغني حَوَلٌ فيهما عن القواد

وقال أيضاً :

ولي صاحب قال نلتُ المنى بمن هو دون الورى مُنْيَتي
فقلتُ أتى زائراً قــال لا ولكن جــلدتُ ولي نيتي

٤٢٣
شهاب الدين ابن تمرداش

محمد بن محمد بن محمود بن تمرداش ، شهاب الدين أبو عبد الله ؛ كان في أول أمره جندياً ، وخدم بحماة وصحب صاحبها الملك المنصور ، ثم أبطل

---

٤٢٣ – الوافي ١ : ٢٣٢ والزركشي : ٢٦٠ والدرر الكامنة ٥ : ٣ ، وقد كتب في الزركشي « تمرداش » وفي الوافي جاء هذا الاسم بصورتين : « دمرتاش » و « دمرداش » وفي نسبه بعد محمود « بن مكي بن عيسى » ، وكانت وفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، في خامس صفر ، ودفن بسفح قاسيون ، وكانت ولادته سنة ٦٣٨ وهو من بيت إمرة وحشمة ، قال الصفدي : وأظنه كان مخلا من احدى عينيه .

ذلك ولبس زيّ العُدول وجلس في مركز الرواحية بدمشق ، وبها ولد وتوفي .

ومن شعره :

أقول لمسواك الحبيبِ لك الهنا برَشفِ فمٍ ما ناله ثغرُ عاشقِ
فقال وفي أحشائه حرقةُ الجوى مقالةَ صبّ للديار مفارق
تذكرتُ أوطاني فقلبي كما ترى أُعلله بين العُذَيبِ وبارق

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى : ما أحلى قول محيي الدين ابن قرناص :

سألتكَ يا عُودَ الأراكة إنْ تعدْ إلى ثغرِ مَنْ أهوى فقبله مشفقا
ورِدْ من ثَنيّات العذيبِ مُنيْهِلاً تسلسلَ ما بين الأبيرقِ والنقا

ولابن تمرداش :

ولما التقينا بعدَ بُعدٍ وفي الحشا لواعجُ شوقٍ في الفؤاد تخيّمُ
أراد اختباري بالحديث فما رأى سوى نظرٍ فيه الجوى يتكلم

وقال أيضاً :

ومهفهفِ الأعطاف مَعْسولِ اللمى كالغصن يعطفه النسيمُ إذا سرى
قال اسقني فأتيته بزجاجةٍ مُلِئت قراحاً وهْوَ لاهٍ لا يرى
وتأرّجتْ برضابه وأمدَّها من نار وجنته شعاعاً أحمرا
ثم انثنى ثَمِلاً وقد أسكرته برضابه وبوجنتيه وما درى

وقال أيضاً :

قال لي ساحر اللواحظ صفْ لي هَيَفي قلت يا رشيقَ القوامِ
لك قدٌّ لولا جوارح جفنيـ ـكَ لغنّتْ عليه وُرْقُ الحمام

وقال أيضاً :

حتّام لا تصلُ المدامَ وقد أتت لك في النسيم من الحبيب وعودُ
والنهرُ من طَرَبٍ يصفّق فرحةً والغصنُ يرقصُ والرياضُ تميد

وقال أيضاً :

قد صنتُ سِرَّ هواكمُ ضناً به إنَّ المتيمَ بالهوى لَضنينُ
فوشت به عيني ولم أك عالماً من قبلها أنّ الوشاةَ عيون

ومن شعر ابن تمرداش :

لقد لذَّ لي من بعد طول تنسكي غرامي بمعسول اللّمى وتهتكي
وأصليتُ قلبي في جحيم صدوده وإن كان في توحيده غيرَ مشرك
ولم أنسَ إذ ودّعْتُهُ وحشاشتي تقابلُ جيشَ الشوقِ في كلِّ معرك
فلو يسمعُ الشكوى حسودٌ لَرَاعه غريبُ الهوى من حيثُ أشكي ويشتكي
ولما سَرَتْ من نحوه نَسْمة الصَّبا يفوحُ شذاها كالعبير المَسَّكِ
علمتُ يقيناً أن نارَ ذكائــه أعارتْ نسيمَ الريح من عرفها الذكي

وقال أيضاً في خياط :

رأيتُ في السوق خيّاطاً محاسنه تزهو على البدر إذ يبدو من الأفقِ
إن قرض الخيط في فيــه وألصقه إلى ثنايا كنظمِ الدرِّ في النَّسَقِ
تكسوه نوراً ثناياه فتحسبــه على المراشف خيط الصبح في الشفق

وقال أيضاً :

أراهُ بعيداً وهو من نَفَسي أدنى إليّ وألقاهُ إذا غاب بالمعنى
وتشتاقه شوقَ الرياض إلى الحيا عيوني وإن أضحى فؤادي له مغنى
تَشَرَّد نومي إذ جفاني لأجله وسال من الصبر إلى المقلة الوسْنى [كذا]
وكيف يُلام النومُ في عشقِ مقلةٍ لواحظها تلقاك بالحسن والحسنى
يلومُ عليه الحاسدون وبيننـــا من الودّ ما يفني الزمان وما يفنى

إذا ما قطعت العمرَ في ظلّ عشقه فللّه ما أحلاه عيشاً وما أهنا

وله أيضاً :

قسماً بظبيٍ ليس فيه نفورُ إني بعشق عذارهِ معذورُ
قمرٌ يميسُ به كما شاء الصبا غصنٌ يسرُّ الناظرين نضير
يرنو إليَّ بناظر فيه الرضى فيغور في قلبي الجوى ويغير
وتزيدني ألطافه شغفاً به وقليلُ إحسانِ الحبيب كثير
وإذا أتاني زائراً وافى وفي ديباجتيه نضرةٌ وسرور
لا يعتريه تكلفٌ أنّى سرى سرّاً ولا يرزوه حين يزور

وقال أيضاً :

ولرب ليل سِرْتُ فيه والدجى يدعى لفرط ظلامهِ بالكافرِ
طَوراً أضلُّ عن الطريق وأهتدي طوراً بنجمٍ من هلال الحافر

وقال أيضاً ذوبيت :

أخفيتُ هواكَ عن جميع البشرِ ضَنّاً بحديثِ سرّك المستتر
فانصان وكاد يخفى قمري عن فرط ذكا مثلك لولا نظري

وله أيضاً :

كلما زادني اللّوّاحي ملاما في هوى من أحبُّ قلتُ سلاما
أنا من معشرٍ إذا استمعوا العذ لَ تجافَوْا عنه ومرُّوا كراما
ليَ سمعٌ للمنطقِ العذبِ إلا أنه لا يعي سواه كلاما
يصبحُ العاذلون في الهرج والمر ج وقلبي لا يستفيقُ غراما
وجفاني الذي أحِبّ وأجفا ني يبيتون سجداً وقياما

وقال أيضاً :

طربَ الدوحُ من غناء الحمامِ وتثنى سكراً بغير مدامِ

وسقته سحبُ الغوادي فأضحى باسمَ النَّور من بكاء الغمام
باسماً في كمامه وابتسامُ الـ عجب يخفي للحسن في الأكمام
كيف لا يزدهيه عُجْبٌ وقد أصـ بح يحكيك يا رشيقَ القوام
يا حمامَ الأراكِ لا تعربِ اللحـ نَ فحسبي ما فيك من إعجام
لا تَبُحْ بالذي تُجِنّ فتلقى ما ألاقي من كثرة اللوّام

وقال أيضاً :

ولقد قطعتُ العيش في زمن الصبا قَطْعَ امرىءٍ عن غيه لا يرجعُ
أيامَ ألقى الحادثات بمثلها بأساً وأنف الخطب عني أجدع
والآن قد ولّى الشبابُ وأقبل الـ شيبُ الملمُّ وخطبه لا يدفع

وقال أيضاً :

تقضتْ شهورٌ بالبعاد وأحوالُ جرت بعدكم فيها أمورٌ وأحوالُ
فإن يَسَّر الله التلاقي ذكرتها وإلاّ فلي في هذه الأرض أمثال

وقال أيضاً :

يا قمري إن جزتَ وادي الأراكْ وقَبَّلَتْ أغصانه الخضرُ فاكْ
أرسلْ إلى عبدك من بعضها فإنني والله مالي سواك

وقال أيضاً :

روى دمعُ عيني عن غرامي فأشكلا ولكنه ورّى الحديث فأشكلا
وأسنده عن واقديِّ أضالعي فأضحى صحيحاً بالغرام معللا

وله أيضاً :

وافى النسيمُ وقد تحمل منكمُ لطفاً يقصّر فهمه عن علمه
وشكا السقام وما درى ماقد جرى وأنا أحق من الرسول بسقمه

وقال أيضاً :

إن طال ليلي بعدكم فلطولــه عذرٌ وذاك لما أقاسي منكمُ
لم تَسْرِ فيه نجومــه لكنها وقفتْ لتسمعَ ما أحدّث عنكم

وقال أيضاً :

عجباً لمشغوف يحدّث عنكمُ[1] ماذا يقول وما عساهُ يمدحُ
والكونُ إما صامتٌ فمعظّم حرماتكم أو ناطقٌ فمسبح

وقال أيضاً :

من لأسيرٍ أمست أنيستــه[2] في الدوح عن حاله تسائله
فهو يغني مبدى الحزين[3] لها وهي بأوراقهــا تراسله

وقال أيضاً :

حتى إذا رقّ جلبابُ الدجى وسرتْ من تحت أذياله مسكيَّةُ النَّفسِ
تبسم الصبحُ إعجاباً بخلوتنــا ووصلنا الطاهرِ الخالي من الدنسِ

وقال أيضاً :

جيادك يا من طَبَّقَ الأرض عدلُه وحاز بأعلى الجد أعلى المناصبِ
إذا سابَقَتْهَا في المهبَّــة[4] غرة رياحُ الصبا عادت لها كالجنائب
ولو لم يكن في ظهرها كعبة المنى لما شبهت آثارها بالمَحَارب

وقال أيضاً :

يا سيدي أوحَشْتَ قوماً ما لهم عن حسن منظرك الجميل بديلُ
وتعللتْ شمسُ النهارِ فما لهــا من بعد بعدك بكرةٌ وأصيل

---

١ الوافي : يفوه بمدحكم .
٢ الوافي : قرينته .
٣ في المطبوعة : الحزن .
٤ الوافي : المهامه .

وبكى السحابُ مساعداً لتفجعي   من طول هجرك والنسيم عليل

وقال أيضاً :

[يقولون شبهتَ الغزال بأهيف   وهذا دليلٌ في المحبة واضحُ
ولو لم يكن لحظ الغزال كلحظه احـ   ـوراراً لما تاقت اليه الجوارح

سبقه إلى هذا شمس الدين محمد بن دانيال فقال][1] :

بي من أمير شكـار[2]   وجدٌ يذيبُ الجوانحْ
لما حكى الظبي حسناً[3]   حَنَّتْ إليه الجوارح

وقال أيضاً :

انظر إلى الأزهار تلق رؤوسهـا   شابتْ وطفلُ ثمارها ما أدركـا
وعبيرها قد ضاع من أكمامها   وغدا بأذيالِ الصبا متمسكا

وقال أيضاً :

ولما أشارتْ بالبنان وودَّعتْ   وقد أظهرتْ للكاشحين تشهدا
طفقنا نبوسُ الأرض نوهِمُ أننا   نصلي الضحى خوفاً عليها من العدا

وقال أيضاً :

ما أبطأتْ أخبارُ من أحببتــه   عن مسمعي بقدومه ورجوعـهِ
إلاّ جرى قلبي إليه خافقــاً   وشكا إليه تشوّقي بدموعه

وقال أيضاً :

يقول ليَ الدولابُ راضِ حبيبك الـ   ـملولَ بما يهوى من الخير والنفعِ

---

١ ما بين معقفين زيادة من الوافي ، وقد ورد البيتان الخائيان في المطبوعة بعد .
٢ في المطبوعة : تشكى .
٣ الوافي : جيداً .

فإنيَ من عُودٍ خلقت وها أنـا إذا مال عني الغصنُ أسقيه من دمعي

وقال أيضاً ذوبيت :

الصبُّ بك المتعوبُ والمعتوبُ والقلبُ بك المسلوبُ والملسوبُ
يا مَنْ طلبت لحاظُه سفك دمي مهلاً ضَعُفَ الطالبُ والمطلوب

قيل إن الشيخ صدر الدين ابن الوكيل كان يقول : وددت لو أخذ شعري كله وأعطاني هذين البيتين .

وله غير ذلك وكل شعره مليح ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

٤٢٤
ابن الحداد الأندلسي

محمد بن أحمد بن عثمان ، أبو عبد الله القيسي الأندلسي ، ابن الحداد الشاعر ، له ديوان كبير ، وكتاب في العروض ، اختص بالمعتصم ابن صمادح وتوفي سنة ثمانين وأربعمائة . ومن شعره قوله من قصيدة :

بعيشكما ذات اليمين فإنني أراح بشم[1] الروح من عقداتها
فقد عبقتْ ريح النّعامى كأنما سلامُ سليمى فاح من نفحاتها
وتيماءُ للقلبِ المتيم مـنزلٌ فعوجا بتسليمٍ على سلَماتها
مشاعرُ تهيامٍ وكعبةُ فتنـةٍ فؤاديَ من حجاجها ودعاتها

---

٤٢٤ – الوافي ٢ : ٨٦ والزركشي : ٢٦٢ والمحمدون : ٩٩ والمطمح : ٨٠ والذخيرة ١/٢ : ٢٠١ والاحاطة ٢ : ٢٥٠ والمسالك ١١ : ٤٠٠ والمغرب ٢ : ١٤٣ والنفح ٣ : ٥٠٢ وأخبار وتراجم أندلسية : ١٧ والذيل والتكملة ٦ : ١٠ .

١ الوافي : لشم .

فكم صافحتني من[1] مِنَاها يدُ المنى وكم هبَّ عَرْفُ اللهو في عرفاتها
عهدتُ بها أصنامَ حسن عهدتُني هَوًى عبدَ عُزّاها وعبد مَنَاتها
أهِلٌ بأشواقي إليها وأتّقي شرائعها في الحبِّ حَقَّ تُقَاتها

وله أيضاً :

همْ في ضميرك خيموا أم قوّضوا ومنى جفونك أقبلوا أم أعرضوا
وهمُ رضاكَ من الزمان وأهلــه سخطوا كما زعمت وشانُك أم رضوا
أهواهُـمُ وإن استمرَّ قِلاَهُمُ ومن العجائبِ أن يُحَبَّ المبغض

وله أيضاً :

وقد هوتْ بهوى نفسي مها سَبَإٍ فهل دَرَتْ[2] مضرٌ من تيمت سَبَأ
كأن قلبي سليمان وهدهده طرفي وبلقيس ليلى والهوى النبأ

٤٢٥

ابن الصابوني الاشبيلي

محمد بن أحمد ابن الصابوني الصدفي ، من أهل إشبيلية ؛ قال ابن الأبار : ذهبت البدائع[3] بذهابه ، وختمت الأندلس شعرَاءها به ، ذهب إلى المشرق فتوفي بالإسكندرية وهو طالب مصر سنة أربع [وثلاثين] [4] وستمائة . ومن

---

١ الوافي : في .
٢ في المطبوعة : فهددت .
٤٢٥ — الوافي ٢ : ٩٩ والزركشي: ٢٦٢ والبدر السافر : ٧٦ والمقتضب من التحفة : ١٦١ واختصار القدح : ٦٩ والمغرب ١ : ٢٦٣ وصفحات متفرقة من نفح الطيب .
٣ في المطبوعة : الآداب ، والتصويب عن الوافي والزركشي .
٤ زيادة من المقتضب ؛ ولم ترد في الوافي أيضاً ؛ وفي البدر السافر : سنة اربع وقيل ست وثلاثين وستمائة .

شعره من قصيدة ، رحمه الله تعالى :

أقسّمُ فرقَ الليل عن سُنّةِ الضحى | واهبطُ خصرَ القاع من كفَل الدعصِ
إلى أن أرى برقاً إذا شمتُ وجهه | رأيتُ جبينَ البدر مكتملَ القرص

وقال أيضاً :

لقد حجبتْ زُجُّ الحواجبِ سلوتي | ومن لحظ هذا[1] سُمّيتْ بالحواجبِ
وواواتُ أصداغ أقارب نسبة | لنوناتها تدعى بوصف عقارب
وميم فم من تحت صادٍ لشارب | سلافاً حواها ختم صاد لشارب

وله أيضاً :

أمَا وعذارٍ فوق خدّيك إنه | لأنكأ فعلَيْ مقلتيك لِفَاعلُ
وما خيلت نفسي إليّ بأنه | ستفعلُ أفعالَ السيوف الحمائل

وله أيضاً :

رأيت في خده عذاراً | خلعتُ في حبه عِذاري
قد كتب الحسنُ فيه سطراً | « ويولج الليل في النهار »

وله أيضاً :

يسقي الرحيقَ المختوم من يده[2] | ختامه من عذاره مِسْكُ
أسبلَ دمعي من صدّه درراً | جسمي لفرط الضنا لها سلك[3]

---

١ الوافي والزركشي : فهل لحظ وصف .
٢ الوافي : فمه .
٣ المطبوعة : بها مسك .

٤٣٦
أبو نصر الأواني

محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود الفروخي[١]، أبو نصر الكاتب الأواني[٢] ؛ كان كاتباً على أعمال السواد من قبل الوزير ابن هبيرة ، وكان شيخاً فاضلاً نبيلاً أديباً حاذقاً ، صنّف عدة رسائل : منها «رسالة في الربيع»؛ وتوفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

ومن شعره[٣] :

ما لعينٍ جنت على القلبِ ذنبُ ... إنما يرسلُ اللحاظَ القلبُ
والهوى قائدُ القلوب فإن سلّـ ... ـط جيشَ الغرام فالقلب نَهْبُ
أحياةٌ بعد التفرّق يـا قلـ ... ـبُ فأين الهوى وأين الحب
كان دعوى ذاك التأوه للبيـ ... ـن ولم ينصدع لشملك شعْب
إن موتَ العشاقِ من ألم الفر ... قة في الحبِّ سُنَّةٌ تستحب
وعلاجُ الهوى عـذاب المحبيـ ... ـن ولكنه عـذابٌ عَذْب

وقال أيضاً :

يا ربِّ عفوك إنني في معشرٍ ... لا أبتغي منهم سواك مَلاذا
هذا ينافقُ ذا وذا يغتابُ ذا ... ويسب هذا ذا ويشتم ذا ذا

---

٤٣٦ – الوافي ٢ : ١٠٩ والزركشي : ٢٦٢ ومعجم البلدان (أوانا) ومختصر الدبيثي ١ : ٥ والمحمدون : ٥٦ .

١ المطبوعة : الفدوخي ، وهو خطأ .

٢ المطبوعة : الأوابي ؛ والأواني نسبة إلى أوانا من نواحي دجيل بغداد .

٣ هي في مدح جمال الدين محمد بن علي الاصبهاني ، وقد أورد منها أبياتاً كثيرة في «المحمدون» .

وقال أيضاً :

قالتْ وقد عاينتُ حمرةَ كفها لا تعتبَنْ فالعهدُ غير مضيعِ
ما إن تعمدت الخضاب وإنما زفراتُ حبك أوقدت في أضلعي
فبكيتُ من شوقي دماً فمسحته بأناملي فتخضبت من أدمعي

وله ترسل مليح ، رحمه الله تعالى .

٤٣٧
فتح الدين ابن سيد الناس

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس ، الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدّث ، فتح الدين أبو الفتح ابن الفقيه أبي عمرو ابن الحافظ أبي بكر اليعمري ؛ كان حافظاً بارعاً أديباً بليغاً مترسلاً ، حسن المحاورة لطيف العبارة ، فصيح الألفاظ كامل الأدوات لا تُمَلّ محاضرته ، كريم الأخلاق زائد الحياء[1] ، حسن الشكل والعمة ، وهو من بيت رياسة وعلم ، سمع وقرأ وارتحل وكتب وحدّث وأجاز . أجاز له عبد اللطيف وكنّاه بأبي الفتح ، وسمع حضوراً سنة خمس وسبعين من القاضي شمس الدين محمد بن العماد ، وفي سنة خمس وثمانين كتب الحديث عن الشيخ قطب الدين ابن القسطلاّني[2] وقرأ على أصحاب ابن طبرزد وأصحاب الكندي وأصحاب الحرستاني ،

٤٣٧ – الوافي ١ : ٢٨٩ والزركشي : ٢٦٣ والدرر الكامنة ٤ : ٣٣٠ والبدر السافر : ١٥٢ والشذرات ٦ : ١٠٨ والنجوم الزاهرة ٩ : ٣٠٣ والسلوك ٢ : ٣٧٦ ومرآة الجنان ٤ : ٢٩١ والبداية والنهاية ١٤ : ١٦٩ وذيل العبر : ١٨٢ ودول الاسلام ٢ : ١٨٣ .

١ الوافي : الاحتمال .

٢ المطبوعة : العسقلاني .

وارتحل إلى دمشق سنة تسعين فكاد يدرك الفخر بن البخاري [1] ففاته [2] بليلتين ، قال الشيخ شمس الدين : ولعل مشيخته تقارب الألف . ونسخ بخطه ، واختار وانتقى شيئاً كثيراً، ولازم الشهادة مدّة ؛ وكان عنده كتب كبار وأمّهات جيدة : منها مصنف ابن أبي شَيْبَة ، ومسنده ، والمحلّى ، والتمهيد ، وجامع عبد الرزاق ، وتاريخ أبي خيثمة ، والاستيعاب ، والاستذكار ، وتاريخ الخطيب ، والمعاجم الثلاثة للطبراني ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ المظفري ، وغير ذلك .

وصنف « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير » [3] و « النَّفْح الشذي في شرح الترمذي » ولم يكمل ، وكتاب « بشرى [4] اللبيب بذكر الحبيب » و « منح المدح ». وشعره رقيق سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم بلا كلفة ، وكتب بالمغربي طبقة كما كتب بالمشرقي .

فمن شعره قوله :

عهدي به والبينُ ليس يَرُوعه ... صَبّاً براه نحوله ودموعُهُ
لا تطلبوا في الحبِّ ثأرَ متيم ... فالموتُ من شرع الغرام شروعه
عن ساكن الوادي سَقَتْه مدامعي ... حدّث حديثاً طاب لي مسموعه
أفدي الذي عَنَتِ البدور لوجهه [5] ... إذ حلَّ معنى الحسن فيه جميعه
البدرُ من كَلَفٍ به كلفٌ به ... والغصنُ من عطف عليه خضوعه
لله [6] معسولُ المراشف واللّمى ... حلوُ الحديث ظريفـه مطبوعه
دارت رحيقُ لحاظه فلنا بهـا ... سكرٌ يجلُّ عن المدام صنيعه

---

١ في المطبوعة : القمر بن السخاوي ؛ وفي الوافي : الفخر بن الفخاري .
٢ المطبوعة : فعاقه .
٣ طبع في جزءين ، بمصر سنة ١٣٥٦ بعناية حسام الدين القدسي .
٤ المطبوعة : سمر ؛ والتصويب عن الوافي والزركشي .
٥ المطبوعة : الوجوه لحبه ، والتصويب عن الوافي والزركشي .
٦ اثبت ما في الوافي والزركشي ؛ وفي المطبوعة : أهواه .

يجني فأضمرُ عتبه فإذا بدا ... فجماله مما جناه شفيعه

وقال أيضاً :

قضى ولم يقضِ من أحبابه أربا ... صبٌّ إذا مرَّ خفاقُ النسيم صبا
راضٍ بما صنعتْ أيدي الغرام به ... فحسبه الحبُّ ما أعطى وما سلبا
لا تحسبنّ قتيلَ الحبّ مات ففي ... شرع الهوى عاش للإخلاص[1] منتسبا
في جنة من معاني حسن قاتله ... لا يشتكي نَصَبًا فيها ولا وصبا
ما مات من مات في أحبابه كافاً ... وما قضى بل قضى الحقّ الذي وجبا
فالسحبُ تبكيه بل تسقيه هاميةً ... وكيف تبكي محباً نال ما طلبا
فطوّقت جيدها الورقاءُ واختضبت ... له وغنتْ على أعوادها طربا
ومالتِ الدوحةُ[2] الغناء راقصةً ... تصبو وتنثر من أوراقها ذهبا
والغصنُ نَشْوان يثنيه الغرامُ به ... كأنه من حُمَيّا وجدِهِ شربا
والروضُ حمل أنفاسَ النسيم شذا ... أزهاره راجياً من قربه سببا
فراقه الوردُ فاستغنى به وثنى ... عطفاً إليه ومن رجع الجواب أبى
ففارقت روضها الأزهارُ واتخذت ... نحو الرسول سبيلاً وابتغت سربا[3]
وحين وافته نادتْ عند رؤيته ... لمثل هذا حبيباً فلتحلّ[4] حُبا
تهللتْ وَجَنَاتُ الوردِ من فرح ... وأعين النرجس انهلت[5] له نغبا[6]
سقته واستوسقت من عرفه أرجاً ... أذكى وأعطر أنفاساً إذا انتسبا

---

١ كذا ايضاً في الزركشي ؛ الوافي : للأحباب .

٢ رواية الزركشي والوافي ؛ وفي المطبوعة : الروضة .

٣ المطبوعة : سببا .

٤ المطبوعة والوافي : فليحل .

٥ الوافي : اخضلت .

٦ المطبوعة : لغبا ؛ الزركشي : تعبا .

وأمَّلَتْ لمحةً من حسن قاتله[1]   فأجفلت رَهَباً إذ لم تطقْ هربا[2]
أما دَرَى حين جدّ الوجد أن لها   من دمعها ولها من حسنه حجبا
وبانةُ الشيح جادَتْها سحائبهـــا   أوفت وفاءً ولفَّتْ[3] حولها عذبا
عَرارها وخزاماها وما حملت   من البشام سقاهُ الغيث منسكبـــا
والعاذلون لَوَوْا أكتافهم حَزَنــاً   والكاشحون ثَنَوْا أعطافهمْ حَرَبا
لم يبق عذلٌ ولا لومٌ يؤنبـــه   سيَّان إن بعد اللاحي[4] وإن قربا
ولم يكن قبلَ ذا يصغي لهم أذناً   ولا تخوّف يوماً أعـــين الرقَبا
وربمـــا طاف شيطانُ السلوِّ به   فأرسل الشوقَ من آماقه شهبا
أفديه من حافظٍ للعهد إذ نقضوا   عهداً ومن صادقٍ في الحبِّ ما كذبا
راض الصبابةَ واستحلى لواعجها   حتى استلان له منها الذي صعبا
تراهُ منقبضاً[5] للوصل مقتضيــاً   طوراً ومكتئباً للبين مرتقبا
يستخبر الركبَ هل شط المزارُ بهم   والرسمُ أعجمُ أنّى خاطبَ العربا
بالله يا نسماتِ الريح هل خـــبرٌ   عنهم يُعيد ليَ العيش الذي ذهبا
بانوا فأيّ فؤاد لم يَذُبْ أسفـــاً   وأيّ قلبٍ غداةَ البين ما وجبا
ناديتُ بالسفح قلباً في ضيافتهم   لا يذكر السفحَ إلا حنَّ مغتربا
غَيران تصرعه الذكرى إذا خطرت   والريحُ إن نسمت والدمعُ إن نضبا
يرتاع للقُضْب إن ماست معاطفها   ليناً وكان يروعُ السمرَ والقضبا
شوقاً إلى غُصْنِ بانٍ مثمر قمراً   على كثيب نَقاً بالحسن منتقبـــا
تضرمَ الماءُ في جنات وجنتـــه   ناراً وأضرم في أحشائنا لهبـــا

---

١ كذا عند الزركشي والوافي ؛ وفي المطبوعة : قاتلها .
٢ هنا ينتهي ما اورد الصفدي من القصيدة .
٣ المطبوعة : وكفت ، والتصويب عن الزركشي .
٤ المطبوعة : اللاهي ؛ وما اثبته عن الزركشي هو الصواب .
٥ المطبوعة : منتقضاً .

لو لم يكن بابليّ الريقِ مبسمـــهُ   لما اكتسى ثغرهُ من درّه حَبَبَا
للأقحوانة ممـــا فيـــه منظرهـــا   ولم تنل مثلَهُ عَرْفاً ولا ضربا
والبرقُ يخفقُ لمـــا شام بارقـــه   فالمزنُ تبكي له أن أعوز الشنبا
من لي وللكبد الحرَّى ومقلتي العبرى[1] استهلتْ وسحتْ دمعها سحبا
ومن لمضنى إذا لجّ السقـــامُ بـــه   والحبُّ لم يرضَ إلا روحه سَلَبا
ما زال يتعبه حتى استراح بـــه   وإنما يألفُ الراحات من تعبـــا

وقال أيضاً :

ما شروط الصوفيّ في عصرنا اليو   م[2] سوى ستةٍ بغير زيادَهْ
وهي نيكُ العلوق والسكرُ والسط   لة والرقصُ والغنا والقيـــاده
وإذا ما اهتـــدى وأبدى اتحاداً   وجميـــلاً من خلوةٍ وأعاده
وأتى المنكراتِ عقلاً وشرعاً   فهو شيخ الشيوخ ذو السجاده

وقال أيضاً :

يا كاتمَ الشوقِ إنّ الدمعَ مبديه   حتى يعيد زمانَ الوصل مبديه
أصبو إلى البان بانت عنه[3] هاجرتي   تعللاً بلياليّ وصلها فيه
عصر مضى وجلابيب الصبا قشب   لم يبقَ من طيبه إلا تمنيـــه

وقال أيضاً :

صرفت الناس عن بالي   فحبـــل ودادهم بالي
وحبـــلُ الله معتصمي[4]   بـــه علقت آمـــالي
فمن يسلو الورى طراً   فـــإني ذلك السالي

....

[1] المطبوعة : الضرا .
[2] المطبوعة : قطعاً ، وأثبت رواية الزركشي .
[3] المطبوعة : عنه .
[4] المطبوعة : يعصمني ، وأثبت ما عند الزركشي .

فلا وجهي لذي جِدَةٍ ولا ميلي لذي مــال

وقال أيضاً :

فقري لمعروفك المعروفِ يغنيني يا مَنْ أرَجّيه والتقصيرُ يُرْجيني
إن أوثقتني الخطايا عن مدى شرف نجا بإدراكه الناجون من دوني
وغضّ من أملي ما ساء من عملي فإن لي حسنَ ظنّ فيك يكفيني

وقال أيضاً :

عذيريَ من دهري تصدّى معاتباً لمستمنح العتبى[1] فأقصد من قصدْ
رجوتُ به وصلَ الحبيب فعندما تبدّى له المعشوقُ قابلَه الرَّصَدْ

وقال أيضاً :

يا بديعَ الجمال شُكْرُ جمالكْ أن توافي عشاقه بوصالكْ
لِنْتَ[2] عطفاً لهم وقلبُكَ قاسٍ فهمُ يأخــذون من ذا لذلك
غير أن الكمال أولى بذا الحسنِ ومن للبدور مثــلُ كمالك
قابَلتْ وجهك السماءُ فشكلُ الـبدرِ ما في مرآتها من خيالك
مثلته لــكنْ رسومُ صداها كلَّفته فقصّرتْ عن مثالك

وقال أيضاً :

إن غضّ من فقرنا قومٌ غنًى منحوا فكلُّ حزبٍ بما أوتوه قد فرحوا
إن هم أضاعوا لحفظِ المالِ دينَهمُ فإن ما خسروا أضعافُ ما ربحوا

وكانت وفاة الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس حادي عشر شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، ومولده رابع عشر ذي القعدة سنة إحدى وستين وستمائة ، رحمه الله .

---

١ المطبوعة : لمستبهج الغنى ، وهو مضطرب ، والتصويب عن الزركشي والوافي .
٢ المطبوعة : كنت ، والتصويب عن الوافي .

٤٢٨
أبو اليسر ابن الصايغ

محمد بن محمد بن عبد القادر الأنصاري ، الشيخ الإمام المفتي بركة الوقت بدر الدين أبو اليسر ابن قاضي القضاة عز الدين ابن الصائغ الدمشقي الشافعي ، مدرس الدماغية [١] والعمادية [٢] ؛ ولد سنة ست وسبعين وستمائة ؛ وسمع كثيراً من أبيه وابن شيبان والفخر علي وبنت مكي ، وحضر على ابن علان ، وحدّث بصحيح البخاري عن اليونيني ، وكان يلازم حلقة الشيخ برهان الدين ، وعرض عليه قاضي القضاة فامتنع واستعفى وصمم ، فاحترمه الناس وأحبوه لتواضعه ودينه ، وعظمه تنكز [٣] نائب دمشق واعتقد فيه ، وحج غير مرّة ، وتولى خطابة القدس مدة مديدة وتركها ، وكان مقتصداً في لباسه وأموره ، زار القدس فتعلل هناك ونقل إلى دمشق فمات بها في شهور سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، ودفن عند أبيه بسفح قاسيون ، وشيعه الخلائق وحمل على الرؤوس ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

---

٤٢٨ – الوافي ١ : ٢٤٨ (هامش) والزركشي : ٢٦٥ والشذرات ٦ : ١٢٣ ومرآة الجنان ٤ : ٣٠١ والدارس ١ : ٢٣٨ وقضاة دمشق : ٧٦ وذيل العبر : ٢٠٦ .

١ في المطبوعة : الدامغية ؛ وقد نسبت إلى منشئتها جدة فارس الدين ابن الدماغ ، زوجة شجاع الدين ابن ابن الدماغ العادلي في سنة ٦٣٨ واسمها عائشة ، وجعلتها للشافعية والحنفية (الدارس ١ : ٢٣٦) .

٢ العمادية كانت لصيق الدماغية وهي منسوبة إلى بانيها عماد الدين اسماعيل بن نور الدين (الدارس ١ : ٤٠٦) .

٣ المطبوعة : شكر ؛ وهو خطأ .

٤٢٩

الشيخ بهاء الدين ابن النحاس الحلبي

محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر ، الإمام العلامة حجة العرب ، بهاء الدين ابن النحاس الحلبي النحوي ، شيخ العربية بالديار المصرية ؛ ولد في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة بحلب ، وتوفي سنة ثمان وتسعين وستمائة بالقاهرة .

سمع ابن اللتي[1] والموفق ابن يعيش وأبا القاسم ابن رواحة وابن خليل ، وقرأ القرآن على أبي عبد الله الفاسي وأخذ عن جمال الدين ابن عمرون ، ودخل مصر لما خربت حلب وأخذ عن بقايا شيوخها ، ثم جلس للافادة وتخرج به جماعة من الأئمة ، وكان من أذكياء بني آدم ، وله خبرة بالمنطق وإقليدس ، مشهوراً بالدين والصدق والعدالة ، مع اطراح الكلفة ، يمشي في الليل بين القصرين بقميص وطاقية على رأسه فقط ، وكان حسن الأخلاق فيه ظرف النحاة وانبساطهم ، وكان له صورة كبيرة في صدور الناس ، معروفاً بحل المشكلات ، واقتنى كتباً نفيسة ، ولم يتزوج قط ، وكانت له أوراد من العبادة .

قال قطب الدين عبد الكريم : كان كثير التلامذة كثير الذكر كثير الصلاة ، ثقة حجة ، يسعى في مصالح الناس ، وكان لا يدخر شيئاً ، وكان عنده من أصحابه ومن الطلبة من يأكل على مائدته ، وكان لا يكلم أحداً في حل النحو إلا بلغة العوام لا يراعي الإعراب .

---

٤٢٩ – الوافي ٢ : ١٠ والزركشي : ٢٦٥ والشذرات ٥ : ٤٤٢ وبغية الوعاة : ٦ والبلغة : ٢٠٠ وغاية النهاية ٢ : ٤٦ والبدر السافر : ٦٩ .

١ المطبوعة : المثنى ؛ وهو خطأ .

وقال الشيخ أثير الدين : كان الشيخ بهاء الدين والشيخ محيي الدين محمد ابن عبد العزيز المازوني[1] المقيم بالإسكندرية شَيْخَيّ الديار المصرية ، ولم ألق أحداً أكثر سماعاً لكتب الأدب من الشيخ بهاء الدين ، وانفرد بسماع « الصحاح » للجوهري ، وكان كثير العبادة والمروءة والترحم[2] على من يعرفه ، لا يكاد يأكل شيئاً وحده ، وكان ينهى عن الخوض في العقائد ، وله تودد إلى من ينتمي إلى الخير . ولي التدريس بجامع ابن طولون وبالقبة المنصورية ، وله تصدير بمصر[3] ، ولم يصنف شيئاً إلا إملاء على كتاب « المقرب » لابن عصفور من أول الكتاب إلى باب الوقف أو نحوه . توفي يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين . وكنت أنا وإياه نمشي بين القصرين ، فعبر علينا صبيّ يسمى بجمال ، وكان مصارعاً ، فقال الشيخ بهاء الدين : ينظم كل منا في هذا المصارع ، فنظم الشيخ بهاء الدين :

مصارعٌ تَصْرَعُ الآسادَ سمرتهُ تيهاً فكلٌّ مليح دونه همجُ
لما غدا راجحاً في الحسن قلت لهم عن حسنه حدّثوا عنه ولا حرج

ونظم الشيخ أثير الدين أبو حيان :

سَبَاني جمالٌ من مليحٍ مصارعٍ عليه دليل للملاحة واضحُ
لئن عز منه المثلُ فالكل دونه وإن خف منه الخصر فالردف راجح

قال الشيخ أثير الدين : وسمع الشيخ شهاب الدين العزازي[4] نظمنا فنظم :

هل حَكَمٌ ينصفني من هوى مصارعٍ يصرعُ أسْدَ الشَّرَى
مذ فرَّ مني الصبرُ في حبه حكى عليه مدمعي ما جرى

---

١ المطبوعة : الماروني ، بالراء المهملة ؛ وهو خطأ .
٢ المطبوعة : والرحم .
٣ الوافي : وله تصدير في الجامع الأقمر وتصادير بمصر .
٤ المطبوعة : الفزاري ، وما اثبته من الوافي والزركشي .

أباح قتلي في الهـــوى عامداً وقال كم من عاشق في الورى
رميته في أسرِ حبي ومن أجفان عينيه أخذتُ الـــكرى

وقال الشيخ أثير الدين : أنشدني الشيخ بهاء الدين يخاطب رضي الدين الشاطبي وقد كلفه أن يشتري له قطراً :

أيها الأوحد الرضيُّ الذي طـــا ل علاءً وطاب في الناس نشرا
أنت بحرٌ لا غرو إن نحن وافيـ ـناك راجين من نَدَاك القطرا

وأنشدني لنفسه ما كتب على منديل :

ضاع مني خَصَرُ الحبيب نحولاً فلهذا أُضحي عليه أدورُ
لطفتْ خرقتي وَدَقَّتْ فجلتْ عن نظير كما حكتها الخصور
أكتم السرَّ عن رقيبٍ لهـــذا بيَ يخفي دموعَه المهجور

وأنشدني لنفسه أيضاً :

إني تركتُ لذا[1] الورى دنياهمُ وظللتُ أنتظر المماتَ وأرقبُ
وقطعتُ في الدنيا علائق[2]: ليس لي ولد يموت ولا عقار يخــرب

وله أيضاً في مليح شرطوه :

قلت لـــا شرطوه وجرى دمه القاني على الخدِّ اليقق[3]
ليس بِدْعاً ما أتوا في فعلهم هو بدرٌ ستروه[4] بالشفقْ

وكتب الخط الفائق المنسوب ، وقرأ عليه جماعة من أهل عصره ومصره ،

---

١ المطبوعة : لدى.
٢ الوافي : العلائق .
٣ المطبوعة : النقي ، والتصويب عن الوافي والزركشي .
٤ هذه رواية الوافي والزركشي ؛ وفي المطبوعة : مشرق .

وقرأ عليه الشيخ شمس الدين الذهبي ، وكان يحفظ ثلث « صحاح » الجوهري ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

٤٣٠
البدر ابن جماعة

محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر ، قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي ؛ ولد بحماة سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وسمع سنة خمسين من شيخ الشيوخ [الأنصاري ، وبمصر من الرضي ابن البرهان والرشيد العطار واسماعيل][1] ابن عزون وغيره[2] ، وبدمشق من الواني بن أبي اليسر وابن عبد الله وطائفة ، وحدث بالشاطبية عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبي ، وحدّث بالكثير وتفرّد في وقته ، وكان قويّ المشاركة في علم الحديث والفقه والأصول والتفسير ، خطيباً تام الشكل ، ذا تعبد وأوراد ، وحج ، وله تصانيف ، درّس وأفتى وأشغل[3] ؛ ولي خطابة القدس ، ثم طلبه الوزير ابن السلعوس فولاه قضاء مصر ، ورفع شأنه ، ثم حضر إلى الشام قاضياً وولي خطابة الجامع الأموي مع القضاء ، ثم طلب لقضاء مصر بعد ابن دقيق العيد وامتدت أيامه إلى أن شاخ وأضرّ وثقل سمعه ،

٤٣٠ — الوافي ٢ : ١٨ وأعيان العصر والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٩٨ والشذرات ٦ : ١٠٥ والدرر الكامنة ٣ : ٣٦٧ ونكت الهميان : ٢٣٥ والأنس الجليل ٢ : ٤٨ والبداية والنهاية ١٤ : ١٦٣ وقضاة دمشق : ٨٢ وذيل العبر : ١٧٨ وطبقات السبكي ٥ : ٢٣٠ و دول الإسلام ٢ : ١٨٣ ومرآة الجنان ٤ : ٢٨٧ وذيول تذكرة الحفاظ : ١٠٧ .

١ سقط من المطبوعة ، وزدته من الوافي .

٢ الوافي : وعدة .

٣ المطبوعة : واشتغل .

فعزل بقاضي القضاة جلال الدين القزويني سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وكثرت أمواله ، وباشر آخراً بلا معلوم على القضاء ، ولما رجع السلطان من الكرك صرفه وولى جمال الدين الزرعي ، فاستمّر[1] نحو السنة ، ثم أعيد بدرُ الدين ابن جماعة وولي مناصب كباراً ، وكان يخطب من إنشائه ، وصنف في علوم الحديث وفي الأحكام ، وله « رسالة في الكلام على الاسطرلاب » وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، رحمه الله .

٤٣١
أبو العبر

محمد بن أحمد الهاشمي ، كنيته أبو العباس ، فصيرها « أبا العبر » ثم إنه كان يزيدها كل سنة حرفاً فمات وهو أبو العبر طرد طبك طلياري بك بك بك[2] . وكان شاعراً ترك الجد وعَدَل إلى الهزل ، حبسه المأمون[3] وقال : هذا عار على بني هاشم ، فصاح في الحبس : نصيحة لأمير المؤمنين ، فأخبروه ، فاستحضره وقال : هات نصيحتك ، فقال : الكشكية أصلحك الله لا تطيب إلا بكشاك ، فضحك منه وقال : أرى أنه مجنون ، فقال أبو العبر : إنما

---

١ الوافي : فاستمر .

٤٣١ – الوافي ٢ : ٤١ والزركشي : ٢٦٦ ومعجم الأدباء ١٧ : ١٢٢ وأشعار أولاد الخلفاء : ٣٢٣ والأغاني ٢٣ : ٧٦ وطبقات الشعراء : ٣٤٢ وتاريخ بغداد ٥ : ٤٠ .

٢ هذه هي الصورة التي وردت للقبه عند الزركشي ؛ وفي الوافي : طزد طبك طلبري ... » وفي المطبوعة : وطيك طنكندي ... وهناك صور أخرى منها أيضاً ، انظر الأغاني : ٨٠ .

٣ هكذا في الزركشي أيضاً ؛ وقال الصفدي : حبسه اسحاق بن إبراهيم الطاهري ، وكذلك هو في الأغاني .

امتخطت [1] حوت ، فقال : وَيحَك ! ما معنى قولك ؟ فقال : أصلحك الله زعمت أنني مججت نون ، وإنما امتخطت حوت ، فأطلقه وقال : أظنني في حَبْسك مأثوم ، قال : لا ولكنك في ماء بصل [2] ، فقال : أخرجوه عني ، ولا تُقيم في بغداد فهذا عار علينا .

وكان في مبدأ أمره صالح الشعر مع توسط ، لا ينفق مع أبي تمام والبحتري وأضرابهما، فعمد إلى الحمق وكسب بذلك أضعافَ ما كسبه كل شاعر بالجدّ . ومن قوله الصالح :

لا أقولُ اللهُ يظلمني كيف أشكو غيرَ متهمِ
وإذا ما الـــدهر ضعضعني لم تجدني كافِرَ النعم
قنعت نفسي بما ظفرت وتناهتْ في العـُلا هممي

قال عبد العزيز ابن [3] أحمد : كان أبو العبر يجلس في مجلس يجتمع إليه المجّان فكان يجلس على سلم وبين يديه بالوعة فيها ماءٌ وحمأة وقد سدّ [4] مجراها ، وبيده قَصَبَة طويلة ، وعلى رأسه خف وفي رجليه قلنسوتان ، ومستمليه في جوف بئر ، وحوله ثلاثة يدقّون بالهواوين ، حتى تكثر الجلبة ويقل السماع [5] ، ويصيح مستمليه من البئر ، ثم يملي عليهم ، فإن ضحك أحد [6] ممن حضر قاموا فصبّوا على رأسه من البالوعة إن كان وضيعاً ، وإن كان ذا مروءة رَشّوا عليه بالقصبة من مائها ، ثم يحبس [7] في الكنيف [8] إلى

[1] الوافي والزركشي : أمتخط .
[2] في المطبوعة والزركشي : بل ماء بصل ؛ وأثبت ما في الأغاني والوافي .
[3] المطبوعة : أبو .
[4] المطبوعة : سهل ؛ وأثبت ما في الأغاني والوافي .
[5] المطبوعة : حتى تكثر الجلبة للسماع .
[6] زاد بعدها في المطبوعة : منهم .
[7] المطبوعة والوافي : يجلس ؛ ورواية الأغاني أدق .
[8] المطبوعة : ذلك .

أن ينقضي المجلس ، فلا يخرج[1] منه حتى يغرم درهمين .

ومن شعره الصالح :

أيها الأمردُ المولَّعُ بالهجـ ... ـر أفِـقْ ما كذا سبيل الرشادِ
فكأني بحسن وجهك قـد أل ... ـبس في عارضيك ثوبَ حِدَاد
وكأني بعاشقيك وقد أبـ ... ـدلْت فيهم من خلطة ببعاد
حيث تغضي العيون عنك كما ينـ ... ـقبض السمعُ من حديثٍ مُعَاد
فاغتنمْ قبل أن تصير إلى كا ... نَ وتضحي من جملة الأضداد

وقال أيضاً :

رأيت من العجائب قاضيين ... هما أحـدوثةٌ في الخافقين
هما اقْتَسَمَا العمى نصفين عمداً ... كما اقتسما قضاء الجانبين
هما فألُ الزمان بهلك[2] يحيي ... إذ افتتح القضاء بأعورين
وتحسبُ منهما مَنْ هَزَّ رأساً ... لينظرَ في مواريث وَدَيْن
كأنك قد جعلتَ عليه دناً ... فتحت بزاله من فرد عين

وكان المتوكل يرمي به في المنجنيق إلى البركة ، فإذا علا في الهواء يقول : الطريق ، جاءكم المنجنيق ، حتى يقع في البركة ، فيطرح عليه الشباك ويصطاد ، ويخرج وهو يقول : ويأمرُ بي ذا الملك [فيطرحني في البرك] ويصطادني بالشبك ، كأني بعض السماك ، ويضحك لي هك هك .

قال بعضهم : رأيته ببعض آجام سامراً وهو عُرْيان لا يواريه شيء ، على يده اليمنى باشق وبيده اليسرى قوس ، وعلى رأسه قطعة رثة من حبلٍ[3]

---

١ زاد بعدها في المطبوعة : أحد .

٢ المطبوعة : الدمار بملك ؛ ولا معنى له .

٣ المطبوعة : رقة حبك .

مشدود بأنشوطة [1] ، وفي ذكره شعر مفتول فيه شص [2] قد ألقاه لصيد السمك ، وعلى شفته دوشاب ملطخ ، فقلت له : خرب بيتك ما تصنع ؟ قال : أصطاد بجميع جوارحي .

وفي كتاب « نثر الدرّ » [3] باقي نوادره ؛ وكانت وفاته بعد الأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

٤٣٢
الشيخ مجد الدين ابن الظهير الاربلي

محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر ، الشيخ مجد الدين أبو عبد الله ابن الظهير الإربلي الحنفي الأديب ؛ ولد بإربل في ثاني صفر سنة اثنتين وستمائة ، وسمع ببغداد في الكهولة من أبي بكر ابن الخازن والكاشغري ، وبدمشق من السخاوي وكريمة وتاج الدين ابن حمويه وتاج الدين ابن أبي جعفر ، وقيل إنه سمع من ابن اللّتي . روى عنه أبو شامة والدمياطي وأبو الحسين اليونيني وشهاب الدين محمود ، وعليه تدرب وبه تخرج ، وابن العطار وابن الخباز والشيخ جمال الدين المزي وجماعة ، وكان من كبار الحنفية ، ودرّس بالقيمازية [4] ، وكان ذا رأي منتقى ، وهو من أعيان شيوخ الأدب

١ المطبوعة : بالشوطة .
٢ المطبوعة : شعر .
٣ أورد أبو سعد الآبي نوادر أبي العبر في الكتاب السابع من « نثر الدر » .
٤٣٢ – الوافي ٢ : ١٢٣ والبدر السافر : ٧٧ والجواهر المضية ٢ : ٤٠١ والزركشي : ٢٦٦ والدارس ١ : ٥٧٤ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٨٢ والشذرات ٥ : ٣٥٩ وعبر الذهبي ٥ : ٣١٦ وابن الفرات ٧ : ١٢٧ ، ١٣٧ .
٤ المدرسة القيمازية (أو القايمازية كما وردت عند الصفدي) منسوبة إلى منشئها صارم الدين قايماز النجمي المتوفى سنة ٥٩٦ (الدارس ١ : ٥٧٢) .

وفحول المتأخرين في الشعر ، له ديوان شعر في مجلدين .

وكانت وفاته سنة سبع وسبعين [1] وستمائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية ، ورثاه الشيخ شهاب الدين محمود بقصيدة أوّلها :

تنكر لَيْلي ، واطمأنت كواكبُهْ وَسُدَّتْ على صبحي الغداة مذاهبه

[منها] [2] :

بَكَتْهُ معاليه ولم يُرَ قبله كريمٌ مضى والمكرماتُ نوادبه
ولا غرو أن تبكي المعالي بشجوها على المجد إذ أودى وهنَّ صواحبه
فأيّ إمام في النديِّ وفي الهدى تماثله [3] آدابه ومآدِبُه
أظن الردى نسر السماء [4] وأنه علا فوقه فاستنزلته مخالبه

وهي من قصيدة طويلة مليحة .

ومن شعر الشيخ مجد الدين :

حيث الأراكة والكثيب الأوعسُ وادٍ يهيمُ به الفؤاد مقدَّسُ
يحمى بأطراف الرماح طرافه عِزاً وبالبيض المواضي يحرس
وتكادُ أنفاسُ النسيم إذا سَرَتْ من خيفة الغيران لا تتنفس
وبجوّ [5] ذاك الشعب أنفسُ مطلب أمستْ تذوبُ أسًى عليه الأنفس
وبكلّ خدرٍ منه ليثٌ مخدرٌ أفغابةٌ ذاك الحمى أم مكنس
يا جيرةَ الحيّ المظلل بالقنا هل ناركم بسوى الأضالع تقبس
أضرمتموها للنزيل ودونها غيرانُ فتّاكُ الحفيظة أشوس

---

١ في المطبوعة : وتسعين ، وهو خطأ .
٢ زيادة من الوافي .
٣ الوافي : في الهدى والندى غدت لآمله .
٤ في المطبوعة : ارتقى ... السحاب ؛ ولامعنى له .
٥ المطبوعة : وبجنب ؛ وأثبت ما في الوافي والزركشي .

وقال أيضاً :

غِشٌّ المفنِّدِ كامنٌ في نصحه ... فأطل وقوفَكَ بالغوير وسفحِهِ
واخلعْ عِذارَكَ في محلٍّ ريُّهُ ... برذاذِ دمع العاشقين وسَفحِه
وإذا سرى سحَراً طليحُ نسيمِه ... مالتْ به سكراً ذوائب طَلحه
جهل الهوى قومٌ فراموا شرحه ... جلَّ الهوى وجنابه[1] عن شرحه
أفدي الذي يغنيه فاترُ طرفه ... عن سيفه وقوامُه عن رمحه
ذو وجنةٍ شرقتْ بماء نعيمها ... كالورد أشرقه نداه برشحه
وكأن طرّته ونور جبينه ... ليل تألق فيه بارق صبحه

[منها][2] :

قلبي وطرفي ذا يسيل دماً وذا ... بين الورى أنت العليم بقَرحه
وهما بحبك شاهدان وإنما ... تعديل كل منهما في جرحه
والقلب منزلك القديمُ فإن تجدْ ... فيه سواكَ من الأنام فنحّه

وقال أيضاً :

أواصل فيه لوعتي وهو هاجرُ ... ويؤنسني تذكاره وهو نافرُ
ويغري هواه ناظريَّ بأدمعٍ ... يورِّدها وردٌ له وهو ناظر[3]
ويفتنّ في تيه الملاحة خاطراً ... فكلُّ خليٍّ في هواه مُخاطر
ويزورُّ سخطاً ثانيَ العطف معرضاً ... فلا عَطْفه يرجى ولا الطيف زائر
مُحياه زاه بالملاحةِ زاهرٌ ... فقلبي وطرفي فيه ساه وساهر
يُجيلُ على القد[4] المهفهف معجبا ... حِبالةَ شعرٍ كم بها صيد شاعر

---

١ المطبوعة : وحياته ؛ وما هنا رواية الوافي والزركشي .
٢ زيادة من الوافي لم ترد في الزركشي .
٣ الوافي : ورد بخديه ناضر ؛ وما هنا موافق للزركشي .
٤ المطبوعة : الخد .

جلا طلعة كالروض دبّجه الحيا ترف بماء الحسن فيه أزاهر
وشهّر خداً بالعذار مطرّزاً فما لفؤاد لم يهم فيه عاذر
فإن صاد قلبي طرفه فهو جارح[1] وإن فتنت آياته فهو ساحر[2]
إذا كان صبري في الصبابة خاذلاً فما لي سوى دمعي على الشوق ناصر
على أنّ فيض الدمع لم يرو غلّةً من الوجد أذكتها العيون الفواتر

وقال أيضاً يتشوق إلى دمشق[3] :

لعلّ سنا برق الحمى يتألق على النأي أو طيفاً لأسماء يطرق
فلا نارها تبدو لمرتقب ولا وعود الأمانيّ الكواذب تصدق
وعلّ الرياح الهوج تهدي لنازح عن الشام عرفاً كاللطيمة يعبق
ديارٌ قضينا العيش فيها منعما وأيامنا تحنو علينا وتشفق
سحبنا بها برد الشباب وشربنا لذيذٌ كما شئنا مصفّىً مصفق
مواطن فيها السهم سهمي فكلنا نحث مطايا اللهو فيه ونعنق
كلا جانبيه معلّم متجعدٌ من الماء في أطلاله يتدفق
إذا الشمس حلّت متنه[4] فهو مذهب وإن حجبتها دوحه فهو أزرق
وإن فرج الأوراق جادت بنورها فرقمٌ أجادته الأكفّ منمق
أطلّ عليه قاسيون كأنــه غمام معلّى أو لغامٌ معلق
تسافر عنه الشمس قبل غروبها وترجف إجلالاً له حين تشرق
وتصفرّ من قبل الأصيل كأنها محبٌّ من البين المشتّت مشفق
وفي النيرب المرموق للبّ سالبٌ من المنظر الزاهي وللطرف مونق
بدائع من صنع القديم ومحدثٌ تألق فيه المحدث المتأنق

---

١ المطبوعة : ساحر ؛ وأثبت ما عند الزركشي والوافي في هذه القراءة والتي تليها .
٢ المطبوعة : فاتر .
٣ لم ترد هذه القصيدة في الوافي والزركشي .
٤ المطبوعة : بينه .

رياضٌ كوشي البرد تزهو بحسنها جداولها والنَّورُ بالماء يشرق
فمن نرجس يخشى فراق فريقه ترى الدمعَ في أجفانه يترقرق
ومن كلِّ ريحانٍ مقيم وزائر تضاعف ريّاهُ الرياحُ فيعبق
كأن قدود السرو فيه موائساً قدود عذارى ميلها يترقرق
إذا ما تداعت للتعانقِ صدَّها عيونٌ من النَّوْرِ المفتّح ترمق
وقصرٍ يكلُّ الطرفُ عنه كأنه إلى النسر نسرٌ في السماء محلق
زها ببديع الوشي حسناً كأنما مدبّج روضٍ في نواحيه مُلصق
وكم جدولٍ جارٍ يطاردُ جدولاً وكم جوسقٍ عال يوازيه جوسق
وكم بركةٍ فيه تضاحك بركةً وكم قسطلٍ في الماء للماء يدفق
وكم منزلٍ يعشي العيونَ كأنما تألق فيه بارقٌ يتألق
وفي الربوةِ الشماءِ للقلبِ جاذبٌ وللسمع إصماتٌ وللعين مرمق
فهام بها الوادي ففاضت عيونه فكلّ قرارٍ منه بالدمع يملق
تكفّلَ من دون الجداولِ شربها يزيدُ يصفيه لها ويصفق
إذا أشرف الولدان من شرفاتها رأيتَ بدوراً في بروج تألق
وفي بَردَى معنىً يَشوقُ ومنظرٌ يروقُ ومأوًى للسرور ومطرق
إذا أنت من أعلاه أشرفتَ ناظراً تجيل عنانَ الطرف فيه وتطلق
رأيت به بحراً من الدوح مُزْبِداً وغدرانه حيتانه منه ترمق
تميل مع الأفنانِ فيه كأنها نشاوى وما دارَ الرحيقُ المعتق
وتعطفُ أعطافَ الغصون حمامةٌ إذا ما تغنت والغدير يصفّق
وتجمع فيه كلَّ حسنٍ مفرّقٍ وشَمْلُ الأسى عن حاضريه مفرق
كأن رياضَ الغوطتين جنوده يُقَسِّم فيها جوده ويفرّق
وبالمزّة الفيحاء دام نعيمها جنانٌ تأنّى أهلها وتأنقوا
حدائقها من ريّها ذات بهجة بها الراحُ والريحانُ والورد محدق
وفي كنفي سَطْرَى ومقرَى معالمٌ تعلّم أسبابَ الهوى كيف تعلق

عليـلة أنفاسِ النسيم رياضُهـا | كأن سراها فأرُ مسكٍ مفتق
إذا ما تغنّتْ في ذرى الدوح ورْقها | غدا كلٌّ عودٍ منه كالعود يخفق
وإن جَمَّشَتْ أنهارها نسمة الصبا | تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق
جنيتُ بها ما شئتُ من ثمر المنى | وغازَلني فيها الغزَال المقرطق
وفي بيت أبياتٍ[1] مصايد للنُّهى | خيول الهوى واللهو فيهن سُبق
فكم من كئيبٍ نال فيها ترفقاً | بمن كان لا يحنو ولا يترفق
وكم من خليٍّ لازمٍ طوقَهُ الهوى | ينوحُ كما ناح الحمام المطوّق
وفي ساحة الميدانِ أثوابُ سندس | لها بهجة تجلو العيون ورونق
كأن شعاع الشمس في كل وجهة | يفرّ إذا الغزلان فيه تفرقوا
من الترك لا عانيهمُ يبلغ المنى | ولا هو ممنونٌ عليه فيعتق
عيونهم المرضى ومرضى عهودهم | تؤكد أسبابَ الهوى وتوثق
أكفهمُ ترمي ولا دم طائح | وألحاظهم تُصمي القلوبَ وترشق
إذا أرسلوا سودَ الذوائب خلتها | أساودَ تأبى أن تصادَ فتعلق
وبالجانبِ الشرقي وادٍ جنانُه | محاسنها من جنة الخلد تسرق
تؤلف شمل المـاء بعد شتاتـه | وتجمع شملَ الأُنسِ وهو مفرّق
ومن جسرِ جسرينٍ إلى تلّ راهطٍ | ظلالٌ عنانُ الأنس فيهنّ مطلق
فكم من غياضٍ في رياضٍ وجنّةٍ | بها كوثرٌ من مائها يتدفق
حدائقها لا ظلها قالِصٌ ولا | مجالُ خيولِ اللهو فيهنّ ضيق
رعى الله من ودعتُ والوجدُ قابض | عنانَ لساني والمدامعُ تنطق
وفارقْتهم لا عن ملالٍ ولا رضىً | وغرّبت عنهم غير قالٍ وشرّقوا
لئن حالتِ الأيام دونَ لقائهم | فما حال لي عهدٌ ولا انحل موثق
أجيراننا بالغُوطتين عليكم | سلام مشوقٍ قد براه التشوق

---

١ لعل الصواب : بيت أبيار (أو بيت آبار) .

له كلَّ يوم ثوب وجدٍ مجدَّد وصبرٌ كما شاءت نواكم ممزق
أعاتب دهراً صرْفُه غير مُعْتِبٍ أصرّف فيه كنزَ عمري وأنفق
نأت بي ولم تسمعْ خطابي خطوبه فدام زفيري والحنين المؤرق
وبُدّلت عن تلك الظلال وطيبها منازلَ صافي العيش منها مرنَّق
أظلُّ نجيَّ الشوقِ لا نار لوعتي تبوخ ولا شمل الأسى يتفرَّق
وكم ليلةٍ شاب الفؤاد بطولها وما شاب للظلماء فَودٌ ومفرق
وإن غيبتني غشيةٌ توهم الكرى يواصل طيف الهمّ فيها ويطرق
ويمزج ماء النيل عند وروده بدمعيَ أشواقٌ إليكم فأشرق
فيا ليت شعري هل تلوح لمقلتي منازل ظني باللقاء محقق
وهل شائم بَرْقَ الثنيــة ناظري على القرب يخفى تارةً ثم يخفق
وهل باردٌ من ماء باناس مُبرِد لظى كبدٍ حرّى لها الشوق محرق
وهل زَمَني بالصالحيــة عائد يبلغني أقصى المــنى ويحقق
وهل يجمعنّي والأحبة موقفٌ لنشكو جميعاً ما لقيت وما لَقُوا
وهل لي إلى باب البريد وقد نأى بريدٌ به فيما يبلغ موثق
دمشق أذاقَتْني الليالي فراقها وقد كنت أخشى منه قدماً وأفرق
هي الغرض الأقصى ورؤيتها المنى وسكانها ودّي لهم متوثق
ولو لم تكن ذاتَ العماد لما غدت وليس لها مثلٌ على الأرض يخلق
حنيني إليها ما حييت مرجَّعٌ وقلبي أسير الشوق والدمع مطلق
عليها تحياتي غــوادٍ روائحٌ بها الريح تجري والركائب تخفق
لجامعها المعمور بالذكر بهجةٌ ومرأىً يسرُّ الناظرين ورونق
محاسنه بكر الزمان فصرفــه علينا مدى الأيام حانٍ ومشفق
به زَجَلُ التسبيح عالٍ يهيجه حنينٌ إلى ذاك الحمى وتشوق
وللعلم فيه والعبادة معــلم جديد على مرِّ الجديدين مونقُ
وفيه لأرباب التــلاوة لذةٌ إذا أخذوا في شأنهم وتحلقوا

كأن مجاجَ النحل في لهواتهم ... إذا رَجَّعوا الأصوات فيها وأطلقوا
وكم فيه من مثوى نبيّ ومشهد ... بنسبته يسمو محلاً ويَسْمُقُ
وكم قائم لله فيه تهجداً ... بدعوته نُكفى المخوفَ ونُرزق
مصابيحه تجلو الظلامَ كأنها ... مصابيحُ في جوّ السماء تألّقُ
وقبته مأوى الهلال وبرجه ... وفي كل أفق منه للحسن مَشْرِقُ
وقد جاوز الجوزاء فيه مآذن ... بأكنافها نورُ الجلالة محدق
فواحدها منه الهلالُ سواره ... وأخرى لها الجوزاءُ قرطٌ معلق
وأخرى ترى الإكليل في غسق الدجى ... يزان بها منها جبينٌ ومفرق
إذا ما بدا قوسُ السحابِ لناظرٍ ... فمنها له في الجوّ سهم مفوّق
وقد نازع النسر العنان كأنه ... إلى أخويه نازع متشوق
أحاطت به الأمْوَاهُ من كلّ جانبٍ ... وأمثالها في أرضه تتخرق
فمن بركةٍ فيحاءَ يدعج ماؤها ... ومن جدول ريان كالسهم يمرق
وفوّارة يحكي سبيكةَ فضةٍ ... تلألؤها أو بارقاً يتألق
فإن تنجزِ الأيامُ وعداً بقربها ... فإني مُوَفّى الحظ منها موفق
وإن أرضِ طوعاً أرض مصر وحرها ... بديلاً فإني فائلُ الرأي أخرق
سقاها فروّى كلّ منفصم العرى ... من الدلو دانٍ مرعد السحب مُبرقُ
إذا أثقلت حملاً رواعد مزنه ... حسبت عشار النوق للرعد تطلق
وإن شهرت سيفاً من البرق كفها ... رأيت بخديه دمَ المحل يهرق
على أنه أضحى الكفيلَ بريها ... وإن ضنّ غيثاً ماؤها المتدفق

وكان قد وعده الشيخ شهاب الدين محمود وفخر الدين ابن الجنّان فأخلفا، فكتب إلى الشيخ شهاب الدين محمود :

مواعدُ الفخرِ والشهابِ ... أكذبُ من لامع السرابِ
أحسنتُ بالسيدين ظنّاً ... فكان نقباً على خراب

كم أخلفاني فخلفاني إذ كنت غراً على التراب
بما تكلفتُ من أمــورٍ ما كنَّ من عادتي ودابي
خرجتُ فيهنَّ من قشوري فأفقراني من اللبـــاب
راغا وزاغا وليس هذا الـ ـخداع من شيمة الصحاب
لو أنصفاني بفرط شوقي لوافيَـــاني بلا طلاب
أو عَــدَلا في الوداد عادا بعد عدول إلى الصواب
هل أمِنـَا الصعب من ملامي والمؤلمَ المرَّ من عقابي

فأجابه شهاب الدين :

أبارقٌ لاح في صبــاحٍ أم نُظّمَ الدر في سخابِ
أم أسطر فرَّ جيش همي حين تسارعن في طلابي
لم ير من قبلـهــا محب كتائبـــاً سرنَ في كتــاب
أرسلـهـــا ســيدٌ نــداه يهزأ بالزاخر العبــاب
إلى غريبــين لم يزالا لها مدى الدهر في ارتقاب
لم يخلفا الوعــدَ بل أقاما ليأخذَ الجوعُ في التهــاب
ويستطيلا بكلٍّ نابٍ كالصارم العضب غير نابي
ويصبح الفخر وهو جاثٍ ينقضُّ للأكل كالشهاب

فلما زاراه كتب إلى الأمير ناصر الدين الحراني متولي حرب دمشق :

تفضلَ فخرُ الدين مثل شهــابه وزارا محلَّ العبدِ وامتثلا الأمرا
وجاءا بجمعٍ ضامرينَ من الطوى فما تركوا عنــدي لباباً ولا قشرا
فأوسعتهم بالرغم مــني كرامــةً وإن كنت بالتحقيق ضقت بهم صدرا
وقالوا جميعاً يخلف الله قلت إن تقبل منكم كان في السنة الأخرى

وقال أيضاً[1] :

---

[1] وردت هذه القصيدة في الزركشي .

أدار عقيقاً في إناء من الـدر — فعاينت شمسَ الراح في راحة البدرِ
وأبدت سماءُ الكأس زُهْرَ نجومها — فيا حُسْنَ يومٍ حُفَّ بالأنجم الزهر
غدتْ كعبةَ الأفراح إذ طاف ناحراً — بها الهم مصقول الترائب والنّحر
غزالٌ له من أخته البعد والسنا — وليس لها درّ القلائد والثغر
أغارت على أسرار أرواح شَرْبها — وأنقذت الأفراح من قبضة الأسر
غَريرٌ من الأتراك زنجيٌّ خاله — كقلبي مقيمٌ من هواه على جمر
إذا ازورَّ سخطاً أو تلفَّتَ راضياً — أمات وأحيا بالقطوب وبالبشر
وإن سلَّ سيف اللحظ أو هزَّ عطفه — فيا خجلةَ البيض القواضب والسمر
تمتع بأيام الصبا واغْدُ جامعاً — لشمل صبا الأيام باللذة البكر
فما العيشُ إلا وصلُ كأسٍ بأختها — وجارية تسقي وساقية تجري
وداوِ بحسنِ الظنّ بالله كلَّ ما — جنيتَ فعفو الله يجاو دجى الوزر

٤٣٣

قطب الدين القسطلاني

محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن ميمون، الإمام الزاهد قطب الدين القسطلاني التَّوْزَرِي الأصل المصري ثم المكّي ، ابن الشيخ الزاهد أبي العباس ؛ ولد [بمصر] [1] سنة أربع عشرة وستمائة ،ونشأ بمكة [2] ، وسمع من ابن البناء والسهروردي وابن الزبيدي وجماعة ، وقرأ

٤٣٣ – الوافي ٢ : ١٣٢ والزركشي : ٢٦٨ والبدر السافر : ٧٣ والشذرات ٥ : ٣٩٧ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٣ وطبقات السبكي ٥ : ١٨ والمغرب (قسم مصر) ١ : ٢٦٩ وحسن المحاضرة ١ : ٤١٩ وتاريخ علماء بغداد : ١٧٣ والأسنوي ٢ : ٣٢٦ .

١ زيادة ضرورية من الوافي .

٢ في المطبوعة : ونشأ بها .

العلم ودرس وأفتى ورحل في طلب الحديث ؛ وسمع ببغداد ومصر والشام والموصل ، وكان شيخاً عالماً زاهداً عابداً كريم النفس كثير الإيثار حسن الأخلاق قليل المثال ؛ طُلب من مكة إلى القاهرة وولي مشيخة دار الحديث بالدار الكاملية إلى أن مات ، وله شعر مليح . وروى عنه الدمياطي والمزي والبرزالي وخلق كثير .

وكان يتوجه إلى أبي الهول الذي عند أهرام مصر ، وهو رأس الصنم الذي هناك ، ويعلو رأسه ويضربه باللالكة ، ويقول : يا أبا الهول ، افعل كذا ، افعل كذا ، لأن جماعة من أهل مصر يزعمون أن الشمس إذا كانت في الحمَل وتوجه أحدهم إلى أبي الهول ، وبخّر بشكاعى وباذاورد ، ووقف عليه وقال ثلاثاً وثلاثين [1] مرة كلماتٍ يحفظونها ، وقال معها : يا أبا الهول افعل كذا ، فزعموا أن ذلك يتفق وقوعه ، وكان الشيخ قطب الدين يفعل ذلك إهانة لأبي الهول وعكساً لذلك المقصد الفاسد ؛ لأن تلك الكلمات ربما تكون تعظيماً له ضرورة .

وتوفي الشيخ قطب الدين سنة ستمائة وست وثمانين ؛ ومن شعره :

إذا كان أنسي في التزامي لخاوتي ... وقلبيَ عن كل البرية خالي
فما ضرني من كان في الدهر قالياً [2] ... ومــا سرّني من كان فيَّ مُوَالي

وقال أيضاً :

ألا هــل لهجر العــامرية إقصارُ ... فتُقْضَى من الوجد المبرّح أوطارُ
عسى ما مضى من خفض [3] عيشيَ في الحمى ... يعودُ ولي فيــه نجوم وأقمار
عدمت فؤادي إن تعلقتُ غيرهــا ... وإن زيّن السلوان لي فهوَ غـَدّار

١ الوافي : ثلاثاً وستين .
٢ البدر السافر : من كان لي الدهر جافياً .
٣ المطبوعة : طيب ؛ وأثبت ما في الزركشي والوافي .

ولي من دواعي الشوق في السخط والرضى ... على الوصل والهجران ناهٍ وأمّار
أأسلو وفي الأحشاء من لاعج الجوى ... لهيبٌ أسال الروحَ فالصبر منهار

وقال أيضاً :

لمـــا رأيتك مشرقـــاً في ذاتي ... بدلتُ من حالي ذميمَ صفاتي
وتوجهتْ أسرار فكري سُجَّداً ... لجميل ما واجهتُ من لحظاتي
وتلوت من آيات حسنك سورةً ... سارت محاسنُهَا لجمع[1] شتاتي
وبلوت أحوالي فخلت معبراً ... في الصحو عن سكري بصدق ثباتي
وتحوّلتْ أحوال سري في العـــلا ... فعلت على[2] محو وعن إثبـــات
وتوحـَّدَتْ صفتي فرحت مـُرَوّحـاً ... نظراً لما أشهدتُ من آيات
لا أشتهي أن أشتهي متنزهـــاً[3] ... بل أنتهي عن غفلة الشهوات
أنا إن ظهرتُ فعن ظهورِ بواطنٍ ... شهدتْ بنطقٍ كان من سكتاتي
من كان يجهلُ ما أقولُ عذرته ... فالشمسُ تخفى في دُجى الظلمات
فدعِ المعنّفَ والعذولَ وقـــلْ لـــه ... الحقُّ أبلجُ فاستمعْ كلماتي
لا تيأسنَّ بذاهبٍ من حـــاضر ... أو غائب يدعو إلى الغفلات
لا تنظرنَّ لغير ذاتك واسترحْ ... عن كلِّ ما في الـــكون من طلبات
نزّه مصادرَ وردهـــا عن كل مـــا ... يلقي بها في ظلمةِ الشبهات

---

١ الوافي : بجمع .
٢ هذا ما في الوافي والزركشي ؛ وفي المطبوعة : إذ غبت عن .
٣ المطبوعة : مستنزهاً .

٤٣٤
قاضي القضاة الخوبي

محمد بن أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر ، قاضي القضاة ذو الفنون شهاب الدين ابن قاضي القضاة شمس الدين الخوَيِّي [1] الشافعي ، قاضي دمشق وابن قاضيها ؛ ولد في سنة ست وعشرين وستمائة ونشأ بدمشق ، وقد اشتغل في صغره ، ومات والده وله إحْدَى عشرة سنة فبقي منقطعاً بالعادلية ، ثم أدْمَنَ الدرس والسّهَرَ والتكرار مدة بالمدرسة ، وحفظ عدّة كتب وعرضها ، وتميز على أقرانه ، وسمع في صغره من ابن اللّتي ، وابن المقيّر والسخاوي وابن الصلاح ، وأجاز له خلق من أصبهان وبغداد ومصر والشام ، ولازم الاشتغال في كبره .

وصنف كتاباً كبيراً يحتوي على عشرين علماً ، وشرح « الفصول » لابن معطي ، ونظم « علوم الحديث » لابن الصلاح و « الفصيح » لثعلب ، و « كفاية المتحفظ » ، وشرح من أول « الملخص » للقابسي خمسة عشر حديثاً في مجلد .

قا الشيخ شمس الدين : ثم انجفل إلى القاهرة فولي قضاء القاهرة والوجه البحري خاصة، اقتطع له من ولاية الوجيه البهنسي ، وأقام البهنسي على قضاء مصر والوجه القبلي ؛ ولما مات القاضي بهاء الدين ابن الزكي بدمشق نقل الخويي

---

٤٣٤ — الوافي ٢ : ١٣٧ والبدر السافر : ٧٦ والزركشي : ٢٦٩ والأنس الجليل ٢ : ٤٦٦ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٢٧ والدارس ١ : ٢٣٧ وبغية الوعاة : ١٠ والشذرات ٥ : ٤٢٣ والعبر ٥ : ٣٧٩ وحسن المحاضرة ١ : ٥٤٣ والاسنوي : ١ : ٥٠١ .

١ توفي شمس الدين الخويي سنة ٦٣٧ (انظر ابن خلكان ٤ : ٢٥٨) وابن العديم ١ : ٨٠ وابن قاضي شهبة : ١٦٨ وابن الشعار ١ : ٢٩٧ والسبكي ٥ : ٨ والذيل على الروضتين : ١٦٧ والاسنوي ١ : ٥٠٠ وذكر محقق الأسنوي عدداً آخر من مصادر ترجمته .

إليها . سمع منه المزي والبرزالي والنابلسي والختني وعلاء الدين المقدسيّ .

توفي في بستان صَيِّفَ فيه بالسهم يوم الخميس خامس عشرين[1] رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وصلي عليه بالجامع المظفري ودفن عند والده بتربته بالجبل . كان يعرف من العلوم التفسير والأصولين والفقه والنحو والخلاف والمعاني والبيان والحساب والفرائض . ومن شعره رحمه الله تعالى :

بخفيّ لطفك كلّ سوءٍ أتقي ... فامننْ بإرشادي إليـه ووفِّقِ
أحسنتَ في الماضي وإني واثقٌ ... بك أن تجودَ عليَّ فيما قد بقي
أنت الذي أرجو فمالي والورى[2] ... إنّ الذي يرجو سواك هو الشقي

وقال أيضاً :

أمّا سواك فبابَهُ لا أطرقُ ... حسبي كريمٌ جودُهُ متدفِّقُ
ما إن يخاف بظلٍّ بابك واقفٌ ... ظمأً وبحرُ نداك طامٍ مغدق
بحبال جودك لا يزال تعلقي ... ما خاب يوماً مَنْ بها يتعلق
بشرى لمن أضحى رجاؤك كنزه ... وله الوثـوقُ بأنه لا يملق

٤٣٥
الشيخ محمد ابن تمام

محمد بن أحمد بن تمام الصالحي الحنبلي الخياط ؛ هو الشيخ البركة أخو الشيخ تقيّ الدين ابن تمام ، ولد بطريق الحج سنة إحدى وخمسين وستمائة ،

---

١ المطبوعة : خامس عشر ؛ وأثبت ما في الوافي والبدر السافر .

٢ المطبوعة : في الورى .

٤٣٥ – الوافي ٢ : ١٥٢ والدرر الكامنة ٣ : ٤٠٠ وذيل العبر : ٢٢٠ وذيل ابن رجب ٢ : ٤٣٣ والبداية والنهاية ١٤ : ١٨٩ .

وسمع سنة ست وخمسين من عمر بن عوة التاجر وتمام السروري [1] وابن عبد الدايم وعبد الوهاب بن محمد ، وسمع منه خلق كثير .

واشتهر بالصلاح والتواضع ، وقد طال عمره ، وكان يرتزق من خياطة الخام ومما يفتح عليه ، ويطعم ويؤثر . وكان مليح الوجه بَسّاماً لين الكلمة أمّاراً بالمعروف ، له وَقْعٌ في القلوب ومحبة في الصدور ، نشأ في تصون وعفاف وقناعة ، وتفقة قليلا وصحب الأخيار مثل الشيخ شمس الدين ابن الكمال ، ورافق ابن مسلم والشيخ علي بن نفيس . وكان الأمير سيف الدين تنكز يكرمه ويزوره ، ويذهب هو إليه ويشفع عنده ، وتمتع بحواسه وأبطأ مشيبه . وتوفي ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى أربعين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

٤٣٦

الحافظ شمس الدين الذهبي

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي ، حافظ لا يجَارَى ، ولافظ [2] لا يُبَارى ، أتقن الحديث ورجاله ، ونظر علله وأحواله ، وعرف تراجم الناس ، وأبان الإبهام في تواريخهم والإلباس ، جمع الكثير ، ونفع الجم الغفير ، وأكثر من التصنيف ، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف ، وقف الشيخ كمال الدين ابن

---

١ المطبوعة : السروي .

٤٣٦ – الوافي ٢ : ١٦٣ والزركشي : ٢٧٠ والدرر الكامنة ٣ : ٤٢٦ وطبقات السبكي ٥ : ٢١٦ وذيول تذكرة الحفاظ : ٣٤ والشذرات ٦ : ١٥٣ والبداية والنهاية ١٤ : ٢٢٥ والنجوم الزاهرة ١٠ : ١٨٢ وتاريخ ابن الوردي ٢ : ٣٤٩ وذيل العبر : ٢٦٨ والدارس ١ : ٧٨ وغاية النهاية ٢ : ٧١ .

٢ المطبوعة : ولاحظ .

الزملكاني رحمه الله تعالى على تاريخه الكبير المسمى بتاريخ الإسلام جزءاً بعد جزء إلى أن أنهاهُ مطالعةً ، وقال : هذا كتاب علم[1] .

ومن تصانيفه : كتاب « تاريخ الإسلام » عشرين مجلداً ، وكتاب « تاريخ النبلاء » عشرين مجلداً ، و « الدول الإسلامية » و « طبقات القراء » و « طبقات الحفاظ » مجلدان ، و « ميزان الاعتدال » ثلاث مجلدات و « المشتبه في الأسماء والأنساب » مجلد. « نبأ الدجّال » مجلد . « تذهيب التهذيب » اختصار تهذيب الكمال ثلاث مجلدات . « اختصار كتاب الأطراف » مجلدان . « الكاشف » . اختصار « التذهيب » مجلد. « اختصار سنن البيهقي » خمس مجلدات. « تنقيح أحاديث التعليق » لابن الجوزي . « المستحلى اختصار المحلى » . « المقتنى في الكنى » . « المغني في الضعفاء ». « العبر في خبر من غبر » مجلدان . « اختصار المستدرك للحاكم » مجلدان . « اختصار تاريخ ابن عساكر » عشر مجلدات . « اختصار تاريخ الخطيب » مجلدان. « اختصار تاريخ نيسابور » مجلد. « الكبائر » جزآن. « تحريم الإدبار » جزآن. « أخبار السد ». « أحاديث مختصر ابن الحاجب ». « توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق » مجلد. « نعم السمر في سيرة عمر » مجلد . « التبيان في مناقب عثمان » مجلد. « فتح المطالب في أخبار علي بن أبي طالب » مجلد . « معجم أشياخه » وهم ألف وثلثمائة شيخ . « اختصار كتاب الجهاد لابن عساكر » مجلد . « ما بعد الموت » مجلد . « اختصار كتاب القدر للبيهقي » ثلاثة أجزاء . « هالة البدر في عدد أهل البدر » . « اختصار تقويم البلدان » لصاحب حماة . « نفض الجعبة في أخبار شعبة ». « قضّ نهارك بأخبار ابن المبارك » . « أخبار أبي مسلم الخراساني ». وله في تراجم الأعيان لكل واحد منهم مصنف قائم الذات ، مثل الأئمة الأربعة ، ومَنْ يجري مجراهم ، لكنه أدخل الكل في « تاريخ النبلاء »[2] .

---

1 المطبوعة : كتاب جليل .

2 المطبوعة : تاريخ العلماء والنبلاء .

وكان مولده في ربيع الأول[1] سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وتوفي في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

ومن شعره :

إذا قرأ الحديثَ عليَّ شخصٌ   وأخلى موضعاً لوفاة مثلي
فما جازى بإحسانٍ لأني   « أريد حياته ويريد قتلي »

وله أيضاً :

لو أن سفيان على حفظه   في بعض همي نسيَ الماضي
نفسي وعرسي ثم ضرسي سعوْا   في غربتي والشيخ والقاضي

وقال أيضاً :

العلم قال الله قال رسوله   إن صحَّ والإجماعُ فاجهدْ فيه
وحذارِ من نصبِ الخلاف جهالةً   بين الرسول وبين رأي فقيه

٤٣٧
المنتصر بالله

محمد بن جعفر أمير المؤمنين المنتصر [بالله][2] ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور ؛ كان أعْينَ أقنى أسمر مليح الوجه جسيماً

---

١ كذا في الزركشي أيضاً ؛ الوافي : الآخر .

٤٣٧ — الوافي ٢ : ٢٨٩ والزركشي : ٢٧٠ وتاريخ بغداد ٢ : ١١٩ ومعجم الشعراء : ٤٠٠ والأغاني ٩ : ٢٩٣ والروحي : ٥٥ والفخري : ٢١٧ وتاريخ الخلفاء : ٣٨٥ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٢٧ وانظر المصادر التاريخية الكبرى : الطبري وابن الأثير واليعقوبي والمسعودي . . . الخ .

٢ زيادة من الوافي .

مهيباً ، وكان وافر العقل راغباً في الخير قليل الظلم محسناً إلى العلويين .

وكان يقول : يا بغا أين أبي ؟ مَنْ قتل أبي ؟ ويسب الأتراك ويقول : هؤلاء قتلة الخلفاء ، فدسوا للطبيب ابن طيفور ثلاثين ألف دينار عند مرضه فأشار بفَصْدِه بريشة مسمومة فمات . ويقال إنّ ابن طيفور نسيَ وقال لغلامه : افصدني ، ففصده بتلك الريشة فمات أيضاً . وقيل مات بالخوانيق ، وقيل سم في كمثراة بإبرة ، وقال عند موته : يا أمّاه ، ذهبت مني الدنيا والآخرة ، عاجلت أبي فعوجلت . ولم يتمتع بالخلافة لأنه ولي في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، ومات في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وعاش ستاً وعشرين سنة ، وقال عند الموت :

فما مُتِّعَتْ نفسي بدنيا أصبتها ولكنْ إلى الربّ الكريم أصيرُ
وما كان ما قدّمته رأيَ فاتةٍ ولكنْ بفتياها أشار مشير

وقال أيضاً :

متى ترفعُ الأيامُ مَنْ قد وضعته وينقادُ لي دهرٌ عليَّ جموحُ
أعللُ نفسي بالرجاء وإنني لأغدو على من ساءني وأروح

وله فيما نسب إليه من قتل أبيه :

لو يعلم الناسُ الـــذي نالني فليس لي عندهمُ عـــذرُ
كان إليَّ الأمر في ظـــاهر وليس لي في باطن أمر

قال سبط ابن الجوزي في « المرآة » : كان المتوكل قد أراد أن ينقل العهد من ابنه المنتصر لابنه المعتز لمحبته لأمه ، وسام المنتصر أن ينزل عن ولاية العهد فأبى ، وكان يحضره ويتهدّدهُ بالقتل ، فأحضره ليلة وشتمه شتماً قبيحاً وشتم أمّه ، فقام المنتصر وهو يقول : والله لو أنها جاريةٌ لبعض سُوَّاسك لمنعت من ذكرها ولوجب عليك صيانتها ، فغضب المتوكل وقال للفتح بن

خاقان : وحق قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تَلْطُمه لأقتلنك ، فقام الفتح ولطمه ، وقال المتوكل : اشهدوا عليّ ، إنني قد خلعته من الخلافة ، فبقيت هذه الأشياء في قلبه ، وعمل ما عمل مما هو مذكور في ترجمة المتوكل والله أعلم .

٤٣٨

المعتز بالله

محمد بن جعفر ، أمير المؤمنين المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ؛ ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، ولم يل الخلافة قبلَه أصغر منه ، بويع له بالخلافة عند عزل المستعين بالله وهو ابن تسع عشرة سنة ، وكانت خلافته ثلاث سنين وستة أشهر وأربعة عشر يوماً ، ومات عن أربع وعشرين سنة .

وكان مُسْتَضْعَفاً مع الأتراك ، اجتمع إليه الأتراك وقالوا له : أعطنا أرزاقَنَا لنقتل صالح بن وصيف ، وكان يخافه ، فطلب من أمّه مالاً لنفقة الأتراك فأبت ، ولم يكن في بيوت الأموال شيء ، فاجتمعوا هم وصالح واتفقوا على خلعه ، وجروه برجله وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس في يوم صائف ، فبقي يرفع قدماً ويضع أخرى وهم يلطمون وجهه ويقولون : اخلع نفسك ، ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب والشهود وخلعوه ، ثم أحضروا محمد بن الواثق من سامَرّا فسلم عليه المعتز بالخلافة وبايعه ، ولقبوه المهتدي ، ثم إنهم أخذوا المعتز بعد خمسة أيام وأدخلوه الحمام وعطشوه ،

٤٣٨ — الوافي ٢ : ٢٩١ والزركشي : ٢٧١ والأغاني ٩ : ٢٩٨ وتاريخ بغداد ٢ : ١٢١ ومعجم الشعراء : ٤٠٠ والديارات : ١٠٦ والروحي : ٥٦ والفخري : ٢٢٠ وتاريخ الخلفاء : ٣٨٨ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٣٠ والمصادر التاريخية الكبرى .

وطلب الماء فمنعوه من ذلك حتى أغمي عليه ، فأخرجوه وسَقَوْه ماء بثلج فشربه وسقط ميتاً .

وقال سبط ابن الجوزي في المرآة : لما أوقفوه في الشمس طلب نعلا فلم يعطوه ، فأسبل سراويله على رجليه ، وقيل إنهم نزعوا أصابع يديه ورجليه ثم خنقوه ، وقيل أدخلوه سرداباً مجصصاً جديداً فاختنق ، ولم يعذب خليفة بمثل ما عذب على صغر سنّه ؛ وتوفي يوم السبت لست خلون من رمضان[1] سنة خمس وخمسين ومائتين ، ودفن إلى جانب أخيه المنتصر .

وكان أبيض جميل الوجه ، على خدّه الأيسر خال أسود ، وصلى عليه المهتدي . وأمّه رومية ، وكان نقش خاتمة « المعتز بالله » وهو ثالث خليفة خلع من بني العباس ، ورابع خليفة قتل منهم . قال البحتري : كنت صاحباً لأبي معشر المنجم ، فتضايقنا مضايقة شديدة ، فدخلنا على المعتز وهو محبوس قبل أن يلي الخلافة ، فأنشدته أبياتاً كنت قلتها[2] :

جعلتُ فداكَ الدهرُ ليس بمنفكّ ... من الحادث المشكوّ والنازلِ المشكي
وما هذه الأيامُ إلا منازلٌ ... فمن منزلٍ رَحْبٍ إلى منزل ضنك
وقد هذّبتك الحادثاتُ وإنما ... صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك
أما في رسول الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في السجن برهةً ... فآل به الصبر الجميل إلى الملك

فدفع الورقة إلى خادم على رأسه وقال : احتفظ بها فإن فرّج الله تعالى ذكّرني لأقضي حاجتهم ، وكان أبو معشر قد أخذ له طالعاً لمولده فحكم له بالخلافة بمقتضى الطالع ، فلما ولي الخلافة أعطى كل واحد منا ألف دينار ، وأجرى له في كل شهر مائة دينار .

---

١ الوافي : من شعبان ، وقيل في اليوم الثاني من رمضان .

٢ ديوان البحتري : ١٥٦٧ وكان البحتري قد قال هذه الأبيات في أبي سعيد الثغري .

وقال الزبير بن بكار : دخلت على المعتز فقال لي : يا أبا عبد الله ، قد قلت أبياتاً في مرضي هذا ، وقد أعيا علي إجازة بعضها ، وأنشدني :

إني عرفتُ علاجَ القلبِ من وجعي ... وما عرفتُ علاجَ الحبِّ والهلعِ
جزعت للحبّ والحمّى صبرتُ لها ... فليس يشغلني عن حبكم وجعي

[قال الزبير : فقلت][1] :

وما أملُّ ببيتي ليلتي أبداً ... مع الحبيب ويا ليت الحبيبَ معي

٤٣٩
الراضي بالله

محمد بن جعفر بن أحمد ، الراضي بالله أمير المؤمنين ابن المقتدر ابن المعتضد ؛ كان سمحاً واسع النفس ، أديباً شاعراً كريم الأخلاق ، محباً للعلماء مجالساً لهم ، ختم الخلفاء في أمور عدة : منها أنه آخر خليفة له شعر مدوّن ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة جالس الندماء ، وآخر خليفة كانت عطاياه ونفقاته وجوائزه تجري على ترتيب الخلفاء الأول ؛ وقع حريق بالكرخ فأطلق خمسين ألف دينار لعمارة ما احترق .

قال الصولي : دخلت عليه وهو جالس على آجرة قبالة الصانع ، وكنت أنا وجماعة من الجلساء ، فأمر بالجلوس ، فأخذ كل واحد منا آجرة وجلس عليها ، واتفق أني قد أخذت أنا آجرتين ملتصقتين فجلست عليهما ، فلما

---

١ سقط هذا من المطبوعة .

٤٣٩ — الوافي ٢ : ٢٩٧ والزركشي : ٢٧١ وتاريخ بغداد ٢ : ١٤٢ وكتاب أخبار الراضي والمتقي للصولي ؛ ومعجم الشعراء : ٤٣٠ والبداية والنهاية ١١ : ١٩٦ والروحي : ٦٢ والفخري : ٢٥١ وتاريخ الخلفاء : ٤٢١ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٥٢ والمصادر التاريخية الكبرى .

قمنا أمر أن توزن كل آجرة ويدفع إلى صاحبها بوزنها دنانير ، قال الصولي : فتضاعفت جائزتي عليهم . وقد حُكي عنه أنواع من الكرم .

ومن شعره وقد تكلم الناس في إنفاقه الأموال :

لا نقد في[1] كرمي على الإسرافِ ربحُ المحامدِ متجرُ الأشرافِ
أجري كآبائي الخلائف سابقاً وأشيدُ ما قد أسستْ أسلافي
إني من القوم الذين أكفهم معتادةُ الإتلافِ والإخلاف

وقال أيضاً :

يصفرُّ وجهي إذا تأمله طرفي ويحمرُّ وجهه خجلا
حتى كأنَّ الذي بوجنته من دم جسمي إليه قد نقلا

وقال أيضاً :

قد أفصحتْ بالوترِ الأعجمِ وأفهمتْ مَنْ كان لم يفهمِ
جاريةٌ تُحسَبُ[2] من لطفها مخاطباً ينطقُ لا من فم
جَسّتْ من العود مجاري الهوى جسَّ الأطباءِ مجاري الدم

وقال أيضاً عند موته :

كلُّ صفوٍ إلى كَدَرْ كلُّ أمرٍ إلى حَذَرْ
ومصيرُ الشباب للـ موتِ فيه أو الكبر
أيها الآملُ الذي تاه في لجة الغرر
أين مَنْ كان قبلنا درس الشخص والأثر
ربِّ إني ادخرتُ عنـ ـدك أرجوه مُدَّخَر
أنني مؤمنٌ بما بَيَّنَ الوحيُ في السير

قيل إنه مرض وتقيأ في يومين أربعة عشر رطل دم، وقيل إنه استسقى وأصابه

---

[1] الوافي : لا تعذلي . [2] الوافي : تحضن .

ذرب عظيم ، وكان أعظم آفاته كثرة الجماع ؛ توفي ببغداد منتصف ربيع الآخر سنة تسع[1] وعشرين وثلثمائة ، وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أيام ، ولم يوجد له حنوط لأن الخزائن ختمت عند موته ، فاشتروا له حنوطاً من بعض العطارين ، وحُمل إلى الرصافة في طيار ودفن في تربة عظيمة له أنفق عليها أموال كثيرة . قال ابن الجوزي : دَرَسَت الآن ، ولم يبق لها عين ولا أثر . كان قصيراً أسمر نحيفاً في وجهه طول ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه .

٤٤٠
ابن حمدون صاحب التذكرة

محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، أبو المعالي ابن أبي سعد ، الكاتب المعدل كافي الكفاة بهاء الدين البغدادي؛ من بيت فضل ورياسة، وكان ذا معرفة بالأدب والكتابة ، سمع وروى وصنف كتاب « التذكرة » في الأدب والنوادر والتواريخ ، وهو كتاب كبير يدخل في اثني عشر مجلداً ، اختص بالمستنجد يجتمع به وينادمه[2] ، وولاه ديوان الزمام ، وكان أوّلاً عارض جيش المقتفي . وكان كريم الأخلاق حسن العشرة ، وقف المستنجد على حكايات له رواها في « التذكرة » توهم غضاضة على الدولة ، فأخذ من دَسْتِ منصبه

---

١ المطبوعة : سبع .

٤٤٠ – الوافي ٢ : ٣٥٧ والزركشي : ٢٧١ والخريدة (قسم العراق) ١ : ١٨٤ والمنتظم ١٠ : ٢٢١ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٧٤ والشذرات ٤ : ٢٠٦ وليست هذه الترجمة من المستدرك على ابن خلكان فقد ترجم له (٤ : ٣٨٠) .

٢ الوافي : ويذاكره .

وحُبس ، ولم يزل في سجنه إلى أن رُمِس ؛ توفي محبوساً سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

ومن شعره :

يا خفيفَ العقل والرأس معاً وثقيلَ الروح أيضاً والبدنْ
تَدَّعي أنك مثــلي طيبٌ طيبٌ أنت ولكن بلبن [1]

وقال أيضاً :

وحاشا معاليك أن تستزاد وحاشا نوالك أن يقتضى
ولـكنما أستزيد الحظوظ وإن أمرتني النهى بالرضى

٤٤١
ابن الأردخل

محمد بن [أبي] الحسن بن يمن، أبو عبد الله الأنصاري الموصلي، المعروف بابن الاردخل الشاعر ، نديم صاحب الموصل ، ونديم صاحب ميافارقين ؛ كان من الشعراء المجيدين ، مدح الأشرف موسى وغيره ، والاردخل هو المجيد في البناء [2] توفي سنة ثمان وعشرين [3] وستمائة .

١ علق الصفدي على ذلك بقوله : يريد أنه قرع .

٤٤١ — الوافي ٢ : ٣٥٨ والزركشي : ٢٧١ وابن خلكان ٥ : ٣٣٦ ووقع في بعض نسخ ابن خلكان « محمد بن أبي الحسين » ؛ وفي الزركشي : محمد بن الحسن .

٢ هكذا قال الصفدي أيضاً والزركشي ، والكلمة سريانية بفتح الهمزة ، وتعني « البناء الحاذق » ، وذكر صاحب التاج لها معنى آخر ، وحقق ذلك مؤلف الأعلام (٦ : ٣١٦) فانظره .

٣ عند الزركشي والمطبوعة : وخمسين ؛ وهو خطأ ، وقول ابن خلكان هو المعتمد هنا ، وقد وافقه الصفدي في ذلك .

ومن شعره رحمه الله :

ولقد رأيت على الأراك حمامةً ... تبكي فتسعدني على أحزاني
تبكي على غصن وأندبُ قامةً ... فجميعنا يبكي على الأغصان
صرع الزمان وحيدَها فتعللت ... من بعده بالنوح والأحزان
تخشى من الأوتار وهي مَرُوعةٌ ... منها فَلِمْ غنتْ على العيدان

وقال أيضاً :

أيرٌ أنامُ الليلَ وهو يقومُ ... حامي الإهاب كأنه محمومُ
مغرًى بحرف الجرِّ إلا أنه ... ما زال مفتوحاً به المضموم

وله أيضاً :

أفي كلّ يوم لي من الدهر صاحبٌ ... جديدٌ ولي حادٍ إلى بلدٍ يحدو
أروحُ وأغدو للغنى غير مُدْركٍ ... ويدركه من لا يروح ولا يغدو

وقال أيضاً

وذكّرها ماءً بدجلة لائمٌ ... فلم تتمالكْ أن جرتْ عبراتُها
فلله عينٌ ما عتبتُ دموعها ... صمتن وإقرارُ الجواري صُماتُها

وله أيضاً :

ما على مَنْ وصاله الصبح لو قصّـ ... ـر من ليلِ هجره ما أطالَهْ
ألِفيٌّ القوام عني أمالو ... ه فقلبي مكسورُ تلك الإماله

وقال :

واهاً على عيش مضت سَنَواته ... فكأنما كانت هيَ الساعاتُ
والراحُ ترجمُ كلَّ همٍ طالعٍ ... بكواكب أفلاكها الراحات
قابلت بالساقي السماء فأطلعت ... بدراً عليَّ كأنها مرآة
الخضر عارضهُ وواضح ثغرِه ... عينُ الحياة وصدغه الظلمات

وله أيضاً :

يا قريباً عصيتُ فيه التنائي وعزيزاً أطعتُ فيه الهوانا
أخذَتْ وصف قدك الورق عني فأحبت لحبِّه[1] الأغصانا

٤٤٢
الشمس الصايغ

محمد بن الحسن بن سباع ، شمس الدين الصايغ العروضي ؛ أقام بالصاغة زماناً يقرىء الناس العربية والعروض والأدب ، وكان يألف بقطب الدين ابن شيخ السلامية ، ورأيته[غير] مرة . توفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة تقريباً ، وكان له نظم ونثر ، وشرح « ملحة الإعراب » وشرح الدريدية في مجلدين كبيرين ، رأيته بخطه ، وديوانه مجلدان كبيران ، واختصر « صحاح » الجوهري وجرّدَهُ من الشواهد ، وله قصيدة تائية على وزن الهيتية التي لشيطان العراق[2] وتزيد على ألفي[3] بيت ، وله المقامة الشهابية عملها للقاضي شهاب الدين الخويّي .

ومن نظمه :

إن جزتَ بالموكب يوماً فلا تسأل عن السيارة الكُنّسِ
فثم آرامٌ على ضُمَّرٍ لله ما تفعل بالأنفس
فقلْ لذي الهيئة ياذا الذي ينقلُ ما ينقلُ عن هرْمس

١ المطبوعة : فأمالت بلحنها .
٤٤٢ — الوافي ٢ : ٣٦١ والزركشي : ٢٧٢ والدرر الكامنة ٤ : ٤٠ وبغية الوعاة : ٣٤ .
٢ المطبوعة : التائية التي لسلطان العارفين .
٣ الوافي : الألف ؛ وما هنا موافق للزركشي .

قولك هذا خَطَلٌ[1] بــاطل   أما ترى الأقمار في الأطلس

أخذ هذا المعنى من سيف الدين المشدّ ونقصه فإنه قال :

زعم الأوائلُ أنّمــا   تبدو الذوائبُ للكواكبْ
وتوهموا الفلكَ المعظ   م أطلساً ما فيه ثاقب
أتراهمُ لم ينظـروا   ما في الزمان من العجائب
كم من هلالٍ قــد بدا   في أطلسٍ وله ذوائب

وقال وهو بمصر يتشوق إلى دمشق :

لي نحو ربعك دائماً يا جـلقُ   شوقٌ أكادُ به جوًى أتمزقُ
وهمولُ دمع من جوىً بأضالعٍ   ذا مغرق عيني وهذا محرق
أشتاقُ منكِ منازلاً لم أنسهـا   أنّى وقلبي في ربوعك مُوثق
طللٌ به خَلَقي تَكَوَّنَ أولاً   وبه عُرفت بكلّ ما أتخلق
وقفٌ عليه لدى التأسفِ والبكا   قلبي الأسيرُ ودمعُ عيني المُطلَق
أدمشقُ لا بعدتْ ديارك عن فتًى   أبـداً إليك بكلـه يتشـوق
أنفقتُ في ناديك أيامَ الصبـا   حباً وذاك أعـزُّ شيء ينفق
ورحلتُ عنكِ ولي إليكِ تلفتٌ   ولكلِّ جمع صَدْعة وتفرّق
فاعتضتُ عن أنسي بظلاك وحشةً   منها وَهى جلَدي وشاب المفرِق
فلبستُ ثوب الشيب وهو مشهرٌ   وخلعتُ[2] ثوبَ الشرخ وهو معتق
ولكم أسكن عنك قلـباً طامعاً   بوعود قربك وهو شوقاً يخفق
ولكم أحدِّثُ عنك من لاقيتـه   وجميعُ من سمع الحديثَ يصدّق
والأرضُ في عرضٍ وطولٍ دائماً   لم يَحْوِ مثلك غربُها والمشرق
لله وادي النيربين[3] وظلـه   لا الرقمتان ورامـة والأبرق

---

١ المطبوعة : خطأً .   ٢ الوافي : ونزعت .
٣ المطبوعة : النيرين ؛ وهو خطأ .

وسقى ديارَ الصالحيـة وابلٌ يهمي على تلك المنازل مغدق
والسهمُ لا افترت ثغورُ أقاحـهِ إلا ودمعُ سحابـهِ يترقرق
كم فيه من قصرٍ منيف مشرف يبدو به قمرٌ منير مشرق
وببيتِ لهيا لا تعدّاه الحيـا طللٌ عليه من النضارة رونق
هو منزلٌ آثـاره مشهورة ولأهلـه عهدٌ عليَّ وموثِقُ
وحباك يا أطلالَ جَوْبَرَ[1] واصلاً غيثٌ مريعٌ مستهـلٌّ مشفق
لله سرحةُ ذلك الربع الذي قلبي يهيم بـه وذاك الجوسق[2]
والوادي الشرقي لا برحتْ به ديمٌ تسحّ ووبلها يتـدفق
فغياضُهُ ورياضـه كعيونـه هذا يعومُ به وهذا يغرق
ولكم قطعتُ به زماناً لم أزلْ أشتاقُهُ ما دمتُ حيّـاً أرزق
في سكر زبدينٍ إلى جسرين كم حيّا الحيا حيّـاً عليه رونق
بالواديين[3] كلاهما الغربيّ والشرقيّ نزهـة مَنْ برفـق يرمق
أنّى اتجهتَ رأيتَ دوحاً ماؤه متسلسلٌ يعلو عليـه جوسق
والقصرُ والشرفاتُ والشقراءُ وال ميدان عشقاً للذي لا يعشق
فلكم حوت تلك المنازلُ صورة فيها الجمال مجمع ومفرق
فمخضّبٌ ومؤزّرٌ ومعمّـمٌ ومزنّرٌ ومبرقعٌ ومقرطـق
كم من غزالٍ بالنفوس متوج وقضيبِ بانٍ بالعيون ممنطق
والريحُ تكتب والجداولُ أسطرٌ[4] خط له نَسْخُ الربيع[5] محقق
والطير يقرأ والنسيمُ مردّدٌ والغصنُ يرقصُ والغديرُ يصفق[6]

---

١ المطبوعة : حوبر ؛ وهو خطأ أيضاً .
٢ المطبوعة : الجولق ؛ والتصويب عن الزركشي .
٣ المطبوعة : فالواديان ، والتصويب عن الزركشي .
٤ الوافي : في الجداول أسطراً .
٥ الوافي : النسيم .
٦ المطبوعة : مصفق ، وأثبت ما عند الزركشي والوافي .

ومعاطفُ الأغصان غنَّتها [1] الصبا طرباً فذا عارٍ وهذا مورق
وكأنّ زهرَ اللوز أحداقٌ إلى الـ زوارِ من خلل الغصون تحدّق
وكأن أشجارَ الرياضِ سُرادقٌ في ظلّها من كلّ لونٍ نمرق
والوردُ بالألوان يجلو منظراً ونسيمه عطرٌ كمسك يعبق
فبلابلٌ منها تهيج بلابلاً وكذاك [2] أثوابُ الشقيق تشقق
وهزاره يصبو إلى شحروره ويجاوبُ القمريَّ فيه مطوق
وكأنما في كل عودٍ صادح عودٌ حلا مزمومه والمطلق
والورق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الخليِّ [3] الموثق
تتلو على الأغصان أخبار الهوى فيكاد ساكن كل شيء ينطق
يا سائراً والريح تعثر دونه والبرقُ يبسمُ إذ به يتألق
إن جزتَ من وادي دمشقَ منازلاً لي نحوها حتى المماتِ تشوق
بالجبهةِ الغرّاءِ والوجه [4] الذي يزهو [5] به القصر المنيف الأبلق
ورأيت ذاك الجامعَ الفَرْدَ الذي في الأرض طراً مثله لا يخلق
قل للفتى عبد الرحيم [6] فإنني أبداً بحسن وداده أتحقق
إن كنتمُ عَرَّضْتُمُ بتشوقٍ وحياتكم إني إليكم أشوق
أشتاقكم من أرض مصر وبيننا بيدٌ تخبُّ لها المطيُّ وتُعنِق
قفرٌ يحارُ به [7] الدليلُ ودونه رمل تكاد به المطايا تغرق
لم أستطعْ فيه المسيرَ كأنه لتوقد الرمضاء نار تحرق

١ المطبوعة : أثنتها .
٢ الوافي : بلابل ولذاك .
٣ الوافي : الطليق .
٤ الزركشي : والنهر ؛ ولم يرد هذا البيت وسائر الابيات حتى آخر القصيدة في الوافي .
٥ الزركشي : يزهى .
٦ هو الشيخ كمال الدين عبد الرحيم .
٧ المطبوعة : بها .

فارقتكم لا عن رضًى فابعدكم عني عليَّ الرحبُ ضنكٌ ضيق
وقنعتُ حتى صرتُ أرجو منكمُ من بعد ذاك القربِ طيفاً يطرق
ولقد عطفتُ على الزمان معاتباً فرأيت كفي عنه صبراً ألْيَق
يمضي النهارُ وفيه قلبي مُفْكِرٌ والليلَ طرفي بالبعاد مؤرق
فعليكمُ مني التحية ما بدا صبحٌ به وجه الغزالة مشرق

٤٤٣
شمس الدين ابن دانيال الحكيم

محمد بن دانيال بن يوسف الموصلي الحكيم الفاضل الأديب ، شمس الدين صاحب النظم الحلو والنثر العذب والطباع الداخلة والنكت الغريبة والنوادر العجيبة ؛ قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : هو ابن حجاج عصره ، وابن سكرة مصره ، وضع كتاب « طيف الخيال » فأبدع طريقه ، وأغرب فيه فكان هو المطرب والمرقص على الحقيقة ؛ أخبرني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس قال : كان الحكيم شمس الدين ابن دانيال له دكان كحلٍ داخلَ باب الفتوح ، فاجتزت عليه أنا وجماعة من أصحابه ، فرأينا عليه زحمة ممن يكحله ، فقالوا : تعالوا نخايل على الحكيم ، فقلت لهم : لا تشاكلوه تخسروا[1] معه ، فلم يسمعوا وقالوا : يا حكيم تحتاج إلى عصيات ؟ يعنون أن هؤلاء الذين يكحلهم يعمون ويحتاجون إلى العصا ، فقال بسرعة : لا ، إلا إن كان فيكم مَنْ يقود لله تعالى ، فمروا خجلين ؛ وله من هذا النوع غرائب

٤٤٣ — الوافي ٣ : ٥١ والزركشي : ٢٧٣ والبدر السافر : ٩٢ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢١٥ والجواهر المضية ١ : ٥٥ والدرر الكامنة ٤ : ٥٤ (وذكر أن وفاته سنة ٧١٠) .
١ المطبوعة : تخزوا .

ينقلها المصريون عنه. وكانت وفاته بالديار المصرية في شهور سنة عشر وسبعمائة [1]

فمن نظمه ، قال لغزاً في سرموزة :

وجاريةٍ هيفاءَ ممشوقةِ القدِّ لها وجنةٌ أبهى احمراراً من الوردِ
من اليمنياتِ التي حُرٌّ وجهها يفوق صقالاً صفحة الصارم الهندي
وثيقةُ حبلِ الوصلِ منذ صحبتها فلستُ أراهُ قطُّ منتقضَ العهد
وفي وصلها أمسى الشقاءُ ميسراً وجاوز في تيسيره غاية الجهد
ولم أر وَجْهاً قبلها كلَّ ساعة على الترب ألقاها معفرة الخد
ومن عجبي أني إذا ما وطئتها تئنُّ أنيناً دونَهُ أنَّةُ الوَجْدِ
مباركة عندي ولا برحت إذاً مدورةَ الكعبين شؤماً على ضد

وقال أيضاً :

قلت لمولاي السَّني المحسنِ المستحسنِ
من قال إنك ما تنا فإنَّ عبدَك ما ينِي

وقال أيضاً :

ولربَّ ليلٍ بالخليج قطعته إذ بتُّ منه ساهراً بالشاطي
أمسى الضياء منادمي وحشاه لي [2] محشوةٌ بغرائبِ الأخلاط
ولشقوتي بتنا معاً في مضجع متردين على الثرى ببساط
عصفتْ عليَّ رياحُه فوجدتها أقوى هبوباً من رياح شباط
قد كنتُ أنعسُ لانتشاق فسائه غشْياً فيوقظني بصوت ضراط
ما زلتُ أنشق منه ريحاً منتناً حتّى استحال إلى الخراء مخاطي
يا أيها المفتوق [3] من أرياحه هذي النصيحة فيك للخياط

---

١ في المطبوعة : ثمان وستمائة ؛ ولا أدري كيف وقع هذا الخطأ .
٢ المطبوعة : وحشاشتي ؛ والتصويب عن الزركشي .
٣ المطبوعة : المفتون .

وقال أيضاً في فرسه :

قد كمل الله برذوني لمنقصةٍ وشانه بعد ما أعماه بالعرجِ
أسيرُ مثلَ أسيرٍ وهو يعرجُ بي كأنه ماشياً ينحط من درج
فإن رماني على ما فيه من عَرَجَ فما عليه إذا ما متُّ من حرج

وقال في الشيخ ابن ثعلبة وقد ترك الغناء واللهو وتصوف في المشتهى من روضة مصر :

لطمتْ بعدك الخدودَ الدفوفُ وتحامتْ تلك الصروفَ الكفوفُ
وتساوى عند الرقاق وقد ما ت لدينا ثقيلُها والخفيف
وعلت ضجةُ المواصل حزناً والندامى على السرور عكوف
وجرت أدمعُ الرواويق حتى عاد منها النزيف وهو نزيف
وبدا الشمعُ وهو من سَيَلانِ الـ ـدمع إنسانُ عينه مطروف
يا إمام الملاح دعوةَ قاض في قضايا المجون ليس يَحِيف
كيف ذقتَ الخشوع هل هو حلو يا حريفي بالله أو حِرِّيف
تبتَ لله توبةَ الشيخ إنَّ الـ ـزهد لا يحتوي عليه الضعيف
لا تكن راسب المقرِّ فما ير سبُ في المستقر إلا الكثيف
وإذا قمتَ للصلاة فقم ثعـ ـلبة ناشقاً فأنت نظيف
وإذا ما خلوتَ في خلوة المسـ ـجد قل للمريد عندي ضيوف
وإذا ما أخرجتَ كيسك بالمعـ ـلوم قل للحضور هذا سفوف
حبذا زهدك التليد فما أنـ ـت به في الشيوخ إلا ظريف
قسماً يا قلبة البين إني قرم الشوق للقا ملهوف
أترجَّى منكَ الرجوعَ قريباً طمعاً فيك والمحبّ عطوف

وقال أيضاً :

أصبحتُ أفقرَ مَنْ يروحُ ويغتدي ما في يدي من فاقة إلاَّ يدي

في منزلٍ لم يحوِ غيري قاعداً　فإذا رقدتُ رقدتُ غيرَ ممدّد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرةٍ　ومخدّة كانت لأم المهتدي
مُلْقًى على طراحةٍ في حشوها　قملٌ كمثل السمسم المتبدّد
والفأر يركضُ كالخيولِ تسابقتْ　من كل جرداء الأديم وأجرد
هذا وكم من ناشرٍ طاوي الحشا　يبدو كمثل الفاتك المتردّد
هذا ولي ثوبٌ تراه مرقعاً　من كلّ لون مثل ريشِ الهدهد

وقال أيضاً :

قد عقلنا والعقلُ أيّ وثاق　وصبرنا والصبرُ مُرُّ المذاقِ
كل من كان فاضلاً كان مثلي　فاضلاً عند قسمة الأرزاق

وقال أيضاً :

ما عاينت عيناي في عطلتي　أدْبَرَ[1] من حظي ولا بختي
قد بعتُ عبدي وحماري وقد　أصبحتُ لا فوقي ولا تحتي

وقال أيضاً :

يا سائلي عن حرفتي في الورى　وضيعتي فيهم وإفلاسي
ما حالُ مَنْ درهَمُ إنفاقه　يأخذه من أعينِ الناس

وقال أيضاً[2] :

رأيت سراجَ الدين للصفع صالحاً　ولكنه في علمه فاسدُ الذهنِ
أستره بالكفّ خوفَ انطفائه　وآفته في طفئه كثرة الدهن[3]

وقال وقد صلبوا ابن الكازروني وفي عنقه جرّة خمر في الأيام الظاهرية :

لقد كان حدُّ الخمرِ من قبل صلبه　خفيفَ الأذى إذ كان في شرعنا جلدا

---

١ الوافي : أقل .　٢ الوافي : وقال في الشمس الجرواني ؛ الغيث ٢ : ٢٠٥ السراج الحوراني .
٣ المطبوعة : كبر الذقن .

فلمـا بدا المصلوبُ قلتُ لصـاحبي ألا تُبْ فإنّ الحدَّ قد جاوز الحدّا

وقال أيضاً :

لقد منع الإمام الخمرَ فينـا وصيرَ حدَّهـا حـد اليماني
فما جسرتْ ملوكُ الجنّ خوفاً لأجل الخمر تدخلُ في القناني

وقال أيضاً :

كم قيل لي إذ دُعيتُ شمساً لا بد للشمسِ من طـلوعِ
فكان ذاك الطلوع داءً سما [1] إلى السطح من ضلوعي

وقال أيضاً :

فَسَّرَ لي عابرٌ مناماً أحسن في قوله وأجملْ
وقال لا بـدَّ من طلوعٍ فكان ذاك الطلوعُ دُمَّلْ

وقال أيضاً :

يا رَشاً لحظُهُ الصحيحُ العليلُ كلٌّ صبٍ بسيفه مقتـولُ
لك ردفٌ غادرته رهنَ خصرٍ وهو رهنٌ كما علمتَ ثقيـل

وقال أيضاً :

يا لائمي في العذار مهلاً فأنت بالعذل لي مهيجْ
الحسنُ قد زادني غراماً إذ رقم الورد بالبنفسج
وكلٌّ ديباج خدّ ظبيٍ إن لم يكن معلماً فدحرج

وقال أيضاً :

يقولون سيفُ الدين من أجل علقه جفاك فلا تأمنْ غوائلَ حقدهِ
فقلت ألا يا قومُ ما أنا جاهلٌ فأدخلُ بين السيف عمداً وغمده

---

١ الزركشي : يرقى .

وقال وقد أبطلت المنكرات في أيام حسام الدين لاجين :

احذر نديمي أن تذوق المسكرا   أو أن تحاول قطّ أمراً منكرا
لا تشربِ الصهباءَ صرفاً قرقفاً   وتزور من تهواه إلا في الكرى
أنا ناصحٌ لك إن قبلت نصيحتي   اشربْ إذا ما رمتَ سكراً سكّرا
والرأيُ عندي تركُ عقلك سالماً   من أن تراه بالمدام تغيرا
ذي دولة المنصور لاجين الذي   قهر الملوكَ وكان سلطان الورى
إيــاك تأكلُ أخضراً في عصره   يا ذا الفقير يصير جسمك[1] أحمرا
والمزرُ يا مسعودُ دَعْهُ جانبــاً   واشربْ من اللبن المخيض مبكرا
وبني حرام احفظوا أيديكمُ   فالوقتُ سيفٌ والمراقب قد درى
توبوا وصلّوا داعيين لملــكه   فبهِ تنالون النعيمَ الأكبرا

وقال أيضاً وقد دعي إلى عُرْس :

دعوتني للعرس يا سيدي   فكدتُ أن أحضرَ من أمسِ
وها أنــا الليــلةَ في داركم   فالكلبُ ما يهرب من عُرس

وقال في البرهان الفاحشة وقد صفع وهو أرمد :

صُفعَ البرهانُ وما رُجما   فبكى من بعد الدمع دما
قد كان شكا رمداً صعباً   فازداد بذاك الصفع عمى
ورمى النوروزُ أخادعَهُ   حتّى باتت تشكو ورما
أدماه القومُ بآخــــرةٍ   كانت حوراً لا بل أدَما
نزلوا سحراً في ساحله   فرأى الإصباحَ بهم ظلما
من كلِّ فتًى بالنطع بدا   مثلَ القصار إذا احتزما
فسقاه بهــا صرفاً سبعاً   وسقاه بهــا سبعين بمــا

---

١ الزركشي : جنبك .

وقال أيضاً :

في وصف حسنكمُ تكلّ الألسنُ ... وجمالكم فهو الجمال الأحسنُ
يا سادةً غابوا فمات تصبري ... وبكيتهم حتى بكاني المسكن
لي فيكمُ ظبيٌ ذكرتُ لحسنه ... عينَ الجنان أجمٌّ أحْوَرُ أعيْن
قاسي الفؤاد عليَّ لكن عِطفه ... مثلي على غمزِ الصبابة لين
بادٍ ولكن في الضمير محجبٌ ... سهلٌ ولكن بالرماح محصَّن
حلفوا بأن الوردَ زهرة خده ... صدق الوشاةُ وعارضاه سوسن
متلونُ الميثاقِ لكنْ وجهُه ... بسوى الحياء الطَّلْقِ لا يتلون
في خط عارضه ونقطةِ خاله ... شكلٌ يصادرُ في الهوى ويبرهن

وقال أيضاً في شرح حاله وشكوى زوجته :

قل لقاضي الفسوقِ والإدبار ... عَضُدِ البُلْهِ عمدةِ الفجارِ
والذي قد غدا سفينةَ جهلٍ ... وله من قرونه كالصواري
بك أشكو من زوجةٍ صيرتني ... غائباً بين سائر الحضّار
غيبتني عني بما أطعمتني ... فأنا الدهرَ مُفْكِرٌ في انتظار
غبتُ حتى لو أنهم صفعوني ... قلت كفوا بالله عن صفع جاري
فنهاري من البلادةِ ليلٌ ... في التساوي والليلُ مثل النهار
دارَ رأسي عن باب داري فبالله ... اخبروني يا سادتي أين داري
ملكتني عيارة وعياراً ... حين زادت بالدرديس عياري
أين مخ الجمال من طبع مخي ... في التساوي وأين مخ الحمار
غفر الله لي بما رحتُ للبحـ ... ـر من البرد أصطلي بالنار
وتجردتُ للسباحة في الآ ... ل لظني به الزلالَ الجاري
ولكم قد عصبتُ رجلي برؤيا ... أوطأتني حلماً على مسمار
ولكم رمتُ قلعَ ضرسٍ ضروب ... بعد ما ضرَّ غايةَ الإضرار

فإذا بي قلعتُ بعـــد عنائي واجتهادي القويَّ من أوزاري
ورحّى حزتها لطحنٍ فمـا زلـ ـتُ ضلالاً أدور حـول المـدار
وأنادي وقد سئمتُ من الركـ ـض إلى أين منتهى مضمـاري
أنا أختـارُ لـو قعدتُ من الجهـ ـد ولكن أمشي بغير اختيـار
أنا أنسى أني نسيتُ فـلا يخـ ـشى سميري إذاعـة الأسرار
أنا سطلُ الشرائحيِّ بمـا أُو دِعْتُ من عجَّةٍ ومن أبزار
ولكم قد رأيتُ في المـاءِ شيخاً وهو جاثٍ في الجبِّ كالعيّـار
شيخ سوء كالثلج ذقنـا ولـكنْ وجهـه في سواده كالقار
أشبه الناس بي وقـد يشبه التيـ ـسُ أخاه في حومة الجزار
فاعتراني رعبٌ وناديتُ مـا كنـ ـت إخالُ اللصوصَ في الأزيار
أين ترسي وأين درعي الحقيني أمَّ عمروٍ بصارمي البتار
إن أمُتْ كنتُ في الغزاة شهيداً أو أعشْ كنتُ شاطرَ الشطـار
ثم أثخنتُ ذلك الزيرَ ضربـاً بحسامي حتى هوى لانكسار
وجرى الماء فاختشيتُ وإلا كدتُ أقفو الآثارَ في التيـار
أنا كالبانِ في قوامي وإن أفـ ـردتني كنتُ في التهارش ضاري
أنا مثلُ الحروفِ قرناً وإن أسـ ـقط فإني أعـدٌّ في الأقـذار
أنا لو رمتُ للعلاج طبيبـاً مـا تعدّيتُ دكةَ البيطار
بعد ما كنتُ من ذكائيَ أدري أن بابي من صنعة النجار
أحزر البيضَ قبـل مـا يكسروه أن فيـه البياضَ فوق الصفـار
وبعيني نظرتُ كوز نحـاسٍ كان عندي أقوى من الفخـار
وكثيرٌ مني على شيب رأسي حفظ هذي الأشياء مثـل الكبار

وقال موشحاً يعارض به أحمد الموصلي :

غصنٌ من البان مثمر قمرا يكادُ من لينه إذا خطرا يُعْقَد

بديع حسن سبحان خالقه
مسك ذكيّ الشذا لناشقه
أبيضُ ثغرٍ يبدي لعاشقه
نمـلَ عذارٍ يحير الشعرا وفوق شعر يستوقف النهرا أسود[1]

يا بأبي شادن فتنت بـه
يهواه قلبي على تقلبه
مذ زاد في التيه من تجنبه
أحرمني النوم عنـد ما نفرا حتّى لطيف الخيال حين سرى قيّد

جوى أذاب الحشا فحرقني
ونيـلُ دمعي جرى فغرّقني
لكنه بالدموع خلّقني
فرحتُ أمشي في الدمع منحدرا ذاك لأني غدوت منكسرا مفرد

وأما موشح أحمد الموصلي فإنه قوله[2] :

بي رشأ عندما رنا وسرى باللحظ للعاشقين إذ أسرا قيد
بمـا بأجفانه من الوطَف
وما بأعطافه من الهيف
ومـا بأردافه من الترف
ذا الأسمرُ اللدْن ردّني سمـرا وفي فؤادي من قدّه سمرا أملد

السحر من لحظه ومقلتـه
والرشد من فرقه وغرّته
والغيّ من صدغه وطرته

---

١ هذا القفل والغصن الذي جاء قبله هما آخر الموشحة في الوافي .
٢ هذه الموشحة أيضاً تخالف في ترتيبها الصورة التي وردت لها عند الصفدي .

بدرٌ لصبح الجبين قد سترا بليل شعرٍ فانظر له سترى أسود

إن قلتَ بـدر فالبدر ينخسفُ
أو قلت شمس فالشمس تنكسف
أو قلت غصن فالغصن ينقصف

وسنان جفن سمـا عن النُّظرا وكل طرف إليه قد نظرا سهد

يزهو بثغر كالـدرِّ والشهب
والطلع والأقحوان والحبب
رصع شبه اللجين في الذهب

حوى الثريا من ثغره أثراً له الذي أدمعي به نثرا نضد

حاجبـه مشرفٌ على شغفي
عارضه شاهدٌ على أسفي
ناظـره عاملٌ على تلفي

به غرامي قـد شاع واشتهرا وسيفه في الحشا إذا شهرا يغمد

عذاره النمل في الفؤاد سعى
والنحلُ من ثغره الأقاحَ رعى
ويوسفٌ أيديَ النسا قطعـا

بالنورِ من وجهه سبا الشعرا وردّني بالجفا ومـا شعرا مكمد

٤٤٤

أبو علي ابن الشبل

محمد بن الحسين بن عبد الله ابن الشبل ، أبو علي الشاعر الحكيم البغدادي ؛ توفي في المحرم سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ، ودفن بباب حرب ؛ كان شاعراً مجيداً وله ديوان ، وكان ظريفاً نديماً مطبوعاً ، ومن شعره :

لا تظهرن لعـــاذل أو عـــاذر   حاليك في السراء والضراء
فلرحمـــةِ المتوجِّعِينَ حرارةٌ   في القلبِ مثلُ شماتة الأعــداء

وقال أيضاً :

يفني [١] البخيل بجمع المـــال مدته   وللحـــوادثِ والأيامِ [٢] ما يدَعُ
كدودةِ القز ما تَبْنيهِ يهدمها   وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

وقال أيضاً يرثي أخاه بقصيدة أولها :

غايةُ الحزنِ والسرورِ انقضاءُ   ما لحيٍّ من بعــد مَيْتٍ بقاءُ
لا لبيـــد بأربدٍ مـــات حـــزناً   وسَلَتْ عن شقيقها الخنساء
مثل ما في الترابِ يبلى الفتى فالـ   ـحزنُ يبلى من بعـــده والبكاء
غير أنّ الأمواتَ مـــروا وأبقوا   غصصاً لا تسيغها الأحياء

٤٤٤ – الوافي ٣ : ١١ والزركشي : ٢٧٥ والمنتظم ٨ : ٣٢٨ وابن أبي أصيبعة ١ : ٢٤٧ (الحسين بن عبد الله) وكذلك معجم الأدباء ١٠ : ٢٣؛ وانظر تكملة المنذري ١ : ٧١ والمحمدون : ٢٧٠ والبدر السافر : ٩١ وابن خلكان ٤ : ٣٩٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ١١١ ودمية القصر ١ : ٣٥٢ والبداية والنهاية ١٢ : ١٢١ واسم والده « الحسين » في معظم المصادر ، وكان في المطبوعة : « الحسن » فغيرته .

١ المطبوعة : يعنى .

٢ المحمدون : والوراث .

إنما نحن بين ظفرٍ ونابٍ من خطوب أسودهنَّ ضراء
نتمنى وفي المنى قصرُ العمـ ـرِ فنغدو كما نسرُّ نساء
صحة المرء للسقام طريقٌ وطريقُ الفناءِ هذا البقاء
بالذي نغتذي نموتُ ونحيا أقتَلُ الداءِ للنفوس الدواء
ما لقينا من غدرِ دنياً فلا كا نت ولا كان أخذها والعطاء
صلفٌ تحت راعدٍ وسرابٌ كَرَعَتْ فيه مومسٌ خرقاء
راجعٌ جودها عليها فمهما تهَبُ الصبحَ يستردُّ المساء
ليت شعري حلماً تمرُّ بنا الأيام أم ليس تعقلُ الأشياء
من فسادٍ يكون في عالم الكو ن فما للنفوسِ منه اتقاء
وقليلاً ما يصحب المهجةَ الجسـ مُ ففيمَ الشقا وفيم العناء
قبَّحَ الله لذةً لشقانا نالها الأمهاتُ والآباء
نحن لولا الوجود لم نألمِ الفقـ دَ فإيجادنا علينا بلاء

ومن شعره :

بربك أيها الفلكُ المدارُ أقصدٌ ذا المسير أم اضطرارُ
مدارك قلْ لنا في أيِّ شيءٍ ففي أفهامنا عنك انبهار
فطوقٌ في المجرة أم لآلٍ هلالك أم يدٌ فيها سوار
وفيك الشمسُ رافعةٌ شعاعاً بأجنحةٍ قوادمُها قصار
ودنيا كلما وضعتْ جنينا عراهُ من نوائبها طوار
هي العَشْواءُ ما خبطت هشيمٌ هي العجماءُ ما جرحت جُبَارُ
فكم من بعده عفر وعقر يضير وما تلا ليلاً نهار
لقد بلغ العدوّ بنا مُناه وحلَّ بآدم وبنا الصَّغَارُ
وتهنا ضائعين كقوم موسى ولا عجلٌ أضلَّ ولا خُوَار
فيا لكِ أكلةً ما زال فيها علينا نقمةٌ وعليه عار

نعاقب في الظهور وما ولدنا   ويذبح في حشا الأم الحُوّار
ونخرجُ كارهين كما دخلنا   خروجَ الضبِّ أخرجه الوجار
وكانت أنعماً لو أن كوناً   نُشاور قبله أو نستشار
وما أرض عصته ولا سماء   ففيم يغول أنجمها انكدار

ومثل هذه للبحتري [1] :

أناةً أيها الفلك المدار   أنهب ما تطرف أم جُبَارُ
ستفنى مثل ما تُفني وتبلى   كما تُبلي فيدرك منك ثار
وما أهلُ المنازل غيرُ ركبٍ   مطاياهم رواح وابتكار
لنا في الدهر آمال طوالٌ   نُرَجّــيها وأعمار قصار
وأهونْ بالخطوبِ على خليع   إلى اللذاتِ ليس له عذار
فآخر يومه سكرٌ تجلّى   غَوايتُــــهُ وأوله خمار

ومن شعر أبي علي ابن الشبل :

وكأنما الإنسان فيه غيره   متكوناً [2] والحسنُ فيه مُعارُ
متصرفٌ وله القضاء مصرّفٌ   ومكلّفٌ وكأنه مختار
طوراً تصوّبه [3] الحظوظ وتارة   حظ تحيلُ صوابه الأقدار
تعمى بصيرتُهُ وتبصرُ بعدما   لا يستردُّ الفائتَ استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صدره   ويُردّ فيه وقد جرى المقدار
فيظلّ يضربُ بالملامةِ نفسه   ندماً إذا لعبت به الأفكار
لا يعرف التفريط في إيرادهِ   حتى يبيّنه له الإصدار

وقال أيضاً :

---

١ ديوان البحتري : ٩٥٩ .
٢ المطبوعة : متلوناً .
٣ المطبوعة : به تصبو ، واثبت ما في الوافي .

إن تكنْ تجزع من دمـ عي إذا فاض فَصُنْهُ
أو تكن أبصرتَ يومـاً سيداً يعفو فكنـه
أنا لا أصبرُ عمن لا يحلُّ الصبر عنـه
كل ذنبٍ في الهوى يُغْـ فَرُ لي ما لم أخنـه

وقال أيضاً :

قالوا القناعةُ عزّ والكفافُ غنًى والذلُّ والعارحرصُ النفسِ والطمعُ
صدقتمُ مَنْ رضاه سَدُّ جوعتِهِ إن لم يصبه بماذا عنـه يقتنع

وله :

قالوا وقد مات محبوبٌ فجعتُ به وبالصِّبا وأرادوا عنه سلواني
سواهُ في الحسن موجودٌ فقلت لهم من أين لي للهوى الثاني صِباً ثاني

وقال أيضاً :

بنا إلى الدير من دُرْنا صَبَابَاتُ فلا تلمني فلا تُجْدِي الملاماتُ
لا تبعدنَّ وإن طال الزمان بها أيامُ لهوٍ عهدناها وليلات
فكم قضيتُ لباناتِ الشباب بها غنماً وكم بقيتْ عندي لبانات
ما أمكنت دولة الأفراح مقبلـةً فانعمْ ولَذَّ فإن العيش تارات
قبل ارتجاع الليالي وهي عاريةٌ وإنما لذةُ الدنيا إعارات
قم فاجلُ في فلك الظلماءِ شمس ضحًى بروجُها الدهرَ كاساتٌ وطاسات
لعله إن دعَا داعي الحمامِ بنـا نقضي وأنفسنا منها رَوِيّاتُ
بِمَ التعللُ لولا ذاك من زمنٍ أحياؤه باعتياد الهمِّ أموات
دارت تحـيي فقابلنا تحيتهـا وفي حشاها لقرْعِ المزج روعات
عذراء أخفى مزاجُ الماء صورتَها لم يبقَ من روحها إلا حُشَاشات
مدت سرادقَ برقٍ من أبارقها على مقابلها منها ملاءات
فلاحَ في أذرع الساقين أسورةٌ تبراً وفوق نحور الشَّرْبِ جامات

قد وَقّعَ الدهر سطراً في صحيفته   لا فارقتْ شاربَ الخمر المسرات
خذ ما تعجلَ واترك ما وعدت به   فِعْلَ اللبيب فللتأخير آفات
وللسعادة أوقـاتٌ ميسرة   تعطي السرورَ وللأحزان أوقات

٤٤٥

ابن فورجة

محمد بن حمد بن فورَجّة — بالفاء المضمومة وبعد الواو والراء[١] جيم مشددة — البروجردي ؛ قال الثعالبي في « التتمة » من شعره :

كأن الأيكَ توسعنا نثاراً   من الورق المكسّرِ والصحاحِ
تميدُ كأنما عُلّتْ براحٍ   وما شربت سوى الماء القَرَاح
كأن غصونها شَرْبٌ نَشَاوى   تصفق كلها راح براح

وقال في الفستق المملوح :

أعجبْ إليّ بفستقٍ أعددتـه   عوناً على العاديّةِ الخرطومِ
مثل الزبرجد في حرير أخضر   في حُقّ عاج في غلافِ[٢] أديم

وقال أيضاً :

فلو ترى نُقْلي وما أبدعتْ   فيه بماء الملح أيدي[٣] الصّنّعْ

٤٤٥ — الوافي ٣ : ٢٤ والزركشي : ٢٧٥ وتتمة اليتيمة ١ : ١٢٣ ومعجم الأدباء ١٨ : ١٨٨ وبغية الوعاة : ٣٩ والبلغة : ٧٤ (وسماه : حمد بن محمد) وانباه الرواة ١ : ٣٣٤ .

١ المطبوعة : والزاي؛ وهو وهم، وكل المصادر ، تورده بالراء المهملة ؛ والضبط الذي أثبته ورد في الوافي والزركشي .

٢ التتمة : غشاء .

٣ التتمة : كف .

قلت حمامــاتٌ على منهلٍ شحت مناقير تسيغ الجرع

وأكمل منه قول المشتهي أبي الفضل جعفر بن المحسن الدمشقي حيث يقول :

انظر إلى الفستقِ المملوح حين بدا مشققــاً في لطيفات الطيافير [1]
والقلبُ ما بين قشريه يلوحُ لنـا كألسنِ الطير ما بين المناقير

وقال ابن فورجة :

أما ترون إلى الأصداغ كيف جرى لها نسيمٌ فوافت خدَّه قدرا
كأنما مدّ زنجيٌّ أنــامـلــه يريدُ قبضاً على جمر فما قدرا

قال ياقوت : مولد[2] ابن فورجة بنهاوند في ذي الحجة سنة ثمانين وثلثمائة. وله « التجني على ابن جني » و « الفتح على أبي الفتح » والكتابان يردّ فيهما على أبي الفتح ابن جني في شعر المتنبي ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

٤٤٦

أبو طاهر البغدادي

محمد بن حيدر ، أبو طاهر [البغدادي][3] الشاعر المشهور ؛ توفي سنة سبع عشرة وخمسمائة ومن شعره :

---

١ المطبوعة : الطوافير .

٢ هكذا هو في الوافي ؛ وفي المطبوعة : وفاة ؛ وهو خطأ لامحالة ؛ وذكر بهامش الزركشي أنه توفي بالري سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، نقلا عن انباه الرواة للقفطي .

٤٤٦ – الوافي ٣ : ٣٢ والزركشي : ٢٧٥ والمحمدون : ١٩٥ (وفيه نقل عن الخريدة) والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٧٢ .

٣ زيادة من الزركشي .

مَرْحباً بالتي بها قُتل الهمُّ وعاشتْ مكارمُ الأخلاقِ
هي في رقة الصبابةِ والشو قِ وفي قسوة النوى والفراق
لستُ أدري أمن خدود الغواني سفكوها أم أدمع العشاق

وقال أيضاً :

خطرتْ فكاد الوُرْقُ يسجع فوقها إنّ الحمامَ لمغرمٌ بالبـانِ
من معشر نشروا على هام الربى للطـارقين ذوائبَ النـيران

أورد له محب الدين ابن النجار في تاريخه قصيدة ، وهي :

من كلَّ ذات رَوَادفٍ كالرمل رَجْرَجَةً ولينَا
مَنْطَقْنَ بالتحفِ[1] الخصو رَ وصنَّ بالترفِ البطونـا
وأقمن من تلك العيـو نِ على خواطرنـا عيونا

[منها][2] :

يا من يلوم على البكا كلفا يزيد بـه جنونـا
الآن قد كان الذي قد كنت أحذر أن يكونا[3]
وتفـرق الشمـل الذي قد كنت أعهده مصونـا
مِنّي تعلمتِ الحمـا مُ النوحَ والإبلُ الحنينا
والسحبُ من عيني تعلم كيف يحتلبُ الشؤونـا

ومنها :

ورأيت منك قبيح ما ظن الوشاة بنـا يقينـا

---

١ الوافي : بالنحف .
٢ زيادة من الوافي .
٣ ورد هذا البيت في الوافي بعد لفظة « منها » التالية ، برواية مختلفة .

حتى كأنك كنت بالـ هجرانِ للواشي ضمينا
طوّلت أنفاسي فلم قصرت عن وسْني الجفونا

٤٤٧
السابق المعري

محمد بن الخضر بن الحسن بن القاسم ، أبو اليمن بن أبي المهزول التنوخي المعروف بالسابق ، من أهل المعرة ؛ قال ابن النجار : كان شاعراً مجيداً مليح القول ، حسن المعاني رشيق الألفاظ ، دخل بغداد ، وجالس ابن ناقيا [١] والأبيوردي والخطيب التبريزي وأنشدهم شعره ، ودخل الري وأصفهان ولقي ابن الهبّارية الشاعر ، وعمل رسالة لقبها « تحية [٢] الندمان » أتى فيها بكلّ معنى غريب تشتمل على عشر كراريس ، وأورد له في مليح قد حلق شعره :

وجهك المستنيرُ قد كان بدراً فهو شمس لنفي [٣] صدغلك عنه
ثبتت آيةُ النهار عليه إذ مَحَا القوم آيةَ الليل منه

وأحسن منه قول ابن بلول [٤] الكاتب :

٤٤٧ — الوافي ٣ : ٣٩ والزركشي : ٢٧٦ والخريدة (قسم الشام) ٢ : ١٢٥ (وذكر المحقق أن له ترجمة في ابن عساكر) وابن خلكان ٥ : ١٣٢ والمحمدون : ٣١٠ والشذرات ٤ : ١١٧ .

١ المطبوعة والوافي : باقيا ، وذلك خطأ ، فقد ترجم ابن خلكان لأبي القاسم عبد الله وقيل عبد الباقي ابن محمد بن ناقيا — وضبط الاسم بالنون المفتوحة (انظر ٣ : ٩٨—٩٩ ومصادر ترجمته في الحاشية).

٢ المطبوعة : تحفة .

٣ المطبوعة : لفيء ، واثبت ما في الزركشي والوافي .

٤ الوافي : قول بلول .

حلقوك تقبيحاً لحسنك رغبةً فازداد وجهك بهجةً وضياءَ
كالخمرِ فُكَّ ختامها فتشعشعت كالشمعِ قُطَّ ذُبَاله فأضاء

ومن شعر السابق المعري :

وأغيَدَ واجه المرآة زَهْواً فَحَرَّقَ بالصبابة كلَّ نفسِ
وليس من العجائب أن تأتّى حريقٌ بين مرآةٍ وشمس

وقال أيضاً :

ولقد عصيت عواذلي وأطعته رشأ يقتّلُ عاشقيه ولا يَدِي
إن تلق شوكَ[1] اللوم فيه مسامعي فبما جَنَتْ من ورد وجنته النَّدي

وقال أيضاً :

وراحٍ أزاحتْ ظلامَ الدجى فأبدى الفراش إليها فطارا
رآها[2] توقّدُ في كأسها فيَمَّمَهَا يحسب النور نارا
وما زلتُ أشربها قهوةً تميتُ الظلامَ وتحيي النهارا

وقال أيضاً :

حلمت عن السفيه فزاد بغياً وعاد فكَفَّهُ سَفَهي عليه
وفعلُ الخير من شِيَمي ولكنْ أتيتُ الشرَّ مدفوعا إليه

قال محب الدين ابن النجار : قال لنا أبو عبد الله [ابن][3] الملحي : كنت عند السابق قبل موته فقال لي : قد وصف صديقنا أبو نصر ابن الحكيم[4]

---

١ المطبوعة : شر ؛ والتصويب عن الوافي .
٢ المطبوعة : يراها .
٣ زيادة من الوافي .
٤ الوافي : حليم .

سماقية ، فتقدم إلى مَنْ يطبخها وأنْفِذْهَا إليّ ، فقلت : نعم ، وانصرفت، فتقدمت إلى تعجيل ما اقترحه ، وعدت إلى منزلي عاجلاً ، فوردت عليّ رقعة من السابق بخطه المليح الفائق : يا سيدي ، كانت السماقية ممسَّكة ، فصارت مُمْسَكة ، وأظن سماقها ما نَبَتَ ، والسكين عن ذبح شاتها نَبَتْ .

فلا شفى الله من يرجو الشفاءَ بها ولا عَلَتْ كفُّ مُلقِي كفّه فيها [1]

فكتبت في ظهر الرقعة وأنفذتها قرين السماقية :

بل كُلْ ولا حرجٌ منه عليكَ وَدعْ عنك التمثلَ بالأشعار تَهديهــا
ولا تَعَنَّ لتشقيق الــكلام ولا قصد المعــاني تنقّاها وتبنيهــا

وكانت وفاته بعد الخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٤٤٨
السنبسي الشاعر

محمد بن خليفة بن حسين ، أبو عبد الله النميري العراقي الشاعر المعروف بالسنبسي ؛ أصله من هيت ، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد ،

---

١ هذا البيت للبحتري كتبه إلى من وعده بمزورة (اي حساء للمريض) ومطله ولم يرسلها اليه ؛ انظر ديوان البحتري : ٢٤٢٦ وابن خلكان ٦ : ٢٨ .

٤٤٨ – الوافي ٣ : ٤٨ والزركشي : ٢٧٦ ومختصر ابن الدبيثي ١ : ٤٥ والبدر السافر : ٩٢ والمحمدون : ٣٠٣ والخريدة (قسم العراق) : ٤/١ : ٢٠٩ ، وفي المطبوعة : السنبستي ، وهو خطأ . وذكر صاحب البدر السافر انه ليس من سنبس ، وانما أم جده الحسين منها ونزل عندهم فلما عاد الى منزله قيل له السنبسي .

وكان شاعره وشاعر ولده دبيس ، روى عنه السِّلَفي ؛ توفي سنة خمس عشرة وخمسمائة .

أورد له ابن النجار في تاريخه قوله :

قم فاسقنيها على صوت النواعيرِ حمراءَ تُشرق في ظلماء ديجورِ
كانت سراجَ أناسٍ يهتدون بها في أول الدهر قبلَ النار والنور
فأصْبَحَتْ بعد ما أفنى ذُبَالتها مرُّ السنين وتكرارُ الأعاصير
تهتز في الكأسِ من ضعفٍ ومن كبرٍ كأنها قبسٌ في كفِّ مقرور
ونرجس خَضِلٍ تحكى نواظره أحداقَ تبر على أجفانِ كافور
عليه نيلوفر تحكي كمائمه زرق الأسنة في لون وتقدير

وقال أيضاً :

نفضّ ختاماً عن حديثٍ كأنه وإن مُلّ من أسماعنا لم يردَّدِ
فإما لأمرٍ عاجلٍ يستجدّه وإما لأمرٍ [1] فات أو ذكرِ موعد

وقال أيضاً :

وخمارة من بنات المَجُوسِ لا تَطْعَمُ النوم إلا غرارَا
طَرَقْتُ على عَجَلٍ والنجومُ في الجوّ معترضاتٌ حيارى
وقد بردَ الليلُ فاستخرجتْ لنا في الظلام من الدنّ نارا

وقال أيضاً :

فوالله ما أنسى عشيةَ وَدَّعُوا [2] ونحن عجالى بين غاد وراجعِ
وقد سلمتْ بالطرف منها فلم يكنْ من النطقِ إلا رجعنا بالأصابع
ورحنا وقد رَوَّى السلام قلوبنا ولم يجرِ منا في خروق المسامع

---

١ الوافي : لهجر .

٢ الخريدة : ومن ينس لا أنسى عشية بيننا .

ولم يعلم الواشون ما دار[1] بيننا   من السرِّ لولا ضجرة في المدامع

أنشدت هذه الأبيات في مجلس سيف الدولة صدقة فطرب طرباً شديداً ، وما ارتضاها مقدار [بن] المطاميري ، فقال له سيف الدولة : ويلك يا مقيدير ، ما تقول ؟ قال : أقول أنا خيراً منه ، قال : إن خرجتَ من عهدة دعواك وإلا ضربت عنقك ، فقال وهو سكران ملتخٌّ [2] :

ولما تناجَوْا للفراقِ غُدَيّةٍ   رَمَوْا كلَّ قلبٍ مطمئن برائعِ
وقمنا فمبْدٍ حنةً إثر أنةٍ   نقوِّمُ بالأنفاس عوجَ الأضالع
مواقف تدمي كل عبراء ثرةٍ   خروق الكرى إنسانها غير هاجع
أمنّا بها الواشين أن يلهجوا بنا   فلم نتهمْ إلا وشاةَ المدامع

فطرب سيف الدولة وأمره بالجلوس عنده .

٤٤٩
الشيخ محمد الأكال

محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر ، المعروف بالأكال ، من جبل بني هلال ، ومولده بقصر حجاج خارج دمشق سنة ستمائة ، وتوفي سنة ثمان وخمسين وستمائة في شهر رمضان .

كان رجلاً صالحاً كثير الإيثار ، وحكاياته في أخذ الأجرة على ما يأكله

---

١ الخريدة : ما كان .
٢ المطبوعة : يتلجلج ؛ الوافي : ملتج ؛ وكل ذلك خطأ ، وهو من قولهم « سكران ملتخ » أي طافح سكراً .
٤٤٩ – الوافي ٣ : ٤٩ والشذرات ٥ : ٤٠٣ .

وما يتمبله من برّ الأمراء والكبراء مشهورة ، ولم يسبقه إلى ذلك أحد ولا اقتفى أثره غيره ، وجميع ما يتحصل له يصرفه في وجوه البر ويتفقد به المحابيس والمحاويج والأرامل . وكان بعض الناس ينكر على من يعامله بهذه المعاملة ، فإذا اتفق ذلك معه انفعل له ودفع ما يرضاه على الأكل . وكلما تناهى الإنسان له في المطعم زاد هو في الاشتراط عليه ، وكان مع ذلك حلو الشكل والحديث مليح العبارة ، له قبول تام بين سائر الناس . وعاش تسعاً وخمسين سنة ، رحمه الله تعالى .

٤٥٠
ابن الحمسي

محمد بن الحمسي الإسكندري ؛ توفي في حدود الخمسمائة . ومن شعره رحمه الله في إنسان ينعت بعين الملك :

ألا إن ملكاً أنت تُدْعى بعينـــه　　جديرٌ بأن يمسي ويصبح أعورا
فإن كنتَ عينَ الملك حقاً كما ادعَوْا　　فان[1] له العين التي دمعها جرى

ومن شعره أيضاً :

قال ليَ العاذلُ في حبه　　وقـــوله زورٌ وبهتـــانُ
ما وَجْهُ من أحببته قِبلَـــةٌ　　قلت ولا قولك قرآن

٤٥٠ — الوافي ٣ : ٥٠ والزركشي : ٢٧٦ ، وفي المطبوعة « الحمشي » .
١ الوافي : فأنت .

٤٥١

ابن الجراح الكاتب

محمد بن داود بن الجراح الكاتب ؛ كان كاتباً عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ودول الملوك ، له في ذلك مصنفات ، كان مع ابن المعتز فلما انحل أمر ابن المعتز وقتل اختفى ابن داود .

قال أبو عمر محمد بن يوسف القاضي : لما جرت واقعة ابن المعتز حبست أنا وأبو المثنى ومحمد بن داود بن الجراح ، فكنا في دار في ثلاثة بيوت متلاصقات ، وبيتي في الوسط ، وإذا جننا الليل تحدثنا من وراء الجدار ، وأوصى بعضنا إلى بعض ، فلما كان في بعض الليالي دخل أناس بشموع إلى بيت محمد بن داود وأخرجوه وأضجعوه للذبح فقال : يا قوم ذبحاً كالشاة ، أين المُصَادرات ؟ أين أنتم من الأموال ؟ أنا أفدي نفسي بكذا وكذا ، فلم يسمعوا منه وذبحوه وأخذوا رأسه وألقوه[1] في البئر ، ثم أخرجوا أبا المثنى بعد ما ذهبوا وعادوا وقالوا : ياعدو الله ، يقول لك أمير المؤمنين بم استحللت نكثَ بيعتي ؟ فقال : لعلمي أنه لا يصلح ، فذبحوه وأخذوا رأسه وألقوا جثته في البئر ، ومضوا وعادوا وأخرجوني وقالوا : يقول لك أمير المؤمنين : يا فاعل ، ما الذي حملك على نكث بيعتي ؟ قلت : الشقاوة ، وقد أخطأت وأنا تائب إلى الله تعالى ، فحملوني إلى دار الخلافة وابنُ الفرات جالسٌ ؛ فوبخني فتنصلت واعتذرت ، فقالوا : وهب لك أمير المؤمنين ذنبك ، واشتريت

---

٤٥١ — الوافي ٣ : ٦١ والزركشي : ٢٧٦ وتاريخ بغداد ٥ : ٢٥٥ والمصادر التاريخية (حوادث ٢٩٦) والفهرست : ١٢٨ وصفحات متفرقة من تحفة الأمراء للصابي ، وانظر مقدمة كتاب الورقة : ١٤ — ١٦ .

١ الوافي : وألقوا جثته .

دملك وجرمك[1] بمائة ألف دينار ، فقلت : والله ما رأيت بعضها مجتمعاً قط ، فغمزني الوزير ، فأديت البعض وسومحت بالباقي .

وكانت وفاة ابن الجراح سنة ست وتسعين ومائتين . ومن شعر ابن الجراح :

قد ذهب النـــاسُ فلا ناسُ وصار بعد الطمعِ اليـــاسُ
وساس أمرَ القـــوم أدناهـــم وصار تحت الذنبِ الراس

وقال أيضاً :

أُعينُ أخي أو صاحبي في مصابه أقومُ له يومَ الحـفاظ وأقعدُ
ومن يفردِ الأقوامَ فيما ينوبهُمْ تُبته[2] الليـالي مرةً وهو مفـرد

ومن تصانيفه كتاب « الورقة » سماه بذلك لأنه في أخبار الشعراء ولا يزيد في خبر الشاعر الواحد على ورقة ، ولهذا سمى الصولي كتابه في أخبار الوزراء بـ « الأوراق » لأنه أطال في أخبار كل واحد بأوراق ؛ وله « الشعر والشعراء » لطيف . كتاب « من سمى عمراً من الشعراء في الجاهلية والإسلام ». كتاب « الوزراء » .

٤٥٢
الشريف الناسخ

محمد بن رضوان ، السيد الشريف العلوي الحسيني الدمشقي الناسخ ؛ توفي في ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وستمائة ، عن تسع وستين سنة .

١ الوافي : وحرملك .
٢ الوافي : تنبه .
٤٥٢ – الوافي ٣ : ٧٠ والزركشي : ٢٧٧ .

كان يكتب خطاً متوسط الحسن والمنسوب [1]، وله يد في النظم والنثر والأخبار وعنده مشاركة في العلوم ، وكتب الكثير وجمع ، وكان مغرى بتصانيف ابن الأثير الجزري ، متل « المثل السائر » و « الوشي المرقوم » فكتب [2] منها كثيراً .

ومن شعره ما ذكر الشيخ قطب الدين اليونيني أنه سمعه منه :

يا من يعيبُ تلوّني ما في التلوّنِ ما يعابُ
إنّ السماءَ إذا تلوّ ن وجهها يرجَى السحاب

وقال أيضاً :

كرّرْ على الظبي حديثَ الهوى علّ سماهُ بعد صَحْوٍ تغيمْ
ولا تخفْ أنَّ لـــه نفـــرةً فطالما أونس ظبيُ الصريم
ولا تقل إن له صحبةً مع غيرنا دهراً وعهداً قديم [3]
فالماء ربّى الغصنَ في حجرهِ ومال عنه برسولِ النسيم

وقال أيضاً :

عقد الربيعُ على الشتاء مآتمـــاً لما تقوَّضَ للرحيل خيامُهُ
لطم الشقيقُ خدودَهُ فتضرّجتْ حزناً وناح على القضيب حمامه
والدهرُ منفتحُ العيونِ إلى خيو ط المزنِ حيث تفتّقَتْ أكمامه

وقال من أبيات :

تجلّى لنا ليلاً فلم ندر وجهـــه أم القمر الوضاحُ واتضح [4] الشكُّ
صعقتُ له لمـــا استنار جمالُـــه فطُورُ فؤادي مذ تجلّى له دكُّ

---

١ الوافي : في المنسوب . ٢ الوافي : يكتب .
٣ المطبوعة : مقيم ، وأثبت ما في الوافي والزركشي .
٤ الوافي : واعترض .

طما بحر أجفاني فيا نوح غفلتي انـ تبه فلهذا البحر تُصْطنعُ الفلك

وقال في مليح يلقب بالجدي :

رأيت في جلّقَ أعجوبةً ما إن رأينا مثلها في بلـــدْ
جَدْيٌ له من صدغه عقربٌ وفي مطاوي الجفن منه أسد
وخلفه سنبلةٌ تطلبُ الـ ميزان لا ترضى بأخذ العدد

وقال في حسين[1] الصوّاف وكان يلازم رجلاً مقدسياً :

يهنيكم الصوّافُ أصبح عابـــداً للرّب غير مداهن ومدلّسِ
طويت له الأرضُ الفسيحةُ فاغتدى تحت المهامهِ في ظلام الحنـــدس
فهو المقيمُ بجلّقٍ وركوعــــه وسجوده أبداً ببيت المقدس(ي)

وقال أيضاً :

عانقته عند الوداع وقد جرت عيني دمُوعــاً كالنجيعِ القاني
ورجعتُ عنه وطرفه في فترة يملي عليَّ «مقــاتلَ الفرســـان»

٤٥٣
زين الدين ابن الرعاد

محمد بن رضوان بن إبراهيم بن عبد الرحمن ، المعروف بابن الرعّاد ، يدعى زين الدين ؛ قال الشيخ أثير الدين : كان المذكور خياطاً بالمحلة من الغربية . وله مشاركة في العربية وله أدب لا بأس به . وكان في غاية الصيانة

١ المطبوعة : حسن .

٤٥٣ — الوافي ٣ : ٧٢ والزركشي : ٢٧٧ وبغية الوعاة : ٤١ والبدر السافر : ٩٥ وقال : كان نحوياً . . . أخذ النحو عن العلامة أبي عمرو ابن الحاجب .

والترفع عن أهل الدنيا والتودد إليهم ، واقتنى من صناعة الخياطة كتباً نفيسة ، وابتنى داراً حسنة بالمحلة ، وتوفي بالمحلة . ومن شعره في الشيخ بهاء الدين [ابن] النحاس :

سلّمْ على المولى البهاءِ وصفْ له ... شوقي إليه وأنني مملوكُهُ
أبداً يحرّكني إليــه تشوقي ... جسمي به مشطوره منهوكه
لكن نحلت لبعده فكأنني ... ألف وليس بممكنٍ تحريكه

وقال أيضاً :

رأيت حبيبي في المنام مُعَانقي ... وذلك للمهجور مرتبةٌ عليا
وقد رقّ لي من بعد هجرٍ وقسوةٍ ... وما ضرَّ إبراهيم لو صدق الرؤيا

وقال أيضاً :

نارَ قلبي لا تَقَرّي لهبا ... وامنعي أجفانَ عيني أن تناما
فإذا نحن التقينا فــارجعي ... نارَ إبراهيم برداً وسلاما

وقال أيضاً :

قالوا وقد شاهدوا نحولي ... إلامَ في ذا الغرام تَشقى
فنيتَ أو كدتَ فيه تفنْىَ ... وأنت لا تستفيقُ عشقا
فقلت لا تعجبوا لهذا ... ما كان لله فهو يبقى

٤٥٤

شمس الدين المقدسي

محمد بن سعد بن عبد الله بن مفلح بن هبة الله بن نمير، شمس الدين الأنصاري الحنبلي المقدسي ؛ نشأ بقاسيون على الخير والصلاح ، وقرأ القرآن والعربية وسمع الكثير ، وكان ديناً ورعاً ، وبرع في الأدب وحسن الخط ، وكتب للصالح إسماعيل وللناصر داود ، وطال عمره وروى عنه الدمياطي وغيره ، وتوفي سنة خمسين وستمائة .

ومن شعره رحمه الله ما كتبه إلى الصالح إسماعيل :

يا مالكاً لم أجد لي من نصيحته بُدّاً وفيها دمي أخشاهُ منسفكا
اسمعْ نصيحةَ مَنْ أوليته نعماً يخافُ كفرانها إن كفَّ أو تركا
والله لا امتدّ ملكٌ مَدَّ مالكه على رعيته من ظُلْمِهِ شَبَكا
ترى الحسودَ به مستبشراً فرحاً مستغرباً من بوادي أمره ضحكا
وزيره ابن غزالٍ والرفيعُ له قاضي القضاة ووالي حربه ابن بكا
وثعلبٌ وَفُضَيْلٌ من هما وهما أهلُ المشورة فيما ضاق أو ضنكا
جماعةٌ بهمُ الآفاتُ قد نشرت والشرعُ قد مات والإسلام قد هلكا
ما راقبوا الله في سرٍّ وفي علَنٍ وإنما يرقبون النجم والفلكا
إن كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهم أو كان شراً وأمراً سيئاً فلكا

---

٤٥٤ - الوافي ٣ : ٩١ والزركشي : ٢٧٨ ومرآة الزمان : ٥٢٣ وذيل ابن رجب ٢ : ٢٤٨ والشذرات ٥ : ٢٥١ وعبر الذهبي ٥ : ٢٠٦ .

٤٥٥

ابن شرف القيرواني

محمد بن [أبي] سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني الجذامي، أحد فحول شعراء الأندلس والغرب ؛ كان أعور ، وله تصانيف منها « أبكار الأفكار » وهو كتاب حسن في الأدب يشتمل على نظم ونثر من كلامه ، وتوفي سنة ستين وأربعمائة [١] .

وكان بينه وبين ابن رشيق مهاجاة ومعاداة جرى الزمان بها كعادته بين المتعاصرين ، ولابن رشيق فيه عدّة رسائل يهجوه فيها ويذكر أغلاطه وقبائحه ، منها رسالة « ساجور الكلب » ورسالة « قطع الأنفاس » ورسالة « نجح الطلب » ورسالة « رفع الإشكال ودفع المحال » وكتاب « فسخ الملح ، ونسخ اللمح » [٢] .

ومن شعر ابن شرف وهو تشبيه متمكن [٣] :

كأنما حمامنا فقحة ... ألنتنُ والظلمة والضيقُ
كأنني في وسطها فيشة ... ألوطها والعرقُ الريق

فبلغ ذلك ابن رشيق فقال مجيزاً :

---

٤٥٥ — الوافي ٣: ٩٧ والزركشي: ٢٧٨ والذخيرة ٤/١ : ١٣٣ ومعجم الأدباء ١٩ : ٣٧ والخريدة (قسم المغرب) ٢ : ٢٢٤ والمغرب ٢ : ٢٣٠ والصلة : ٥٤٥ والمطرب : ٧١ ومسالك الأبصار ١١ : ٤٣ وبغية الوعاة : ٤٧ وورد في الزركشي والمطبوعة « محمد بن سعيد » وهو مخالف لبقية المصادر؛ وانظر أيضاً معالم الإيمان ٣ : ٣٩ وعنوان الأريب ١ : ٥٦ ، وبعض أشعاره جمعه الأستاذ الميمني في « النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف » (القاهرة : ١٣٤٣) .

١ زاد الصفدي : أو فيما قبلها .

٢ الوافي : نسخ . . . وفسخ .

٣ النتف : ٥٠ والخريدة .

وأنت أيضاً أعورٌ أصلعٌ فصـادف التشبيهَ تحقيقُ

وهذا في غاية الحسن وعجيب الاتفاق .

ومن شعر ابن شرف من أبيات[٢] :

ولقد نعمتُ بليلة جَمَدَ الحيـا بالأرض فيها والسماءُ تذوبُ
جمع العشاءين المصلّي وانزوى فيها الرقيبُ كأنه مرقوب
والكأسُ كاسيةُ القميص كأنها لوناً وقدراً معصمٌ مخضوب
هي وردةٌ في خدّهِ وبكأسها تحت القناني عسجدٌ مصبوب
مني إليه ومن يديه إلى يدي فالشمسُ تطلعُ بيننا وتغيب

ومما سار له وطار وملأ الأقطار قولُه[٢] :

جاوِرْ علياً ولا تحفلْ بحادثـةٍ إذا ادّرعت فلا تسألْ عن الأسَلِ
فالماجدُ السيـد الحرُّ الكريم له كالنعتِ والعطفِ والتوكيدِ والبدل
سَلْ عنه وانطقْ به وانظر إليه تجد ملءَ المسامع والأفواه والمقل

وقال أيضاً[٣] :

لا تسألِ الناسَ والأيام عن خبَرٍ هما يَبُثّانِكَ الأخبارَ تطفيلا
ولا تعاتبْ على نقصِ الطباع أخاً فإن بدرَ السما لم يُعْطَ تكميلا

وقال أيضاً[٤] :

احذر محاسنَ أوجهٍ فقدت محا سنَ أنفسٍ ولوَ انها أقمارُ
سُرُجٌ تلوح إذا نظرتَ فإنها نورُ يضيء وإن مَسسْتَ فنار

---

١ النتف : ٩١ .
٢ النتف : ١٠٩ .
٣ النتف : ١٠٦ .
٤ النتف : ٩٩ .

وقال أيضاً[1] :

قالوا تصاهلتِ الحمـيـ ـرُ فقلت من عدم السوابقْ
خلتِ الدسوتُ من الرخا خِ ففرزنت فيها البياذق

وقال في عود ، والمعنى مشهور[2] :

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي زَكَتْ منه أغصانٌ وطابتْ مغارسُ
تَغَنّى عليها الطيرُ وهي رطيبة وغنتْ عليها الناسُ والعودُ يابس

وقال[3] :

إذا صحب الفتى جَدّ وسعدُ[4] تحامته المكارِهُ والخطوبُ
ووافاه الحبيبُ بغير وعدٍ طفيلياً وقاد له الرقيب
وعَدّ الناس ضرطته غنـاءً وقالوا إن فسا قد فاح طيب

وقال في مليح اسمه عمر[5] :

يا أعدلَ الناس[6] إسْماً كم تجور على فؤاد مضناك بالهجرانِ والبينِ
أظنهم سرقوك القاف من قمر فأبدلوها بعين خيفةَ العين

---

١ النتف : ١٠٦ .
٢ النتف : ١٠٣ .
٣ النتف : ٩١ .
٤ المطبوعة : وسعي .
٥ النتف : ١١٤ .
٦ الوافي : الأمة .

٤٥٦
شرف الدين البوصيري

محمد بن سعيد بن حماد بن [محسن بن] عبد الله بن صنهاج بن ملال الصنهاجي؛ كان أحدُ أبويه من أبوصير والآخر من دَلاص، فركبت له نسبة منهما وقيل الدلاصيري، لكنه اشتهر بالبوصيري.

كان يعاني صناعة الكتابة والتصرّف، وباشر الشرقية ببلبيس، وله تلك القصيدة المشهورة التي نَظَمها في مُبَاشري الشرقية التي أوّلها[1]:

فقَدْتُ[2] طوائف المستخدمينا فلم أر فيهمُ رجلاً أمينا
فقد عاشرتهم ولبثتُ فيهمْ مع التجريب من عمري سنينا
فكتّابُ الشمال هُمُ جميعاً فلا صحبتْ شمالهم اليمينا
فكم[3] سرقوا الغلالَ وما عرفنا بهم فكأنما سرقوا العيونا
ولولا ذاك ما لبسوا حريراً ولا شربوا خمور الأنْدَرِينَا
ولا رَبَّوْا من المردان مُرداً[4] كأغصانٍ يقمن[5] وينحنينا

---

٤٥٦ — الوافي ٣ : ١٠٥ والزركشي : ٢٧٨ (ولقب شرف الدين في العنوان مأخوذ عنه) والبدر السافر : ٩٧ والشذرات ٥ : ٤٣٢، وقال الصفدي : وأظن وفاته كانت في سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وستمائة أو ما حولهما، وانظر مقدمة ديوانه الذي نشر بعناية الأستاذ سيد كيلاني (القاهرة : ١٩٥٥).

١ ديوانه : ٢١٨.

٢ المطبوعة : نقدت، الديوان : ثكلت.

٣ الديوان : فقد.

٤ الديوان : قوماً.

٥ المطبوعة : يملن، والتصويب عن الديوان والوافي.

وقد طلعت لبعضهم ذُقُونٌ ولكن بعد ما نتفوا[١] ذقونا
وأقلام الجماعة جائلاتٌ كأسياف بأيدي لاعبينا
وقد ساوقتهم[٢] حَرْفاً بحرفٍ وكلّ اسم يَتَخطَّوا منه سينا
أمولاي[٣] الوزير غفلتَ عما يتمّ من اللئام الكاتبينا[٤]
تنَسك[٥] معشرٌ منهم وعُدّوا من الزهاد والمتورّعينا
وقيل لهم دعاةٌ مستجابٌ وقد ملأوا من السحت البطونا
تفقهت القضاةُ فخان كلّ أمانته وسموه الأمينا
وما أخشى على أموالِ مصر سوى من معشرٍ يتأوّلونا
يقول المسلمون لنا حقوقٌ بها ولَنَحْنُ أولى الآخذينا
وقال القبط نحن ملوكُ مصر وإنّ سواهُمُ هُمْ غاصبونا[٦]
وحللتِ اليهودُ بحفظ سبت لهم مالَ الطوائف أجمعينا
وما ابن قطيبةٍ[٧] إلا شريكٌ لهم في كلّ ما يتخطفونا
أغار على قرى فاقوسَ منه بجورٍ يمنع النومَ الجفونا
وصير عينها حِمْلاً ولكن لمنزله وغلتها خزينا
وأصبح شغله تحصيلَ تبرٍ وكانت راؤه من قبل نونا
وقدّمَهُ الذين لهم وصولٌ فتمم نقصه صلَةُ الذينا
وفي دار الوكالةِ[٨] أيّ نهبٍ فليتاك لو نهبت الناهبينا

---

١ المطبوعة : حلقوا ، وأثبت ما في الديوان والوافي .
٢ المطبوعة : ساوقتهم .
٣ الديوان : أمولانا .
٤ الديوان : الكلاب الخائنينا .
٥ الديوان : تورع .
٦ الديوان : وقال القبط إنهم بمصر الملوك ومن سواهم غاصبونا .
٧ الديوان : قطية ، وهي بلدة في مديرية الشرقية .
٨ الديوان : الولاية .

فقام بها يهـــوديّ خبيث[1] يسومُ المسلمين أذًى وهُونا
إذا ألقى بها موسى عصـــاه تلقفتِ القوافلَ والسفينا
وشاهِدُهم إذا اتهموا يؤدي عن الكلّ الشهادة واليمينا

وهي طويلة إلى الغاية ، وقد اختصرت من أبياتها كثيراً ، وله فيهم غير ذلك وشعره في غاية الحسن واللطافة عذب الألفاظ منسجم التركيب .

وقال فيمن اسْمُهُ عمر وعلى عينه فص[2] :

سموه غمرا فصحفنا اسمه عمرا فَبيَّنَ الدهرُ منا موضع الغلطِ
فأصبحت عينه غينا بنقطتهـــا وطال ما ارتفع التصحيف بالنقط

وقال فيه من قصيدة أولها[3] :

أهَوًى والمشيبُ قد حال دُونَهْ والتصابي بعد المشيب رعونَهْ
أبت النفسُ أن تطيعَ وقـــالت إن جنّي لا يدخلُ القنينه
كيف أعصي الهوى وطينة قلبي بالهوى قبل آدم معجونــه
سلبتْهُ الرقادَ بيضةُ خدرٍ ذاتُ حسنٍ كالدرة المكنونه
سمتها قبلةً تسرُّ بها النفـ سُ فقالت كذا أكون حزينه
قلت لا بدّ أن تسيري إلى الدا ر فقالت عسى أنا مجنونه
قلت سيري فإنني لك خيرٌ من أبٍ راحم وأمٍّ حنونه
أنا نعم القرين إن كنتِ تبغي نَ حلالاً وأنت نعم القرينه
قالت اضرب عن وصل مثليَ صفحاً واضرب الخلّ أو تصيرَ طحينه
لا أرى أن تمسني يدُ شَيْخٍ كيف أرضى به لطسّي مسينه
قلت إني كثيرُ مالٍ فقالت هبك أنت المبارز القارونه

---

١ الوافي : قم بها ؛ الديوان : وما فرعون فيها غير موسى .
٢ ليسا من أصل الديوان ، انظر : ٢٢٨ .
٣ الديوان : ٢٢٨ وليست من أصل الديوان .

[منها] :

سيدي لا تخف عليّ خروجاً في عروضي ففطنتي موزونه
كل بحر إن شئتَ فيه اختبرني لا تكذب فإنني يقطينه

وقال من قصيدة أولها [1] :

يا أيها المولى الوزيرُ [2] الذي أيامـــه طائعةٌ أمْرَهْ
ومن له منزلةٌ في العلا تكلّ عن أوصافها الفكره
إليك نشكو حالنا إننـا حاشاك من قومٍ أولي عُسْرِه [3]
في قلة نحن ولكن لنـا عائلةٌ في غايةِ الكثْره
أحدّثُ المولى الحديثَ الذي جرى لهم بالخيطِ والإبره
صاموا مع الناسِ ولكنّهم كانوا لمن أبصرهم عبره
إن شربوا فالبئر زيرٌ لهم ما برحتْ والشربة الجرّه
لهم من الخبّيزِ مصلوقةٌ في كلّ يوم تشبه النشره
أقول مهما اجتمعوا حولها تنزهوا في الماء والخضره
وأقبل العيدُ وما عندهم قمحٌ ولا خبز ولا فطره
فارحمهمُ إن عاينوا [4] كعكة في كفّ طفل أو رأوا تمره
تشخصُ أبصارهمُ نحوها بشهقةٍ تتبعها زَفْره
كم قائلٍ يا أبتا منهمُ قطعتَ عنا الخبز [5] في كره
ما صرت تأتينا بفلسٍ ولا بدرهمٍ ورقٍ ولا نقره
وأنت في خدمة قوم فهل تخدمهم يا أبتي سُخْرَهْ

---

١ الديوان : ١١٧ .
٢ يخاطب الوزير بهاء الدين ابن حنا .
٣ سقط هذا الشطر والذي يليه من الديوان ، ووقع الشطران الباقيان معاً .
٤ الديوان : أبصروا .
٥ الديوان : الخبز .

ويومَ زارت أمهم أختها والأختُ في الغيرة كالضره
وأقبلتْ تشكو لها حالها وصَبرها مني على العشره[1]
قالت لها كيف تكون النسا كذا مع الأزواج يا عره
قومي اطلبي حقّكِ منه بلا تخلّفٍ منكِ ولا فتره
وإن تأبّى فخذي ذقنه وإنتفيها[2] شعرةً شعره
قالت لها ما هكذا عادتي فإن زوجي عنده ضَجْره
أخاف إن كلمته كلمةً طلقني ؛ قالت لها : بعره
وهونت قدريَ في نفسها فجاءت الزوجةُ محتره
فقــاتلتني[3] فتهـــددتهــا فاستقبلتْ رأسي بآجُرَّه
وحقّ من حالتـــه هــذه أن ينظر المولى له نظره

وقال وقد كتب بها إلى بعض الأصحاب[4] :

قل لعلي الذي صداقتُهُ على حقوقِ الإخوان مؤتمنهْ
أخوك قد عُوِّدَتْ طبيعته بشَربة في الربيع كلّ سَنَه
والآن قد عفّنت عليه وقد هَدّتْ قواه وجففت بدنه
وعاودت يومها زيارته وما اعترّاها من قبل ذاك سِنَه
وعاد عند القيام يحملها براحتيـــه كأنها زمنه
جئتُ بها للطبيب مشتكياً ودمعتي كالعوارض الهَتِنَه
فقال عُدْ لي إذا احتميتَ وكلْ في كلِّ يومٍ دجاجةً دهنه
كيف وصولي إلى الدجاجة والـ بيضةُ عندي كأنها بَدَنَه
جزاك ربي إذا انسهلتُ بمـا شربتُ عن كلِّ خريةٍ حسَنه

---

١ الديوان : العسرة .
٢ الوافي : وخلصيها ؛ الديوان : ثم أنتفيها .
٣ الديوان : فاستقبلتني .
٤ أثبتها في الديوان نقلا عن الفوات .

قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس : كانت له حمارة استعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته فأخذها وجهز له ثمنها مائتي درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر : المملوكة حمارة البوصيري [تنشد][1] :

يا أيها السيدُ الذي شهدتْ ألفاظه[2] لي بأنه فاضلْ
ما كان ظني يبيعُني أحدٌ قَطُّ ولكنَّ سيدي جاهل[3]
لو جرّسوه عليَّ من سفهٍ لقلتُ غيظاً عليه يستاهل
أقصى مرادي لو كنتُ في بلدي أرعى بها في جوانب الساحل[4]
وبعد هذا فما يحلُّ لكم أخذي[5] لأني من سيدي حامل

فردَّها الناظر إليه ولم يأخذ الدراهمَ منه .

وقال في مَنْ على عينه بياض[6] .

انظر[7] تجدْ لله في عينيه سراً أيَّ سرِّ
طمس اليمين بكوكبٍ وسيطمس اليسرى بفجر

وقال في الشيخ زين الدين ابن الرعاد[7] :

لقد عاب شعري في البرية شاعرٌ ومن عاب أشعاري فلا بد أن يهجى

---

١ الديوان : ١٨٩ .

٢ المطبوعة : أخلاقه .

٣ الديوان :

ما كان مثلي يعيره أحد قط ولكن سيدي جاهل

وفي المطبوعة : صاحبي جاهل .

٤ الديوان :

وبغيتي أن أكون سائبة من بلدي . . . . . .

٥ الديوان : ملكي ؛ الوافي : بيعي .

٦ الوافي : أنجد .

٧ أثبتهما في الديوان : ٢٢٩ واللذين بعدهما نقلا عن الفوات .

وشعريَ بحر لا يوافيه ضفدع ولا يقطع الرعادُ يوماً له لُجّا

وللبوصيري في مديح النبي صلى الله عليه وسلم قصائد طنانَةٌ ، منها قصيدة مهموزة أولها :

كيف ترقى رقيك الأنبياء[1]

وقصيدة على وزن بانت سعاد وأولها[2] :

إلى متى أنت باللذاتِ مشغولُ وأنت عن كل ما قدمت مسؤولُ

وقصيدته المشهورة بالبردة التي أولها[3] :

أمِنْ تذكرِ جيرانٍ بذى سلم مزجتَ دمعاً جرى من مقلة بدمِ

قال البوصيري : كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها ما كان اقترحه عليَّ الصاحبُ زين الدين يعقوب بن الزبير ، ثم اتفق أن أصابني فالج أبطل نصفي ، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة فعملتها ، واستشفعت به إلى الله تعالى في أن يعافيني ، وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتوسلت ، ونمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فمسح على وجهي بيده المباركة ، وألقى علي بُرْدة فانتبهت ، ووجدت فيَّ نهضةً فقمت وخرجت من بيتي ، ولم أكن أعلمت بذلك أحداً ، فلقيني بعض الفقراء فقال لي : أريد أن تعطيني القصيدةَ التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أيها ؟ فقال : التي أنشأتها في مرضك ، وذكر أولها وقال : والله لقد سمعتها البارحةَ وهي تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمايل وأعجبته

---

١ الديوان : ١ ؛ الوافي : ليس ترقى .

٢ الديوان : ١٧٢ .

٣ الديوان : ١٩٠ .

وألقى على من أنشدها بردةً ، فأعطيته إياها ، وذكر الفقير ذلك وشاع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين ابن حنا ، فبعث إليّ وأخذها وحلف أن لا يسمعها إلا قائماً حافياً مكشوف الرأس، وكان يحب سماعها هو وأهل بيته . ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقي الموقّع رمدٌ أشرف منه على العمى فرأى في المنام قائلاً يقول له : اذهب إلى الصاحب وخذ البردة واجعلها على عينيك فتعافى بإذن الله عز وجل ، فأتى إلى الصاحب وذكر منامه فقال : ما أعرف عندي من أثر النبيّ صلى الله عليه وسلم بردة ، ثم فكر ساعة وقال : لعل المراد قصيدة البردة التي للبوصيري ، يا ياقوت افتح الصندوق الذي فيه الآثار وأخرج القصيدة للبوصيري ، وأتِ بها ، فأتى بها، فأخذها سعد الدين ووضعها على عينيه فعوفي ، ومن ثم سميت البردة ، والله أعلم .

٤٥٧

ابن قتلمش الحاجب

محمد بن سليمان بن قتلمش ، أبو منصور السمرقندي ، ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وبرع في الأدب ، وولي حجبة[1] الباب للخليفة . وتوفي سنة عشرين وستمائة ، ودفن في الشونيزية .

ومن شعره :

سئمت تكاليفَ هذي الحيــــاةِ وكرَّ الصبـــاح بهـــا والمساءِ

---

٤٥٧ – الوافي ٣ : ١٢٥ والزركشي : ٢٨٠ وابن الشعار ٦ : ١٦١ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٠٥ وبغية الوعاة : ٤٧ والشذرات ٥ : ٩٣ .

١ الوافي : حجب .

وقد صرتُ كالطفل في عقله   قليلَ الصواب كثيرَ الهـــذاء[1]
أنامُ إذا كنت في مجـــلسٍ   وأسهرُ عند دخول الغناء[2]
وقَصّر خَطْويَ قيـــدُ المشيب   وطال على ما عناني عنائي
وما جرَّ ذلك غـــير البقا   فـكيف ترى سوءَ فعلِ البقاء

وقال أيضاً :

تقولُ حليـــلتي لمـــا رأتني   وقد أزمعتُ عن وطني غُدُوّا
أقمْ واطلبْ مرامك من صديق   فقلت لها يصير إذاً عـــدوّا

وقال أيضاً :

لا والذي سَخَّر قلبي لهـــا   عبداً كما سَخَّر لي قلبهـــا
ما فَرَحي في حبها غير أن   تبيح لي من هجرها قلبهـــا

وقال أيضاً :

ومهفهفٍ غضٍّ الشبابِ أنيقِـهِ   كالبدرِ غصنيٍّ[3] الشباب وريقِـهِ
نازعتــه مشمولةً فأدارهـــا   من وجنتيه ومقلتيه ورِيقـــه

وقال أيضاً :

يا قوم ما بي مرضٌ واحدٌ   لـــكنَّ بي عـــدَّةَ أمراضِ
ولستُ أدري بعـــد ذا كله   أساخطٌ مولاي أم راضي

وقال أيضاً :

ومقرطقٍ وجدي عليه كردفه   وتجلدي والصبرُ عنه كخصرِهِ
نادمته في ليلة من شـــعره   أجـــلو محاسنه بشمعةِ ثغره

1 الوافي : الهراء .
2 المطبوعة : الفناء ؛ وهو خطأ .
3 المطبوعة : غضي .

وقال أيضاً :

لي في هـــواك وإن عذبتني أربٌ ينفي السلوَّ ولـــو قُطِّعتُ آرابـــا
لا أطلبُ الرَّوْحَ من كربِ الغرام ولو صَبَّتْ عليَّ سماءُ الحبِّ أوصابا
ولست أبغي ثوابَ الصبر عنك ولو ألبستني من سقام الجسم أثوابـــا
وشقوتي بك لا أرضى النعيمَ بهـــا وساعـــة منك تسوى النار أحقابا

وكان مُغرًى بالقمار والنرد لا يكاد يفارقهما إلا إذا لم يجد من يساعده على ذلك .

٤٥٨

ابن أبي الربيع الهواري

محمد بن سليمان بن عبد الله بن يوسف ، جمال الدين الهوّاري – بتشديد الواو وبعد الألف راء – المالكي المعروف بابن أبي الربيع ؛ كان فاضلاً أديباً ، قال قطب الدين اليونيني : قال ابن خلكان : أنشدني جمال الدين لنفسه :

لولا التطيرُ بالخلافِ وأنهم قالوا مريضٌ لا يعود مريضا
لقضيتُ نحبي خـــدمةً بفنائكم لأكون مندوباً قضى المفروضـــا

ومن شعره :

أحباب قلبي إن تحـــكمتِ النوى في بيننـــا وجرى القضاءُ بما جرى
فلقد غضضتُ عن الورى من بعدكم طرفاً يَرَى من بَعْدكم أن لا يرى

٤٥٨ – الوافي ٣ : ١٢٧ والزركشي : ٢٨٠ ، وكانت وفاته بالقاهرة في شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

وقال أيضاً :

سريتُ من السواد إلى السويدا مسيرَ البـدرِ في طرفي وقـلبي
قضيت من النوى وَطَراً وهـا قد قضيتُ ــلك البقا ــ في البعد نحبي

وقال في موسى بن يغمور [1] :

لك الله يا موسى فأنت محمد الـ صفاتِ وفكري فيك حسّانُ مدحه
إذا ما دجا ليلٌ من الخطبِ مظلمٌ فمن يَـدِكَ البيضاءِ إسفارُ صبحه

وكتب إلى صديق له يدعى الصدر :

ما زلتُ في بعدٍ وقربِ صبّاً إليك وأيَّ صبٍّ
حُزْتَ القلوبَ بأسرها والصدر موضع كلِّ قلب

وقال أيضاً [فيه] :

وتَوَسْوَسْتُ باشتياقي إلى الصد ر ومـا زال موضعَ الوسواسِ

٤٥٩

شمس الدين ابن العفيف التلمساني

محمد بن سليمان بن علي ، شمس الدين ابن الشيخ عفيف الدين التلمساني ؛ قال القاضي شهاب الدين ابن فضل الله في حقه : نسيم سرى ، ونعيم جرى ،

---

١ المطبوعة : يوسف بن يعفور ؛ وهو خطأ .

٤٥٩ – الوافي ٣ : ١٢٩ والزركشي : ٢٨٠ والشذرات ٥ : ٤٠٥ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٢٦ والنجوم الزاهرة ٨ : ٢٩ وقد نشر ديوانه مرات ، والاشارة هنا إلى طبعة النجف ١٩٦٧ بعناية الأستاذ شاكر هادي شكر ؛ وهذه الترجمة من التراجم القليلة التي فارق فيها المؤلف الاعتماد على الوافي .

وطيف لا بل أخف موقعاً منه في الكرى ، لم يأت إلا بما خف على القلوب ، وبرىء من العيوب ، رق شعره فكاد أن يُشرَب ، ودق فلا غرو للقضب ان ترقص والحمام أن يَطْرب ، ولزم طريقة دخل فيها بلا استئذان ، وولج القلوب ولم يقرع باب الآذان ، وكان لأهل عصره ومَنْ جاء على آثارهم افتتان بشعره وخاصة أهل دمشق فإنه بين غمائم حياضهم ربي ، وفي كمائم رياضهم حُبي ، حتى تدفق نهره ، وأينع زهره ، وقد أدركت جماعة من خُلطائه لا يرون عليه تفضيل شاعر ، لا يروون له شعراً إلا وهم يعظمونه كالمشاعر ، لا ينظرون له بيتاً إلا كالبيت ، ولا يقدمون عليه سابقاً حتى لو قلت ولا امرأ القيس لما بَاليْت ، ومرّت له ولهم بالحمى أوقات لم يبق من زمانها إلا تَذَكّره ، ولا من إحسانها إلا تشكره ، وأكثر شعره لا بل كله رشيق الألفاظ ، سهل على الحفاظ ، لا يخلو من الألفاظ العامية ، وما تحلو به المذاهب الكلامية ، فلهذا عَلقَ بكل خاطر ، وولع به كل ذاكر ، وعاجله أجلُه فاخترم ، وحرم أحباه لذة الحياة وحُرم .

فمن شعره[1] :

بلا غيبة للبـدر وجهُكَ أجملُ	وما أنا فيما قلتـه متجمـلُ
ولا عيبَ عندي فيك لولا صيانة	لديك بهـا كـلُّ امرىءٍ يتبذّل
لحـاظك أسيافٌ ذكورٌ فما لها	كما زعموا مثـل الأرامل تغزل
وما بـالُ برهـانِ العذارِ مسلماً	ويلزمه دورٌ وفيـه تسلسل
وعهديَ أنّ الشمسَ بالصحو آذنت	فما بال سكري من[2] محياك يقبل
كأنك لم تخلق لغـير نـواظرٍ	تُسهِّدهـا وجـداً وقلباً تعلـل
حبيبي لِيَهْنِ الحسنَ أنك حزته	ويهنِ فؤادي أنـه لك منزل

١ الديوان : ١٩٩ .

٢ الواني : وسكري أراه في .

إذا كنت ذا ودٍّ صحيح فلم يكنْ يضرّنيَ العُذّال حيثُ تقولوا
رأوا منك حظي في المحبة آخراً لذا حرّفوا عني الحديث وأولوا

وقال أيضاً [1] :

بعينيك هذي الفاترات التي تسبي يهونُ عليَّ اليوم قتليَ يا حِبّي
إذا ما رأت عيني جمالك مقبلاً وحقك يا روحي سكرتُ بلا شرب
وإن هزَّ عطفيك الصبا متمايلاً أضاع الهوى نسكي وغيبتُ عن لبّي
فدعني وهذا الخدَّ أعصر في فمي عناقيدَ صُدْغيه وحسبي به حسبي
لَوَ ان تجار اللؤلؤِ الرطب شاهدوا ثناياك ما عنوا على اللؤلؤ الرطب
أيا ساقيَ الكاسِ الذي زَادَ خدّه عليها احمراراً عدّ بالكاس عن صحبي
وما ذاك بخلاً بالمدام وإنما إذا لحت لم آمن عليهم من السلب
وبالله قل لي أيها الظبي كيف قد تعلمتَ صيد الأسد في شرك الهدْب
وماذا الذي قد بعتَ فاسترهنتْ به لديك الربى رهناً كثيباً من الكثب
فخذ قصةَ الشكوى من الأعين التي نفيتَ لذيذَ النوم عنها بلا ذنب
ولا تعتبنْ صباً تهتّكَ ستره عليك فهتك الستر أليقُ بالصبِّ

وقال أيضاً [2] :

أعز الله أنصارَ العيونِ وخلّد ملك هاتيكَ الجفونِ
وضاعفَ بالفتور لها اقتداراً وإن تلك أضعفتْ عقلي وديني [3]
وأبقى دولة الأعطاف فينا وإن جارت على القلب الطعين
وأسْبَغَ ظلّ ذاك الشعر يوماً على قدّ به هَيَفُ الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا وإن ثنت الفؤاد إلى شجون

---

١ الديوان : ٧١ .
٢ الديوان : ٢٧٧ .
٣ الديوان : وجدد نعمة الحسن المصون .

وقال أيضاً[1] :

أسير ألحاظ نخدّ[2] أسيـــلْ   كليمُ أحشاءٍ لطرفٍ كليلْ
في حبِّ مَنْ حظّي كشعْرٍ لـه   لكنْ قصيرٌ ذا وهـــذا طويـل
ليس خليـــلاً لي ولـــكنه   أضرم[3] في الأحشاء نـــارَ الخليل
يا ردفه جُرْتَ على خصره   رفْقـــاً بـــه مـــا أنت إلا ثقيل

وقال أيضاً[4] :

في غزلي من لحظ ذاك الغزالْ   أخبـــارُ صبّ قتلته النِّبالْ
غصـــنٌ سقته أدمعي ثم مـــا   أثمـــر لـــا مال إلا المـــلال
حلَّ ثلاثاً يومَ حمّامه   ذوائبـــاً تعبَقُ منهـــا الغوَال
فقلتُ والقصـــدُ ذؤاباته   يا سهري في ذي الليالي الطوال

وقال أيضاً[5] :

لم أنسَ لما زارني مقبلاً   أولانيَ الوصلَ وما ألوى
وقعتُ بالرشف على ثغره   وقع المساطيلِ على الحلوى[6]

وقال أيضاً[7] :

رأى رضاباً عن تسلّ   يه أولـو العشق سَلَوْا
مـــا ذاقـــه وشاقه   هـذا وما وكيفَ لـــو

---

١ الديوان : ٢٣٥ .
٢ الوافي : أجفان بخد ؛ الديوان : بخد .
٣ الوافي : يضرم .
٤ الديوان : ٢٣٤ .
٥ الديوان : ٢٨٦ .
٦ الوافي : حلوى .
٧ الديوان : ٢٨٧ نقلا عن الفوات .

وقال[1] :

يا مَنْ أطـال التـجني ... وقد أسا في التـوخّي
أسرفت تيهـاً وعجباً ... وكثرةُ الشـدّ يُرْخِي

وقال أيضاً[2] :

بحقّ هذي الأعينِ الساحره ... وحسنِ هذي الوَجنْة الزاهره
خفْ في الهوى إثميَ يا قاتلي ... فاليومَ دنيـا وغـداً آخـره
قلـبيَ مِـصْرٌ لك ما باله ... قـد ذاب من أخلاقِـكَ القاهره

وقال أيضاً[3] :

أحلى من الشهد مَنْ هويتُ وكم ... شُقّتْ[4] به في الهـوى مراراتُ
وكيف لا تستطابُ ريقتـه ... وثغره ، سكّر سُنَيْنـاتُ

وقال أيضاً[5] :

يا خاله خضرةٌ بعارضـه ... حَـرَسْتها عن متيمٍ مُغْرَى
كفَّ عن العاشقين مقتصراً ... هـل أنت إلا حويرسُ الخضرا

وقال أيضاً[6] :

مثلُ الغزالُ نظرةً ولفتةً ... مَنْ ذا رآه مقبلاً ولا افتتنْ
أعذبُ خلقِ الله ثغراً وفمـاً ... إن لم يكن أحَقّ بالحسنِ فمن

---

١ الديوان : ٨٩ عن الفوات والوافي .
٢ الديوان : ١٢٨ .
٣ الديوان : ٧٥ .
٤ الوافي : فتت .
٥ الديوان : ١٢٥ .
٦ الديوان : ٢٨٠ .

في ثغره وخـــده وشكله[1] الماءُ والخضرةُ والوجـه الحسن

وقال أيضاً[2] :

حللتَ بأحشاءٍ لهـا منكَ قاتـلُ فهل أنت فيها نـازلٌ أم مُنازلُ
أرى الليلَ مذ حُجّبتَ ما حال لونه على أنـه بيني وبينك حـائـل
أيسعدني يـا طلعةَ البدر طالعٌ ومن شقوتي خـط بخدّيك نازل
ولو أن قُسّاً واصفٌ منك وجنةً لأعجزه نبتٌ بهـا وهو باقـل
على كلّ أمرٍ منك عـونٌ فربما يعينُ الذي أبلى بمـا أنت فاعل
وبي ساحرٌ باللحظ للخدِّ حـارسٌ وذابلُ أعطـافٍ لدمعيَ نازل
وشَعْرٌ كليلي كان طولاً فما له قصيرٌ كحظّي هل لذاك دلائل
نعم قد تناهى في الغـرام تطاولاً « وعند التناهي يقصر المتطـاول »

وقال أيضاً[3] :

ما بين هجـركَ والنـوى قد ذبتُ فيك من الجـوى
وحياةِ وجهك لا سَلاَ عنـك المحبُّ ولا نوى
يا فاتني بمعـاطفٍ سجدَتْ لهـا قُضُبُ اللـوى
يا من حكى بقوامـه قـدَّ القضيب إذا التـوى
مـا أنت عندي والقضيـ ـبَ اللّدْنَ في حـالٍ سَوَا
هـذاك حركه الهـوا ءُ وأنت حرّكتَ الهوى

وقال أيضاً[4] :

تمشّى بصحن الجامعِ اليومَ شادنٌ على قدّه أغصانُ بان النقا تُثْني

---

١ الوافي : وصدغه .
٢ الديوان : ٢٠٠ .
٣ الديوان : ٢٨٥ .
٤ الديوان : ٢٧٦ .

فقلتُ وقــد لاحتْ عليــه حلاوةٌ ألا فانظروا هذي الحلاوة في الصحن

وقال أيضاً[1] :

بدا وجْهُهُ من فوق أسمر قــدِّه وقد لاح من ليلِ الذوائبِ في جنحِ
فقلت عجيباً كيف لم يذهبِ الدجى وقد طلعتْ شمسُ النهارِ على رمح

وقال أيضاً[2] :

وهل فيه من شيءٍ سوى أنّ طرفه لكلِّ فؤادٍ في البريــة صائــدُ
وأن محيّــاه إذا قابــلَ الــدجى أضــاءَ بــه جنحٌ من الليل راكد
فكم يتجافى خصره وهو ناحــلٌ وكم يتحــالى ريقــه وهو بارد
وكم يَدَّعِي صوناً وهذي جفونه بفترتهــا للعاشقين مواعد

وقال أيضاً[3] :

للعاشقين بأحكامِ الغرام رِضَى فلا تكنْ في الهوى بالعذلِ معترضا
روحي الفداءُ لأحبابي وإن نقضوا عهد الوفيّ الذي للعهد مــا نقضا
قفْ واستمعْ سيرةَ الصب الذي قتلوا فمات في حبهم لم يبلــغ الغرضا
رأى فَحَبَّ فرام[4] الوصلَ فامتنعوا فرام صــبراً فأعيــا نيلُه فقضى

وقال أيضاً موشح[5] :

بدرٌ عن الوصــل في الهوى عدلاماليَ عنه إن جار أو عدلا مَذْهَبْ
مترّك اللحظِ لفظه خَنِثُ

١ الديوان : ٨٦ .
٢ الديوان : ٩١ .
٣ الديوان : ١٥٨ .
٤ الديوان : فسام .
٥ الديوان : ٢٩٣ .

إليه تصبو الحشا وتنبعث
أشكو إليه وليس يكترث

دعا فؤادي بأن يذوبَ قبلي ألموتُ والله إذ دعا وقلى أقربْ

لم يبق لي مقلةٌ ولا كبدُ
والقلبُ فيه أودى به الكمد
وليس يلفى لهجره أمد

لا تعجبوا أن غدوتُ محتملا لكنَّ قلبي إن كان عنه سلا أعجب

بالحسنِ كلَّ العقول قد نهبَا
والحزنِ كلَّ القلوب قد وهبَا
شمسٌ ولكنني لديه هبا

فانظر لذاك القوامِ كيف جلا غصنٌ وكم بالجمالِ منه جلا غيهب

وقال ذوبيت[1] :

قاسيتُ بك الغرام والهجرَ سنينْ ما بين بكاءٍ وأنينٍ وحنينْ
أرضيك ولا تزدادُ إلا غضباً اللهُ كما أبلى بك القلبَ يعين

وقال أيضاً[2] :

يا مَنْ بفؤادي نارَ وجدي غادَرْ مَنْ قاسَ إليك حسنه مَنْ فاخر
لا تخشَ إذا ما قيل هذا حسنٌ عن غيرك فالشيخُ غداً شيٍ آخر

وقال أيضاً[3] :

---

١ الديوان : ٢٨٠ .
٢ الديوان : ١٤٥ .
٣ الديوان : ٢٨٤ .

يا من غدتِ القلوبُ في حكمٍ[1] يديه ... ذا صبُّكَ كم تهدي تجنيك إليه
عذلٌ وتسهيد ووجــــدٌ وقـــلى ... ما تمَّ على الكلابِ[2] ما تمَّ عليه

وقال أيضاً[3] :

لا تعتقدوا عذاره الفتانِ[4] ... قد وشحّ ورد الخدّ بالريحــان
ذا خالقه قــد خطَّ في وجنته ... لاماً كتبت بالقلمِ الريحاني

وقال أيضاً[5] :

يا ممرضَ جسمِ صَبِّهِ بالتيهِ[6] ... أوردتَ فؤاده بحــارَ التيــــه
لا يطلبُ مضنًى مغرمٌ فيه سوى ... إبلاغ حويجةٍ له في فيه

وقال أيضاً[7] :

كم يشمتُ بي في حبك العذالُ ... كم يكثر فيك القيلُ بي والقالُ
الصبرُ بكلّ حالة أليقُ بي ... أحتاجُ أداريك ويمشي الحال

وقال أيضاً[8] :

إن صدّ وراحَ[9] للجفا يعتمدُ ... أو زال وداده الذي أعتقدُ
فالأمر له وما عليه حرجٌ ... لا يدخلُ بينه وبيني[10] أحد

---

١ الديوان : طوع .
٢ الديوان : العشاق .
٣ الديوان : ٢٧٤ .
٤ كذا هو أيضاً في الديوان .
٥ الديوان : ٢٨٣ .
٦ الديوان : يا ممرض صبه بكثر التيه .
٧ الديوان : ٢١١ .
٨ الديوان : ٩٢ .
٩ الديوان : وأضحى .
١٠ المطبوعة : بيني وبينه .

وقال أيضاً [١] :

قد أصبح آخرُ الهوى أوَّلَهُ ... فالعاذلُ في هواك مالي ولَهُ
بالله عليك خلِّ ما أوَّلهُ ... وارحمْ دنفاً حَشوُ حشاهُ وله

وكانت وفاة شمس الدين المذكور في شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة بدمشق ، وكان مولده بالقاهرة في عاشر جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وستمائة .

ورثاهُ والده الشيخ عفيف الدين وذكر أخاه أيضاً [٢] :

مالي بفقد المحمدينِ يدُ ... مضى أخي ثم بعده الولدُ
يا نار قلبي وأين قلبيَ أو ... يا كبدي لو يكون لي كبد
يا بائعَ الموتِ مشتريه أنا ... فالصبرُ ما لا يصابُ والجلد
أين البنانُ التي إذا كتبتْ ... وعاين الناس خطَّها سجدوا
أين الثنايا التي إذا ابتسمت ... أو نطقت لاح لؤلؤ نَضَدُ
ما فقدتك الإخوان [٣] يا ولدي ... وإنما شمسَ أُنسهم [٤] فقدوا
محمدٌ يا محمدٌ عدداً ... وما لما ليس ينتهي عـــدد

[منها] [٥] :

ماذا على الغاسلين إذ قرب الأمـ ... لاكُ منه لو أنهم بعدوا
قد حملت نفسه العلومَ إلى الـ ... فردوس والنعش فوقه الجسد
أبكيتَ خالاتك الضواحك من ... قبلُ وما من صفاتك النَّكد
بي كبر مسني وأمّك قد ... شاخت فمن أين لي يرى ولد
وهَبْه قد كان لي فمثلك لا ... يُرْجَى وأين الزمانُ والأمد

---

١ الديوان : ٢٨١ .
٢ الوافي : ١٣٥ .
٣ الوافي : الأقران .
٤ الوافي : أفقهم .
٥ زيادة من الوافي .

[منها] :

يا ليتني لم أكن أباً لك أو يا ليت ما كنتَ أنت لي ولد

قيل : إنه عمل مرّة جماعة سماعاً حسناً وكان فيه جماعة ملاح ، فبعثوا منهم مليحاً إلى شمس الدين يطلبونه من والده ، فلما جاء الرسول كتب والده على يده :

أرسلتما لي رسولاً في رسالته حلو المراشف والأعطاف والهيفِ
وقدتما ويسيرٌ ذاك أنكما وقدتما النار في بادي الضنا[1] دنف

فلما حضر ولده وبلغته الواقعة واطلع على مجيء الرسول كتب إلى والده:

مولاي كيف انثنى عنك[2] الرسول ولم تكنْ لوردةِ خدّيْهِ بمرتشف
جاءتك من بحرِ ذاك الحسنِ لؤلؤةٌ فكيف رُدَّتْ بلا ثقبٍ إلى الصدف ؟

٤٦٠
ابن النقيب المفسر

محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين ، العلامة الزاهد جمال الدين أبو عبد الله البلخي الأصل المقدسيّ الحنفيّ، المعروف بابن النقيب أحد الأئمة ؛ ولد سنة إحدى عشرة وستمائة ، ودخل القاهرة ودرّس بالعاشورية ثم تركها

---

١ المطبوعة : في وسط الحشا .

٢ المطبوعة : كيف أتى لك ،وهو خطأ ، والبيتان في الديوان : ١٨٣ نقلا عن الوافي والفوات .

٤٦٠ — الوافي ٣ : ١٣٦ والجواهر المضية ٢ : ٥٧ والبدر السافر : ١٠٧ والشذرات ٥ : ٤٤٢ والأنس الجليل ٢ : ٥٥٦ والسلوك ١ : ٨٨١ .

وأقام بالجامع الأزهر مدّة . وكان صالحاً زاهداً متواضعاً عديم[1] التكلف ، وكان الأكابر يترددون إليه ويسألونه الدعاء ، وصرف همته إلى التفسير وصنف تفسيراً حافلاً جمع فيه خمسين مصنفاً وذكر فيه أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغات والحقائق وعلم الباطن ، قيل إنه في خمسين مجلدة . وتوفي سنة ثمان وتسعين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

٤٦١
نجم الدين ابن اسرائيل

محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي ابن الحسين ، نجم الدين أبو المعالي الشيباني الشاعر المشهور ؛ ولد بدمشق سنة ثلاث وستمائة ، وتوفي بها سنة سبع وسبعين وستمائة ، ودفن داخل قبة الشيخ رسلان . صحب الشيخ علي الحريري ولبس الخرقة من الشيخ شهاب الدين السهروردي وسمع عليه وأجلسه في ثلاث خلوات . وكان قادراً على النظم مكثراً منه ؛ مدح الرؤساء والقضاة وغيرهم ، وتجرّد وسافر [إلى] البلاد على قدم الفقر[2] وقضى الأوقات الطيبة ، وكان ريحانة المشاهد وديباجة السماعات . وحضر بعض الليالي وقتاً وفيه نجم الدين ابن الحكيم الحموي فغنّى المغني من شعر ابن إسرائيل قوله :

---

١ في المطبوعة : عظيم ، وهو خطأ واضح .

٤٦١ — الوافي ٣ : ١٤٣ والزركشي : ٢٨٢ والبدر السافر : ١٠٧ وابن الفرات : ٧ : ١٣١ والشذرات ٥ : ٣٥٩ ولسان الميزان ٥ : ١٩٥ وعبر الذهبي ٥ : ٣١٦ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٨٣ .

٢ الوافي : الفقراء .

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السرَّ مَنْ هو ذائقُ

فقال [ابن] الحكيم : كفرت كفرت ، فقال ابن إسرائيل : لا ما كفرت ولكن أنت ما تفهم ؛ وتشوَّشَ الوقتُ .

ومن شعره :

وَفى ليَ مَنْ أهواه جهراً بموعدي فأرغم عذالي عليه وحُسّدي
وزار على شَحْطِ المزارِ تطـوّلاً على مغرمٍ بالوصلِ لم يتعود
فيا حسنَ ما أبدى لعيـني جماله ويا بردَ ما أهدى إلى قلبيَ الصّدي
ويا صدق أحلامي ببُشرى وصاله ويا نيلَ آمالي ويا نُجْحَ مقصدي
نديميَّ من سعدٍ أريحا ركائبي فقد أمِنَتْ من أن تروح وتغتدي
ولا تلزماني النسكَ فالحبُّ شاغلي ولا تذكرا لي الوردَ فالراحُ موردي
ولا تَقِفَا بي في الرسوم التي عَفَتْ فقد طال حبسي بين نؤي وموقد
ومرّا علي حيٍّ بمنعرج اللوى وقولا لغزلان الصريم ألا ابعدي
ولا تسعداني بعدها لكما البقا فما فيَّ بعد اليوم فقر لمسعد
أمن بعد ما قد بَرَّد الشوق غُلّتي وزار الكرى أجفان طرفي المسهد
وهامَتْ بيَ الصهباءُ وجداً فكلٌّ من سقاها له طرف إلى رؤيتي صَدي
وأمسيتُ والكاساتُ شمسي وأصبحت عروسُ حميّا الحان تجلى على يدي
وأضحتْ ظباء الحيّ صيدَ خلاعتي وإن صدن من أهل النهى كلَّ أصيد
ذَرَاني وعزمي والدجى ومزاره فقد أبت العلياء إلا تفردي
ولا تأيسا من روحه وتأسَّيا فكم مُعْرِضٍ في اليوم يُقْبل في غد
ففي الحيِّ صَبّ باع مهجةَ نفسه لجيرةِ ذاك الحيّ نقداً بموعد
هو الحبُّ إما منية أو منية ودون العلا حـدّ الحسام المهند
ألم تَرَيا أني وجـدت تلذذي برؤياهُ عقبى حيرتي وتلدّدي
وقد عشت دهراً والزمانُ يهزني وتطربني الألحانُ من كلِّ منشد

فأغدو وفي ليلِ الغدائر دائباً أضلّ ومن صبح المباسم أهتدي
ويسقم جسمي كلُّ جفن وتارة يورّد دمعي كلّ خدّ مورد
فطوراً أرى في الربع يبدو تولّهي وطوراً وراء الظعن يُوهَى تجلدي
أحنّ للمع النار شبَّ ضرامها بنعمانَ في ظلِّ الأراك المعمد
وأصبو متى هَبّتْ صباحاً جرية تخبرني عن منجدٍ غير منجدي
وتخجل أجفاني السحاب بوَبْلها متى لاح لي برقٌ ببرقة ثهمد

وقال في غلام جميل الصورة حياهُ بتفاحة :

لله تفاحةٌ وافى بها سكني فسكّنَتْ لهباً في القلب يستعرُ
كفرصة المسك وافاني الغزالُ بها وغرّة النجم حياني بها القمر
حمراءُ في صورة المريخ عاطرة يزري بنشر الحميّا نشرها العطر
أتى بها قاتلي نحوي فهل أحدٌ قبلي تمشّى إليه الغصنُ والثمر

وقال أيضاً :

عسى الطيفُ بالزوراءِ منكَ يزورُ فقد نام عنه كاشحٌ وغيورُ
وكيف يزور الطيفُ صبّاً مسهّداً له النجمُ بعد الظاعنين سمير
سروا في ضياء من شموسِ خدورهم كأنّ سُراهم في الظلام منير
ظعائنُ تغزو الجيشَ وهي رديفة عليهنّ من سمر الرماح ستور
إذا نزلوا أرضاً تولت مُحُولها وأضحتْ وفيها روضةٌ وغدير
وان فارقوا أرضاً غدت ورمالها من الطيبِ مسكٌ والترابُ عبير
أأحبابنا النائين أدعو وبيننا سهولٌ عسيرٌ قطعُها ووعور
سقى أبرقَ الحنان حيث مَصيفكم من المزن داني الهيدبين مطير
ودار لكم بالبان عن أيمن الحمى يلوحُ عليها نَضْرة وسرور
قريبة عهدٍ بالخليط رسومها مواثل ما محّتْ لهنّ سطور
كأن مَواطي الخيل فيها أهلةٌ وآثار أخفافِ المطيّ بدور

وقال أيضاً :

في ذمّة الله من أهوى وإن بانا وإن أسرّ ليَ الغدرَ الذي بانا
وفي سبيل الهوى عهداً تحمله قلبٌ يرى حفظه الأيمان إيمانا
يا ظاعناً لم أكنْ من قبل فرقته أهوى ربوعاً ولا أشتاقُ أوطانا
لم يبق بينك عندي يا مُنى أملي للشوق قلباً ولا للدمع أجفانا

وقال أيضاً في كحال كحل محبوبه :

يا سيدَ الحكماءِ هذي سنةٌ مسنونةٌ في الطبّ أنت سننتها
أو كلما كلّتْ سيوفُ جفونِ مَنْ سفكت لواحظه الدماءَ[1] سننتها

وقال أيضاً :

يا من يشير إليهمُ المتكلمُ وإليهمُ يتوجه المتظلمُ
وعليهمُ يحلو التأسفُ والأسى ويلذ لوعاتِ الغرام المغرم
هذا الوجود وإن تعدّد ظاهراً وحياتكم ما فيه إلا أنتم
وشغلتمُ كلي بكم وجوارحي وجوانحي أبداً تحنُّ إليكم
وإذا نظرت فلست أنظر غيركم وإذا سمعت فمنكمُ أو عنكم
وإذا نطقت ففي صفات جمالكم وإذا سألت الكائناتِ فعنكم
وإذا سكرت فمن مدامة حبكم وبذكركم في سكرتي أترنم
وإذا نظمتُ تغزلاً في صورة فلأجل حسنكمُ المحجبِ أنظم
أنتم حقيقةُ كلِّ موجود بدا ووجود هذي الكائنات توهم
أنا في وجودكمُ غريبٌ بائسٌ وغريبكم ما باله لا يرحم

وقال أيضاً :

وأهيفِ القامةِ عذبِ اللّمى يقرُّ عينيه دوام السهرْ

---

[1] الزركشي : أجرى دماء العاشقين .

وما رأينا قبـل أجفانه   من نرجسٍ يذبل وقت السحر

وقال أيضاً :

إن أمَّ صحبي سَمراً أو أراكْ   فإنما مقصدهم أن أراكْ
وإن ترنمتُ بذكر الحمى   فإنما عقد ضميري حماك
وإن دعا غيرك داعٍ فما   أحسبُ إلا أنه قد دعاك
وإن بكى صبّ حبيباً فما   أحسبُ إلا أنـه قد بكاك
يا جملةَ الحبِّ وتفصيله   أجملتَ إذ فرّغتني من سواك
ويا غنياً عن غرامي به   مَن لي بأن يَرْحَمَ فقري غناك؛
ملأتَ كلَّ الكون عشقاً فما   أعرف قلباً خالياً من هواك

وقال أيضاً :

إلى كم ، رعاك الله ، تنأى وأقربُ   وأرضى بما تجني عليَّ وتغضبُ
فلا أنت مُشْكٍ إن شكوت فيشتفي   فؤادي وإن أعتبْ فما أنت معتب
تكلفتَ لي ذاك الودادَ فلم يدم   وكلُّ وداد بالتكلفِ يصعب
ومن يتكلفْ ضـدَّ ما هو طبعه   تَعُدْ نفسه للطبع ، والطبع أغلب
يقولون هندٌ لا تدومُ وزينب   على العهد ، كلُّ الناس هند وزينب
تطلبت وداً لا يكون لعـلةٍ   فأعوَزَني وجدانُ ما أتطلب
وحاولت من يُوفي بعهدٍ فلم أجد   كأن الذي حاولتُ عنقاءُ مُغْرِب
تلطفْ فإن اللطف منك سجيةٌ   تعطّفْ فإن العطفَ منك مجرب
وإن كان لا بدّاً من الهجر فاتئدْ   لعل رحيلي عن جنابك يقرب
سأرحلُ عنك اليوم لا متلفت   بوجهي كأني خائفٌ مترقب
وأما ودادي فَهْوَ باقٍ وإن من   بقاء ودادي أنني أتعتب

وقال أيضاً :

يا غزالاً قد سبانا حسنه   وهلالاً لاح في غصنِ لُجَيَنِ

قمر العقربِ[1] خوّفت ، فمن   منصفي من قمرٍ في عقربين

وقال أيضاً :

ما أحسنَ الجامعَ في ليلة النـ   صف وقد لاح عليه السرورْ
وأشبهت زهر قناديله   كاساتِ راحٍ للندامى تدور
وقارن النسرُ الثريا به   وقابل البدر هناك البدور

وقال أيضاً :

ما مثل جامعنا ومثل وقيده   كضياء طلعة شاهدي ومواصلي
وكأن ذاك الوجه قنديل يرى   ومن العذار معلقٌ بسلاسل

وقال أيضاً في مروحة :

ومحبوبةٍ في القيظ لم تخلُ من يدٍ   وفي القرّ تجفوها أكفّ الحبائبِ
إذا ما الهوى المقصور هيّج عاشقاً   أتت بالهوى الممدود من كل جانب

وقال في مليح مُغَنٍّ :

وأهيفَ إن غنّى فقمريٌّ بانةٍ   وإنماس من عُجبٍ فبعضُ غصونها
تحرك خلف الدفّ حتّى تحرّكت   قلوبُ رجالٍ فجعت بسكونها

وقال أيضاً :

هل عهد ليلى بالكثيب عائدُ   أم طيفها لسُقْمِ جسمي عائدُ
حوراء حار العقلُ في صفاتها   لها الجمالُ عاشقٌ وحاسد
فكلُّ عضوٍ فيه بدر طالعٌ   وكلّ عطف فيه غصن مائد
فعطفها وحسن صبري ناقصٌ   وحسنها وفرط وجدي زائد
يا كعبةَ الحسن التي أحجّها   فؤاد مضناك عليك وافد
قد سُقت في الهوى إليك مهجتي   والدم دمع لغرامي شاهد

[1] المطبوعة : قمرى العرب ، والتصويب عن الزركشي .

وطفت في مغناك حتى ملّني من أرضك الرسومُ والمعاهد
ولم أقصّر فيك عن حفظ الهوى والحر من يحفظُ من يعاهد
وربما يُجْمَعُ جَمْعُ شملنا بكم وتصفو عندك الموارد
وعلّنا نقضي منانا بمنى وتنقضي من وصلنا المواعد
أو لا فموتي فيكمُ شهادةٌ عليّ فيها بالرضى شواهد

وحكى لي الشيخ عز الدين الدربندي المؤذن بالجامع الأموي ، رحمه الله تعالى ، قال : أخبرني نجم الدين ابن إسرائيل قال : أضقت في بعض الأوقات إضاقة شديدة ، فقلت في نفسي : والله لا مدحتُ غير الله تعالى ، فقلتِ القصيدة السينية التي أولها :

يا ناقُ ما دون الأثيلِ معرّسُ جِدّي فصُبْحُكِ قد بدا يتنفسُ
واستصحبي عزماً يبلغك الحمى لتظلّ تغبطك الجواري الكنّس

قال : فجاءت اثنين وستين بيتاً ، وكان لي عادة أن أنظم القصيدة وأنقحها فيما بعد ، فعرضت القصيدة فلم أرَ فيها ما يحذف ، فنمت ليلتي ، فلما كان وقت السَّحَر وإذا بالباب يدقُّ ، فقمت فوجدت قاصداً من مصر ومعه كتاب من الأمير جمال الدين [ابن] يغمور ، وصُحْبَته صرّة ذهب ، وقال : الأمير يسلم عليك ، وهذه برسم النفقة ، فعددت الذهب فكان اثنين وستين ديناراً ، أو كما قال ، رحمه الله تعالى .

٤٦٢

شرف الدين ابن الوحيد

محمد بن شريف بن يوسف ، الكاتب شرف الدين بن الوحيد صاحب الخط الفائق والنظم والنثر ؛ كان تام الشكل حسن البزّة موصوفاً بالشجاعة متكلماً بعدة ألسُن ، يضرب المثل بحسن كتابته . توفي سنة إحدى عشرة وسبعمائة وقد شاخ .

سافر إلى العراق واجتمع بياقوت المجود ، وكان قد اتصل بخدمة بيبرس الجاشنكير ، وكتب له أجزاء ختمة في سبعة أجزاء بليقة ذهب بقلم الثلث في قطع البغدادي [1] ، دخل فيها جملة من الذهب أعطاها له الجاشنكير [2] ألف وستمائة دينار أو ألف وأربعمائة دينار ، دخل الختمة ستمائة دينار وأخذ الباقي ، فقيل له في ذلك فقال : متى يعود آخر مثل هذا يكتب مثل هذه الختمة ؛ وزمّكها [3] صندلُ المذهِّب ، وهي وقف في جامع الحاكم . وكتب السبعة أقلام طبقة ، وخدم بديوان الإنشاء بالقاهرة ، ومن نظمه في تفضيل الحشيش :

وخضراءَ لا الحمراءُ تفعلُ فعلَها ... لها وثَبَاتٌ في الحشا وثباتُ
تؤجِّج ناراً في الحشا وهي جنةٌ ... وتبدي مريرَ الطعم وهي نبات

وقال أيضاً :

جهدُ المغفلِ في الزمان مضيّعٌ ... وإن ارتضى أُستاذَهُ وزمانَهُ

---

٤٦٢ – الوافي ٣ : ١٥٠ والزركشي : ٢٨٣ والبدر السافر : ١٠٨ والدرر الكامنة ٤ : ٧٣ .

١ الوافي : بليقة ذهبية قلم الأشعار ثلث كبير قطع البغدادي .

٢ زاد في الوافي : برسم الليقة لا غير .

٣ زمك : وضع حاشية ضيقة (للثوب أو لغيره) .

كالثور في الدولاب يسعى وَهو لا   يدري الطريقَ فلا يزال مكانه

وكان ناصر الدين شافع قد وقف على شيء من نظمه فأثنى عليه وشكره : فلما بلغ ابن الوحيد ذلك قال :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

وكان ناصر الدين شافع قد عمي ، فلما بلغه قوله كتب إليه أبياتاً يهجوه :

نعم نَظَرْتُ ولكن لم أجد أدباً   يا مَنْ غدا واحداً في قلة الأدبِ
عيرتني بعمًى أصبحت تذكره[1]   والعيبُ في الرأس دونَ العيب في الذنب

وكان الواقع [عظيماً][2] بينه وبين محيي الدين ابن البغدادي ، و [ابن البغدادي][2] عمل له ذلك المنشور الذي أقطعه فيه قائم الهرمل وابن عروة[3] وأبو عروق وما أشبه هذه الأماكن .

ورأيت كتاب « خواص الحيوان » وفيه مكتوب ذكر الضبع : من خواص شعرها أنه من تحمل بشيء منه حدث له البغاء ، وقد كتب ابن البغدادي على الهامش : أخبرني الثقة شرف الدين ابن الوحيد الكاتب أنه جرّب ذلك فصحّ معه ، أو كما قال .

---

١ الوافي : جازيت مدحي وتقريظي بمعيرة .
٢ زيادة عن الوافي .
٣ وابن عروة : لم ترد في الوافي .

٤٦٣
العلوي

محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب ؛ حمله المتوكل من البادية سنة أربعين ومائتين في من طالبه من آل أبي طالب ، فحبس ثلاث سنين ثم أطلق ، فأقام بسامرا ثم عاد إلى الحجاز . وكان راوية أديباً شاعراً ، وهو القائل في الحبس من أبيات :

وبدا له من بعد ما اندملَ الهوى ... برقٌ تألَّقَ بالحمى لمعانُهُ
يبدو كحاشية الرداءِ ودونه ... صعبُ الذرى متمنعٌ أركانه
فدنا لينظرَ أين لاح فلم يجدْ[١] ... نظراً إليه وصدَّهُ سَجّانه
فالنارُ ما اشتملتْ عليه ضلوعه ... والماءُ ما سمحت به أجفانه

٤٦٤
عماد الدين الدنيسري

محمد بن عباس بن أحمد بن صالح ، الحكيم البارع عماد الدين الدنيسري ؛ ولد بدنيسر سنة خمس وستمائة[٢] ، وقرأ الطب حتى برع فيه ، وساد[٣]

٤٦٣ – الوافي ٣ : ١٥٤ ومعجم الشعراء : ٣٨٠ والأغاني ١٦ : ٢٨٢ .
١ الوافي : يطق .
٤٦٤ – الوافي ٣ : ٢٠٠ والزركشي : ٢٨٤ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٦٧ والشذرات ٥ : ٣٩٧ والبدر السافر : ١١٩ .
٢ الوافي : خمس أو ست وستمائة .
٣ في المطبوعة : وقد سافر .

وسمع الحديث بالديار المصرية ، وصحب البهاء زهيراً مدّة وتخرج به في الأدب والشعر ، وتفقه على مذهب الإمام الشافعي ، وصنف « المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة » و « أرجوزة في الدرياق الفاروق » ، ونظم « مقدمة المعرفة »[1] لبقراط وغير ذلك ، وسكن الشام ، وخدم بالقلعة في الدولة الناصرية ثم خدم بالبيمارستان الكبير ، وكان أبوه خطيباً بدنيسر . سمع منه قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى والبرزالي . وتوفي سنة ست وثمانين وستمائة .

ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

وقلت شهودي في هواك كثيرةٌ ... وأصْدَقُها قلبي ودمعيَ مسفوحُ
فقال شهودٌ ليس يُقْبل قولهُم ... فدمعك مقذوفٌ وقلبك مجروح

وقال أيضاً :

عشقتُ بدراً مليحاً ... عليه في الحسنِ هالَهْ
مثلُ الغزالِ ولكن ... تغارُ منه الغزاله
فقلت أنت حبيبي ... ومالكي لا محاله
جسمي يذوب وجفني ... دموعه هطاله
بعثت من نار وجدي ... مني إليه رساله
ولي عليك شهود ... معروفة بالعداله

وقال أيضاً :

إذا رفــع العــود تكبيره ... ونادى على الراح داعي الفرحْ
رأيتَ سجودي لها دائماً ... ولكن عقيبَ ركوع القدح

وقال أيضاً :

١ الوافي : تقدمة المعرفة .

كَلِفتُ بالمعسولِ من ريقه وهمتُ بالعَسّال من قدّهِ
بدرٌ إذا أبصرته مقبلاً أبصرتَ بدرَ التم في سعده
يجرحُ قلبي لحظهُ مثلما يجرحه لحظيَ في خدّه
قلت لعذالي على حبه والقلبُ موقوفٌ على وجده
مَنْ يده في الما إلى زنده يعرفُ حرَّ الماءِ من برده

وقال أيضاً :

ولقد سألت وصاله فأجابني عنه الجمالُ إشارةً عن قائلِ
في نونِ حاجبه وعينِ جفونه مع ميم مبسمهِ جوابُ السائل

٤٦٥

بدر الدين ابن الفويرة

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن حفاظ ، بدر الدين السلمي الحنفي الدمشقي ، ابن الفويرة ؛ تفقه على الصدر سليمان ، وبرع في المذهب ودرس وأفتى ، وأخذ العربية عن الشيخ جمال الدين ابن مالك ونظر في الأصول ، وقال الشعر الفائق ، وكان ذا مروءة ودين ومعروف ، وهو والد القاضي جمال الدين ابن الفويرة .

ومن شعره :

وشاعرٍ يسحرني طرفُه ورقةُ الألفاظِ من شعرهِ

---

٤٦٥ – الوافي ٣ : ٢٣٥ والجواهر المضية ٢ : ٨٢ والزركشي : ٢٨٥ والشذرات ٥ : ٣٤٧ وعبر الذهبي ٥ : ٣٠٦ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٥٣ وضبط الفويرة بكسر الراء المهملة، وكانت وفاة ابن الفويرة سنة ٦٧٥ في جمادى الأولى منها .

أنشدني نظماً بديعاً له أحببْ بذاك النظمِ من ثغره

وقال أيضاً :

عاينت حَبَّـةَ خاله في روضة من جلَّنارِ
فغدا فؤادي طائراً فاصطاده شَرَكُ العـذار

وقال :

كانت دموعيَ حُمْراً قبل بينهمُ فمذ نأوا قصرتها لوعةُ الحرَقِ
قطفتُ باللحظ ورداً من خدودهمُ فاستقطر البينُ[1] ماءَ الورد من حدقي

وقال أيضاً :

ورياضٍ كلما انعطفتْ نثرت أوراقُها ذهبا
تحسبُ الأغصانَ حين شدا فوقها القمريُّ منتحبا
ذكرت عصرَ الشباب وقد لبستْ أبراده القُشُبا
فانثنتْ في الدَّوْح راقصةً ورمت أثوابها طربا[2]

وقال أيضاً :

والروض مثل العروس قد خطرت أعطافه في ملابسٍ قُشُبِ
وريقه الطلُّ قد طفت درراً على كؤوس الشقيق كالحبب
في أعين النور كالدموع وفي مباسمِ الأقحوان كالشنب

وقال أيضاً :

ألاَ ربَّ غصنٍ أثمر البدرَ طالعاً وأورق ليلاً من عذاريه أليلا
محياه روضٌ نرجسُ اللحظِ زهره وقد سال فيه عارضُ الخدِّ جدولا

---

١ الوافي : البعد .
٢ إلى هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

وقال أيضاً :

أَلمتْ بنا والليل زُهْرٌ نجـومُهُ كأحداقِ زَهْرٍ فتحتها الحدائقُ
وأبدت مُحَيَّاها لنا وتبسمتْ وهل مع شروقِ الشمس يامع بارق

وقال أيضاً :

تأمّل إلى الروض الأنيق وحسنه وبهجة ذاك النور بين الحـدائقِ
وقد نثرت أيدي السماء لآلئـاً نظمن حَبـاباً في كؤوس الشقائق

وقال يمدح الملك الناصر يوسف بن العزيز :

أذاع لسانُ الدمع يوم النوى سري وحلّتْ أكفُّ البين فيه عُرى صبري
وطَلّتْ على الأطلالِ[1] أسيافُ نأيهم دمي واغتدى قلبي أسيراً مع السَّفْر
وعطل نادي الأنس من حَلْي حسنهم فحليته من أدمعِ العينِ[2] بالدر
رعى الله ليلاتٍ تقضتْ بوصلهم فقد كنَّ كالحيلانِ في وَجنة الدهر
وحيا رياضاً بالحمى كنت منهمُ أنال المنى في ظل أغصانه الخضر
وأُركضُ طِرْفَ اللهو في حَلبة الهوى فأعثر في ذيل المسرّةِ بالسكر
ولله ليل زارني في ظـلامه غزالٌ رشيقُ القدّ كالغُصُن النضر
شربت مياهَ الحسن من روضِ وجهه براحة طرفي والدجى مُسبل الستر
وبتنا وثوبُ الوصل يُنشَرُ بيننا إلى أن طوت بردَ الظلام يدُ الفجر
فقام كبدر التم في غَسَق الدجى يدير شموسَ الراح في الأنجم الزهر
وطاف علينا بالكؤوس ضُحًى وقد تمايل عطفُ الروض في الحلل الخضر
تعانق قَدَّ الغصنِ أيديه تارة ويلثم طوراً ثغره وجنة النهر
وألقت عليه الشمسُ ثوبَ شعاعها لتمسحَ دمعَ الطل من أعين الزهر
وفاح نسيم الريح يعبثُ في الربى بديباج روض حاكه واكفُ القطر

---

[1] المطبوعة : اطلاق ، والتصويب عن الزركشي .
[2] المطبوعة : أعين الدمع ، وصوبته عن الزركشي .

وينسابُ منها المـاء بين شقائقٍ بدت كالغواني في غلائلها الحمر
كما لمعت أسيافُ يوسفَ في الوغى مخضبةً أطرافها من دم الكفر

ومنها في المديح أيضاً :

يشيّد بنيانَ المعالي لمجده ويرفل في ثوب المكارم والفخر
هو البحرُ يسطو في غديرِ مُفاضةٍ بجدوله الماضي على الجحفل المجر
ويغرس في لَبّاتهم سوسنَ القنا فينبت ورد الطعن من ساحة الصدر
ولو لم تكن يمناه غيثاً لما بدا بها لامعاً برقُ المهندة البتر
ولا أورقت بالنضر في موقف الوغى وقد جال أغصانُ المثقفة السمر
ويا عجباً من كفه كيف أضرمت شرارَ حروب وهي أندى من البحر
ورقّصْتُ في ليل المداد عقيلةً تناغي بألفاظٍ أرق من الخمر
وقد قلدت من بحر علياك جيدها بنظم لآلٍ هذبته يد الفكر
تغالي ملوك الأرض في مهر مثلها وها هي قد جاءت إليك بلا مهر

٤٦٦
شهاب الدين الباجربقي

محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجُرْبَقي[١] الجزري ، الشيخ الزاهد ابن المفتي الكبير جمال الدين ؛ تحول جمال الدين بولَدَيه بعد الثمانين

---

٤٦٦ – الوافي ٣ : ٢٤٩ والدرر الكامنة ٤ : ١٣٠ والشذرات ٦ : ٦٤ وذيل العبر : ١٣٤ ودول الاسلام ٢ : ١٧٧ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٦٢ والسلوك ٢ : ٢٥٨ والبداية والنهاية ١٤ : ١٥ .

١ المطبوعة : عبد الرحمن بن عمر الباجريقي ، وهو خطأ . والباجربقي : نسبة إلى باجربق ، قرية من قرى بين النهرين (ياقوت) .

وستمائة إلى دمشق ، فسمّعهما من ابن البخاري ، وجلس للإفادة والإفتاء ودرّس ومات وقد شاخ بعد السبعمائة ، فتزهد ولده محمد المذكور وحصل له حال وكشف ، فانقطع فصحبه جماعة من الرذالة ، وهوّن لهم أمر الشرائع وأراهم بوارق شيطانية ، وكان له قوّة تأثير ، فقصده جماعة من الفضلاء قلدوا الشيخ صدر الدين[1] ابن الوكيل في تعظيمه ، وكان ممن قصده الشيخ مجد الدين التونسي النحوي ، فسلكه على عادته ، فجاء إليه في اليوم الذي قال له تعود إليّ فيه فقال له : ما رأيت ؟ قال : وصلت في سلوكي إلى السماء الرابعة ، فقال : هذا مقام موسى بن عمران بلغته في أربعة أيام ، فرجع الشيخ مجد الدين إلى نفسه وتوجه إلى القاضي وحكى له ما جرى ، وتاب إلى الله تعالى وجدّد إسلامه ، فطلب الباجربقي وحكم بإراقة دمه فاختفى ، وتوجه إلى مصر وانقطع بالجامع الأزهر وتردّد إليه جماعة ، وكان الشيخ صدر الدين يتردّد إليه [وهو بدمشق] ويجلس بين يديه ويحصل له بهت في وجهه ، ويضع يده تحت ذقنه ويخلل ذقنه بأصابعه وينشد :

عجبٌ من عجائبِ البرّ والبحـ ـر وشكلٌ فردٌ ونوعٌ غريبُ

وشهد عليه مجد الدين التونسي وخطيب الزنجيلية والشيخ أبو بكر ابن شرف[2] بما أبيح به دمه ، وحكي عنه التهاون بالصلاة وذكر النبي صلى الله عليه وسلم باسمه من غير تعظيم ولا صلاة عليه ، حتّى يقول : ومن محمد هذا ؟ فحكم القاضي جمال الدين الزواوي المالكي بإراقة دمه ، فاختفى وسافر إلى العراق ، وسعى أخوه بحماية بيبرس العلائي إلى الحنبلي ، فشهد نحو العشرين بأن الستة الذين شهدوا عليه بينهم وبينه عداوة ، فحقن الحنبلي دمه ، فغضب المالكي وجدّد الحكم بقتله ، وجاء بعد مدّة ونزل بالقابون على باب دمشق ، ولم

---

١ الوافي : نصر الدين .

٢ الوافي : مشرف .

يزل مختفياً إلى أن مات ، وله ستون سنة ، سنة أربع وعشرين وسبعمائة .
وكان يقول : إن الرسل طوّلت على الأمم الطريق [1] إلى الله تعالى .

٤٦٧
شمس الدين الرسعني

محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني [2] ، العدل شمس الدين المحدث الحنبلي نزيل دمشق ؛ كان شيخاً أبيض مليح الشكل ، ولد سنة عشر [3] وستمائة ، وسمع من ابن روزبه وابن بهروز وابن القبيطي وكريمة وجماعة ، وأمَّ بالمسجد الكبير بالرماحين ، وسافر إلى مصر في شهادة ، ولما عاد دخل الشريعة يسقي فرسه فغرق ولم يظهر له خبر ، وذلك سنة تسع وثمانين وستمائة .
كتب إليه بهاء الدين [ابن] الأرزني [4] :

أحنُّ إلى تلك السجايا وإن نأت ... حنين أخي ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
وأهدي إليها من سلامي مُشاكلاً ... نسيمَ الصبا جاءت بريا القرنفل

فأجابه شمس الدين المذكور :

على فترةٍ جاء الـكتابُ معطراً ... بمسكٍ سحيقٍ لا بريّا القرنفلِ

---

١ الوافي : الطرق .
٤٦٧ — الوافي ٣ : ٢٥١ والزركشي : ٢٨٦ والبدر السافر : ١١٢ والشذرات ٥ : ٤١٠ وعبر الذهبي ٥ : ٣٦٤ وذيل ابن رجب ٢ : ٣٢٤ .
٢ في المطبوعة : الرسعيني ، وكذلك هو في الزركشي ، والمشهور ما أثبته ، ولعل « الرسعيني » نسبة شائعة .
٣ الوافي : في بضع عشرة .
٤ المطبوعة : الأزدي ، والتصويب عن الوافي .

فأذكرني ليلاتِ وصل تصرمت بدارِ حبيبٍ لا بدارةِ جُلْجُل
شكوتُ إلى صبري اشتياقاً فقال لي ترفقْ ولا تَهلك أسًى وتَجمَّل
فقلتُ له إني عليك معوّلٌ وهل عند رسمٍ دارسٍ من معوَّل

ومن شعره أيضاً :

ولو أن إنساناً يبلّغ لوعتي ووجدي وأشجاني إلى ذلك الرشا
لأسكنته عيني ولم أرضها له ولولا لهيبُ القلبِ أسكنته الحشا

وقال أيضاً :

أأحبابنا إن جادتِ المزنُ أرضكمْ فما هيَ إلا من دموعيَ تمطرُ [1]
وإن لاح برقٌ فهو برقُ أضالعي وإن ناح ورقٌ عن أنينيَ [2] يخبر
وان نسمتْ ريحُ الصبا وتأرَّجَتْ فمن طيبِ أنفاسي بكم تتعطر
وإن رنحتْ أغصانَ دجلةَ فانثنت فعني بإبلاغ النسيم تخبر [3]
ومن عجبٍ أني أكتّم لوعةً وأودعها طيَّ الصبا وهي تنشر

٤٦٨

أمير المؤمنين المهدي

محمد بن عبدالله ، أمير المؤمنين المهدي ابن المنصور ، ثالث خلفاء

---

١ البدر السافر : تقطر .
٢ البدر : حنيني .
٣ البدر : تبشر .
٤٦٨ — الوافي ٣ : ٣٠٠ والزركلي : ٢٨٧ والشذرات ١ : ٢٦٦ والروحي : ٤٧ والفخري : ١٦١ وتاريخ الخلفاء: ٢٩٦ وخلاصة الذهب المسبوك: ٩٠ ودول الإسلام ١ : ٨٦ والبدء والتاريخ ٦ : ٩٥ وتاريخ بغداد ٥ : ٣٩١ وابن الساعي : ٢٣ وانظر المصادر التاريخية الكبرى (كالطبري واليعقوبي والمسعودي وابن الأثير وابن خلدون . . . الخ

بني العباس ؛ مولده سنة سبع وعشرين ومائة ؛ كان جواداً ممدّحاً ، مليح الشكل محبباً إلى الرعية ، قَصَّاباً[1] للزنادقة ، وكان ملكه عشر سنين وشهراً ونصفاً ، مات في سنة تسع وستين ومائة ، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة ، وصلّى عليه ولده هارون الرشيد . ومن شعره :

أرى ماءً وبي عطشٌ شديدٌ ولكن لا سبيلَ إلى الورودِ
أما يكفيك أنك تملكيني وأن الناسَ كلهم عبيدي
وأنكِ لو قطعتِ يدي ورجلي لقلتُ من الرضى أحسنتِ زيدي

وكتب إلى جاريته الخيزران وهو في منتزهٍ له :

نحن في أفضلِ السرورِ ولـكن ليس إلا بكم يتم السرورُ
عيبُ ما نحن فيه يا أهلَ ودّي أنكمْ غبتمُ ونحن حضور
فأغِـذّوا المسيرَ بل إن قدرتم أن تطيروا مع النسيم فطيروا

دخل ابن الخياط المكي عليه فقبل يده ومدحه ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فلما قبضها فرّقها على الناس وقال :

لمستُ بكفي كفّهُ أبتغي الغنى ولم أدرِ أن الجودَ من كفه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفَدْتُ وأعداني فضيعتُ ما عندي

وبلغ المهديَّ ذلك فأعطاه بكل درهم ديناراً .

وجلس المهدي جلوساً عاماً فدخل عليه رجل وبيده منديل فيه نعل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك ، فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينيه وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فلما خرج قال لجلسائه : ما ترون ؟ إني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلاً عن أن يكون قد لبسها ، ولو كذبناه لقال للناس :

---

١ المطبوعة : قصاماً ، وأثبت ما في الوافي والزركشي .

أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّها عليّ ، وكان من يصدقه أكثر ممن يكذبه ، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها ، والنصرة للضعيف على القويّ وإن كان ظالماً ، فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدّقنا قوله ، وكان الذي فعلناه أرجح وأنجح .

٤٦٩

أبو الشيص الشاعر

محمد بن عبد الله بن رزين ، الشاعر المشهور الملقب بأبي الشِّيص ، وهو ابن عم دِعْبِل الخزاعي ؛ توفي سنة ست وتسعين ومائة ، وقد كف بصره .

قال أبو الشيص وهو مشهور عنه[1] :

وقَفَ الهوى بي حيث أنتِ فليس لي ... متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ
أجد الملامةَ في هواك لذيذةً ... حباً لذكرك فليلمني اللُّوَّم
أشبهتِ أعدائي فصرتُ أحبهم ... إذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت روحي عامداً ... ما مَنْ يهونُ عليك ممن يُكرم

فأخذ بعض المغاربة هذا المعنى فقال :

هُدِّدت بالسلطان فيكِ وإنما ... أخشى صدودك لا من السلطانِ
أجد اللذاذةَ في الملام فلو درَى ... أخذَ الرشا مني الذي يَلحاني

---

٤٦٩ — الوافي ٣ : ٣٠٢ والزركشي : ٢٨٧ والأغاني ١٦ : ٣١٩ والشعر والشعراء : ٧٢١ وتاريخ بغداد ٥ : ٤٠١ والسمط : ٥٠٦ وطبقات ابن المعتز : ٧٢ ونكت الهميان : ٢٥٧ وجمع شعره الاستاذ عبد الله الجبوري (بغداد ١٩٦٧) .

١ الديوان : ٩٢ .

ولأبي الشيص[1] :

لا تنكري صَدّي ولا إعراضي ليس المُقِل عن الزمان براضِ
شيئان لا تصبو النساءُ إليهما حَلْيُ المشيب وحلةُ الإنفاض
حسر المشيبُ قناعه عن رأسه فرمينه بالصدِّ والإعراض
ولربما جعلت محاسنُ وجهه لجفونها غرضاً من الأغراض

٤٧٠
محمد ابن طاهر

محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي الخراساني ، الأمير أبو العباس ؛ كان جواداً ممدّحاً أديباً شاعراً ، مألفاً لأهل الفضل والأدب [من بيت الأدب][2] والإمرة والتقدم ، وَلاّه المتوكلُ على بغداد ، وعظم سلطانه في دولة المعتز إلى أن مات بالخوانيق سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، ومن شعره ما كتبه إلى جارية له :

ماذا تقولين في مَن شَفّه سَقم من جهد حبك حتى صار حيرانا

فأجابته :

إذا رأينا محباً قد أضرَّ به جَهدُ الصبابةِ أوليناه إحسانا

وقال في حسن العشرة :

---

١ الديوان : ٧٢ .

٤٧٠ – الوافي ٣ : ٣٠٤ والزركشي : ٢٨٧ وتاريخ بغداد ٥ : ٤١٨ ومعجم الشعراء : ٣٨٣ والديارات : ٨١ .

٢ زيادة من الوافي .

أواصِلُ من هويتُ على خلالِ أذُودُ بهنّ لَيّاتِ المقالِ
وأحفظ سرّه والغيبَ منه وأرعى عهدَهُ في كلِّ حال
وفاءٌ لا يحل به انتكاث وودٌّ لا تخَوَّنُهُ الليالي
وأوثره على عسرٍ ويسرٍ وينفذ حكمه في سرّ مالي
وأغفر نبوةَ الإدلال منه إذا ما لم يكنْ غير الدلال
وما أنا بالملول ولا بجافٍ ولا الغدرُ المذمّمُ من فعالي

وقال في الأترنج :

جسمُ لجينٍ قميصُهُ ذَهَبٌ ركّبَ فيه بديع تركيبِ
فيه لمن شمه وأبصره لونُ محبّ وريحُ محبوب

٤٧١

أبو عبد الله ابن الأبار

محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن ، الحافظ العلامة أبو عبد الله القُضاعي البَلَنْسي ، الكاتب الأديب المعروف بابن الأبّار ؛ ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة . عني بالحديث وجال في الأندلس وكتب العالي والنازل ، وكان بصيراً بالرجال عالماً بالتاريخ إماماً في العربية ، فقيهاً مفنناً[١] أخبارياً فصيحاً ، له يد في البلاغة والإنشاء ، كامل الرياسة ، ذا رياسة

---

٤٧١ — الوافي ٣ : ٣٥٥ والزركشي : ٢٨٧ والبدر السافر : ١٢٠ والذيل والتكملة ٦ : ٢٥٣ واختصار القدح : ١٩١ (وعنه النفح ٣ : ٣٠٣ وانظر أيضاً ٢ : ٥٨٩) ورحلة ابن رشيد وعنوان الدراية : ٣٠٩ وأزهار الرياض ٣ : ٢٠٤ والمغرب ٢ : ٣٠٩ والشذرات ٥ : ٢٧٥ وعبر الذهبي ٥ : ٢٤٩ ولعبد العزيز عبد المجيد مؤلف عنه (تطوان ١٩٥١) .

١ الوافي : مقرئاً .

وافية وأبهة[1] وتجمل وافر .

وله من المصنفات «تكملة الصلة» لابن بَشكوال . كتاب «تحفة القادم» وكتاب «إيماض البرق» .

قتل مظلوماً بتونس على يد صاحبها لأنه تخيل منه الخروج وشَق العصا ، وقيل إن بعض أعدائه ذكر عند صاحب تونس أنه ألف تاريخاً وأنه تكلم فيه في جماعة ، فلما طلب وأحس بالهلاك قال لغلامه : خذ البغلة وامضِ بها حيث شئت فهي لك ، وكان ذلك في سنة ثمان وخمسين وستمائة .

ومن شعره :

مرقوم[2] الخدّ مورّدُهُ ... يكسوني السقمَ مجرّدُهُ
شَفّافُ الدّر له جسدٌ ... بأبي ما أُودِعَ مجسده
في وجنته من نعمته ... جمرٌ بفؤادي موقده
ريمٌ يرمي عن أكحله ... زُرقاً تُصْمي من يصمده
متداني الخطوةِ من ترَفٍ ... أترى الأحجالَ تقيّده
ولاّهُ الحسن وأمّرهُ ... وأتاه السحرُ يؤيده

وقال أيضاً :

ونهرٍ كما ذابت سبائكُ فضةٍ ... حكى بمحانيه انعطافَ الأراقمِ
إذا الشفق استولى عليه احمراره ... تراءى خضيباً[3] مثلَ دامي الصوارم

وقال أيضاً[4] :

---

١ الوافي : ذا جلالة وأبهة .

٢ المطبوعة : منظوم.

٣ المطبوعة : قضيباً ، والتصويب عن الوافي ؛ الوافي : تبدى خضيباً .

٤ ليست هذه القصيدة لأبي عبد الله بن الأبار وإنما هي لأبي جعفر أحمد بن محمد الخولاني ويعرف أيضاً بابن الأبار ، وقد نسبها لهذا الثاني ابن بسام في الذخيرة وابن خلكان في الوفيات ١ : ١٤١ وفي ترجمة ابن الأبار هذا انظر الذخيرة ٢ : ٥٢ والمغرب ١ : ٢٥٣ والجذوة : ١٠٧ وبغية =

لم تدر ما خَلّدتْ عيناك في خَلَدي من الغرام ولا ما كابدَتْ كبدي
أفديك من رائدٍ رام الدنوَّ فلم يسطعه من فَرَقٍ في القلب متقد
خان العيونَ فوافاني على عجلٍ معطلاً جيده إلا من الجيَد
عاطيته الكأسَ فاستحيتْ مدامتها من ذلك الشنَب المعسولِ والبرد
حتى إذا غازلتْ أجفانه سِنَةٌ وصيرته يدُ الصهباء طوعَ يدي
أردْتُ توسيدَهُ خدي وقلتُ له فقال كفك عندي أفضل الوسُد
فبات في حرمٍ لا غَدرَ يذعره وبتُّ ظمآنَ لم أصدرْ ولم أرد
بدرٌ ألمَّ وبدرُ الأفقِ ممتحقٌ والجو مُحْلَولكُ الأرجاءِ من حسد
تحير الليلُ فيه أين مطلعه أما درى الليلُ أن البدرَ طوعُ يدي

وقال أيضاً[1] :

زارني خيفة الرقيب مريبا يتشكّى القضيبُ منه الكثيبا
رشأ رَاشَ لي سهام المنايا من جفونٍ تصمي بهنَّ القلوبا
قال لي : ما ترى الرقيبَ مطلاً قلت ذره أتى[2] المكان الرحيبا
واسقنيها بخمرِ[3] عينيك صرفاً واجعل الكأس منك ثغراً شنيبا
عاطني أكؤسَ الرضاب دِراكاً وأدرها عليَّ كوباً فكوبا
ثم لما أن نام من بعد نعسٍ[4] وتَلقّى الكرى سميعاً مجيبا
قال لا بد أن تدبَّ إليه قلت أبغي رشاً وآخذ ذيبا

= الملتمس رقم : ٣٦٤ ومسالك الأبصار ١١ : ١٨ وقد أخطأ الزركشي أيضاً في نسبتها لابن الأبار المؤرخ ؛ أماالصفدي فلم يقع في هذا الوهم .

١ هذه القصيدة أيضاً ثابتة النسبة لابن الأبار الخولاني (انظر الحاشية السابقة) وقد وردت في ترجمته في الذخيرة والنفح ٣ : ٤٧٧ .

٢ المطبوعة : أين ، والتصويب عن النفح .

٣ النفح : من خمر .

٤ النفح : من نتقيه .

قال فابدأ بنا وثَنِّ عليه قلت عمري لقد وقعت[1] قريبا
فوثبنا على الغزال وثوبا ودببنا إلى الرقيب دبيبا
فتَهَلْ ابصرت أو سمعت بصبٍّ ناك محبوبه وناك الرقيبا

٤٧٢

الشيخ جمال الدين ابن مالك

محمد بن عبد الله [بن عبد الله] بن مالك ، الإمام العلامة الأوحد جمال الدين الطائي الجيّاني الشافعي النحوي نزيل دمشق؛ ولد سنة ستمائة[2] وسمع بدمشق وتصدّر بحلب لإقراء العربية ، وصرف همته إلى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين ، وكان إماماً في القراءات وعللها ، صنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية ، وأما اللغة فكان إليه المنتهى فيها ، وكان إماماً في العادلية فكان إذا صلى فيها يُشيّعه قاضي القضاة شمس الدين ابن خلّكان إلى بيته تعظيماً له ، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يُشَق لُجّه[3] ، وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو فكان أمراً عجيباً ، وكان الأئمة الأعلام يتحيرون في أمره ، وأمّا الاطلاع على الحديث فكان فيه غاية[4] ، وكان أكثر ما يستشهد بالقرآن ، فإن كان ما فيه

١ المطبوعة : كلا لقد رفعت ؛ النفح : لقد أتيت .

٤٧٢ — الوافي ٣ : ٣٥٩ والزركشي : ٢٨٨ ونفح الطيب ٢ : ٢٢٢ وغاية النهاية ٢ : ١٨٠ وبغية الوعاة : ٥٣ والبلغة : ٢٢٩ والسلوك ١ : ٦١٣ ومرآة الجنان ٤ : ١٧٢ .

٢ الوافي : سنة إحدى [وستمائة] .

٣ المطبوعة : لجحه .

٤ الوافي : آية .

شاهدٌ عَدَلَ إلى الحديث فإن لم يكن [فيه] شيء عدل إلى أشعار العرب ، هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وكثرة النوافل وحسن السَّمت وكمال العقل ، وانفرد عن المغاربة بشيئين : الكرم ومذهب الشافعي ، وأقام بدمشق مدة يصنف ويشغل[1] بالجامع وبالتّربة العادلية ، وتخرج به جماعة ، وكان نظم الشعر عليه سهلاً ، وصنف كتاب « تسهيل الفوائد » . مدحه سعد الدين ابن عربي بأبيات مليحة إلى الغاية وهي هذه :

إن الإمامَ جمالَ الدين جَمّله ربُّ العلا ولنَشرِ العلم أهّلَهُ
أملى كتاباً له يُسْمى الفوائد لم يزلْ مفيداً لذي لبّ تأمله
فكلُّ مسألة في النحو يجمعها إن الفوائد جمع لا نظير له

ومن تصانيفه « سبك المنظوم وفك المختوم » وكتاب « الكافية الشافية » ثلاثة آلاف بيت ، وشرحها و « الخلاصة » و [هي] « مختصر الشافية » و « إكمال الإعلام بمثلث الكلام » و « فَعلَ وأفعل » و « المقدّمة الأسدية » وصنفها باسم ولده الأسد ، و « عدّة اللافظ وعمدة الحافظ » و « النظم الأوجز فيما يهمز » و « الاعتضاد في الظاء والضاد » و « إعراب مشكل البخاري » .

وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

قال شرف الدين الحصني يرثيه بأبيات ، رحمه الله تعالى :

يا شَتاتَ الأسماءِ والأفعالِ بعد مَوْتِ ابن مالك المفضالِ
وانحراف الحروف من بعد ضبطٍ منه في الإنفصال والاتصال
مصدراً كان للعلوم بإذن الل ه من غير شبهة ومِحَال
عدم النعت والتعطف والتو كيد مستبدلاً من الأبدال
ألمٌ إعتراه أسكن منه حركاتٍ كانت بغير اعتلال
يا لها سكنةً لهمزِ قضاءٍ أورثت طولَ مدة الانفصال

---

١ المطبوعة : ويشتغل .

رفعوه في نعشه فانتصبنا   نَصْبَ تمييز كيف سير الجبال
صرفوه يا عُظمَ ما فعلوه   وهو عَدلٌ مُعرف بالجمال
أدغموه في الترب من غير مثل   سالماً من تغيّر الإنتقال
وقفوا عند قبره ساعةَ الدف   ن وقوفاً ضرورةَ الامتثال
ومددنا الأكفَّ نطلبُ قصراً   مسكنا للنزيل من ذي الجلال
آخر الآي من سبا حظُّنا من   ه حظه جاءَ أوّلَ الأنفال
يا لسانَ الأعراب يا جامع الإ   عراب يا مفهماً لكلٍّ مقال
يا فريدَ الزمان في النظم والنث   ر وفي نقل مسندات العوالي
كم علوماً بثثتها في أناسٍ   علموا ما بثثت عند الزوال

٤٧٣
حافي راسه النحوي

محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر ، العلامة جمال الدين التلمساني ؛ محيي الدين النحوي [١] المعروف بحافي راسه .

كان من أئمة العربية ، وكان يحفظ « الإيضاح » للفارسي ، ويقرىء بداره .

ولد بتلمسان سنة ست وستمائة وسمع من ابن رواج [٢] وجماعة ، وتصدر للاشتغال زماناً ، أخذ عنه تاج الدين الفاكهاني وجماعة .

٤٧٣ — الوافي ٣ : ٣٦٤ والزركشي : ٢٨٩ والبدر السافر : ١١٧ (وقال فيه : الزناتي المازوني) وبغية الوعاة : ٥٧ والبلغة : ٢٣٠ (وفي نسبته : الزناتي الكملاني) ؛ وذكر صاحب البدر السافر أنه توفي سنة ٦٩١ .

١ المطبوعة : النووي ، وهو خطأ واضح .

٢ المطبوعة : رواحة .

ولقب بحافي رأسه لحفرة كانت في رأسه[1] ، وقيل لأنه كان في أول أمره مكشوف الرأس ، وقيل رآه رئيس في الثغر فأعطاه ثياباً جُدُداً لبدنه فقال : هذا لبدني ورأسي حافي ! ؟ فأمر له بعمامة ، فلقب بحافي راسه .

ومن شعره :

ومعتقدٍ أن الرياسةَ في الكِبرِ فأصبح ممقوتاً بها وهو لا يدري
يجرّ ذيولَ الكبر طالبَ رفعةٍ ألا فاعجبوا من طالبِ الرفع بالجر

وقال أيضاً :

يا منكراً من بخل أهلِ الثغر ما عرف الورى أنكرتَ ما لا ينكرُ
أقصرْ فقد صحت نتانةُ أهلِه ومن الثغور كما علمتَ الأبخر

وقال أيضاً :

ومعلمي الصبرَ الجميل بهجره فثنى فؤاداً عنه لم يك ينثني
لا بد من أجرٍ لكلِّ معلم وإلى السلو ثوابُ ما علمتني

وكتب إلى الأمير نور الدين علي بن مسعود الصوابي :

شكوتُ إليكَ نورَ الدين حالي وحسبي أن أرى وجه الصوابِ (ي)
وكُتْبي بعتُها ورهنتُ حتى بقيتُ من المجوسِ بلا كتاب

وتوفي سنة ثمانين وستمائة ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه .

---

[1] زاد الصفدي أيضاً : وقيل كان في رأسه شيء يشبهه ح .

٤٧٤
ابن حواري الحنفي

محمد بن عبد المنعم بن نصرالله بن جعفر بن أحمد بن حواري ، الشيخ تاج الدين أبو المكارم التنوخي المعرّي الأصل الدمشقي الحنفي ، ويعرف بابن شقير ، الأديب الشاعر ؛ ولد سنة ست وستمائة ، وهو أخو المحدّث الأديب نصرالله ، وكانت وفاة تاج الدين سنة تسع وستين وستمائة .

ومن شعره :

ما ضَرَّ قاضي الهوى العذريِّ حين وَلي ... لو كان في حكمه يقضي عليَّ ولي
وما عليه وقد صرنا رعيّتَهُ ... لو أنه مغمدٌ عنا ظُبا المقل
يا حاكمَ الحبِّ لا تحكم بسفكِ دمي ... إلا بفتوى فتورِ الأعينِ النجل
ويا غريمَ الأسى الخصم الألدّ هوًى ... رفقاً عليَّ فجسمي في هواك بلي
أخذت قلبيَ رهناً يومَ كاظمةٍ ... على بقايا دعاوٍ للهوى قِبَلي
ورمتَ مني كفيلاً بالأسى عبثاً ... وأنت تعلم أني بالغرام مَلي
وقد قضى حاكمُ التبريح مجتهداً ... عليَّ بالوجد حتى ينقضي أجلي
لذا قذفتُ شهودَ الدمع فيك عسى ... أنَّ الوصالَ بجرح الجفن يثبتُ لي
لا تسطونَّ بعسّالِ القوام على ... ضعفي فما آفتي إلا من الأسَلِ
هددتَني بالقلَى حسبي الجفا وكفى ... « أنا الغريق فما خوفي من البلل »

وقال أيضاً :

أمّا الوفاءُ فشيءٌ ليس يتفقُ ... من بعد ما خُنتَ يا قلبي بمن أثقُ
أغراك طرفي بما أغراك من فتنٍ ... حتى سبتك القدودُ الهيفُ والحدق

---

٤٧٤ — الوافي ٤ : ٤٧ والزركشي : ٢٩٠ والجواهر المضية ٢ : ٨٥ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٣٣ .

وقد تشاركتما في فتح باب هوًى | سُدَّتْ على سلوتي من دونه الطرق
سعيتما في دمي بغياً فيا لكما | لفرطِ بغيكما التبريحُ والأرق
حتام لا ترعوي يا قلبُ ذُبْ كمداً | فحسبك المزعجانِ الشوقُ والقلق [1]
تبيت[2] صباً كئيباً نَهبَ جندِ هوى | لا قاتلي بك طولَ الدهر معتلق
طوراً بنجدٍ وأحيانا بكاظمةٍ | وتارة لك يبدو بالحمى علق
وكلَّ يوم تُعَنيني إلى أملٍ | من دونه المرهفاتُ البيضُ تمتشق
أبكي لكي تنطفي من أدمعي حُرَقي | وكلما فاض دمعي زادتِ الحرق
وكنت أشكو ولي صبرٌ ولي رمقٌ | فكيف حالي ولا صبرٌ ولا رمق

وقال أيضاً :

وغزالٍ سبا فؤاديَ منه | ناظرٌ راشقٌ وقدٌّ رشيقُ
ريقه رائقُ السلافة والثغ | رُ حبابٌ وخدّه الراووق
حَلّ صدغيه ثم قال أفَرْقٌ | بين هذين ؟ قلت فرقٌ دقيق

وقال أيضاً :

واحيرةَ القمرين منه إذا بدا | وإذا انثنى يا خجلةَ الأغصانِ
كتب الجمالُ ويا له من كاتبٍ | سطرين من خدّيه بالريحان (ي)

وكان تاج الدين يلقب بالهدهد ، فأعطاه الملك الناصر ضَيعة على نهر ثورا[3] ، فحسده جماعة وسَعوا على إخراجها من يده ، فكتب إلى الملك الناصر :

ما قدر داري في البناء فسعيهم | في هدمها قد زاد في مقدارها

---

١ المطبوعة : والأرق .
٢ المطبوعة : لقيت .
٣ المطبوعة : نورا ؛ وهو خطأ .

هَبْ أنها إيوانُ كسرى رفعةً أو ما بجودك كان أصلُ قرارها
فاكتب بأني لا أعارض كاتب عصب يضنّ عليَّ في إنكارها[1]
فالنص جاء عن النبيِّ محمدِ الـ ـهادي: «أقرّوا الطير في أوكارها»

وقال أيضاً ذوبيت :

أقسمت برشق المقلة النباله قلبي وبلينِ القامة العساله
ما ألبسني حلةَ سقمٍ وضنًى يا هند سوى جفونك القتالة

٤٧٥

شهاب الدين ابن الخيمي

محمد بن عبد المنعم بن محمد ، شهاب الدين [ابن] الخيمي الأنصاري ، اليمني الأصل ، المصري الدار ؛ حدّث بجامع الترمذي عن ابن البناء المكي ، وحدّث بكثير من مروياته ، روى عنه الصقلي[2] وابن منيّر وابن الظاهري ، وكان هو المقدم على شعراء عصره مع المشاركة في كثير من العلوم ، وشعره في الذروة ، وكان يُعاني الخدم الديوانية ، وباشر وقف مدرسة الشافعي ومشهد الحسين ، وفيه أمانة ومعرفة ، وكان معروفاً بالأجوبة المسكتة ، ولم يعرف عنه غضب ، عاش اثنتين وثمانين سنة ، وكانت وفاته بالقاهرة سنة خمس وثمانين وستمائة .

---

١ في المطبوعة : فاكتب فاني لا أعارض ، فكتب :

٤٧٥ — الوافي ٤ : ٥٠ والزركشي : ٢٩١ والبدر السافر : ١٢٩ والشذرات ٥ : ٣٩٣ وعبر الذهبي ٥ : ٣٥٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٩ وابن الفرات ٨ : ٤٢ وحسن المحاضرة ١ : ٥٦٩ وانظر ابن خلكان ٢ : ١٠٦ .

٢ في الوافي : الدمياطي .

اتفق أن نجم الدين ابن إسرائيل حج ، فرأى ورقة ملقاة فيها القصيدة التي لابن الخيمي البائية المشهورة فادعاها . قال قطب الدين اليونيني في تاريخه : إن ابن إسرائيل وابن الخيمي اجتمعا بعد ذلك بحضرة جماعة من الأدباء ، وجرى الحديث ، فتحاكما إلى شرف الدين ابن الفارض فقال : ينبغي لكل واحد منكما أن ينظم أبياتا على هذا الوزن والروي ، فنظم ابن الخيمي :

لله قوم بجرعاء الحمى غُيُبُ . . . القصيدة .

ونظم ابن إسرائيل :

لم يقض من حَقّكم بعضَ الذي يجبُ . . . القصيدة .

فلما وقف عليهما ابن الفارض قال لابن إسرائيل :

لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وحكم بالقصيدة لابن الخيمي ، واستجاد بعض الحاضرين أبيات ابن اسرائيل وقال : مَن ينظم مثل هذا ما الحامل له على[1] ادعاء ما ليس له ؟ فابتدر ابن الخيمي وقال : هذه سرقة عادة لا سرقة حاجة ، وانفصل المجلس وسافر ابن إسرائيل لوقته من الديار المصرية ، وطلب ابن خلكان وهو نائب الحكم بالقاهرة الأبيات من ابن الخيمي ، فكتبها له وذيّل في آخرها أبياتاً ، وسأله الحكم بينه وبين مَن ادّعاها :

والقصيدة المدّعاة هي هذه :

يا مطلباً ليس لي في غيره أرَبُ إليك آل التّقَصّي وانتهى الطلبُ
[وما طمحت لمرأى أو لمستمَعٍ إلا لمعنًى إلى علياك ينتسب]
وما أراني أهلاً أن تواصلني حسبي عُلُواً بأني فيك مكتئب
لكنْ ينازعُ شوقي تارة أدبي فأطلبُ الوصلَ لما يضعفُ الأدب

[1] المطبوعة : الحاجة . . . إلى .

ولستُ أبرحُ في الحالين ذا قلقٍ ... نامٍ وشوق له في أضلعي لهب
ومدمع كلّما كفكفتُ صَيِّبه[1] ... صوناً لذكرك يعصيني وينسكب
ويدّعي في الهوى دمعي مقاسمتي ... وجدي وحزني ويجري وهو مختضب
كالطرف يزعم توحيدَ الحبيب ولا ... يزالُ في ليله للنجم يرتقب
يا صاحبي قد عدمتُ المسعدين فسا ... عدني على وَصَبي لا مسَّكَ الوصب
بالله إن جزتَ كثباناً بذي سلمٍ ... قف بي عليها وقل لي هذه الكثب
ليقضيَ الخدُّ من أجراعها وطراً ... في تربها ويؤدّي بعضَ ما يجب
ومِلْ إلى البانِ من شرقيِّ كاظمةٍ ... فلي إلى البانِ من شرقيها أرب[2]
وخذ يميناً لمغنًى تهتدي بشذا ... نسيمه الرطب إن ضلّتْ بك النجُب
حيث الهضاب[3] وبطحاها يروِّضها ... دمعُ المحبين لا الأنداء والسحب
أكرمْ به منزلاً تحميه هيبتُهُ ... عني وأنواره لا السمرُ والقُضُب
دعني أعللُ نفساً عَزَّ مطلبها ... فيه وقلباً لغدرٍ ليس ينقلب
ففيه عاينتُ قدماً حسنَ مَن حسنت ... به الملاحةُ واعتزت به الرتب
أحيا إذا متّ من شوقٍ لرؤيته ... بأنني لهواه فيه منتسب
ولست أعجبُ من جسمي وصحته ... في حبه إنما سُقْمي هو العجب
والهفَ نفسيَ لو أجدى تلهفها ... غوثاً وواحربا لو ينفعُ الحرب
يمضي الزمانُ وأشواقي مضاعفة ... يا للرّجال ولا وصلٌ ولا سبب
يا بارقاً بأعالي الرقمتين بدا ... لقد حكيتَ ولكن فاتك الشنب
ويا نسيماً سرى من حيٍّ كاظمةٍ ... بالله قل ليَ كيف البانُ والعذَب
وكيف جيرةُ ذاك الحيِّ[4] هل حفظوا ... عهداً أراعيه إن شطوا إن قربوا

---

١ الوافي : أدمعه .
٢ الوافي : طرب .
٣ المطبوعة : الرضاب .
٤ الوافي : الجو .

أم ضيعوا ومرادي مناك ذكرهمُ هم الأحبةُ إن أعطوا وإن سلبوا
إن كان يرضيهمُ إبعاد عبـدهمُ فالعبدُ منهمْ بذاك البعد مقترب
والهجرُ إن كان يرضيهم بلا سببٍ فإنه من لذيذ الوصل محتسب
وإن هـُمُ احتجبوا عني فإن لهم في القلب مشهودَ حُسنٍ ليس يحتجب
قد نزه اللطف والإشراقُ بهجته عن أن تمنّعها الأستار والحجب
ما ينتهي نظري منهم إلى رتبٍ في الحسن إلا ولاحت فوقها رتب
وكلما لاح معنًى من جمالهمُ لبّاه شوقٌ إلى معناه منتسب
أظلّ دهري ولي من حبهمْ طربٌ ومن أليم اشتياقي نحوهم حَرَب

وكان الذي نظمه ابن إسرائيل :

لم يقضِ في حبكم بعضَ الذي يجبُ صبٌّ متى ما جرَتْ ذكراكم يجبُ
أحبابنا والمنى تُدني زيارتكم وربما حال من دون المنى الأدب
قاطعتموني فأحزاني مُوَاصِلةٌ وحلتُمْ فحلا لي فيكم التعب
ما رابَكم من حياتي بعد بعدكمُ وليس لي في حياة بعدكم أرب
رحتمْ بقلبي وما كادت لتسلبه لولا قدودُكم الخطيّةُ السلب
يا بارقاً ببريق الحزن لاح لنا أأنت أم أسلمت أقمارَها النقب
ويا نسيماً سرى والعطرُ يصحبه أجزت حيث مَشَيْنَ الخرَّدُ العرُب
أقسمتُ بالمقسمات الزهر تحجبها سُمْرُ العواليّ والهنديّةُ القضب
لكدتَ تشبه برقاً من ثغورهمُ يا درَّ دمعيَ لولا الظَّلْم والشنب

والقصيدة التي نظمها ابن الحيمي ثانياً مع ابن إسرائيل :

لله قومٌ بجرعاء الحمى غُيُبُ جَنَوا عليَّ ولما أن جَنَوْا عتَبوا
يا ربِّ هم أخذوا قلبي فلم سخِطوا وإنهم غصبوا عيشي فلم غضبوا
هم العُرَيْبُ بنجدٍ مذ عرفتهمُ لم يبقَ لي مَعَهُمْ مالٌ ولا نشب
شاكون للحربِ لكن من قدودهم وفاتراتِ اللحاظِ السمرُ والقضب

فما ألموا بحيٍّ أو ألمَّ بهم   إلا وغاروا على الأبيات وانتهبوا
عهدتُ في دمن البطحاء عهدَ هوى   إليهمُ وتمادت بيننا حقب
فما أضاعوا قديمَ العهد بل حفظوا   لكن لغيريَ ذاك العهدَ قد نسبوا
مَن منصفي من لطيفٍ منهم غَنِجٍ   لَدن القَوام لإسرائيلَ ينتسب
مبدل القول ظلماً لا يفي بموا   عيد الوصال ومنه الذنب والغضب
تُبينُ لثغتُهُ بالراءِ نسبتَهُ   والمينُ منه بزورِ الوعد والكذب
موحدٌ فيرى كلَّ الوجود له   ملكاً ويبطل ما يأتي به النسب
فعن عجائبه حَدِّثْ ولا حرجٌ   ما ينتهي في المليح المطلقِ العجب
بدرٌ ولكن هلالاً لاح إذ هو با ا   ورديّ من شفق الخدين منتقب
في كأس مبسمه من حلو ريقته   خمرٌ ودرٌّ ثناياه لها حَبَب
فلفظه أبداً سكران يسمعنا   من معربِ اللحن ما ينسى به الأدب
تجني لواحظه فينا ومنطقه   جنايةً يُجْتَنَى من مرها الضَّرَب
حلو الأحاديث والألحاظِ ساحرها   تُلقى[1] إذا نطق الألواحُ والكتب
لم تُبقِ[2] ألفاظه معنًى يرق لنا   لقد شكت ظلمه الأشعارُ والخطب
فداؤه ما جرى في الدمع من مُهَج   وما جرى في سبيل الحب محتسَب
ويح المتيم شام البرقَ من إضم   فهزه كاهتزاز البارق الحرب
وأسكن البرقَ من وجد ومن كلف   في قلبه فهو في أحشائه لهَب
وكلما لاح منه بارقٌ بعثت   ماءَ المدامع من أجفانه سحب
وما أعادت نُسيماتُ الغويرِ له   أخبار ذي الأثل إلا هزه الطرب
واهاً له أعرض الأحبابُ عنه وما   أجدَتْ رسائله الحسنى ولا القرب

ونظم الشيخ عفيف الدين التلمساني :

لولا الحمى وظباءٌ بالحمى عُرُبُ   ما كان في البارق النّجديِّ لي أربُ

---

١ الوافي : تلغى .   ٢ المطبوعة : لم تنف .

حلت عقودَ اصطباري دونه حِلَلٌ خفوقها كارتياحاتي لها تجب

وفي رياض بيوتِ الحيِّ من إضمٍ وردٌ جنيٌّ ومن أكمامه النقب

يسقي الأقاحيَّ منها قرقفٌ فإذا لاح الحبابُ عليها فاسمه الشهب [1]

يقضي بها لعيون الناظرين على كلِّ القلوبِ قضاءً ما له سبب

إلا تمارض أجفانٍ إذا سَلَبَتْ [2] فمقتضى همّها المسلوبُ لا السلب

وبي لدى الحلة الفيحاء غصنُ نقاً يهفو فيجذبه حِقفٌ فينجذب

لا تقدرُ الحجبُ أن تخفي محاسنه وإنما في سناه الحجبُ تنحجب

أعاهدُ الراحَ أني لا أفارقها من أجل أنَّ الثنايا شبهها الحبب

وأرقبُ البرق لا سقياه من أربي لكنّه مثلُ خديه له لهب

يا سالماً في الهوى مما أكابده رفقاً بأحشاء صبٍّ شفّه الوصب

فالأجرُ يا أملي إن كنت تكسبه من كل ذي كبدٍ حرّاءَ يكتسب

يا بدرَ تِمٍّ تجافى في زيارته ما آن أن تنجلي عن أفقك السحب

صحا السكارى وسكري دام [3] فيك أما للسكر لا سببٌ يُرْوى ولا نسب

قد آيس الصبرَ والسلوانَ أيسره وعاقتِ الصبَّ عن آماله الوصب

وكلما لاح يا عيني وميض سناً تهمي وإن هب يا قلبي صَبَاً تجب

[وقال العفيف التلمساني أيضاً :

أينكر الوجد أني في الهوى شجب ودون كل دخان ساطع لهب

وما سلوت كما ظن الوشاة ولا أسلو كما يترجى الواله الوصب] [4]

فإن بكى لصباباتي عذول هوًى فلي بما منه يبكي عاذلي طرب

ناشدتك الله يا روحي اذهبي كلفاً بحبّ قومٍ عن الجرعاء قد ذهبوا

---

١ المطبوعة : الحبب .

١ المطبوعة : سبلت .

٣ المطبوعة : ومن رام ؛ وبه ينكسر الوزن .

٤ زيادة ضرورية من الوافي .

لا تسأليهم ذماماً في محبتهم ... فطالما قد وفى بالذمةِ العرب
همْ أهلُ ودي وهذا واجبٌ لهمُ ... وإنما ودّهمْ لي فهو لا يجب
هم ألبسوني سقاماً منَ جفونهمُ ... أصبحتُ أرفلُ فيه وهو ينسحبُ
وصيرت أدمعي حُمْراً خدودُهمُ ... فكيف أجحدُ ما منّوا وما وهبوا
هل السلامةُ إلا أن أموتَ بهم ... وجداً وإلا فبقيائي هي العطب
إن يسلبوا البعضَ مني والجميعُ لهمْ ... فإن أشرفَ جزأيَّ الذي سلبوا
لو تعلم العَذَباتُ المائساتُ بمن ... قد بان عنها إذن ما اخضرتِ العذب
ولو درَى منهلُ الوادي الذي وردوا ... مَنْ واردٌ ماءهُ لاهتزه الطرب
إني لأكظمُ أنفاسي إذا ذكروا ... كيلا يحرّقهم من زفرتي اللهب
أسائل البانَ عن مَيل النسيم بهمْ ... سؤالَ من ليس يدري فيه ما السبب
وتلك آثارُ لينٍ في قدودهمُ ... جرت[1] بها الريحُ فاهتزت بها القضب
تصحو السكارى ولا أصحو ظمأً بكمُ ... ويسكر السكرمن بعض الذي شربوا

ونظم الشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله في هذه المادة :

قَضى وهذا الذي في حبهم يَجِبُ ... في ذمة الوجدِ تلك الروحُ تُحتَسبُ
ما كان يومَ رحيلِ الحيِّ عن إضمٍ ... لروحه في بقاءٍ بعدهمْ أرب
صبٌّ بكى أسفاً والشملُ مجتمع ... كأنه كان للتفريق يرتقب
نأوا فذابتْ عليهم روحُه كمداً ... ما كان إلا النوى في حتفه سبب
لم يدر أنّ قدودَ السمر مشبهةٌ ... للبيض لو لم يكن أسماءها القُضُب
وظن كأسَ الهوى يصحو الشريدُ بها ... إذ أوهمته الثنايا أنها الحبب
طوبى له لم[2] يبدّل دينَ حبهمُ ... بل مات وهو إلى الإخلاص ينتسب
لو لم يمتْ فيهمُ ما عاش عندهمُ ... حياتُهُ من وفاة الحبِّ تُكتسب

---

١ الوافي : مرت .
٢ الوافي : لمن لم .

بانوا وفي الحيّ ميّتٌ ناح بعدهمُ   له الحَمام وسَحّتْ دمعها السحب
وشقّ غصنُ النقا من أجله حزَناً   جيوبه وأديرتْ حوله العذب
وشاهد الغيثُ أنفاساً يُصَعّدها   فعاد والبرقُ في أحشائه لهب
يا بارقَ الثغر لو لاحت ثغورهمُ   وشمتَ بارقها ما فاتك الشنب
ويا حياً جادهم إن لم تكن كَلِفاً   « ما بالُ عينك منها الماء ينسكب »[1]
ويا قضيبَ النقا لو لم تجد خبراً   عند الصبا منهمُ ما هزك الطرب
بالله يا نسماتِ الريح أين همُ   وهل نأوا أم دموعي دونهم حجب
بالله لما استقلوا عن ديارهِمُ   أحَنّتِ الدار من شوقٍ أم النُّجُب
وهل وجدت فؤادي في رحالهم   فإنه عندهم من بعض ما سلبوا
نأوْا غضاباً وقلبي في إسارهمُ   يا ليتهم غصبوا روحي وما غضبوا
طوبى لقلبٍ غدا في الركب عندهمُ   كأنه عندهم ضيفٌ وهم عرب
وإن رجعتِ إليهم فاذكري خبري   إني شرقت بدمع العين مذ غربوا
ثم اذكري سفح دمعي في معاهدهم   لا يُذْكَرُ السَّفحُ إلاّ حنّ مغترب
عساكِ أن تعطفي نحوي معاطفهمْ   فالغصنُ بالريح ينأى ثم يقترب

ومن شعر الشيخ شهاب الدين الخيمي[2] :

كلفتُ ببدرٍ في مبادي الدجى بدا   فعاد لنا ضوء الصباح كما بدا
وحَجّبَ عنا حسنَه نورُ حسنه   فمن ذلك الحسنِ الضلالةُ والهدى
فيا عاذلي دعني ونارَ صبابتي   عليه فإني قد وجدتُ بها[3] هدى
وهاك يدي إني على ترك حبه   مدى الدهر لا أعطيك يا عاذلي يدا
فما العيش إلا أن أبيتَ مواصلاً   لبدريَ أو في حبّ بدري مسهّدا

---

١ صدر بيت لذي الرمة ، وعجزه :
كأنه من كلى مفرية سرب
٢ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في الوافي .
٣ المطبوعة : لها ؛ وأثبت ما عند الزركشي .

فيا نار قلبي حبذا أنت مصطلى   ويا دمعَ عيني حبذا أنت موردا
ويا سَقمي في الحبِّ أهلاً ومرحباً   ويا صحةَ السلوان شأنَكِ والعدا

وقال أيضاً :

سلام على بُعْد المزار وقربه   سلام فتًى ما زال عن عهد حبِّهِ
يعلله إن فاته طيبُ وصلكم   لذيذُ هواكم في سويداء قلبه
ويلقى بخديه النسيمَ لأنه   بمغناكمُ قد جَرَّ ذيلاً بثوبه [1]
ويعترض الركبانَ عَلَّ مبشراً   بقربكمُ يقضي بتفريج كربه

وقال أيضاً :

هل إلى برد الثنايا من سبيلِ   لمشوقٍ ذاب من حرّ الغليلِ
أو إلى الوصل وصولٌ خلسة   لمحبٍّ بين واشٍ وعذول
تعبَ الواشي ولو شاء اكتفى   بوشاةٍ من دموعي ونحولي
وبواشٍ من كثير الطيب إن   سمح المحبوبُ بالوصل القليل
وعذولٍ لجَّ في عذليَ إذ   لم ير الخال على الخد الأسيل
لو رأى وجه حبيبي عاذلي   لتفارقنا على وجه جميل
حبذا وجهُ حبيبي جنة   ذات ظلٍّ مدّ بالصدغ ظليل
لم يَرُقْ قلبي خليلٌ غيره   إنه خير حبيبٍ وخليل
خدّه الناظرُ بردٌ ناره   وسلام إنها نار الخليل
أنا مقتولٌ [2] كما شاء الهوى   بالقوامِ اللّدن والطرفِ الكحيل
مُتّ بالحب شهيداً فعسى في   جنان الخلد أن يقضى دخولي

وقال وهو محموم :

صاحِ قل للطبيب ما هي حُمّى   تلك نار اشتياق قلبي إليهمْ

---

١ المطبوعة : بتربه ، وأثبت ما عند الزركشي .
٢ المطبوعة : وأنا المقتول ؛ والتصويب عن الزركشي .

وخروج المياه من جسمي المضـ ـنى بكا أعينِ المسام لديهم
ما شفاني بكاء عينيَ حتى ساعدتني عيون جسمي عليهم

وقال أيضاً :

إني سلوتُ عن الحبيب ولم يكن هذا لأني في الهوى غدّارُ
لكنه اختار السلوَّ وقال لي إني عليَّ من المحب أغار
فأطعته وسلوتُهُ إذ بيننا في العهد أن أختار ما يختار

وقال أيضاً :

أيا من سَلَوْا عنا ومالوا إلى الغدرِ وما لزموا أخلاق أهلِ الهوى العذري
وبعد حلاواتِ التواصل والهوى جنوا مرّ طعم الهجر من علقم الصبر
إذا ما رجعتم عن محبتكم لنا مشاةً رجعنا عن محبتكم نجري
وإن كنتمُ في الجهر عنا صددتمُ ففي سرنا عنكم نصدُّ وفي الجهر
سكنتم فؤادي مرّةً ورحلتمُ فأصبح منكم خالياً خاليَ السر
وقال ليَ العذال هل أنت راجعٌ إذا رجعوا عن غدرهم قلت لا أدري

وقال أيضاً[1] :

ألامُ على الخلاعة إذ شبابي ورونقُ جدّتي ذهبا جميعا
ومن ذهبت بجِدَّته الليالي فلا عجبٌ إذا أضحى خليعا

وقال أيضاً :

رأيتُ على قدّ[2] المليح ذؤابةً فعيني غراماً بالذؤابة تهمعُ
وقال لي الواشون ما لك باكياً فقلت بعيني شعرةٌ فهي تدمع

وقال أيضاً :

---

١ زاد في الزركشي : ويروى للوراق أو للجزار .
٢ المطبوعة : خد ، وما أثبته متابع للزركشي .

يا صاحِ يا صاحِ البدارَ البدارْ فالشرقُ قد أضحى وصاح الهزارْ
وهَبَّ مسكيٌّ نسيمِ الصَّبا فانهضْ نباكر زمن[1] الابتكار
وقم بنا نحيِ[2] ابنةَ الكرم أمَّ الزهرِ زوجَ الماءِ أخت النهار[3]
ثم اجلُها عذراء من ذاتها صيغت حلاها والحباب النثار
صهباء خمر قَرْقَف سلسل مدامة راحٌ سلاف عقار
كوجنةِ الساقي فلا غروَ أن يخلع إذ تجلى عليها العذار
صفراء لا أملك في حبها مالاً ولا أملك عنها اصطبار
ولا أخاف النار من شربها لأنني أشربها وهي نار
وما أضعتُ المالَ فيها وقد بعت لها ، وهي النضار ، العقار
تملأ أعطافي وسمعي بها سكراً ووقراً عن حديث الوقار
تشربها قبل فمي مقلتي ففي جفوني قبل سكري انكسار
ما أذهبت عقلي ولكن أطا رته إلى أفق المعالي فطار
فعاطني يا صاح كاساتها وسقِّني واشربْ نهاراً جهار
وهات في يمناي من صرفها كاساً وأخرى هاتها في اليسار
دعني بها أقطع ليلي فما أطوَلَهُ بعد الليالي القصار
إذ كان ربعٌ بلوى الجزع لي داراً وكان الحب لي فيه جار
ما كان أحلى ذلك العيش من عيشٍ وأحلى الدارَ بالجزع دار

وقال لغزاً في الملعقة :

وممدودة كَيَدِ المجتدي بكفٍّ على ساعدٍ مسعدِ
ترى بعضها في فمي كاللسان وجملتها في يدي كاليد

---

١ الزركشي : فانهض نباكر آية ؛ وفي المطبوعة : فانهض شكوراً .
٢ المطبوعة : نحو .
٣ المطبوعة : الهزار .

وقال في سبحة سوداء :

وسبحةٍ مسودَّة لونُها يحكي سوادَ القلبِ والناظرِ
كأنني عند اشتغالي بها أعُد أيامك يا هاجري

٤٧٦
صريع الدلاء

محمد بن عبد الواحد ، الملقب بصريع الدلاء وقتيل الغواشي[١] ؛ كان شاعراً ماجناً غلب على شعره الهزل والمجون ، عارض مقصورة ابن دريد بمقصورة يقول فيها :

من لم يردْ أن تنتقبْ نعالُهُ يحملها في كفِّه[٢] إذا مشى
ومن أراد أن يصونَ رجْلَه فلبْسُهُ خيرٌ له من الحفا
من دخلتْ في عينه مسلةٌ فاسأله من ساعته عنِ العمى
مَن أكلَ الفحمَ يُسَوِّدْ[٣] فمه وراح صحنُ خده مثلَ الدجى
مَنْ صفعَ الناسَ ولم يَدَعهُمُ أن يصفعوه فعليهم اعتدى

٤٧٦ — ليست هذه الترجمة من المستدرك على ابن خلكان فقد ترجم لصريع الدلاء تحت اسم « علي بن عبد الواحد » (٣ : ٣٨٢) وقال : ورأيت في نسخة من ديوان شعره أنه أبو الحسن محمد بن عبد الواحد القصار البصري والله أعلم بالصواب ؛ وكذلك ورد اسمه في تتمة اليتيمة ١ : ١٤ وعبر الذهبي٣ : ١١٠ والزركشي : ٢٩٤ والوافي ٤ : ٦١ أما صاحب شذرات الذهب ٣ : ١٩٧ فقد لخص ترجمته عن ابن خلكان ، وكذلك ابن كثير ١٢ : ١٣ وحسن المحاضرة ١ : ٥٦٢ .

١ قال الصفدي : في الغواشي ما في الدلاء من المعنى المراد وهي تقابل « الغواني » في لقب مسلم بن الوليد.
٢ الوافي : كمه .
٣ الوافي : تسود .

من ناطح الكبشَ يفجر[1] رأسه وسال من مَفرِقِهِ شبهُ الدما
من أكل الكرشَ ولا يغسله سال على شاربه منه الخرا[2]
من طبخ الديكَ ولا يذبحه طار من القدر إلى حيث يشا
من شرب المسهلَ في فعل الدوا أطال ترداداً إلى بيت الخلا
من مازح السبعَ ولا يعرفه مازحه السبعُ مزاحاً بجفا
من فاته العـلم وأخطاه الغنى فذاك والكلبَ على حدٍّ سوا
والدرجُ يلفى بالغشاءِ مُلْصقاً والسرجُ لا يلزقُ إلا بالغرا
والذقنُ شعرٌ في الوجوه نابتٌ وإنمـا الاست التي تحت الخصا
فاستمعوها فهي أولى لكمُ من زخرف القول ِ ومن طول المرا

يقول في آخرها مشيراً إلى ابن دريد :

فتلك كالدر يضيء لونها وهذه في وزنها مثل الخذا

ومن شعره يمدح فخر الملك من قصيدة :

كيف تلقى بؤساً ودولة فخر الـ ملك فينا تعمُّ بالإنعام ِ[3]
هكذا[4] ما بقي الجديدان تبقى للتهاني مملّكاً ألفَ عام
كلَّ يوم ٍ لنا بنعماك عيدٌ لا خلت منه سائر الأيام
فله الأنعمُ الجسامُ اللواتي هنَّ مثلُ الحياة ِ في الأجسام
لم يزلْ يطلبُ المحامدَ والعلـ ياءَ بين السيوف والأقلام
فلقد نال بالعزائم مجداً لم يُنَلْ مثلُهُ بحدِّ الحسام
أدركَ المجدَ قاعداً وسواه عاجز أن يناله من قيام

---

١ الوافي : تعجر .
٢ المطبوعة : ذاك الدوا .
٣ كان البيت مضطرباً في المطبوعة فصوبته كما جاء في الوافي .
٤ المطبوعة : هذه .

لم يزل جوده يعطعطُ بالإفـ ضالِ مذ كان في قفا الإعدام
فتَهوّ من حبّه المكارمَ والجو دَ يرى الآملين [1] في الأحلام
قد كفتنا غيوثُ كفيه أن نبـ سط كفاً إلى سؤال الغمام
ورضعنا لديه [2] درّ الأماني ونظمنا لديه [3] دُرّ الكلام

وكانت وفاة صريع الدلاء في شهور اثنتي عشرة وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

٤٧٧

الحافظ ضياء الدين المقدسي

محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل ، الحافظ الحجة الإمام ضياء الدين أبو عبد الله السعدي [المقدسي] الدمشقي الصالحي صاحب التصانيف ؛ ولد بالدير المبارك سنة تسع وستين وخمسمائة ، ولزم الحافظ عبد الغني وتخرج به ، وحفظ القرآن وتفقه ، ورحل أولاً إلى مصر سنة خمس وتسعين ، وسمع ، ورحل إلى بغداد بعد موت ابن كليب ، وسمع من ابن الجوزي وغيره ، ودخل همذان ثم رجع إلى دمشق بعد الستمائة ، ثم رحل إلى أصفهان [فأكثر بها وتزيّد وحصل شيئاً كثيراً من المسانيد

---

١ المطبوعة : الكاملين .
٢ المطبوعة : ورصصنا اليه .
٣ المطبوعة : إليه .
٤٧٧ — الوافي ٤ : ٦٥ والزركشي : ٢٩٤ والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٥٤ والبداية والنهاية ١٣ : ١٦٩ والشذرات ٥ : ٢٢٤ وتذكرة الحفاظ : ١٤٠٥ وذيل ابن رجب ٢ : ٢٣٦ وعبر الذهبي ٥ : ١٧٩ .

والأجزاء ورحل إلى نيسابور][1] فدخلها ليلة وفاة الفراوي . ورحل إلى مَرْو وعاد إلى حلب وسمع بها وبحرّان والموصل ، وعاد إلى دمشق بعلم كثير ، وحصل أصولاً نفيسة فتح الله بها عليه هِبَةً وشراء ونسخاً، وسمع بمكة . وأكبّ على الاشتغال لما رجع والتصنيف والنسخ ، وأجازه السلفي وشهدة وابن برّي وخلق كثير ، قال الشيخ شمسُ الدين : سمعت الشيخ جمال الدين المزي يقول : الحافظ ضياء الدين أعلم من الحافظ عبد الغني .

ومن تصانيفه كتاب « الأحكام » ثلاث مجلدات[2] . « فضائل الأعمال » مجلد . « الأحاديث المختارة » تسعين جزءاً . « فضائل الشام » ثلاثة أجزاء . فضائل القرآن » جزء . « صفة الجنة والنار »[3] . « مناقب أصحاب الحديث » . « النهي عن سبّ الصحابة » . « سِيَر المقادسة » كالحافظ عبد الغني والشيخ أبي عمر وغيرهم في عدة مجلدات ؛ وله تصانيف كثيرة في أجزاء عديدة .

وبنى مدرسة على باب الجامع المظفري وأعانه عليها أهل الخير[4] ، وجعلها دار حديث ووقف عليها كتبه وأجزاءه ، وفيها من وقف الموفّق والبهاء عبد الرحمن والحافظ عبد الغني وابن الحاجب وابن سلام وابن هائل[5] والشيخ علي الموصلي ، وقد نُهبت في نكبة الصالحية نوبةَ غازان[6] وراح منها شيء كثير .

وكانت وفاة الشيخ الضياء سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

---

١ زيادة من الوافي .

٢ الوافي : يعوز قليلا ثلاث مجلدات .

٣ الوافي : كتاب الجنة . كتاب النار .

٤ ذيل ابن رجب : وقال غير الذهبي ولم يقبل من أحد فيها شيئاً تورعاً .

٥ الوافي : هامل .

٦ غازان (أو قازان) ملك المغول ، وكان نهب الصالحية سنة ٦٩٩ (السلوك ١ : ٨٩١) .

٤٧٨

شمس الدين الحنبلي

محمد بن عبد الوهاب بن منصور ، العلامة شمس الدين أبو عبد الله الحراني الحنبلي ، كان إماماً بارعاً أصولياً من كبار الأئمة في الفقه والأصول والخلاف ، تفقه على القاضي نجم الدين راجح الحنبلي والشيخ مجد الدين ابن تيمية ، وقدم دمشق فقرأ الأصول والعربية على الشيخ علم الدين[١] القاسم ، ودخل مصر ولازم درس الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وناب في القضاء عن تاج الدين ابن بنت الأعز ، فلما جعلت القضاة أربعةً ناب في القضاء عن الشيخ شمس الدين ابن العماد ، ثم قدم دمشق وانتصب للإفادة . وكان حسن العبارة طويل النفَس في البحث ، أعاد بالجوزية مدة ، وناب في إمامة محراب الحنابلة ، ثم ابتلي بفالج أبطل نصفه الأيسر وثقل لسانه حتى لا يفهم من كلامه إلاّ القليل ، وبقي كذلك أربعة أشهر ومات سنة خمس وسبعين[٢] وستمائة .

وكان من أذكياء الناس، روى عن ابن اللتي والموفق عبد اللطيف وجماعة، ومات في عشر السبعين[٣] ، وكان يقرأ تائية ابن الفارض ويبكي .

ومن شعره ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود أنه أنشده إياه لغزاً في شبابةٍ :

منقّبةٌ مهما خلتْ مع محبها يزوّدها لثماً وينظرها[٤] شزرا

---

٤٧٨ – الوافي ٤ : ٧٥ والزركشي : ٢٩٤ والشذرات ٥ : ٣٤٨ وذيل ابن رجب ٢ : ٢٨٧ .

١ المطبوعة : نجم الدين .

٢ المطبوعة : وتسعين .

٣ كذا ، وقد ذكر سنة وفاته قبل قليل .

٤ الوافي : ويوسعها .

وتصحيفها في كفٍّ من شئت فلتقل   إذا شئت في اليمنى وإن شئت في اليسرى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

طار قلبي يومَ ساروا فرقا   وسواءٌ فاض دمعي أو رَقا
حار في سُقْميَ من بعدهمُ   كلّ من [في] الحيِّ داوى أو رَقى
بعدهم لا ظلّ وادي المنحنى   وكذا بانُ الحمى لا أوْرَقا

٤٧٩

ابن أبي كدية

محمد بن عتيق أبي بكر [بن محمد][١] بن أبي نصر ، التميمي[٢] القيرواني الأشعري المتكلم ، المعروف بابن أبي كُدَيّة ؛ درس الأصول بالقيروان على أبي [عبد الله] الحسين[٣] بن حاتم الأزدي صاحب ابن الباقلاني ، وسمع بمصر من القضاعي ، وقدم الشام وأخذ عنه أبو الفتح نصر الله بن محمد المصيصي ، ودخل العراق وأقرأ الكلام[٤] بالنظامية ، وكان صلباً في الاعتقاد ، وسمع ابن عبد البر بالأندلس ، وتوفي ببغداد سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

سمع يوماً قائلاً ينشد أبيات أبي العلاء المعري :

ضحكنا وكان الضحكُ منا سفاهةً   وحقّ لسكانِ البسيطة أن يبكوا

---

٤٧٩ – الوافي ٤ : ٧٩ والزركشي : ٢٠٥ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢١٧ وغاية النهاية ٢ : ١٩٥ .

١ زيادة من الوافي .

٢ المطبوعة : اليمني .

٣ المطبوعة : الحسن .

٤ المطبوعة : العلوم .

تحطمنا الأيامُ حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا يعادُ له سبك

فقال رحمه الله يرد عليه :

كذبتَ وبيتِ الله حِلفَةَ صادقٍ سيسبكنا بعد الثرى[1] مَنْ له الملك
ونرجع أجساماً صحاحاً سليمةً تَعارفُ في الفردوس ما عندنا شك

ومن شعره أيضاً :

كلامُ إلهي ثابتٌ لا نفارقــه وما دون ربِّ العرش فالله خالقُهْ
ومَن لم يقلْ هذا فقد صار ملحداً وصار إلى قول النصارى يوافقه

ودفن عند الأشعري ، قال ابن الجوزي[2] : كان يحفظ كتاب سيبويه .

٤٨٠
ابن حسول الهمذاني

محمد بن علي بن حَسُّول — بالحاء المهملة والسين المهملة وبعد الواو لام — الكاتب الهمذاني ؛ كان صدراً نبيلاً له النظم والنثر ، وسمع من الصاحب ابن عباد ومن ابن فارس صاحب « المجمل » ، توفي سنة خمسين وأربعمائة[3] .

ومن شعره في أمْرَدَ علويّ :

وأزهرَ من بني الزهراء يرنو إليَّ كما رنا الظبيُ الكحيلُ

١ الوافي : النوى .
٢ يريد سبط ابن الجوزي في « مرآة الزمان » .
٤٨٠ — الوافي ٤ : ١٣٢ والزركشي : ٢٩٥ وتتمة اليتيمة ١ : ١٠٧ والمحمدون : ٣٦٧ .
٣ زاد في الوافي : أو ما دونها .

نهاني الدينُ والإسلامُ عنه فليس إلى مُقَبّلِه سبيل
إذا أرسلتُ ألحاظي إليه نهاني الله عنه والرسول

ومن شعره أيضاً :

تقعد فوقي لأيّ معنًى للفضلِ للهمةِ النفيسَه[1]
إن غلط الدهرُ فيك يوماً فليس في الشرط أن تقيسه
كنت لنا مسجداً ولكن قد صرتَ من بعده كنيسه
كم فارسٍ أفْضَت الليالي به إلى أن غدا فريسه
فلا تفاخرْ بمن[2] تقضى كان الحرا مرةً هريسه

ومن شعره أيضاً :

دخلتُ على الشيخ مستأنساً به وَهْوَ في دسته الأرفعِ
وقد دخل الناسُ مثلَ الجراد فمن ساجدين ومن رُكّع
فهشَّ ولكنْ لمردانه وقام ولكنْ على أربع
وأرسل في كمه مخطةً بدت لي على[3] صورة الضفدع
فهوّعني ما تأملته وزعزع روحيَ من أضلعي
وأعرض إعراضَ مستكبرٍ تَصَدَّرَ مثلي ومستبدع
فأقبلتُ أضرط من خيفةٍ وأفسو على السيد الأروع
وقمتُ وجددت فرضَ[4] الوضوء وكنت قعدتُ وطهري معي
ورام الخضوعَ الذي رامه أبي من أبيه[5] فلم أخضع

---

١ الوافي : الرئيسه .
٢ الوافي : بما .
٣ المطبوعة : تدب على .
٤ المطبوعة : فضل .
٥ قال الصفدي : يعني آدم وإبليس .

وكيف أقبّلُ كفَّ امرىءٍ إذا صُنع الخيرُ لم يَصْنع
فيقبضها عند بذل اللُّهى ويبسطها في الجِدا الرضَّع
وإني وإن كنتُ ممن يهونُ عليه تكبّرُ[1] مستوضع
ليعجبني نتفُ شيب السبال وصفع قَمَحدوةِ الأصلع
خراها ولو أنه ابنُ الفراتِ وَحِرْها ولو أنه الأصمعي

وقال يهجو بعض المتكبرين :

دخلتُ على الشيخ في مَنْ دخلْ فَغَرْبَلَ عُصْعُصَهُ وانتخلْ
وأظهر من نخوةِ الكبرياء ما لم أقدّر وما لم أخَل
فقلتُ له مؤثراً نصحه وقد يُقبلُ النصحُ ممن بخل
إذا كنتَ سيدنا سدتنا وإن كنت للخالِ فاذهبْ فخل
فقال اغتفرْ زلّتي منعماً فإنيَ نغلٌ بزيتٍ وخل
وكم من وزيرٍ كبير عراه عند قضاءِ الحقوق البَخَل

وقال يداعب ابن الحنان[2] وكان يخضب :

سني كسنّ أديبِ الا عراق زينِ الظرافِ
ست وستون عاماً ما بيننا من خلاف
لكنَّ شيبيَ بادٍ وشيبه في غلاف

---

١ المطبوعة : الكبر ، ولا يستقيم به الوزن .
٢ الوافي : ابن الحبان .

٤٨١

ابن حباب الصوري

محمد بن علي بن محمد بن حباب الصوري الشاعر ؛ كان فصيحاً ، توفي في طرابلس وقد نيف على السبعين ، وكانت وفاته سنة ثلاث وستين وأربعمائة .

ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

صَبٌّ جفاه حبيبُهُ ... فحلا له تعذيبُهُ
فالنارُ تضرم في الجوا ... نح والغرامُ يذيبه
حتى بكاه[1] لما دها ... ه بعيده وقريبه
وتآمروا في طبه ... كيما يخفّ لهيبه
فأتى الطبيبُ وما دَرَوْا ... أنّ الطبيبَ حبيبه

٤٨٢

أبو بكر القصار المؤدب

محمد بن علي بن محمد الدينوري ، أبو بكر [القصار] المؤدب ؛ سكن درب الدواب ببغداد ، وله أشعار في الزهد والغزل ، توفي سنة أربع عشرة وخمسمائة .

٤٨١ – الوافي ٤ : ١٣٥ والنجوم الزاهرة ٥ : ٨٩ والزركشي : ٢٩٥ .
١ المطبوعة : بكى .
٤٨٢ – الوافي ٤ : ١٤٩ والزركشي : ٢٩٥ وقال الصفدي : ولم يكن يعرف النحو واللغة ، والصفدي ينقل عن ابن النجار .

ومن شعره :

ومشمّرِ الأذيالِ في ممزوجــةٍ متتوجٍ[1] تاجاً من العقيانِ
بالجاشرية ظلّ يهتفُ سُحرةً ويصيحُ من طرب إلى الندمان
يا طيبَ لذةِ هذه دنياكمُ لو أنها أبقتْ على الإنسان
أصبو إلى شربِ الخمورِ وإنما لصَبوحكم لا للصلاة أذاني
طلعت شموس[2] الراح من أيديهمُ مثلَ النجوم وغِبنَ في الأبدان

٤٨٣

أبو سعد الكاتب الكرماني

محمد بن علي بن محمد بن المطلب ، أبو سعد الكرماني الكاتب ؛ ولد ببغداد ، وقرأ طرفاً صالحاً من الأدب وأخبار الأوائل ، وسمع الحديث من ابن بشران وابن شاذان ، وكان كاتباً سديداً مليح الشعر ، إلا أنه كان قليله ، كثير الهجاء دقيق الفكر فيه ، قال ابن النجار : يشبه هجوه هجوَ ابن الرومي .

ومن شعره :

عُزِلْتُ وما خنتُ فيما وليتُ وغيري يخونُ فلا يعزلُ
فهذا يدلُّ على أن مَنْ يُولّي[3] وَيَعْزِلُ لا يعقل

وكتب إلى الوزير أبي نصر ابن جهير :

---

١ المطبوعة : متبرجاً .

٢ الوافي : كؤوس ، وما هنا ثابت عند الزركشي .

٤٨٣ – الوافي ٤ : ١٥٠ والزركشي : ٢٩٦ .

٣ المطبوعة : تولى .

هبني كما زعم الواشون لا زعموا أخطأت حاشاي أو زلّتْ بيَ القدمُ
وهبك ضاقَ[1] عليك العذرُ من حرجٍ لم أجنه أيضيقُ العفو والكرم
ما أنصفتنيَ في حكم الهوى أذنٌ تصغي لواشٍ وعن عذري بها صمم

ومن شعره :

يا حسرتا مات حظي من قلوبكمُ وللحظوظ كما للناسِ آجالُ
إن متّ شوقاً ولم أبلغ بكمْ أملي[2] كم تحت هذي القبور الدرس[3] آمال

توفي سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة ودفن بمقابر قريش ، رحمه الله .

٤٨٤
الشيخ محيي الدين ابن عربي

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي ، المعروف بابن عربي ، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره ؛ ولد في شهر رمضان سنة ستين وخمسمائة بمُرْسية ، ذكر أنه سمع بمرسية من ابن بَشكوال ، وسمع ببغداد ومكة ودمشق ،

---

١ المطبوعة : ضاقت .
٢ هذه هي رواية الصدر عند الزركشي أيضاً ، وفي الوافي : تصرم العمر لم أحظى بقربكم .
٣ الوافي : الخرس .
٤٨٤ – الوافي ٤ : ١٧٣ والزركشي : ٢٩٦ والبداية والنهاية ١٣ : ١٥٦ والشذرات ٥ : ١٩٠ وعبر الذهبي ٥ : ١٩٨ والنفح ٢ : ١٦١ والتكملة : ٦٥٢ والذيل والتكملة ٦ : ٤٩٣ وعنوان الدراية : ٩٧ (١٥٦) والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٣٩ ومرآة الزمان : ٧٣٦ ولسان الميزان ٥ : ٣١١ وهناك دراسات كثيرة عنه ، منها دراسة المستشرق آسين بلاثيوس (ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٦٥) .

وسكن الروم ، ركب له[1] يوماً صاحبُ الروم فقال : هذا تذعر له الأسود[2] ، فسُئل عن ذلك فقال : خدمتُ بمكة بعضَ الصلحاء فقال يوماً : الله يذل لك أعز خلقه ، أو كما قال . وقيل إن صاحب الروم أمر له بدارٍ تساوي مائة ألف درهم على ما قيل ، فلما كان يوماً قال له بعض السؤال : شيء لله ، فقال : ما لي غير هذه الدار خذها لك .

قال ابن مسدي في جملة ترجمته : كان ظاهريَّ المذهب في العبارات ، باطني النظر في الاعتقادات ، [وكتب لبعض الولاة] ثم حجَّ ولم يرجع إلى بلده ، وروى عن السِّلفي بالإجازة [العامة] ، وبرع في علم التصوف وله فيه مصنفات كثيرة ، ولقي جماعة من العلماء والمتعبدين .

قال الشيخ شمس الدين : وله توسع في الكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة ، وتدقيق في التصوف ، وتواليف جَمّة في العرفان ، ولولا شطحه في الكلام لم يكن به بأس ، ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير .

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني في ذيله على المرآة : وكان يقول أنا أعرف اسم الله الأعظم ، وأعرف الكيمياء ؛ وكانت وفاته في دار القاضي محيي الدين ابن الزكي ، وغسله الجمال ابن عبد الخالق ومحيي الدين ، وكان عماد الدين ابن النحاس يصب عليه ، وحمل إلى قاسيون ودفن بتربة بني الزكي .

وكان مولده في سنة ستين وخمسمائة[3] بمُرْسية من الأندلس ، ووفاته في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ومن تصانيفه « الفتوحات المكية » عشرون مجلداً ، و « التدبيرات

---

١ الوافي : ركبة .

٢ الوافي : هذا بدعوة الأسود .

٣ قد تقدم ذكر ذلك .

الإلهية والتنزلات الموصلية » و « فصوص الحكم » وعمل ابن سودكين [١] شرحاً عليها سماه « نقش الفصوص » وهو من تلك المادة ، « والإسرا إلى المقام الأسرى » نظماً ونثراً ، و « شرح [٢] خلع النعلين » و « الأجوبة المسكتة عن سؤالات الحكيم الترمذي » و « تاج الرسائل ومنهاج الوسائل » و « كتاب العظمة » و « كتاب السبعة » وهو كتاب الشان [٣] ، و « الحروف الثلاثة التي انعطفت أواخرها على أوائلها » و « التجليات » و « مفاتيح الغيب » و « كتاب [٤] الحق » و « مراتب علوم الوهب » و « الإعلام بإشارات أهل الإلهام » و « العبادة والخلوة » و « المدخل إلى معرفة الأسماء » و « كنه ما لا بدّ [للمريد] منه » و « النقباء » و « حلية الأبدال » و « الشروط فيما يلزم أهل طريق الله تعالى من الشروط » و « أسرار الخلوة » و « عقيدة أهل السنة » و « المقنع في إيضاح السهل الممتنع » و « إشارات القرآن » [٥] و « كتاب الهو » و « الأحدية » و « الاتحاد العشقي » و « الجلالة » و « الأزل » و « القسم » و « عنقاء مغرب في ختم [٦] الأولياء وشمس المغرب » و « الشواهد » و « مناصحة النفس » و « اليقين » و « تاج التراجم » و « القطب والإمامين » و « رسالة الانتصار » و « الحجب » و « الانفاس العلوية في المكاتبة » و « ترجمان الأشواق » و « الذخائر والاعلاق في شرح ترجمان الأشواق » و « مواقع النجوم ومطالع أهلة الاسرار [والعلوم] » ، و « المواعظ [٧] الحسنة » و « المبشرات » و « خطبة ترتيب العالم » و « الجلال

---

١ المطبوعة : سويدكين ؛ وهو خطأ .
٢ لم ترد لفظة « شرح » في الوافي .
٣ المطبوعة : البيان .
٤ الوافي : ونسخة .
٥ المطبوعة : القولين .
٦ المطبوعة : وختم .
٧ الوافي : الموعظة .

والجمال » و « مشكاة الأنوار فيما روي عن الله عز وجل من الأخبار » و « شرح الألفاظ التي اصطلحت عليها الصوفية » و « محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار » خمس مجلدات ، وغير ذلك .

قال الشيخ محيي الدين ابن عربي : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقلت : يا رسول الله ، أيما أفضل المَلَكُ أو النبي ؟ فقال : الملك ، فقلت : يا رسول الله أريد على هذا برهان دليل إذا ذكرته عنك أصدق فيه ، فقال : ما جاء عن الله تعالى أنه قال « من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » .

وعلى الجملة فكان رجلاً صالحاً عظيماً ، والذي نفهمه من كلامه حسن ، والمشكل علينا نكل أمره إلى الله تعالى ، وما كلفنا اتباعه ولا العمل بما قاله ، وقد عظمه الشيخ كمال[1] الدين ابن الزملكاني، رحمه الله تعالى ، في مصنفه الذي عمله في الكلام على الملك والنبي والصديق والشهيد ، وهو مشهور ، فقال في الفصل الثاني في فضل الصديقية : قال الشيخ محيي الدين ابن العربي البحر الزاخر في المعارف الإلهية ، وذكر من كلامه جملة ، ثم قال في آخر الفصل : إنما نقلت كلامه وكلام مَن يجري مجراه من أهل الطريق لأنهم أعرف بحقائق هذه المقامات وأبصر بها لدخولهم فيها وتحققهم بها ذوقاً ، والمخبر عن الشيء ذوقاً مخبر عن اليقين ، فاسأل به خبيراً ؛ انتهى .

ومن شعر الشيخ محيي الدين :

إذا حَلَّ ذكركمُ خاطري فرشتُ خدودي مكانَ الترابِ
وأقعدني الذل في بابكم[2] قعودَ الأسارى لضرب الرقاب

وقال[3] :

---

١ المطبوعة : جمال .
٢ المطبوعة : وأقعد في الذل على بابكم .
٣ ترجمان الأشواق : ١٥٢ .

نفسي الفداءُ لبيضٍ خرَّدٍ عُرُبٍ لعبنَ بي عند لَثم الركن والحجرِ
ما أستدل إذا ما تهت خلفهمُ إلا بريحهمُ من طَيِّبِ الأثر
غازلتُ من غزلي فيهنَّ واحدةً حسناء ليس لها أخت من البشر
إن أسفرت عن محيّاها أرتكَ سناً مثل الغزالة إشراقاً بلا غير [1]
للشمس غُرَّتها لليل طُرَّتها شمس وليل معاً من أحسن الصور

وقال [2] في كتاب ترجمان الأشواق [3] :

سلام على سلمى ومَن حل بالحمى وحق لمثلي رقّةً أن يسلما
وما ذا عليها أن تردَّ تحيةً علينا ولكن لا احتكام على الدُّمى
سَرَوْا وظلامُ الليلِ أرخى سدوله فقلت لها صباً غريباً متيما
فأبدت ثناياها وأومض بارقٌ فلم أدر مَن شقَّ الحنادسَ منهما
وقالت أما يكفيه أني بقلبه يشاهدني من كل وقت أما أما

وقال فيه أيضاً [4] :

درست عهودهمُ [5] وإنَّ هواهمُ أبداً جديدٌ في الحشا ما يدرسُ
هذي طلولهمُ وهذي الأدمعُ ولذكرهم أبداً تذوبُ الأنفس
ناديتُ خلف ركابهم من حبهم يا من غناه الحسن ها أنا مفلس
يا موقداً ناراً رويداً هذه نارُ الصبابة شأنكم فلتقبسوا

وقال أيضاً [6] :

---

١ الوافي : عثر .
٢ ما تبقى من الترجمة لم يرد في الوافي .
٣ ترجمان الأشواق : ٢٥ .
٤ ترجمان الأشواق : ٣٥ .
٥ ترجمان : ربوعهم .
٦ ترجمان الأشواق : ٤٨ .

ناحت مطوقة فحنَّ حزينُ   وشجاه ترجيعٌ لها وحنينُ
جرتِ الدموعُ من العيون تفجعاً   لحنينها فكأنهنَّ عيون
طارحتها ثكلى[1] بفقد وحيدها   والثكلُ من فقد الوحيد يكون
بي لاعج من حبّ رملةِ عالجٍ   حيثُ الخيامُ بها وحيث العينُ
من كلِّ فاتكةِ اللحاظِ مريضةٍ   أجفانُها لظُبا اللحاظِ جفون[2]
ما زلت أجرعُ دمعتي من غلّتي   أُخفي الهوى عن عاذلي وأصون
حتى إذا صاح الغرابُ ببينهم   فضح الفراقُ صبابة المحزون[3]
وصلوا السرى قطعوا البرى فلعيسهم   تحت المحاملِ رنّة وأنين
عاينتُ أسبابَ المنية عندما   أرخَوْا أزمتَها وشُدَّ وَضينُ
إنَّ الفراقَ مع الغرام لقاتلٌ   صعبُ الغرام مع اللقاء يهون
ما لي عذولٌ في هواها إنها   معشوقةٌ حسناءُ حيث تكون

وقال أيضاً :

ليت شعري هل دروا   أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى   أيّ شعبٍ سلكوا
أتراهم سلموا   أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى   في الهوى وارتبكوا

---

١ ترجمان : ثكلا .
٢ المطبوعة : تكون ؛ والتصويب عن الديوان والزركشي .
٣ كذا ورد البيت على الأقواء في ترجمان الأشواق والزركشي .

٤٨٥

مهذب الدين ابن الخيمي

محمد بن علي بن علي ، الأديب الكامل مهذب الدين [ابن] الخيمي الحلي ، العراقي الشاعر ؛ شيخ معمر فاضل ، قال ابن النجار : كتبت[١] عنه بالقاهرة ، وله مصنفات كثيرة ، سمع وروى ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

ومن شعره :

أأصنامَ هذا الجيلِ طراً أكلكم   يعوقُ أما فيكم يغوثُ ولا ودُّ
لقد طال ترددادي إليكم فلم أجد   سوى ربّ شانٍ في الغنى شانه الرد

ومن شعره :

جننتُ فعوِّذْني بكتبك إنّ لي   شياطينَ شوقٍ لا تفارقُ مضجعي
إذا استرقت أسرارَ وجدي تمرداً   بعثتُ عليها في الدجى شُهبَ أدمعي

ومن شعره الأبيات المشهورة ، وهو ما كتبه لابنه لما عُصر :

عصروك أمثالَ اللصو   ص ولم تفدْ تلك الأمانَهْ
فإذا سلمتَ فخنهمُ   إن السلامة في الخيانه
وافعلْ كفعل بني سنا   ء الملك في مال الخزانه

يقال إن هذه الأبيات لما شاعت أمسك بنو سناء الملك وصودروا بسبب هذه الأبيات .

---

٤٨٥ – الوافي ٤ : ١٨١ والزركشي : ٢٩٨ وبغية الوعاة : ٧٨ وابن الشعار ٦ : ٤١٧ والبدر السافر : ١٣٣ وابن خلكان ١ : ٢١١ ، ٣٠٩ ؛ ٢ : ٣٤٠ – ٣٤٢ ووقع عند ابن خلكان (٢ : ٣٤٢) ابن التامغاز في نسبه – ولكن الصفدي ضبطه بالقاف والراء (القامغار) .

١ المطبوعة ؛ كتب .

وقال ابن خلكان[1] : أنشدني مهذب الدين الخيمي ، وأخبرني أنه كان بدمشق قد رسم السلطان بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس ، فحلق نصفها ، وحصل فيه شفاعة ، فعفي عنه في الباقي ، فعمل فيه أبياتاً ولم يصرح باسمه :

زرت ابن آدم لما قيل قد حلقوا ... جميعَ لحيته من بعد ما ضُرِبا
فلم أر النصفَ محلوقاً فعدت له ... مهنئاً بالذي منها له وهبا
فقام ينشدني والدمعُ يخنقه ... بيتين ما نظما مَيْناً ولا كذبا
إذا أتتك لحلقِ الذقنِ طائفةٌ[2] ... « فاخلع ثيابكَ منها ممعناً هربا »
« وإن أتوك وقالوا إنها نَصَفٌ ... فإن أطيبَ نصفيها الذي ذهبا »

٤٨٦

الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد

محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح ابن دقيق العيد القشيري المنفلوطي المصري المالكي الشافعي ، أحد الأعلام وقاضي القضاة ؛ ولد سنة خمس وعشرين وستمائة بناحية ينبع وتوفي يوم الجمعة حادي عشر صفر سنة اثنتين وسبعمائة .

١ انظر ابن خلكان ٦ : ٥٦ .

٢ أصل هذا الشطر : لا تنكحن عجوزاً إن أتيت بها ؛ ثم ضمن سائر البيتين ، انظر الحماسية رقم : ٨٧٠ من شرح المرزوقي .

٤٨٦ – الوافي ٤ : ١٩٣ والزركشي : ٢٩٩ والشذرات ٦ : ٥ والنجوم الزاهرة ٨ : ٢٠٦ والدرر الكامنة ٤ : ٢١٠ وتذكرة الحفاظ : ١٤٨١ ودول الإسلام ٢ : ١٥٨ ومرآة الجنان ٤ : ٢٣٦ وطبقات السبكي ٦ : ٢ والبداية والنهاية ١٤ : ٢٧ والديباج المذهب : ٣٢٤ والسلوك ١ : ٩٢٩ والطالع السعيد : ٥٦٧ والبدر الطالع ٢ : ٢٢٩ . وللأستاذ علي صافي حسين دراسة عنه (دار المعارف بمصر ١٩٦٠) وقد ذيلها بمجموعة من شعره .

سمع من ابن المقير وابن رواج وابن الجميزي والسبط ، وسمع من ابن عبد الدايم والزين خالد ، وله التصانيف البديعة كـ « الإمام » و « الالمام » و « علوم الحديث » و « شرح عمدة الأحكام » و « شرح مقدمة المطرز في أصول الفقه » وجمع « الأربعين في الرواية عن رب العالمين » ، وشرح بعض مختصر ابن الحاجب .

وكان إماماً متفنناً محدّثاً مجوداً فقيهاً مدققاً أصولياً أديباً شاعراً نحوياً ، ذكياً غواصاً على المعاني ، مجتهداً وافر العقل كثير السكينة بخيلاً بالكلام ، تام الورع شديد التدين ، مُديم السهر مكباً على المطالعة والجمع ، قلّ أن ترى العيون مثله . وكان سمحاً جواداً ، وكان قد قهره الوسواس في أمر المياه والنجاسات ، وله في ذلك حكايات ووقائع كثيرة . وكان كثير التسرّي والتمتع ، وله عدّة أولاد ذكور بأسماء الصحابة العشرة . تفقه بأبيه وبالشيخ عز الدين ابن عبد السلام ، واشتهر اسمه في حياة مشايخه ، وكان مالكياً ثم صار شافعياً ؛ ومن شعره ، رحمه الله تعالى[1] :

الحمد لله كم أسعى بعزميَ في ... نيل العُلا وقضاء الله ينكسُه
كأنّني البدر أبغي الشرقَ والفلكُ الـ ... أعلى يعارضُ مسعاه فيعكسه

وقال أيضاً[2] :

أأحبابَ قلبي والذين بذكرهم ... وترداده طولَ الزمان تَعَلّقي
لئن غاب عن عيني بديعُ جمالكم ... وجار على الأبدانِ حكم التفرق
فما ضرّنا بُعدُ المسافة بيننا ... سرائرنا تسري إليكم فنلتقي

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] :

---

١ صافي : ١٦١ .
٢ صافي : ١٦١ .
٣ صافي : ١٣٩ .

يا سائراً نحو الحجاز مشمرا اجهدْ فديتك في المسير وفي السرى
وإذا سهرت الليل في طَلَب العلا فحذارِ ثم حذارِ من خُدَع الكرى
فالقصدُ حيث النور يشرق ساطعاً والطرفُ حيث ترى الثرى متعطرا
قف بالمنازلِ والمناهلِ من لَدُنْ وادي قباءَ إلى حمى أمّ القرى
وَتَوَخَّ آثارَ النبيّ فضع بها متشرفاً خديك في عَفَر الثرى
وإذا رأيتَ مهابطَ الوحي التي نشرت على الآفاق نوراً أنورا
فاعلمْ بأنك ما رأيتَ شبيهها مذ كنتَ في ماضي الزمان ولا ترى
ولقد أقولُ إذا الكواكبُ أشرقت وترفعتْ في منتهى شرف الذُّرَى
لا تفخري زهواً فإن محمداً أعلى عُلاً منها وأشرف جوهرا
نلنا به ما قد رأينا من علا مع ما نؤملُ في القيامة أن نرى
فسعادةٌ أزلية سبقت وما هو ثابت أزلاً فلن يتغيرا
وسيادة بارى الأنامَ بها ولا سِيَما إذا قدموا عليه المحشرا
وبديع لطف شمائلٍ منْ دونها ماء الغمامة والنسيم إذا سرى
مع سَطوة لله في يوم الوغى تعنو لشدة بأسها أسد الشرى
شوقي لقرب جنابه وصحابه شوقٌ يجلُّ يسيرُهُ أن يذكرا
أفنى كنوز الصبر من أشواقه وجرى على الأحشاء منه ما جرى
إن لاح صبحٌ كان وجدٌ مقلق[1] أو جنّ ليلٌ كان هماً مسهرا

ومن شعره[2] :

تهيم نفسي طرباً عند ما أستلمحُ البرقَ الحجازيا
ويستخفّ الوجد عقلي وقد لبستُ أثواب الحجى زيّا
يا هل أقضّي حاجتي من منًى وأنحر البزلَ المهاريا

---

١ الوافي : وجداً مقلقاً .
٢ صافي : ١٥٤ .

وأرتوي من زمزم فهي لي أرقُّ من ريقِ المها ريا

وقال أيضاً[1] :

تمنيتُ أن الشيبَ عاجل لمّتي وقرّب مني في صبايَ مزارَهُ
فآخذَ من عصر الشباب نشاطَهُ وآخذ من عصرِ المشيب وقاره

وقال أيضاً[2] :

عَطِيّتُهُ إذا أعطى سرورٌ فإن سلب الذي أعطى أثابا
فأيّ النعمتين أعدّ فضلاً وأحمد عند عقباها إيابا
أنعمته التي كانت سروراً أم الأخرى التي جلّتْ ثوابا

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] :

لم يبقَ لي أملٌ سواك فإن يفت ودّعتُ أيامَ الحياةِ وداعا
لا أستلذّ لغير وجهك منظراً وسوى حديثك لا أريد سماعا

وقال أيضاً[4] :

أتعبتَ نفسك بين لذةِ كادحٍ طلب الحياة وبين حرصِ مؤمّلِ
وأضَعتَ نفسك لا خلاعةَ ماجنٍ حَصَّلتَ فيه ولا وقار مبجل
وتركتَ حظّ النفس في الدنيا وفي الـ أخرى ورحت عن الجميع بمعزل

وقال أيضاً[5] :

لعمري لقد قاسيتُ بالفقر شدّةً وقعتُ بها في حيرةٍ وشتّاتِ

---

١ صافي : ١٥٦ .
٢ صافي : ١٥٥ .
٣ صافي : ١٥٦ .
٤ صافي : ١٥٦ .
٥ صافي : ١٥٨ .

فإن بحتُ بالشكوى هتكتُ مروءتي | وإن لم أبح بالصبر خفت مماتي
وأعظمْ به من نازلٍ بمامة | يزيل حيائي أو يزيل حياتي

وقال أيضاً ذوبيت[1] :

الجسم تذيبه حقوقُ الخدمه | والقلبُ عذابه علو الهمهْ
والعمرُ بذاك ينقضي في تعبٍ | والراحةُ ماتت فعليها الرحمه

وقال أيضاً[2] :

يا عصرَ شبيبتي ولهوي أرأيتْ | ما أسرع ما انقضيتَ عني ومضيتْ
قد كنتَ مساعدي على كيت وكيت | واليومَ فلو رأيت حالي لبكيت

وقال أيضاً[3] :

أفكر في حالي وقرب منيّتي | وسيري حثيثاً في مصيري إلى القبرِ
فينشيء لي فكري سحائبَ للأسى | تسحّ هموماً دونها وابلُ القطر
إلى الله أشكو من وجودي فإنني | تعبتُ به مذ كنتُ في مُبتدا العمر
نروحُ ونغدو والمنايا فجائعٌ | تكدّره والموتُ خاتمة الأمر

وله أيضاً[4] :

سحابُ فكري لا يزال هامياً | وليلُ همي لا أراهُ راحلا
قد أتعبتني همتي وفطنتي | فليتني كنتُ مهيناً جاهلا

وقال أيضاً[5] :

---

١ صافي : ١٥٧ .
٢ صافي : ١٦٩ .
٣ صافي : ١٧٤ .
٤ صافي : ١٨١ .
٥ صافي ١٥٩ — ١٦٠ .

كم ليلةٍ فيك وصلنا السرى   لا نعرفُ الغمضَ ولا نستريحْ
وكَلَّتِ العيسُ وجَدَّ الهوى[1]   واتسع الكربُ وضاق الفسيح
وكادتِ الأنفس مما بها   تزهقُ والأرواحُ منا تطيح
واختلف الأصحابُ ماذا الذي   يزيل من شكواهمُ أو يريح
فقيــل تعريسهمُ ساعةً   وقلت بل ذكراك وهو الصحيح

وقال أيضاً[2] :

يا معرضاً عني ولست بمعرضٍ   بل ناقضاً عهدي وليس بناقضِ
أتعبتني بخلائقٍ لك لم يفدْ   فيها وقد جمحتْ رياضةُ رائض
أرضيتَ أن تختارَ رفضي مذهباً   فتشنِّعُ الأعداءُ أنك رافضي

وقال أيضاً[3] :

قد جرحتّنا يَدُ أيامنا   وليس غير الله من آسِ
فلا تُرَجِّ الخلقَ في حاجة   ليسوا بأهلٍ لسوى الياس
ولا تزد شكوى إليهم فلا   معنى لشكواك إلى قاس
وإن تخالطْ منهمُ معشراً   هويتَ في الدين على الراس
يأكل بعضٌ لحمَ بعضٍ ولا   يخافُ[4] في الغيبة من باس
لا ورعٌ في الدين يحميهمُ   عنها ولا حشمةُ جلاس
فاهربْ من الناس إلى ربهم   لا خير في الخلطة بالناس

وقال أيضاً[5] :

١ المطبوعة : السرى .
٢ صافي : ١٧٧ .
٣ صافي : ١٧٥ .
٤ الوافي : يحسب .
٥ صافي : ١٧٣ .

إذا كنت في نجد وطيب نسيمها   تذكرتُ أهلي باللّوى فمُحجَّر
وإن كنت فيهم ذُبتُ شوقاً ولوعةً   إلى ساكني نجد وعيل تصبري
وقد طال ما بين الفريقين قصتي   فمن لي بنجدٍ بين أهلي ومعشري

وقال أيضاً نظماً في بعض الوزراء[1] :

مقبلٌ مدبرٌ بعيد قريب   محسنٌ مذنب عدوّ حبيبُ
عجبٌ من عجائب البرّ والبحـ   ـر ونوع فردٌ وشكل غريب

وقال أيضا[2] :

ذَرُوا في السرى نحو الجناب الممنع   لذيذَ الكرى واجْفوا له كلَّ مضجع
وأهدوا إذا جئتم إلى خيرِ مربع   تحيةَ مُضْنًى هائم القلب موجع
سريع إلى داعي الصبابة طيّع

يقومُ بأحكام الهـوى ويقيمها   فكم ليلةٍ قد نازلته همومها
فَسامَرَها حتى تولتْ نجومها   له فكرة فيمن يحبّ يديمها
وطرفٌ إلى اللقيا كثير التطلع

وكم ذاق في أحواله طعم محنةٍ   وكم عارضته من مواقف فتنةٍ
وكم أنّةٍ يأتي بها بعد أنة   تَنِمُّ على سرٍّ له في أكنة
وتخبر عن قلبٍ له مُتَقَطع

ففي صبره شوقٌ أقام ملازما   وحبٌّ يحاشي أن يطيعَ اللوائما
وجفن يرى أن لا يرى الدهر نائما   وعقل ثوى في سكرة الحبّ دائما
وأقسم أنْ لا يستفيقَ ولا يَعي

أقام على بعد المزار متيما   وأبكاه برقٌ بالحجاز تَبسَّما

-----

١ صافي : ١٦٧ .
٢ سمى الزركشي هذه المخمسة « موشحاً » وهو وهم ، وانظرها في صافي علي : ١٤٧ .

وشوّقه أحبابه نظرُ الحمى دعوه لأمرٍ دونه تقطر الدما
فيا ويحَ نفسِ الصبّ ماذا له دُعي

له عند ذكر المنحنى سفحُ عبرةٍ وبين الرجا والخوف موقفُ عبرة
فحيناً يوافيه النعيم بنظرة وحيناً ترى في قلبه نار حسرة
يجيء إليه الموتِ من كلّ موضع

سلامٌ على صفو الحياة وطيبها إذا لم تفز عيني بلُقْيا حبيبها
ولم تحظَ من إقباله بنصيبها ولا استعطفته عبرتي بصبيبها
ولا وقعت شكواي منه بموقع

موكّل طرفي بالسهاد المؤرق ومجري دموعي كالحيا المتدفق
وملهب وجدٍ في فؤاديَ محرق « بعينك ما يلقى الفؤاد وما لقي »[1]
وعندك ما تحوي وتخفيه أضلعي

أضرَّت بيَ البلوى وذو الحبّ مبتلي يعالج داءً بين جنبيه معضلا
ويثقله من وجده ما تحملا وتبعثه الشكوى فيشتاقُ منزلا
به يَتَلقّى راحة المتودع

مقرّ الذي دل الأنام بشرعه على أصلِ دين الله حقاً وفرعه
به انضمّ شمل الدين من بعد صَدْعه لنا مذهبُ العشاق في قصد ربعه
نُقيم به رسم البكا والتضرع

تحلُّ به الأنوارُ مـلءَ رحابه ومستودع الأسرار عند صحابه
هدايةُ من يختار تأميلُ بابه وتشريفُ من يختار قصدُ جنابه
بتقبيله وجه الثرى المتضوّع

---

١ أصله : لعينيك ، وهو للمتنبي .

أقام لنا شرعَ الهدى ومناره وألبسنا ثوبَ التقى وشعاره
وجنبنا جورَ العمى وعثاره سقى الله عهد الهاشميِّ وداره
سحاباً من الرضوان ليس بمقلع

بنى العزَّ للتوحيد من بعد هده وأوجب ذلَّ المشركين بجده
عزيزٌ قضى ربُّ السماء بسعده وأيَّده عند اللقاء بجنده
فأورده للنصر أعذبَ مشرع

أقول لركبٍ سائرين ليثرب ظفرتم بتقريب النبيّ المقرّب
فبثوا إليه كلَّ شكوى ومتعب وقصوا عليه كلَّ سؤلٍ ومطلب
فأنتم بمرأى للرسول ومسمع

أما والذي آتاه مجداً مؤثلا لقد كان كهفاً للعُفاة ومعقلا
يُبَوِّئُهم ستراً من الحلم مسدلا[1] ويمطرهم غيثاً من الجود مسبلا
وينزع في إكرامه كلَّ منزع

لقد شرّف الدنيا قدومُ محمد وألقى بها أنوار حقّ مؤبد
يزينُ به ورّاثه كل مشهد فهم بين هاد للأنام ومهتدي
ومثبت أصل في الهدى ومفرّع

سلامٌ على مَنْ شرّف الله قدره سلام محبّ عمر الدهر سرّه
له مطلبٌ أفنى تمنيه عمره وحاجاتُ نفسٍ لا تجاوز صدره
أعدَّ لها جاهَ الشفيع المشفع

وقال أيضاً[2] :

آه من حيرة الفراقِ ويا حسـ ـرةَ من خاب بعد ما قد تمنى
ليت شعري أكان هجري لمعنًى عند أهل العقيق أم لا لمعنى

---

١ الزركشي : مسبلا .
٢ صافي : ١٦٠ .

محتويات الكتاب

(تتمة حرف العين)

ق

ك

ل

م

تم الجزء الثالث من فوات الوفيات والذيل
عليها ويتلوه في الجزء الرابع :
محمد بن علي بن عمر بن المازني الدهان

تمّ ، بعونه تعالى ، طبع هذا الجزء من
فوات الوفيات
على مطابع دار صادر في بيروت
في شهر آذار (مارس) ١٩٧٤